

الإحاطة
في

إخبار السمرقانية

تأليف

أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد بن أحمد السمرقاني

المشهور بلسان الدين ابن الخطيب

المتوفى سنة ٧٧١ هـ

بسمه ورضيته وقدم له

الريسمان الدكتور يوسف هادي طوي

أستاذ العرب والأنسب واللغات الفارسية
بالمعاصرة اللبنانية

تنبيه

وضعنا الفهارس الملمة للكتاب في آخر الجزء الرابع

المجلد الثالث

ملاحظات

مترجم من

للكاتب

سائر الكتب العلمية

بمكتبة

الإحاطة في إخبار شيخنا طاهر

تأليف
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السطحي
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب
المتوفى سنة ٥٧٦ هـ

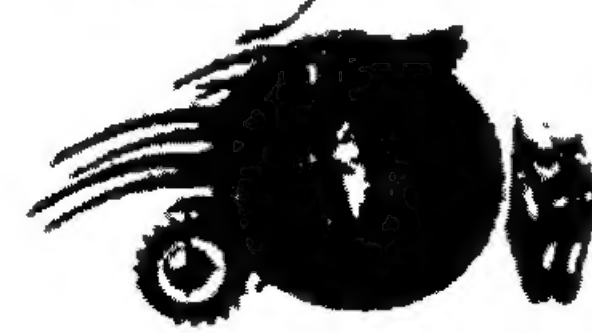
بترعة وضبطه وقدم له
الأستاذ الدكتور يوسف عاي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي طلبة الدراسات العليا
بالمهنة اللبنانية

تنبيه:
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الثالث

منشورات
محمد عساي بيضون
لشركته النشرية والجمالية
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مستودعات الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation écrite
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحري - نهاية ملكات
الإدارة العامة، هرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)
مستودع بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ram Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ram Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+981 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5



9 782745 133199

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

beydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي^(١)

من أهل سبّته، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب.

حاله: من أهل الظرف والبراعة، والطبع المعين، والذكاء، رئيس سبّته، وابن رؤسائها، وانتقل إلى غرناطة عند خلعه وانصرافه عن بلده. أقام بها تحت رغي حسن الرواء، مألّفا للظرفاء، واشتهر بها أدبه، ونظر في الطب ودون فيه، وبرع في التوشيح. ثم انتقل إلى العُدوة، انتقل غبطة وأثرة، فاستعمل بها في خطط نبيه، وكتب عن ملوكها، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصّه^(٢): فرع تأود من الرئاسة في دوحة، وتردد بين غدوة في المجد ورؤحة، نشأ والرئاسة العزفية تعلّه وتنهله، والدهر يسير أمله الأقصى ويسهله، حتى اتسقت أسباب معده، وانتهت إليه رياسة سلفه من بعده، فألقت إليه رحالها وخطت، ومتعته بقربها بعدما شطت. ثم كَلَح له الدهر بعد ما تبسّم، وعاد رَغَزَعًا^(٣) نسيمة الذي كان يتنسم، وعاق هلاله عن يمه، ما كان من تغلب ابن عمه، واستقرّ بهذه البلاد نائي^(٤) الدار بحكم الأقدار، وإن كان نبيه المكانة والمقدار، وجرت عليه جِراية واسعة، ورعاية متتابعة، وله أدب كالروض باكرته

(١) ترجمة العزفي في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥٢) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٧٨) وجاء في أزهار الأرض أنه ولد بسبّته عام ٦٩٩ هـ، وبريع بها بعد أبيه عام ٧١٩ هـ، وخلع في سنة ٧٢٠ هـ، فكانت دولته ستة أشهر، وتوفي بفاس سنة ٧٦٨ هـ. وقد ذكرنا ذلك؛ لأن ابن الخطيب لم يذكره هنا كمعادته مع سائر التراجم.

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨).

(٣) الزعزع: الريح الشديدة. لسان العرب (زعزع).

(٤) في نفع الطيب: «نازح».

الغمائم، والزهر تفتحت عنه الكماثم، رَفَعَ منه راية خافقة، وأقام له سوقاً نافقة.
وعلى تدفق أنهاره، وكثرة نظمه واشتبهاره، فلم أظفر منه إلا باليسير التافه بعد
انصرافه.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أفديك يا ريح الصُّبا عوجي على تلك الرُّبى
واخذ النُّعمامى سِخراً تُرسل غماماً صَباً
على رُبى غَرناطة لكى تُقضى ما ربا
ثم أبلغني^(١) يا ريح عن صب سلاماً طيباً

ومن منظومه أيضاً في بعض القضاة الفاسيين، وهو من البديع، وورى فيه بيايين
من أبواب المدينة: [المتقارب]

وليت بفاس أمور القضاء فأخذت فيها أموراً شنيعة
فتحت لنفسك باب الفتوح وغلقت للناس باب الشريعة
فبادر مولى الورى فارس بعزلك عنها قبيل الذريعة
وقال: [الكامل]

دغ عنك قول عواذل ووشاة وأدرك كؤوسك يا أخا اللذات
واخلع عذارك لاهياً في شربها واقطع زمانك بين هاك وهات
خذها إليك بكف ساق أغيد لين المعاطف فاتر الحركات
قد قام من الحافظه إنسانها مُثبتاً في فترة اللحظات
يسقيكها حمراء يسطع نورها في الكأس كالمصباح في المشكات
رقت وراقت في الزجاجة منظرها لما عدت تجلي على الراحات
لا تَمزجها في الأبارق إنها تبدو محاسنها لدى الكاسات
عجبا لها كالشمس تغرب في فم لكن مطالعها من الوجنات
نلنا بها ما نشتهيهِ من المني في جنة تزهى على الجنات
رقت عليها كل طل سَجَسج من كل غصن يانع الثمرات
ما بين خضر حدائق وخمائل وجداول تُفضي إلى دوحات
سرى النسيم بها يصافح زهره فيهب وهو موزج النفحات

(١) في الأصل: «أبلغني» وكذا ينكر الوزن.

وشدا لنا فيها مَعْنٌ شادين
طَرِبَتْ له القُضْبُ اللَّدَانُ وبادرث
مَرَّتْ عليه رُكْعًا لَكْنِهَا
قَصَرَتْ صلاة الخوف منه فَقَرَّبَتْ
والْعُودُ مَثْنَاهُ يُطَابِقُ زِيَّهَا
إِنْ جُسَّ مَثْلِيَّهُ بَانَ بِعُثَّةٍ^(١)
فَكَانَ مَا غُنَّتْ عليه الْوُزْقُ مِنْ
عَكَفَتْ عَلَى أَلْحَانِهَا تَشْدُو لَنَا
فَكَأَنَّهَا عُجْمٌ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ
نَطَقَتْ بِأَفْصَحِ نَغْمَةٍ فِي شَذْوِهَا

ومما أنشده ليلة ميلاد رسول الله ﷺ: [المتقارب]

إِذَا لَمْ أَطِقْ نَحْوَ تَجْدٍ وَصُولَا
وَكَمْ خَلَّ قَلْبِي رَهِينًا بِهَا
مَحَلَّ بِهَا فِي الْحَلَالِ الَّتِي
وَكَمْ بَتُّ فِيهَا غَدَاةَ الثُّورَى
عَلَى شَمْسٍ حُسْنٍ سَمَا نَظَرِي
وَقَفْتُ بِوَادِي الْغَضَا سَاعَةً
وَفِي الْبَانِ مِنْ أَيْكِهِ سَاجِعٍ
بِحَقِّ الْهَوَى يَا حِمَامَ الْجَمَى
فَقَدْ هَجَتْ تَالَهُ أَشْوَاقُهُ
أَلَمْ تَذَرْ أَنْ أَدْكَارِي الْهَوَى
رَعَى اللَّهُ تِلْكَ الْمَطَايَا الَّتِي
وَيَا عَجَبًا كَيْفَ خَفْتُ بِهِمْ
وَوَدَّعَنِي الصَّبْرُ إِذْ وَدَّعُوا
وَأَثَرْتُ، يَا وَيْحَ نَفْسِي، الْمَقَامَ

بَعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولَا
غَدَاةَ نَوَى الرُّكْبِ فِيهَا النُّزُولَا
ضَحَى أَصْبَحَ الْقَوْمِ فِيهَا حُلُولَا
أَسْحُ مِنْ أَلْعَيْنِ دَمْعًا هُمُولَا
إِلَيْهَا وَعَسَيْ تَوَارَتْ أَفْوَلَا
لَعَلِّي أَنْذَبُ فِيهَا الطُّلُولَا
يَرْجِعُ بِالْقُضْبِ مِنْهَا الْهَدِيلَا
تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمُعْنَى قَلِيلَا
بِذِكْرِكَ إِلْفَا ثَنِي^(٢) أَوْ خَلِيلَا
يُذِيبُ وَيُعْنِي الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا؟
إِلَى الْحَجِّ وَخَدَا سَرَتْ أَوْ ذَمِيلَا
وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ جَمَلًا ثَقِيلَا
فَمَا أَنْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلَا
وَأَثَرَ أَهْلِ السُّودَادِ الرَّجِيلَا

(١) في الأصل: «في» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) الغثة: صوت يخرج من الخيشوم. محيط المحيط (غزن).

(٣) في الأصل: «ثانيًا»، وكذا ينكسر الوزن.

وجادوا رجاء^(١) الرضى بالنفوس
 ندفت على السير إذ فاتني
 وفاز المخفون إذ يمموا
 وحجوا وزاروا نبي الهدى
 وفازوا بإذراك ما أملا
 ولو كنت في عزمهم مثلهم
 ولكنني أثقلتني الذنوب
 ركبنت مطية جهل الصبا
 ومالت بي النفس نحو الهوى
 فطوبى لمن حل في طيبة
 ونال المنى في منى عندما
 وأضفى الضمائر نحر الصفا
 وجاء إلى البيت مستبشرا
 وطاف ولبي بذاك الجمى
 بلاد بها حل خير الورى
 نبي كريم سما رفعة
 وكان لأمتة رحمة
 وكان رؤوفا رحيمًا لهم
 له يفرغون إذا ما رأوا
 وإن جاء في ذنبهم شافعا
 له معجزات إذا عُدَّت
 ولن يبلغ القول معشارها
 وقس البيان وسخبائه^(٢)
 تخييره الله في خلقه

وكنت بتفسي ضئيلا
 ولازمت حزني دهرًا طويلا
 منازل آثارها لن تزولا
 محمدا الهاشمي الرسولا
 ونالوا لذته الرضى والقبولا
 إذا لاثرفت إليه عجولا
 وما كنت للثقل منها حمولا
 وكانت أوان الثصابي ذلولا
 وقد جدتني غرا جهولا
 وعرس بالسفح منها الحمولا
 نوى بالمنازل منها نزولا
 يؤمل للوصل فيه الوضولا
 ليظهر بالأمن فيه دخولا
 ونال من الحجر قرضا وسولا
 فطوبى لمن نال فيها الخولا
 وقذرا جليلا ومجدا أصيلا
 بفضل الشفاعة فيهم كفيلا
 عطوفا شفيعا عليهم ووصولا
 لدى الحشر خسفا وأمرًا مهولا
 بدا الرخب من ربه والقبولا
 تفوت الثهي وتكل العقولا
 وإن كان الوصف فيها مطيلا
 يرى ذهنة في مداها كليلا
 فكان الخطير لديه المثيلا

(١) في الأصل: «رجاء»، وكذا يتكرر الوزن.

(٢) قس: هو قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أسقف نجران، وخطيب العرب وشاعرهما، يضرب به المثل في البلاغة. وسخبان: رجل من بني باهلة يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة، فيقال: أخطب من سخبان وائل.

ولم يُر في النَّاسِ نِدًا له
وأبقى له الحُكْمَ في أرضه
وكلَّ ظلامٍ وظُلُمٍ بها
وكانت كنار لظى فتنة
وقد زان حسنُ الدُّجى جيله
وأيامه غُرَّرَ قد بَدَتْ
رَسُولَ كريمٍ إذا جئته
بمولده في زمان الربيع
فأهلاً به الآن من زائرٍ
وقام الإمام به المرتضى
هو المستعين أبو سالمٍ
وحاز من الصِّيت ذكرًا أثيرًا
سليلُ عليٍّ غمامُ النُّدى
قَتَّى أَوْسَعَ النَّاسَ من جوده
حلاه الوقارُ ولاقيه
وقد شاع عنه جميل الثناء^(١)
وما مَنْ بالوعد إلا وَفَى
ولا في غلاه مُغالٍ لمن
تفرَّد بالفضل في عصره
أطاعت له حين وافى البلاد
وجاء^(٢) لطاعته أهلها
قَتْبَةً قَذَرَ المُوالي بها
ومَهَّدَ بالأمن أفكارها
وكفَّ أَكْفَ التَّعَدِّي بها
وعصر الكروب الذي قد مضى

ولا في الخلائق منه بديلا
فكان الأمين عليها الوكيلا
على القُور لما أتى قد أزيلا
فعمادت من الأمن ظِلًّا ظليلا
إذا ذكر الدهر جيلًا فجِـيلا
بوجه الدنيا والليالي حجولا
ويُمنّت مَغْنَاه تَلْقَى القُـبولا
ربيعُ أُنانا يَجِرُّ الذُّيولا
أُنانا بفضل يفوق الفضولا
فنال ثوابا وأجرا جزيلا
ملك ترفع قدرا جليلا
ومن كرم الخيم مَجْدًا أثيلا
ألا أيَّد الله ذاك السُّليلا
عطاء^(١) جزيلا وبرًا حفيلا
إذا ارتاح للجُود يلقى عجولا
وعَمَّ البسيطة عرضًا وطولا
فلَمْ يَكُ بالوعد يومًا مَطُولا
يُكَثِّرُ في الملك قالا وقيلا
وكان بعُزف الأيادي كفيلا
رَضَى عندما حلَّ فيها حلولا
سُراعًا يرومُون فيها الدُّخولا
واكسَفَ فيها المُعادي خمولا
وأمن بالعدل فيها السبيل
فلا يُظلم الناس فيها قتيلا
زمانُ المَسَرَّات منه أديلا

(٢) في الأصل: «الثناء».

(١) في الأصل: «عطاء».

(٣) في الأصل: «وجاء».

أتانا إلى الغرب في شوكة
وفوق رؤوس الطفافة انتضى
وجرد من عزمه مرهفًا
وكل كفور مُقَادٍ لَهُ
أعز الخلائق لِمَا وَلِي
وراعى لمن جاءه داخلا
فكان بأفعاله قصده
وصح انتعاش المعالي به
وشيد مبنى العُلا بالئدى
يُنيل ويُعطي جزيل العطاء^(١)
ودام مدى الذمر في رفعة
ولا بريح السعد في بابه

بها عاد جَمْعُ الأعادي قليلا
خُسامًا لِيُسْمِعَ فيها صليلا
لحسم أمور المناوي صقيلا
سيأخذه الله أَخْذًا وَيِيلا
وثؤه من كان منهم ذليلا
حماء من القاصدين الدُخَيْلا
إلى مَنَهَجِ الفضل قصدا جميلا
وقد كان شخصُ المعالي عليلا
ووثقه خَشْيَةً أَنْ يَمِيلا
فما زال أخرى الليالي مُبِيلا
تثير من الحاسدين الغليلا
يؤم به مَزْبَعًا أَوْ مَقِيلا

محمد المَكُودي^(٢)

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «الإكليل»^(٣): شاعر لا يتعاطى^(٤) ميدانه، ومَرَعَى بيانٍ وَرَفَ
عِضَاهُ^(٥) وأينع سَعْدَانُهُ^(٦)، يدعو الكلام فَيُهْطِعُ^(٧) لداعيه، وَيَسْعَى في اجتلاب
المعاني فتتجح مساعيه، غير أنه أفرط في الانهماك، وهوى إلى السُّمكة من أوج
السُّمَّاك^(٨). وقدم^(٩) على هذه البلاد مُفْلِتًا من رَهَقِ تلمسان حين الحصار، صفر
اليمن واليسار من اليسار، ملئ هوى أنحى على طريفه وتِلاده، وأخرجه من بلاده.

(١) في الأصل: «العطاء».

(٢) هو محمد بن محمد المَكُودي، ترجمته في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥، ٣٧٨) وأزهار الرياض
(ج ٥ ص ٤٩) وجاء فيه أنه: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المَكُودي.

(٣) النص مع الشعر في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٤) في النفح: «لا يُتَقَاصَى». (٥) في الأصل: «عضله» والتصويب من النفح.

(٦) السَّعْدَان: نبت له شوك. لسان العرب (سعد).

(٧) يُهْطِعُ: يسرع. لسان العرب. (هطع).

(٨) السُّمكة: برج في السماء. والسُّمَّاك: واحد السُّمَّاكين وهما كوكبان نيران، يقال لأحدهما
السُّمَّاك الراجع وللآخر السُّمَّاك الأعزل، ومراده أنه هوى من الأوج إلى الحضيض. لسان العرب
(سمك).

(٩) في النفح: «قدم».

ولمّا جَدُّ به البين، وحَلَّ هذه البلاد^(١) بحال تقبّحها العين، والسيف بهزّته، لا بحسن
بزّته، دعوته^(٢) إلى مجلس أعاره البذرُ هالته، وخلع عليه الأصيلُ غلالته، وروّض
تفتّح كمامه، وهَمَّى عليه غمامه، وكاس أنس تدور، فتتلقّى نجومها البدور. فلمّا
ذهبت الموانسة بخجله، وتذكّر هواه ويوم نواه حتّى خفنا حلول أجله، جَدَبنا للموانسة
زمامه، واستَقينا^(٣) منها غمامه، فأمتّع وأخسب، ونظر ونسب، وتكلّم في المسائل،
وحضر^(٤) بطرف الأبيات وعيون الرسائل، حتّى نشر الصباح رايته، وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه^(٥): [الوافر]

غرامي فيك جَلُّ عن القياس وقد أشقّيتني به بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني عليك أقاربي طرّاً وناسي
ولا أدري لنفسي من كمال سوى أنّي لعهدك غير ناس

وقال في غرض معروف^(٦): [الطويل]

بَعَثْتُ بِخَمْرِ فِيهِ ماءٌ وإِثْمًا بَعَثْتُ بِماءٍ^(٧) فِيهِ رائحة الخَمْرِ
فَقُلْ عَلَيْهِ الشُّكْرُ إِذْ قُلْ سَكْرُنَا فنحن بلا سُكْرٍ وَأَنْتَ بلا شُكْرِ

ومما خاطبني به^(٨): [البسيط]

رَحِمَاكَ بِي فَلَقَدْ خَلَدْتُ فِي خَلْدِي هَوَى أَكَابِدُ مِنْهُ حَرَّةٌ^(٩) الْكَبِيدِ
خَلَلْتُ عَقْدَ سُلُوكِي فِي^(١٠) فَوَادِي إِذْ خَلَلْتُ مِنْهُ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي^(١١) جَسَدِي
مَرَاكَ بِدَرِي وَذِكْرَاكَ الْبِذَاذُ فَمِي وَدِينُ حُبِّكَ إِضْمَارِي وَمُغْتَقِدِي
وَمِنْ جَمَالِكَ نَوْرٌ لَاحَ فِي بَصْرِي وَمِنْ وَدَادِكَ رَوْحٌ حَلَّ فِي خَلْدِي
لَا تَحْسِبَنَّ فَوَادِي عَنْكَ مُضْطَبِرًا^(١٢) فَقَبْلَ حُبِّكَ كَانَ الصَّبْرُ طَوْعَ يَدِي
وَهَاكَ جَسْمِي قَدْ أَوْدَى الشُّحُولُ بِهِ فَلَوْ طَلَبْتُ وَجُودًا مِنْهُ لَمْ تَجِدْ

(١) في النفع: «البلدة».

(٢) في النفع: «دعونا».

(٣) في النفع: «واستقينا».

(٤) في النفع: «فمّا نسب إلى نفسه وأنشدناه قوله».

(٥) اكتفى في النفع بالقول: «وقال».

(٦) في الأصل: «بما» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٧) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٨) في النفع: «حُرقة».

(٩) في النفع: «من».

(١٠) في النفع: «عن».

(١١) في الأصل: «مضطبراً» والتصويب من النفع.

بما بطرفك من غلج ومن حور
 كن بين طرفي وقلبي منصفًا فلقد
 فقال لي قد جعلت القلب لي وطنًا
 وكيف تطلب عدلاً والهوى حكم
 من لي بأغيد لا يرثي إلى شجن
 ما كنت من قبل إذعاني لصولته^(٢)
 إن جاد بالوعد لم تضدق مواعده
 شكوته علفتي منه فقال: ألا^(٣)
 فقلت: إن شئت برثي أو شفا ألمي
 وإن بخلت فلي مولى يجرود على
 وخرج إلى المدح فأطال.

وما بشفرك من دُرٍّ ومن برِدٍ
 حابيت^(١) بغضهما فاغدن ولا تجد
 وقد قضيت على الأجفان بالشهد
 وحكمه قط لم يعدل على أحد
 وليس يعرف ما يلقاه ذو كمد
 إخال أن الرشا يسطو على الأسد
 فإن قنغت بزور الوعد لم يعد
 سِرٌّ للطبيب فما بُزء الضنى بيدي
 فبارتشاف لِمَاك الكوثرى جد
 ضعفي ويبرىء ما أضئت من جسدي^(٤)

المقرئون والعلماء - الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى
 ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبى^(٥)

يكنى^(٦) أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، شيخنا رحمة
 الله عليه.

أوليته: أصل^(٧) سلفه من ولبة^(٨) من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

(١) حابيت بمعنى: نصرته وملت إليه، يقال: حابى القاضي في الحكم إذا مال منحرفاً عن الحق. لسان العرب (حبا).

(٢) في النفع: «الطوته».

(٣) في الأصل: «فقال الأمر للطبيب فما...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «جسد» والتصويب من النفع.

(٥) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٤٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤) والديباج المذهب (ص ٢٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨).

(٦) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٧) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٨) في الأصل: «ولمة» والتصويب من النفع وأزهار الرياض.

الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حُسام بن خِرار الكلبي، وعند خلع دعوة^(١) المرابطين، وكانت لجدهم بجيان رئاسة وانفراد بالتدبير.

حاله: كان^(٢)، رحمه الله، على طريقة مثلى من العُكوف على العلم، والاقتصاد^(٣) على الاقتيات من حُرّ النُشب^(٤)، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية^(٥)، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حُفَظَةً^(٦) للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، مُلوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب القُور، صحيح الباطن. تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته.

مشيخته: قرأ^(٧) على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير^(٨)، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن. وروى عن أبي الحسن بن مَسْتَقُور. وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المُكثّر أبي عبد الله بن الكَمَاد، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، وعلى الراوية المُسنن أبي الوليد الحضرمي. يزوي عن سهل بن مالك وطَبَقَتِهِ. وروى عن الشيخ الراوية أبي زكريا البُرْشاني، وعن الراوية الخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبي عبد الله بن بُرْطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع^(٩)، والخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي، والأستاذ النظّار المُتَقَنّ أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاط. وألف الكثير في فنون شتى.

توالياً: منها^(١٠) كتاب «وسيلة المُسلم في تهذيب صحيح مُسلم» وكتاب «الأنوار السنية في الكلمات السنية» وكتاب «الدُعوات والأذكار، المُخرجة من صحيح

(١) في النفع: «دولة».

(٢) قارن بفتح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٣) في النفع: «والاقتصاد»، وفي أزهار الرياض: «على العلم والأقتيات من حُرّ...».

(٤) النُشب: المال، وحُرّ النُشب: خالص المال. لسان العرب (نُشب).

(٥) في النفع: «من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات...».

(٦) في أزهار الرياض: «حافظاً».

(٧) قارن بفتح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٨) في النفع: «أبي جعفر بن جعفر بن الزبير».

(٩) ورد اسمه في النفع والأزهار: أبو عامر بن ربيع الأشعري.

(١٠) قارن بفتح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

الأخبار» وكتاب «القوانين الفقهية»، في تلخيص مذهب المالكية» و«التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية» وكتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول» وكتاب «الثور المبين»، في قواعد عقائد الدين» وكتاب «المختصر البارع»، في قراءة نافع» وكتاب «أصول القراء الستة غير نافع»، وكتاب «الفوائد العامة، في لحن العامة»، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك. وله فهرسة كبيرة اشتملت^(١) على جملة من أهل المشرق والمغرب.

شعره: قال^(٢) في الأبيات الغنيئة ذاهبًا مذهب الجماعة كأبي العلاء المعري، والرئيس أبي المظفر^(٣)، وأبي الطاهر السلفي، وأبي الحجاج ابن الشيخ، وأبي الربيع بن سالم، وأبي علي بن أبي الأحوص، وغيرهم، كلهم نظم في ذلك^(٤): [الطويل]

لكل بني الدنيا مراد ومقصّد
لأبلغ في علم الشريعة مبلّغًا
وفي^(٦) مثل هذا فلينافس أولو^(٧) النهى
فما الفوز إلا في نسيم مؤبّد
وإن مُسرّدي صِخّة وفراع
يكون به لي للجنان بلاغ^(٥)
وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ^(٨)
به العيش رغد والشراب يساغ

وقال في الجنب النبوي^(٩): [الطويل]

أروم امتداح المصطفى ويردني^(١٠)
ومن لي بحصر البحر والبحر زاجر؟
ولو أن أعضائي غدت ألسنا إذا
فصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بإحصاء^(١١) الحصى والكواكب
لما بلغت في المدح بعض مآربي^(١٢)

(١) في النفع: «اشتهرت».

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥ - ١٨٦).

(٣) في النفع: «وابن المظفر». وفي الأزهار: «الرئيس ابن المظفر».

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).

(٥) الجنان، بالفتح: القلب. والبلاغ: الكفاية. لسان العرب (جنن) و(بلغ).

(٦) في المصدرين: «نقي». (٧) في الأزهار: «ذو».

(٨) في المصدرين: «وحسبي من دار الغرور...». والبلاغ: الإيصال والتبليغ. لسان العرب (بلغ).

(٩) الأبيات في الديباج المذهب (ص ٢٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩ - ٦٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٤٨) وجاء فيه: «الجنب النبوي».

(١٠) في النفع: «فيردني». وفي الكتيبة: «فيصدني».

(١١) في الأصل: «إحصاء»، والتصويب من المصادر.

(١٢) في أزهار الرياض: «غدت وهي ألسن لما بلغت في القول...».

ولو أن كل العالمين تآلفوا^(١) على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأنسكت عنه هنية وتأذبا وخوفا وإعظاما لأرفع جانب^(٢)
ورب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عشب لغائب

وقال، رحمه الله، مُشْفِقًا من ذنبه^(٣): [البسيط]

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت^(٤) فما أطيق لها حصرًا ولا عددا
وليس لي بعذاب النار من قبل ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ولا تذيبقني^(٥) حر الجحيم عدا

وقال في مذهب الفخر^(٦): [الوافر]

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسلي^(٧) حُسْنُهَا قَلْبَ الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عزضي وديني^(٨)

وفاته: فقد^(٩) وهو يُشحذ الناس ويُحرّضهم، ويثبت بصائرهم، يوم الكائنة
بطريف^(١٠)، ضحوة يوم الاثنين السابع^(١١) لجمادى الأولى عام أحد وأربعين
وسبعمائة، تقبل الله شهادته. وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة.

محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي

شرقي الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطرسوني.

- (١) في النفع: «تسابقوا إلى مدحه».
- (٢) في الكتيبة: «فأسكت عنه... هية...». وفي الأزهار: «فأقصرت عنه... لأعظم جانب».
- (٣) وفي النفع: «وعجزًا» بدل «وخوفا».
- (٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧ - ٤٨) والديباج المذهب (ص ٢٩٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦٠).
- (٥) في الكتيبة: «قد عظمت».
- (٦) في الأصل: «ولا عذيقني»، وكذا ينكر الوزن، والتصريب من المصادر.
- (٧) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).
- (٨) في الكتيبة: «يسلي».
- (٩) في الكتيبة: «عن نظري إليها... على علمي وديني».
- (١٠) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦١).
- (١١) يشير هنا إلى الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مريّن في سنة ٧٤١هـ، والمسماة بموقعة طريف، وكان مع بني مريّن قوات السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، صاحب غرناطة. وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥).
- (١٢) في النفع: «تاسع جمادى الأولى».

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: أمتع الله به، كنى نفسه أبا عبد الرحمن، ودعى بها وقتاً، وكُتِبَ بها. وكان له ابن سمّاه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّاه عبد الرحمن، ليعضد لك الكنية التي اخترت، فأبى. كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة، مجيداً في ذلك، مُحْكَمًا لما يأخذ فيه منه، وكانت لديه مشاركة في الأضالين والمنطق، طَمَحَ إليها بفضل نباهته وذكائه، وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً، وظرفاً وفكاهة، وسخاً نفس، وجميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. وكان صنّاع اليدين يرسم بالذهب، ويُسَفِّرُ، ويُحْكَمُ عمل التراكيب الطَّبِيَّةِ. وعلى الجملة، فالرجل من أجل نبل عصره، الذين قل أمثالهم.

مُشِيخَتُهُ: أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ أبي الحسن ابن أبي العيش، وبه تفقه ببلده المريّة. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي جعفر بن الزيات، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور، والولي أبي عبد الله الطنجالي، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سَيدْبُونه، والخطيب أبي الحسن القيجاطي، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قَدَفْتُ بي حيثما شاءت النوى	ففي كل شِغْبٍ لي إليك طريقٌ
وإن أنا لم أَبْصِرْ مُحْيَاكَ بِاسْمَا	فإنسانٌ عَيْنِي في الدموع غريقٌ
فإن لم تُصِلْ كَفِّي بِكَفِّكَ وإيّا	فأسمالٌ أحبابي لذي فتوقٌ

معرفته: أخطاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق^(١)، واختصّه، ورُتّب له بالحمراء جراية، وفلّد نظره خزانة الكتب السلطانية. ثم قَسَدَ ما بينهما، فأتهمه ببراءات كانت تُطرح بمذامه بمسجد البيّازين^(٢)، وتُرصد ما فيها، فزعم أنه هو الذي طَرَحَهَا بمحراب المسجد، فقُبِضَ عليه واعتقل، ثم جُلّاه إلى إفريقية.

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق؛ تولّى الوزارة لسلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، عام ٧٢٥ هـ، ثم قتل بأمر السلطان المذكور عام ٧٢٩ هـ. اللوحة البدرية (ص ٩٤).

(٢) هو أحد مسجدي حيّ البيّازين، أشهر أحياء مدينة غرناطة، حوّلته الإسبان إلى كنيسة بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ، وما يزال حتى اليوم بعض أسوار هذا المسجد قائمة مع جزء من صحته.

وفاته: ولما بلغته بإفريقية وفاة مُخيفه، كَرَّ راجعًا إلى الأندلس، فتوفي في طريقه ببونة^(١)، من بلاد العَنَاب أو بأحوازها في أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر وسبعمائة.

محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النُّون الثُّغَلبي

ويعرف بابن الرَّمَالِيَّة، من أهل غرناطة، ويعرف خلفه الآن، ببني مَرْزُبَّة، ولهم أصالة وقَدَم وجِدَّة.

حاله: فقيه، نبيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر لما قرأه.

مشيخته: روى عن الإمام أبي بكر بن العربي. قال أبو القاسم الملاحى: وحدثني سنة أربع وستمائة، قال: حدثني الإمام أبو بكر بن العربي، رضي الله عنه، قال: حدثني محمد بن عبد الملك السُّبُتِي، قال: خرجت مع أبي الفضل الجَزِيرِي مشيَّعين لقافلة الحاج من بغداد، ومودَّعين لها من القَد، وحين أصبحنا أثَّرت الجمال، وفرض الناس الرُّحال، ونحن بموضع يعرف بجُبِّ عميرة، إذا بفتى شاحب اللون، حسن الوجه، يُشَيِّع الرُّواحِل، راحلةً بعد أخرى، حتى فُتيت، ومشى الحاج، وهو يقول في أثناء تردده ونظره إليها: [الطويل]

أحجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ، في أيِّ مَوْجِ	وفي أيِّ بَيْتٍ من بيوتكم حَبِي؟
أَبْقَى رَهِيْنَ الْقَلْبِ في أرضِ غُزْبَةٍ	وحاديكم يحدو فؤادي مع الرُّكْبِ؟
فوأسفا لم أَقْضِ منكم لُبَانَتِي	ولم أتمتع بالسلام وبالقُرْبِ
وفَرَّقَ بيني بالرحيل وبينكم	فها أنذا أَقْضِي على إثركم نَحْبِي
يقولون هذا آخر العهد منكم	فقلتُ وهذا آخر العهد من قَلْبِي ^(٢)

قال: فلما كَمَلَ الحاج المشي، وانقطع رجاؤه، وجعل يخطو هائمًا، وهو ينشد، ثم رمى بنفسه إلى الأرض وقال: [المديد]

خَلَّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ	بأن من تَهْوَاهُ وازْتَحَلْ
أي دَمْعٍ صَانِه كَلِفُ	فَهُوَ يَوْمَ الْبَيْنِ يَنْهَمِلُ

(١) بونة: مدينة قديمة من بلاد إفريقية، على ساحل البحر، مرساها من المراسي المشهورة، وتسمى بلد العناب لكثرة العناب فيها. الروض المعطار (ص ١١٥).

(٢) في الأصل: «قلب» بدون ياء.

قال: ثم مال على الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً، فحفرنا له لَحْدًا، وغسلناه وكفَّناه في رداءٍ وصلينا عليه، ودفناه.

وفاته: وفاة المترجم به سنة خمسين وستمائة.

محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بيش^(٢).

حاله: كان^(٣) خيرًا، مُنْقَبِضًا، عَفَا، مُتَّصِلًا، مُشْتَغَلًا بما يَغْنِيهِ، مُضْطَلَعًا^(٤) بالعربية، عاكفًا عُمره على تحقيق اللُّغة، مشاركًا في الطُّب، مُتَعَيِّشًا من التُّجَّارَةِ في الكُتُب، أَثَرَى منها، وَحَسُنَتْ حاله. وانتقل إلى سُكْنَى سَبْتَةَ، إلى أن حَطَّطَتْ بها رسولًا في عام اثنتين وخمسين وسبعمائة، فاستدعيته ونقلته إلى بلده، فقعد للإقراء به إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصه^(٥): مُعَلِّمٌ مُدَرِّبٌ، مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ، له في صُنْعَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَاعٌ مَدِيدٌ، وَفِي هَدَفِهَا سَهْمٌ سَدِيدٌ، وَمِشَارِكَةٌ فِي الْأَدَبِ لَا يَفَارِقُهَا تَسْدِيدٌ، خَاصِي الْمَنَازِعِ مُخْتَصِرُهَا، مُرْتَبِ الْأَحْوَالِ مُقَرَّرُهَا، تَمِيزُ لِأَوَّلِ وَقْتِهِ بِالتُّجَّارَةِ فِي الْكُتُبِ فَسُلْطَتْ عَلَيْهَا^(٦) مِنْهُ أَرْضَةُ أَكْلَةٍ، وَسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمِيَّتِهَا شَاكِلَةٌ^(٧)، أَثَرَبَ بِسَبَبِهَا وَأَثَرَى، وَأَغْنَى جِهَةً وَأَفْقَرُ أُخْرَى، وَانْتَقَلَ لِهَذَا الْعَهْدِ الْآخِرِ إِلَى سُكْنَى غَرْنَاطَةِ^(٨) مَسْقُطَ رَأْسِهِ، وَمُنْبِتَ غَرْسِهِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جَرَايَةٌ مِنْ أَحْبَاسِهَا^(٩)، وَوَقَعَ عَلَيْهِ قَبُولٌ مِنْ نَاسِهَا، وَبِهَا تَلَا حَقُّهُ بِالْحِمَامِ، فَكَانَ مِنْ تُرَابِهَا الْبِدَايَةُ وَإِلَيْهِ التَّمَامُ. وَلَهُ شِعْرٌ لَمْ يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَى، وَأَدَبٌ تَوَشَّحَ بِالْإِجَادَةِ وَارْتَدَى.

مُشِخَّتُهُ: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرَادِي، والأستاذ عبد الله بن الكُمَاد، وسمع على الوزير المُسَنِّ أبي محمد عبد المنعم بن مِمَّاك. وقرأ بِسَبْتَةِ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ.

(١) ترجمة العبدري في الكتيبة الكامنة (ص ٩٠) وبغية الوعاة (ص ١٠٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٥٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٧٩).

(٢) في بغية الوعاة: «بليش». وفي الكتيبة: «بيش».

(٣) النص في بغية الوعاة (ص ١٠٠) بتصرف. (٤) في البنية: «متضلعا».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٦) في النفح: «منه عليها». (٧) في النفح: «الشاكلة».

(٨) كلمة «غرناطة» غير واردة في النفح. (٩) الأحباس: الأوقاف. لسان العرب (حبس).

شعره: أنشدني بدار الصنّاعة السلطانية من سَبْتَة تاسع جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور، عند توجّهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجيب عن الأبيات المشهورة، التي أكثر فيها الناس وهي^(١): [مخلع البسيط]

يا ساكنًا قلبي المَعْنَى وليس فيه سواكَ ثانٍ
لاي مَعْنَى كَسَرَتْ قلبي وما التَقَى فيه ساكنان؟
فقال^(٢): [مخلع البسيط]

نَحَلْتَنِي طائِعًا فَرَادًا فصار إذ حُرْثُهُ مكاني^(٣)
لا غَرَوَ إذ كان لي مُضَافًا آني على الكَسْرِ فيه باني

وقال يخاطب أبا العباس عميد سبتة، أعزّه الله، وهي مما أنشدني فيه التاريخ المذكور، وقد أهدى إليه أقلامًا^(٤): [الطويل]

أنا مِلْكُ الغُرِّ التي سَيَبُ جُودِهَا يَفِيضُ كَفِيضُ المُزْنِ بالصَّيْبِ القِطْرِ
أَتَشْنِي منها تُخْفَةُ مثلُ حَذِّهَا^(٥) إذا انتَضَيْتْ كانت كَمُرْهَفَةِ السُّمْرِ
هي الصُّفْرُ لكنْ تعلمُ البيضُ أنها مُحَكَّمَةٌ فيها على النُّفْعِ والضَّرِّ
مُهَذَّبَةُ الأوصالِ مَمْشُوقَةٌ كما تُصَاغُ^(٦) سَهَامُ الرُّمِي من^(٧) خالصِ التَّبَرِّ
فَقَبِّلُهَا عَشْرًا وَمَثَلْتُ أنسي ظَفِيرَتْ يَلْثَمُ في أنا مِلْكُ العَشْرِ

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله^(٨): [الطويل]

أَسَاجِعَةٌ بالوَادِيَيْنِ تَبَوُّئِي ثَمَارًا جَنَّتْهَا حَالِيَاتُ خَوَاضِبُ
دَعِي ذِكْرَ رَوْضِ زَارِهِ^(٩) سَقِي ثِرْبِهِ صَبَاحَ ضُحَى طَيْرِ ظِمَاءٍ^(١٠) عَصَائِبُ
غَرَامُ فَوَادِي قَازِفُ كُلِّ لَيْلَةٍ مَتَى مَا نَأَى وَهْنًا هَوَاهُ يُرَاقِبُ

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠). وورد فقط صدر البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ٩١).

(٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٣) في الأصل: «مكاني»، والتصويب من المصدرين.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠).

(٥) في الأصل: «عذها»، والتصويب من المصدرين.

(٦) في النفع: «تصوغ». (٧) في الكتيبة: «أو».

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٩) في المصدرين: «زانه».

(١٠) في الأصل: «ظما»، والتصويب من المصدرين.

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله^(١): [الوافر]

ديارَ خَطَّهَا مَجْدٌ قَدِيمٌ وشاد بناءها شَرَفٌ صَمِيمٌ
وَحَلَّ جَنَابُهَا الْأَعْلَى عِلَاءً^(٢) يُقْصِرُ عَنْهُ رَضْوَى أَوْ شَمِيمٌ
سَقَى نَجْدًا بِهَا وَهَضَابَ نَجْدٍ عِمَادُ ثَرَّةٍ^(٣) وَحَيَا عَمِيمٍ^(٤)
وَلَا عَدِمَتْ رِيَاءَ رِيَابِ مُزْنٍ يُغَادِي رَوْضَهُنَّ وَيَسْتَدِيمُ
فِيصْبِخُ زَهْرُهَا يَحْكِي شَذَاهُ قَتِيتَ الْمِسْكُ يُذَكِّيهِ التُّسِيمُ
وَتَنْشُرُهُ^(٥) الصُّبَا فَتَرِيكَ دُرًّا نَشِيرًا خَانَهُ عَقْدُ نَظِيمٍ
وَوَظَلْتُ فِي ظِلَالِ الْأَيْكِ تَشْدُو مُطَوِّقَةٌ لَهَا صَوْتُ رَخِيمٍ
تُرْجَعُ فِي الْغُصُونِ فَنُونَ سَجْعٍ بِالْحَنَانِ لَهَا يَضْبُو الْحَلِيمُ
أَهِيمٌ بِمِلْتَقَى الْوَادِي بَنَجْدٍ وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي وَادِ أَهِيمٍ
وَكُنْتُ صَرَفْتُ عَنْهُ النَّفْسَ كَرْهًا وَمَا بَرِخْتُ عَلَى نَجْدٍ تَحُومُ
وَمَا يَنْفَكُ لِي وَلَهَا نَزَاعٌ إِلَى مَغْنَى بِهِ مَلِكٌ كَرِيمٌ
لَهُ بَنِيَتْ سَمَا فَوْقَ الثُّرَيَّا وَعَزُّ لَا يَخِيمُ وَلَا يَرِيمُ
تَبَوَّأَ مِنْ بَنِي تَضَرُّعِ عِلَاهَا وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ^(٦) لَهُ أَرُومُ
أَفَاضَ عَلَى الْوَرَى ثِيْلًا وَعَدْلًا^(٧) سِوَاءَ فِيهِ مُثَرٍّ أَوْ عَدِيمٍ
مَلَاذٌ لِلْمُلُوكِ إِذَا أَلْمَثَ صُرُوفُ الدَّهْرِ أَوْ خَطْبُ جَسِيمٍ
تُؤَمِّلُهُ فِتْنَامُنْ فِي ذَرَاهُ وَتَدْنُو مِنْ عِلَاهُ فَيَسْتَقِيمُ^(٨)
وَيَبْدُو فِي نَدَى^(٩) الْمُلْكِ بَذْرًا تَحْفُ بِهِ الْمُلُوكُ وَهُمْ نَجُومُ
بُوجَهُ يُوسِفِي الْحُسْنِ طَلِقِ يُضِيءُ بِنُورِهِ اللَّيْلُ الْبُهِيمُ
وَتَلْقَاهُ الْعَفَاةُ^(١٠) لَهُ ابْتِسَامٌ وَمِنْهُ لِلْعَدَى أَخَذَ الْيَمُّ^(١١)

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢ - ٩٣).

(٢) في الأصل: «عَلَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «عِمَادُ ثَرَّةٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٤) في الأصل: «عَمِيمٌ» والتصويب من الكتيبة. (٥) في الكتيبة: «وتنشره».

(٦) في الأصل: «النَّبِيِّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «عدلاً ونيلاً». (٨) في المصدر نفسه: «فتستقيم».

(٩) في الأصل: «نَدَى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «للغفاة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «الليم» والتصويب من الكتيبة.

فيا شَرَفَ الملوكِ لك انقطاعي
وآمالي أَمَلْتُ إِلَيْكَ^(١) حَتَّى
فلا ظمأ^(٢) ووزدك خَيْرُ وِزْدٍ
ولا أَضْحَى وفي مَغْنَاكَ ظِلٌّ
رَكِبْتُ البحرَ نحوكَ والمطايا
وإنَّ عُلاكَ إنَّ عَطْفَتَ بلحظٍ
فواأسفي على عُمْرٍ تَقْضَى
سوى ثمرٍ للنفود دَهَبَتْ عنه
ودُونَ لقائها عَرَضُ الفياضي
لعلَّ الله يُنْعِمَ باجتماعٍ
بقيتَ بغبطةٍ وقرارٍ عَيْنٍ
كما دامت حُلَى الأنصار تُثْلَى
عليك تحيةً عطرَ شذاها

وإني في محلِّكم خَدِيمٌ
وَرَزْدَنَ على نَدَاكِ وَهْنٌ هِيمٌ
نَمِيرٌ ماؤه عَذْبٌ جَمِيمٌ
ظَلِيلٌ حينَ تحْتَدِمُ السُّمُومُ
تسيرُ لها دَمِيلٌ أو رَسِيمٌ
عليّ فذلك العزُّ المقيم^(٣)
بدارٍ ليس لي فيها حَمِيمٌ
وبين جوانحي منه كُلوْمُ
ونجد^(٤) مَوْجُهُ طَوْدٌ عَظِيمٌ
وَيَنْظُمُ شَمْلَنَا البرُّ الرحيمُ
بِمُلْكٍ سَعْدُهُ أَبَدًا يَدُومُ
يشيدُ بذكرها الذُّكْرُ الحكيمُ
كَعَرَفٍ^(٥) الرُّوضِ جادَتْهُ الغُيُومُ

مولده: بفرنطة في رجب^(٦) ثمانين وستمائة. وتوفي عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، ودفن بباب البيرة، وتبعه من الناس ثناء حسن، رحمه الله.

محمد بن محمد الثمري الضرير

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرفه بنسبه.

حاله: من عائد الصلة: كان حافظاً للقرآن، طيب الثغمة به، طرُفاً في ذلك، من أهل المشاركة في العلم، واعظاً بليغاً، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق، ويستحضر الشواهد من كتاب الله وخطب العرب وأشعارها، بعيد القرنين في ذلك، أخذاً في الأدب، حَفَظَةً للأناشيد والمطولات، بقيّة حسنة ممتعة.

(١) في الأصل: «المليك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٢) في الأصل: «فللظما ورودك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٣) في الكتيبة: «القديم». (٤) في الكتيبة: «وبخر». (٥) في الأصل: «تُعرف» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٦) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨١): «مولده في حدود ثمانين وستمائة».

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي^(١)، وبه تأدب، ولازمه كثيرًا، فانتفع به.

شعره: مما صدر به رسالة لزوجته وهو نازح عنها ببعض البلاد. فقال:

[الطويل]

سلام كرشفِ الطلّ في مبسم الورد
سلام كما ارتاح المشوق مبشرًا
سلام كما يرضي المحب حبيبته
سلام وتكريم وبر ورحمة
على ظنية في الأثر مزتغها الحشا
ومن أطلع البدر الثمام جبينها
وثغر أقاح زانه سيمط لؤلؤ
يجول به سلسال راح معشوق
فلله عينا من رأى بدر أشعد
ويشري لصبّ فاز منها بلمحة
وأضحى هواها كامنًا بين أضلعي
وراحت فراح الروح إثر رحيلها^(٢)
وصارت لي الأيام تبدو لياليًا
فساعاتها كالدهر طولًا وطالما
ومنها:

يقلبي من الحب الملازم والوجد؟
كما أنا أزعاها على القرب والبعد؟

ترى قلبها هل هام مني بمثل ما
وهل هي^(٦) ترعى ذمتي ومودتي

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن بالاندلس على وادي لكة. الروض المعطار (ص ٢٧).

(٢) في الأصل: «بروياً»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «رحلها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «كبد» بدون ياء. (٥) في الأصل: «يد» بدون ياء.

(٦) كلمة «هي» ساقطة في الأصل.

إِلَيْكَ خِطَابِي وَالْمَحْدِثُ لَغَائِبُ كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغِيْبِكَ بِالْعَمْدِ
عَلَيْكَ سَلَامِي إِنِّي مَتَشَوِّقٌ لَلْقِيَاكَ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكَ بِالرَّدِّ

وفاته: توفي بغرناطة تحت جراية من أمرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن عبد الولي الرُعيني

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالعواد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المُكْتَب، الأستاذ الصالح، سابق الميدان، وعَلِمَ أعلام القرآن، في إتقان تجويده، والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يُشَقُّ غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتي الأيام بمثله، تُستقصر بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سَقَطَاتِ الأئمة، مهتديًا إلى مكان الحجج على المسائل، مصروف عِنان الأشغال إليه، مستندًا إلى نعمة رخيمة، وإتقان غير مُتَكَلِّف، وحِفْظ غزير. وطُلب إلى التَّصَدُّرِ للإقراء، فأبى لشدة انقباضه، فنبهت^(١) بالباب السلطاني على وجوب نُضْبِهِ للناس، فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته، فانتفع به، وكان أذَابَ الناس على سُنَّة، وألَزَمَهُمْ لميقات وِزْدٍ، يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلاً، ميقاتًا لا يختلف ولا يكذب، في ترحيل الليل، شديد الطرب، مليح الترتيب، لا تمر به ساعة ضياعًا إلا وقد عَمَرَهَا بشأن ديني أو دنيائي ضروري مما يسوغه الورع. يلزم المكتب ناصح التعليم، مسويًا بين أبناء النعم، وخلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدنيا، تُغْصُ السُّكُكُ عند تَرْئُمِهِ بالقرآن، مساوقًا لتلاوة التجويد، ومباشرًا أيام الأُخْمِسة والأثنين العمل في مؤنل كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المِهْنِ ونَقْلِ آلة الخدمة، غير مفارق للظرف والخصوصية. ويقرأ أيام الجمعَات كتب الوعظ والرقائق على أهله، فيُصْغِي إليه الجيران عادة لا تختلف. وكان له لكل عمل ثوب، ولكل مهنة زِيٌّ، ما رأيت أحسن ترتيبًا منه. وهو أستاذي وجاري الأَلْصَق، لم أتعلم الكتاب العزيز إلا في مكتبه، رحمة الله عليه.

مشيخته: قرأ على بَقِيَّةِ المقرئين الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولازمه وانتفع به، وعلى الأستاذ أبي جعفر الجَزِيرِي الضَّرِير، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشَيْد.

(١) تاء الضمير هنا تعود إلى ابن الخطيب، مؤلف هذا الكتاب.

مولده: في حدود عام ثمانين وستمائة.

وفاته: توفي رحمة الله عليه في...^(١) الموفى ثلاثين لذي قعدة من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن علي بن أحمد الخولاني^(٢)

يكنى أبا عبد الله، أصله من مجلقر، ويعرف بابن الفخار وبالبيري، شيخنا رحمه الله.

حاله: من «عائد الصلة»: أستاذ الجماعة، وعلم الصناعة، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه الله، فاضلاً، تقياً، منقبضاً، عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، إمام الأئمة من غير مدافع، مبرزاً أمام أعلام البصريين من الشحاة، منتشراً الذكر، بعيد الصيت، عظيم الشهرة، مستبحر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، ويسترسل استرسال القطر، قد خالطت دمه ولحمه، لا يُشكل عليه منها مُشكل، ولا يعوزه توجيه، ولا تُشدُّ عنه حجة. جدد بالأندلس ما كان قد درّس من لسان العرب، من لدن وفاة أبي علي الشلوبين، مُقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه، وعروض، وتفسير. وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية^(٣)، وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى العُدوة، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حل الشهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرج، ودرّب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً وخصوصاً فيما دون البداية، إلا الجراية المعروفة، مقتصدًا في أحواله، وقوراً، مُفرط الطول، نحيفاً، سريع الخطو، قليل الالتفات والتعريج، متوسط الزي، متبذلاً في معالجة ما يملكه بخارج البلد، قليل الذهاء والتصنع، غريب التزعة، جامعاً بين الجرص والقناعة.

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة محمد بن علي الخولاني، المعروف بابن الفخار، في الكتيبة الكامنة (ص ٧٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠).

(٣) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفاً إلى اليوم بفرنطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

مشيخته: قرأ^(١) بسبته على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي، ولازمه كثيرًا، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن خريث، والمقرئ الشريف الفاضل أبي العباس الحسني، والشيخ الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد، والقاضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم. وهو أستاذي، قرأت عليه القرآن، وكتابي الجمل والإيضاح، وحضرت عليه دولاً من الكتاب، ولازمته مدة، وعاشرته، وتوجهت بصحبتني في الرسالة إلى المغرب.

وفاته: توفي بقرنطة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة، وكانت جنازته حافلة. وخدمت قرائح الآخذين عنه، ممن يذلي دلو أدب، فيأتي بماء أو حمأة، على كثرتهم، تقصيراً عن الحق، وقذخاً في نسب الوفاء، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه، وهو محمد بن عبد الله اللوشي، فإنه قال: وعين هذه الأبيات قرارها^(٢): [الطويل]

ويوم نعى الناعي شهاب المجامد
فلا عذر للعينين إن لم تُسامحا^(٣)
مضى من بني الفخار أفضل ماجد
طواه الردى ما كل حي يهابه
لقد غيبت منه المكارم في الثرى
فيا حاملي أعواده، ما علمتم
ويا حفرة حطت له اليوم مضجعا،
ألا يا حمام الأيك ساعدن^(٤) بالبكا^(٥)
تغيّرت الدنيا لمضرع^(٦) واحد
بدمع يحاكي الويل يشفي لواجد
جميل المساعي للعلا جد شاهد^(٧)
وما وزده عاراً يشين لوارد
غداة ثوى^(٨) وانسد باب الفوائد
بسؤدده الجم الكريم المحايد؟
سقتك الغواصي الصادقات^(٩) الزواعد
على علم^(١٠) الدنيا وزين المشاهد

(١) راجع نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠ - ٣٣١).

(٢) ترجمة محمد بن عبد الله اللوشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١١). والقصيدة الدالية في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٢ - ٢١٣).

(٣) في الكتيبة الكامنة: «المهلك».

(٤) في الأصل: «تسايعا» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «شاند».

(٦) في الكتيبة «الغاديات».

(٨) في الأصل: «ساعدني»، وكذا ينكسر الوزن والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «في البكا».

(١٠) في الكتيبة: «عالم».

على أن لو أَسْطَفْتُ الفِدَاءَ فِدَيْتَهُ^(١)
 محمدٌ، ما التُّغْمَى^(٢) لموتكَ غَضَّةً^(٣)
 وكيف ويابُّ العلم بعدك مُغْلَقٌ
 أَسْتَادُنَا كُنْتَ الرَّجَاءُ^(٤) لَأَمَلٍ
 فلا تُبْعِدَنَّ شَيْخَ المعارف والجِجَا^(٥)
 لَتَبِكَ العلومُ^(٦) بعدك اليوم^(٧) شَجْوَهَا
 لِيَبِكَ عليك الجودُ والدينُ^(٨) والثَّقَى
 أمولاي، مَنْ لِلْمَشْكَلاتِ يُبَيِّثُهَا
 ومن ذا يحلُّ المَقْفَلَاتِ صَعَابَهَا؟
 فإِذَا راحِلًا عُنَّا فَرِغْنَا لِفَقْدِهِ
 وإِذَا كوكبًا غَالِ النهارُ^(٩) ضِيَاءَهُ
 سَأَبْكِيكَ مَا لَاحِثَ بَرُوقٍ لَشَائِمٍ
 عليك سلام الله ما دامت^(١٠) الصُّبَا

بَأَنْفَسِ مَالٍ^(١١) من طريف وتالد
 تَرُوقُ^(١٢) ولا ماء الحياة ببارد
 وَمَوْرَدُهُ^(١٣) المَتْرُوكُ بين الموارد
 فَأَضْبَحْتَ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ^(١٤) لِقَاصِدِ
 الِيسِ^(١٥) الذي تحت التُّرابِ بِبَاعِدٍ؟
 وَيُقْفِرُ^(١٦) لَهَا رَبْعُ الْعُلَا والمَعَاهِدِ
 وَخَسْبُ الْبُكَاءِ أَنْ صِرْتَ مَلْحُودَ لَاحِدِ
 فَيُجْلِي^(١٧) عَمَى كُلِّ الْقُلُوبِ الشُّوَاهِدِ
 ومن ذا الذي يَهْدِي السَّبِيلَ لِحَائِدِ
 لَقَدْ أَوْنَسْتُ مِنْكَ الْقُبُورُ بِوَافِدِ
 وَشَيْكَا، وهل هذا الزمان بخالد؟
 وَأَرَعَاكَ مَا كَانَ الْغَمَامُ بِعَائِدِ^(١٨)
 تَهَبُ^(١٩) بِغُضَنِ فِي الْأَرَاكِهَةِ مَائِدِ

قلت^(٢٠): العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: وَخَمَدَتْ قَرَائِحُ الْآخِذِينَ
 عنه، وهو من أَجَلٍ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ، حسبما قرره آنفاً، بل أَخْصُ من ذلك المعاشرة

-
- (١) في الأصل: «على أني لو استطعت الفدا فديته» وكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة: «... الفدا لفديته».
- (١٢) في الأصل: «آل» والتصويب من الكتيبة.
- (١٣) في الأصل: «للنعمى»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والتصويب من الكتيبة.
- (١٤) في الكتيبة: «غبطة».
- (١٥) في الأصل: «توقف» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة.
- (١٦) في الكتيبة: «وموردك».
- (١٧) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.
- (١٨) في الأصل: «الفناء»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.
- (١٩) في الكتيبة: «والحمى».
- (٢٠) في الكتيبة: «العيون».
- (٢١) كلمة «اليوم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.
- (٢٢) في الكتيبة: «ويغف... والمحامد».
- (٢٣) في الكتيبة: «والحلم».
- (٢٤) في الكتيبة: «فتجلو».
- (٢٥) في الأصل: «بعباد»، والتصويب من الكتيبة.
- (٢٦) في الكتيبة: «الزمان».
- (٢٧) في الأصل: «بعباد»، والتصويب من الكتيبة.
- (٢٨) في الكتيبة: «هبت».
- (٢٩) كلمة «تهب» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.
- (٣٠) الكلام من هنا حتى آخر الترجمة ليس لابن الخطيب، بل هو للناسخ.

والسفارة للعدوة. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، وأشخاهم قريحة في هذا الميدان، وإن أتى غيره بماءٍ أو حمأة، أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القذح في نسب وفاء الغير، فعين ما نسيه من التقصير عن الحق في ذلك، متوجه عليه، ولا حق له، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع في الأزمان، ولا سيما بين أهل هذا الشأن، فيكون ذلك سبباً في إعراض الغير شيئاً في غرضه، ومساعدة له. والله أعلم بحقيقة ذلك كله.

محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: طالب هش، حسن اللقاء، عفيف النشأة، مكبٌ على العلم، حريص على استفادته، مع زمانةٍ أصابت يُعنى يذيه، نفعه الله. قيّد بأختها وانتسخ، قائمٌ على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظٌ متيقن، على نزعة عربية من التجاذع في المشي وقلة الالتفات إلا بجملة، وجهورية الصوت، متحلٌ بسداجة، حسن الإلقاء والتقرير، مثٌ للمُتغلب على الدولة بضن أفاده جاهاً واستعمالاً في خطة السوق، ثم اصطناًغا في الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخراً الثكبة، وقاد المحنة، فأرصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتهما رجالاً بعثهم في رنّدة، فأسروه في طريقه، وقدموا به سلباً قدوم الشهرة والمثلة، موقناً بالقتل. ثم عطف عليه خنياً إلى حُسن تلاوته في محبسه ليلاً، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة ونكبة مُبيرة. ولما عاد لمُلكه، أعاده للإقراء.

مشيخته: جل انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار، لازمه وانتفع به، وأعاد دُولَ تدريسه، وقرأ على غيره. وألف كتاباً في تفسير القرآن، متعّد الأسفار، واستدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً، رَفَعَه على يدي للسلطان. وهو من فضلاء جنسه، أعانه الله وسدّده.

محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن

ابن عبد الرحمن بن بقي^(١)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه.

(١) ترجمة ابن بقي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩) طبعة فاس.

أوليته: كان القاضي العذل أبو عبد الله بن هشام، قاضي الجماعة بالأندلس، يجلُّ سَلْفَه، وينسبه إلى بَقِيَّ بن مخلد، قاضي الخلافة بقرطبة، وابن هشام مِمَّنْ يُحْتَجُّ به.

حاله: هذا الرَّجُلُ فاضل، حسن الخُلُق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مَبْدُول المشاركة، معروف الذكاء والعفة، مبسوط الكَنَف مع الانقباض، فكة مع الحشمة، تَسَعُّ الطوائف أكتاف خُلُقَه، وَيُعِمُّ المتضادين رَحْبُ دَرْعِه، طَالِبٌ محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون؛ من فقه، وقراءات، ونحو، وغير ذلك. تكلم للناس بجامع الرِّبْض ثُمَّ بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللتين أقمتُهما بأخشارش من داخل الحضرة، وحلق به لتعليم العِلْم، فأنثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تفهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجزف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المَكْتَب أبي عبد الله بن طرفة، والخطيب أبي عبد الله بن عامور. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار، وجوّد عليه القرآن بالقراءات السبع، وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لب.

شعره: أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة^(١): [الرمل]

كم أرى مُذِمِّنَ لَهْوٍ ودَعَا	لستُ أخلي ساعةً من تَبِعة
كان لي عذرٌ لدى عهد الصُّبا	وأنا آمُلُ في العُمُر سَعَة
أو ما يُوقِظُنَا مَنْ كُنَّا	أَنفًا ^(٢) لقبره قد شَيَّعَة
سُبَّما إذ قد ^(٣) بدا في مَفْرِقي	ما إخال الموت قد جاء مَعَة
فدعوني ساعةً أبكي على	عُمُرٍ أمسيَتْ مِمَّنْ ضَيَّعَة

ومن شعره في النوم، وهو كثيرًا ما يَطْرُقُه: [الوافر]

أباد البينُ أجناد التُّلاقي	وحالت بيننا خيلُ الفراقِ
فجودوا وارحموا وارثوا ورقوا	على مَنْ جَفَنُه سَكَب المآقي

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩)، طبعة فاس.

(٢) في الأصل: «أنفًا» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «وقد بدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

ومن ذلك ما أنشد في التَّوَم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط]

يا صاحبي، قفا المطايا وأشفقاً فالعبيد عبدة

إذا انتهى وانقضى زمان هل يرسل الله من يرده؟

مولده: في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطَّرَاز.

حاله: من صلة ابن الزبير: كان، رحمه الله، مُقرئاً جليلاً، ومحدثاً حافلاً، به خُتِمَ بالمغرب هذا الباب البتة. وكان ضابطاً مُثَقَّناً، ومُقيِّداً حافلاً، بارع الخط، حسن الوراق، عارفاً بالأسانيد والطُّرق والرجال وطبقاتهم، مُقرئاً، عارفاً بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التَّجويد، مشاركاً في علم العربية والفقه الأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلاً، مجموعاً فاضلاً مُتَخَلِّقاً، ثقةً فيما رَوَى، عَدَلاً ممن يُرجع إليه فيما قَيَّدَ وضبط، لإتقانه وجِدِّهِ. كتب بخطه كثيراً، وترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، وعولوا عليها. وتجرَّد آخر عُمره، إلى كتاب «مشارق الأنوار» تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في مُبَيَّضَةٍ، في أنهي درجات النسخ والإدماج والإشكال وإهمال الحروف حتى اخترمت منقَعُها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولاً حافلة وأمّهات جامعة من الأغربة وكتب اللغة، فتخلَّص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكَمُلَ من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمُحُون، والقاضي ابن الطَّبَّاع، وعن أبي جعفر بن شُراحيل، وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا، وأبي القاسم الملاحى، وأبي محمد الكَوَّاب وغيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده، وبقرطبة عن جماعة، وبمالقة كذلك، وبسَبْتَةَ. وبإشبيلية عن أبي الحسن بن رَزَقُون، وابن عبد النور. وبفاس وبمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله، واختصرتها لطولها.

وفاته: توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له وُدّاً في قلوب المؤمنين.

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النفزي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيّان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان^(٢) نسيجاً وخدياً في ثقبوب الذهن، وصحة الإدراك والحفظ^(٣)، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام الثّحة في زمانه غير مدافع، نشأ ببلده^(٤) غرناطة، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمار التحصيل. ونالته نبوة^(٥) لحق بسببها بالمشرق، واستقر بمصر، فنال ما شاء من عز وشهرة، وتأثّل وبر^(٦) وحظوة، وأضحى لمن خلّ بساحته من المغاربة ملجأ وعدة. وكان شديد البسّط، مهيباً، جهورياً، مع الدّعابة والغزل، وطرح السّمّت^(٧)، شاعراً مكثراً، مليح الحديث، لا يُملّ وإن أطال، وأسنّ جدّاً، وانتفع^(٨) به. قال بعض أصحابنا: دخلت عليه، وهو يتوضأ، وقد استقرّ على إحدى رجليه لغسل الأخرى، كما تفعل البرك والإوز، فقال^(٩): لو كنت اليوم جارَ شلّير^(١٠)، ما تركني لهذا العمل في هذا السن^(١١).

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حائز الرياسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له بالمشرق ذكراً كبيراً. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه، وصلى عليه بالقاهرة، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر علي بن محمد الرّعيني الطّبّاع، والخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،

(١) ترجمة أبي حيّان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٢٦٧) والكتيبة الكامنة (ص ٨١) وبغية الوعاة (ص ١٢١) والبدر السافر (ص ١٧٨) ونكت الهميان (ص ٢٨٠) والدرر الكامنة (ج ٥ ص ٧٠) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٨٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٤٥) والنجوم الزاهرة (ج ١٠ ص ١١١) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٨٠). والنفزي: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر. بغية الوعاة (ص ١٢١).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٣) كلمة «والحفظ» غير واردة في النفع. (٤) في النفع: «في بلده».

(٥) الثّبة: الجفوة. لسان العرب (نبا). (٦) في النفع: «وتأثّل، وافر وحظوة».

(٧) في النفع: «التسمّت». (٨) في النفع: «فانتفع».

(٩) في النفع: «فقال لي».

(١٠) هو جبل شلّير المطلّ على غرناطة والذي تغطيه الثلوج على مدار السنة. وهناك دراسة مفصلة

عنه في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣ - ٤٦) فلتنظر.

(١١) لهذا ينتهي النص في نفع الطيب.

والمكتّـب أبي سهل اليُـسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليُـسر القُـشيري،
والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون
الطائي بتونس، وعلى المُـسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن
إسماعيل بن مظفر بن الفُرات الحسني بالإسكندرية، والمُـسند الأصولي وجيه الدين
أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالشعر، والمحدث
نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة،
وغيرهم ممن يشقّ إحصاءهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي
نصر بن الثعالب الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمانٍ وثمانين
وستمئة، وقال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

توالياً: وتوالياً كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». وهو
بديع، وقد وقّفتُ على بعضه بغرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمئة. وكتابه في
تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمّى بـ«البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض.
وآلف كتاباً في نحو اللسان التركي، حدّثنا^(١) عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاج
أبي يزيد خالد بن عيسى، والمقري الخطيب أبي جعفر الشُّقوري، والشَّريف أبي
عبد الله بن راجح، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مَرْزوق. وقال^(٢): حدّثنا
شيخنا أثير الدين^(٣) في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمئة بالمدرسة الصالحية بين
القصرين بمنزلة منها^(٤). قال^(٥): حدّثنا الأستاذ العلامة المتفّن^(٦) أبو جعفر
أحمد بن إبراهيم بن الزبير، سماعاً من لفظه، وكُتِباً^(٧) من خطّه بغرناطة، عن
الكاتب أبي إسحاق بن عامر الهمداني الطوسي بفتح الطاء، حدّثنا أبو عبد الله بن
محمد العنسي القرطبي، وهو آخر من حدّث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد
الحافظ الجياني، أنبأنا^(٨) حكم بن محمد، أنبأنا^(٨) أبو بكر بن المهندس، أنبأنا^(٨)
عبد الله بن محمد، أنبأنا^(٨) طالوت بن عياد^(٩) بن بصال بن جعفر، سمعت أبا أمانة
الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: اكفلوا لي بست أكفل^(١٠) لكم في

(١) راجع نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥).

(٢) في النفح: «قال».

(٣) في النفح: «شيخنا أبو حيان».

(٤) كلمة «منها» ساقطة في النفح.

(٥) كلمة «قال» ساقطة في النفح.

(٦) قوله: «العلامة المتفّن» ساقط في النفح.

(٧) في النفح: «وكتبه».

(٨) في الأصل: «نا» والتصويب من النفح.

(٩) في النفح: «عباد بن نصال».

(١٠) في الأصل: «لي بيت أهل لكم في الجنة» وهذا لا معنى له، وقد صوّبناه من النفح.

الجنة^(١)، إذا حدث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم^(٢).

وقال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطباع، قال: أنشدنا ابن خلقون، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن أبي تليد لنفسه: [المنسرح]

حالي مع الدهر في تقلبه كطائر ضم رجله الشرك
فهمة في خلاص مهجته يروم تخليصها في شريك

ومن ملحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفَرَضِي بالقاهرة في طلب الحديث، وكان رجلاً حسناً طيب الأخلاق، لطيف المزاج، فكنا نسايره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخاري، فنظمت هذه الأبيات^(٣): [الطويل]

بدا كهلال العيد^(٤) وقت طلوعه وماس^(٥) كغضن الخيزران المنعم
غزال رخيّم الدلّ وافى مواصلا موافقة منه على رغم لوم
مليح غريب الحُسن أصبح معلماً بخمرة^(٦) خذ بالمحاسن معلّم
وقالوا: على شرط البخاري قد أتى فقلنا^(٧): على شرط البخاري ومسلم
فقال البخاري: فمن هو مسلم^(٨)؟ فقلت له: أنت البخاري ومسلم^(٩)

محتته: حملته^(١٠) حدة الشيبة على التعريض^(١١) للأستاذ أبي جعفر الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه، وتكذيب روايته، ورفع أمره إلى^(١٢) السلطان، فامتعض له، ونفذ الأمر بتكيله، فاخفى، ثم أجاز البحر مخفياً، ولحق بالمشرق يلتفت خلفه.

(١) في النسخ: «بالجنة».

(٢) الأبيات، عدا البيت الأخير، في الكتيبة الكامنة (ص ٨٢).

(٣) في الكتيبة: «الأفق».

(٤) في الأصل: «بخمرة» بالخاء، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «فقلت».

(٦) رواية صدر البيت في الأصل هكذا: فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلم، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وأنا مسلم» وكذا ينكسر الوزن.

(٨) النص في نسخ الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥). (١١) في النسخ: «التعرض».

(١٢) في النسخ: «السلطان».

شعره: وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها. فمن مطولاته، رحمه الله، قوله^(١): [البسيط]

لا تَعْدِلَاهُ فَمَا ذُو الْحَبِّ مَعْدُولُ
هَزَتْ لَهُ أَشْمَرًا مِنْ خُوطٍ قَامَتَهَا
جَمِيلَةٌ فَضَّلَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ لَهَا
فَالْتَحَرُّ مَرْمَرَةٌ وَالشُّشْرُ عَثْبَرَةٌ
وَالطَّرْفُ ذُو غَنْجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْجٍ
هَيْفَاءُ يَتَّيَسُ^(٥) فِي الْخَضِرِ الْوَشَاحُ لَهَا
مِنْ اللِّوَاتِي عَذَاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا
نُزِرُ الْكَلَامِ غَمِيَّاتُ الْجَوَابِ إِذَا
مِنْ حَلِيهَا وَسَنَاهَا مَوْنَسٌ وَهْدَى
حَلَّتْ بِمُتَعَقِدِ الزُّورَاءِ زَارَةٌ
فَصُدَّ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنَّ ذِكْرَاهَا^(٨)
أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَأَنْذِرْ بِهِ
وَأْمَلِ الْعَفْوَ وَاسْلُكْ مَهْمَهَا قَدْقًا
إِنْ الْجِهَادَ وَحَجَّ الْبَيْتِ مُخْتَتَمًا
فَشَقَّ حَبِزَوْمَ هَذَا اللَّيْلِ مُمْتَطِيًا
أَقْبَّ أَعْوَجَ يُغْزَى لِلْوَجِيهِ لَهُ
جُفْرٌ حَوَافِرُهُ، مُغَرَّ قَوَائِمُهُ

العقلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَثْبُولُ
فَمَا أَتَشْنَى الصُّبُّ^(٢) إِلَّا وَهُوَ مَقْتُولُ
فَكَمْ لَهَا جَمَلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ
وَالشُّغْرُ جَوْهَرَةٌ وَالرَّيْقُ مَغْسُولُ^(٣)
وَالْخَضِرُ مُخْتَطَفٌ، وَالْعُنُقُ^(٤) مَجْدُولُ
دَرْمَاءُ^(٦) تُخْرَسُ فِي السَّاقِ الْخَلَاحِيلُ
يَشْقِيْنَ، أَبَاوَهَا الصَّيْدُ الْبِهَالِيلُ^(٧)
يُسَلَّنُ بَعْدَ الصَّحَا خَضِرٌ مَكَاسِيلُ
فَلَيْسَ يَلْحَقُهَا دُغْرٌ وَتَضْلِيلُ
شَوْمًا غِيَارِي فَعِقْدُ الصَّبْرِ مُحْلُولُ
عَلَى التَّنَائِي لَتَغْذِيبَ وَتَعْلِيلُ
وَيَادِرِ الثُّوبَ إِنَّ الثُّوبَ مَقْبُولُ
إِلَى رَضَى اللَّهِ إِنَّ الْعَفْوَ مَأْمُولُ
بِزُورَةِ الْمُصْطَفَى لِلْعَفْوِ تَأْمِيلُ
أَخَا حُرَامٍ بِهِ قَدْ يُبْلَغُ الشُّوْلُ
وَجَّةٌ أَغْرُ وَفِي الرَّجْلَيْنِ تُحْجِيلُ
ضَمَرٌ أَيْاطِلُهُ، وَلِلذَّيْلِ عُثْكَوْلُ^(٩)

(١) الأبيات السبعة الأوائل في نفع الطب (ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «للصُّبِّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «... مرمرة... عنبره... جوهره...» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «وَالْعُنُقُ». (٥) في النفع: «ينطق».

(٦) في الأصل: «دَرْمَاءُ» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى لها. والتصويب من النفع. والمرأة الدَرْمَاءُ:

هي التي لا تستبين كعوبها ومرافقها من الشحم واللحم. محيط المحيط (درم).

(٧) الصَّيْدُ، بكسر الصاد وسكون الياء: جمع أصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبرًا. البهاليل:

جمع يَهْلُول وهو السيد الجامع لكل خير. محيط المحيط (صيد) و(بهلل).

(٨) في الأصل: «ذُكْرَاهَا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٩) العثكول: العذق أو الشفراخ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم. محيط المحيط

(عثكل).

إِذَا تَوَجَّهَ أَضْفَى وَهُوَ مُلْتَفِتٌ
وإن تُعَارِضَ بِهِ هَوْجَاءُ^(٢) هَاجَ لَهُ
يَحْمِي بِهِ^(٤) حَوْزَةَ الْإِسْلَامِ مُلْتَقِيًا
كِتَابًا قَدْ عَمُوا عَنْ كُلِّ وَاضِحَةٍ
فِي مَاقِطٍ^(٥) ضَرْبِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ^(٦) بِهِ
هَيْجَاءُ^(٧) يُشْرِفُ فِيهَا الْمَشْرِفِيُّ^(٨) عَلَى
تَدِيرِ كَأْسِ شُعُوبٍ^(١٠) فِي شُعُوبِهِمْ
وَإِذَا^(١١) قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفِتْ عَمَلًا
وَاصِلٍ بِسَرٍّ مُعَدٍّ^(١٢) يَا ابْنَ أُنْدَلُسَ
يُلَاطِمُ الرِّيحَ مِنْهُ أَبْيَضُ تُفُقٍ
يَعْلُو حَضَارِينَ^(١٣) مِنْهُ شَامِخٌ جَلَلٌ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي طُخْيَاءٍ^(١٤) لُجَّتِهِ
مَا زَالَتِ الْمَوْجُ تُغْلِيهِ وَتُخَفِّضُهُ
وَكَبَّرَ النَّاسُ أَعْلَاهُ الرَنْيِمَ^(١٦)
وَصَافَحُوا الْبَيْدَ بَعْدَ الْيَمِّ وَابْتَدَرُوا

مَسَاعِرُ^(١) أَعْتَقَا فِيهِنَّ تَالِيلَ
جَزْيٍ^(٣) يُرَى الْبَرْقُ عَنْهُ وَهُوَ مَخْذُولُ
كِتَابًا غَصَّ مِنْهَا الْعَرَضُ وَالطُّولُ
مِنَ الْكِتَابِ وَغَرَّتْهُمْ أَبَاطِيلُ
سُرَادِقَا فَعَلِيهِمْ مِنْهُ تَخْيِيلُ
هَامَ الْعَدُوَّ وَيَصْحَى^(٩) النَّقْعَ تَضْلِيلُ
فَكُلُّهُمْ مُنْهَلٌ بِالْمَوْتِ مَغْلُولُ
لِلْحَيِّ فَالْحَيُّ لِلْإِسْلَامِ تَكْمِيلُ
وَالطَّرْفُ أَذْهَمُ بِالْأَشْطَانِ مَغْلُولُ
لَهُ مِنَ السَّحْبِ الْمُزِيدِ إِكْلِيلُ
سَامَ طَفَا وَهُوَ بِالتَّكْبَاءِ مَحْمُولُ
أَيْمٌ^(١٥) يَغْرُو أَدِيمَ السَّيْلِ شِمْلِيلُ
حَتَّى بَدَا مِنْ مَنَارِ الثُّغْرِ قَنْدِيلُ
وَكُلُّهُمْ طَرْفُهُ بِالشَّهْدِ مَكْحُولُ
سُبُلًا بِهَا لَجْنَابُ اللَّهِ تَوْصِيلُ

- (١) مساعر البعير: أباطله. محيط المحيط (سعر).
(٢) في الأصل: «هَوْجَاء» وكذا ينكسر الوزن. والهَوْجَاء: الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت، والجمع هُوج.
(٣) في الأصل: جريء، بهمة، وهو ما لا يتفق مع الوزن والمعنى.
(٤) كلمة «به» ساقطة في الأصل.
(٥) في الأصل: «رماقط»، وكذا لا يستقيم للوزن ولا المعنى. والماقط: أضيق المواضع في الحرب. محيط المحيط (مقط).
(٦) الموت الزوام: الموت الكريه أو السريع. محيط المحيط (زأم).
(٧) في الأصل: «هيجاء» وهكذا ينكسر الوزن.
(٨) أي السيف المشرفي، نسبة إلى مشارف اليمن، لسان العرب (شرف).
(٩) في الأصل: «ويصحب»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٠) شعوب: اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث. محيط المحيط (شعب).
(١١) في الأصل: «وإذا» وكذا ينكسر الوزن. (١٢) كلمة «معد» ساقطة في الأصل.
(١٣) في الأصل: «حضارة» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.
(١٤) في الأصل: «طُخْيَاء» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(١٥) الأيم: الحية وذكر الأفعى. محيط المحيط (أيم).
(١٦) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

على نجائب تتلوه أجنابها^(١)
 في موكب تزحف الأرض الفضاء به
 يطارد الوحش منه فيلق لجب
 سيوفهم طرب نحو الحجاز فهم
 شعث رؤوسهم، ينس شفاهم
 حتى إذا لاح من بيت الإله لهم
 يغفرون وجوها طالما سمث
 خفوا بكعبة مولاهم فكغبهم
 وبالصفاء وقتهم صاف بسعيهم
 تعرفوا عرفات واقفين بها
 لما قضينا من الغراء منسكنا
 شذنا إلى الشد قميات التي سكنت
 إلى الرسول تزجي كل تعلمة
 من أنزلت فيه آيات مطهرة
 وعطرت من شذاه كل ناحية
 سر من العالم العلوي ضممه
 نور تمثل في أبصارنا بشرا
 لقد تسامى وجبريل مصاميه
 أوحى إليه الذي أوحاه من كتب
 يتلو كتابا من الرحمن جاء به
 جار على منهج الأعراب أعجزهم
 بلاغة عندها كغ البليغ فلم

ومنها:

وطولبوا أن يجيبوا حين رابهم

خيل بها الخير معقود ومعقول
 أضحت وموجشها بالناس مأمول
 حتى لقد دعرت في بيدها الغول
 ذوو ارتياح على أكوارها ميل
 خوص عيونهم، غرّب مهازيل
 نور إذا هم على الغبرا أراحيل
 باكين حتى أديم الأرض مبلول
 عال بها لهم طوف وتقيل
 وفي منى لمناهم كان تثويل
 لهم إلى الله تكبير وتهليل
 ثرنا وكل بنار الشوق مشمول
 أبدانهم وأفناهم تنقيل
 أجل من نجوة تزجي المراسيل
 وأورثت فيه تورا^(٢) وإنجيل
 كأنما المنك في الأرجاء محلول
 جسم من الجوهر الأرضي محمول
 على الملائك من سيماء تمثيل
 إلى مقام رخي^(٣) فيه جبريل
 فالقلب واع بسر الله مشغول
 مطهرا طاهر منه وتأويل
 باق مع الدهر لا يأتيه تبديل
 ينطق وفي هذيه صاحت أضاليل

بسورة مثله فاستعجز القيل

(١) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تورته» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «راخي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والرخي: الواسع.

لاذوا بذويان خَطِيٍّ^(١) ويشتر ظبى
فمونت في جبال الوهد مُنَحَدِر
ما زال بالعَضْب هتاكًا سوابِغَهُمْ
وقد تحطّم في نحر العدا قصدُ
من لا يُعَدِّله القرآنِ كان له
وكم له معجزًا غير القرآنِ^(٢) أتى
فللرسول انشِقاقُ البدر نَشْهَدُهُ
وتُسَبِّح ماء فراتٍ من أنامله
رووا الخميس وهم زهاء سبعٍ مِي
ومِي عَيْنٌ بكفٍ جاء يحملها
فكان^(٣) أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَلَا عَجَبُ
والجذع حَنٌّ إِلَيْهِ حِينَ فارقه
وأشبع الكثر من قِلِّ الطعام ولم
وفي جراب ولا^(٤) هُنَّ عَجَائِبُ كَم
وفي ازتواءٍ إِلَى ذَرِيٍّ^(٥) بزمزم ما
والعنكبوت بباب الغار قد تُسَبِّحُ
وقَرَّخَتْ فِي جِمْاءِ الْوَزْقِ ساجعة
هذا وكم معجزاتٍ للرسول أثت
غَدَّتْ مِنَ الْكَثْرِ أَعْدَادُ النجوم فما
قد انْقَضَتْ معجزات الرُّسُل منذ قَضُوا
ومعجزات رسول الله باقية

يوم الوغى واعتراهم منه تنكيل
وموثق في حبال الغدِ مَكْبُول
حتى انثنى العَضْبُ منهم وهو مَقْلُول
صَمُّ الْوَشِيحِ^(٦) وخائتها العواميل
من الصَّفاد وبيض البثر تعديل
فيه من الحقِّ مَنَقُولٌ ومعقول
كما لموسى انفلاق البحر مَنَقُول
كالعين ثُرْتُ فجا الهتان ما^(٧) النيل
مع الرُّكاب فَمَشْرُوبٌ وَمَخْمُول
قَتَادَةٌ وَلَهُ شَكْوَى وَتَغْوِيل
مَسَتْ أَنَامِيلُ فِيهَا الْيُمْنُ مَنَجْعُول
حَنِينٌ وَلَهَى لَهَا لِلرُّومِ مَشْكُول
يَكُنْ لِيُغَوِّزَهُ بِالْكَثْرِ تَقْلِيل
يَمْتَنَارُ مِنْهُ فَمَبْنُذُولٌ وَمَأْكُول
يَكْفِي تَبَدُّنٌ مِنْهُ وَهُوَ مَهْزُول
حتى كأن رداءً مِنْهُ مَسْدُول
تبكي وما دَمَعُهَا فِي الْخَدِّ مَطْلُول
لَهَا مِنْ اللَّهِ أَمْدَادٌ وَتَأْصِيل
يُخْصِي لَهَا عَدَدًا كَثَبٌ وَلَا قِيل
نَحْبًا وَأَعْجَمَ مِنْهَا ذَلِكَ الْجِيل
محفوظة ما لها في الذهر تحويل

(١) الْخَطِيُّ: الرمح نسبة إلى الخط، والخط: مرفأ السفن بالبحرين. لسان العرب (خطط).

(٢) فِي الْأَصْل: «أَصَمُّ الْوَشِيح» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والوشيح: شجر الرماح. لسان العرب (وشح).

(٣) فِي الْأَصْل: «القرآن» وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٤) فِي الْأَصْل: «ماء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) فِي الْأَصْل: «فكانت» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) فِي الْأَصْل: «لي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) فِي الْأَصْل: «لي ذر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تَكْفُلُ الله هذا الذُّكْرَ يحفظه
هذي المفَاخِرُ لا يَحْظِي الملوِك بها

ومن مطولاته في غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العِلْمُ لا كالعِلْمِ شيءٌ تُراوِذهُ
وما فَضَّلَ الإنسانُ إلَّا بعِلْمِهِ
وقد قَصُرَتْ أعمارُنَا وعلومُنَا
وفي كُلِّها خَيْرٌ وَلَكِنْ أَصلُها
به يُعرف القرآن والسُّنَّةُ التي
وناهيك من عِلْمٍ عليٍّ مُشِيد
لقد حاز في الدنيا فِخَارًا وسُودًا
هو استنبط العلم الذي جَلَّ قَدْرُهُ
وساد عطا نجله وابن هرمرز
وعُتِبَ سَةً قد كان أبرعَ صَحْبِهِ
وما زال هذا العلم تُنميه سادةُ
إلى أَنْ أتى الدهر العقيم بواحد
إمامُ الوري ذاك الخليل بن أحمد
وبالبَصرة الغراء^(٣) قد لاح فَجْرُهُ
ذكي^(٤) الوري ذَهْنًا وأصدق لهجة
وما أَنْ يُروِّي بل جميع علومه
هو الواضِعُ الثاني الذي فاق أولًا
فقد كان رِيَانِيَّ أَهل زمانه
يُقَيِّمُ منه دهره في مَثُوبَةٍ

لقد فاز باغِيه وأنجح قاصِدهُ
وما امتاز إلَّا ثاقِبُ الذِّهْنِ وإِقْدُهُ
يطول علينا خَضْرُها وتُكايدُهُ
هو النُّحُو فَاخْذَرْ من جَهُولِ يُعَانِدُهُ
هما أَضَلُّ دينِ الله ذُو أَنْت عابِدهُ
مِبانِيه أَغْرِزْ بالذي هو شائِدهُ
أبو الأسود الديلي^(٢) فللجُرِّ سائِدهُ
وطار به لِلْعُرْبِ ذَكَرٌ نعاوِدهُ
ويحيى ونصرٌ ثم ميمونٌ ماهِدهُ
فقد قلَّدت جيدَ المعالي قلائِدهُ
جهابِذهُ تَبْلَى به وتعاضِدهُ
من الأزد تُنميه إليه فرائِدهُ
أقرَّ له بالسبق في العلم حاسِدهُ
فنارت أدانيه وضاءت أباِعهُ
إذا ظنَّ أَمْرًا قلتُ ما هو شاهِدهُ
بدائِتهُ^(٥) أَغْيِثْ كُلَّ حَبِيرٍ تُجالِدهُ
ولا ثالثُ في الناس تصمى قواصِدهُ
صُويِّمٌ قُويِّمٌ^(٦) رايحُ الليل ساجِدهُ
وثوقًا بأنَّ الله حقًّا مُواعِدهُ

(١) في الأصل: «الملك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، واضح علم النحو.

(٣) في الأصل: «الغراء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «يا ذكي»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف النداء «يا».

(٥) في الأصل: «بدائية»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «صُومٌ قُومٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فيعرفه البيت العتيق ووافده
 كواعب حُسنٍ ثُنْثُنِي ونواهد
 تُنَاغِيهِ إِلَّا عَفْرُهُ وَأَوَابُهُ
 بماءٍ قَرَّاحٍ ليس تَغْشَى موارده
 وشوقاً إلى المولى وما هو واعدّه
 وأيقن أنَّ الحَين أدناه باعدّه
 ولا طَفَّة حَتَّى كَانَ هو والده
 إلى أن بَدَثَ سيماء واشتدَّ ساعده
 وراح وحيدَ العصر إذ جاء واحدّه
 فلولاه أَضْحَى النحر^(١) عَظْلًا شواهدّه
 لقحطانٍ إذ كعب بن عمرو مُحَاتَدَه
 فطارِفُه يُغْزَى إليه وتالدّه
 أطاعت عَوَاصِيه وتابَتْ شَوَارِدُه
 فأَيَاتُه مشهودة وشواهدّه
 سواء فكلُّ ذاهبٍ الحُسن فاقده
 تناءت غَدَتْ تَرْهَى وليست تُشاهدّه
 وفي جَوْفِه كلُّ الذي أنت صائده^(٢)
 فإنَّك فينا نايبة القَدْرِ ماجِدُه
 أَعْضُك دهرٌ أم عَرَّتْكَ ثرائِدُه
 وإن لا تُصِيبَ حربًا فإنَّك غامِدُه
 فذو الفهم من تَبْدُو إليه مقاصده
 وكان طرِيًّا لم تقادم معاهده
 وإنَّ الثَّمالي باردُ الذَّهنِ خامده

فعمامٌ إلى حجٍّ وعمامٌ لَعَزْوَة
 ولم يُثْنِه يومًا عن العلم والثُّقَى
 وأكثرُ سُكْنَاهُ بِقَفْرِ بَحِيثٍ لا
 وما قُوَّتُهُ إِلَّا شَعِيرٌ يُسَيِّغُه
 عزوبًا عن الدنيا وعن زَهْرَاتِهَا
 ولمَّا رأى من سيبويه نجابة
 تَخْيِيرُهُ إذ كان وارثَ عِلْمِه
 وَعَلِمَه شَيْئًا فَشَيْئًا عُلُومِه
 فإِذْ ذَاكَ وافاه من الله وَعَدُه
 أتى سيبويه ناشرًا لِعُلُومِه
 وأبدى كتابًا كان فخرا وجوده
 وَجَمَعَ فيه ما تفرَّق في الورى
 بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضا
 عليك قران^(٢) النحر نحو ابن قنبر
 كتاب أبي بشر^(٣) فلا تَكُ قَارِئًا
 هم خُلِجَ بِالْعِلْمِ مُدَّتْ فعندما
 وَلَا تَغْدُ عَمَّا حازه إنه الفَرا
 إذا كنت يومًا مُحْكَمًا في كتابه
 ولست تبالي إن فَكَّكَتَ رموزه
 هو العَضْبُ إن تَلَقَّ الهِجَا شَهْرَتُهُ
 تَلَقَّاهُ كلُّ بِالْقَبُولِ وبِالرَّضَى
 ولم يعترض فيه سوى ابنِ طراوة
 وَجَسْرُهُ طَغَنَ المُبَرَّدُ قبله

(١) في الأصل: «للنحر عَظْلًا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قرآن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٣) أبو بشر: هو نفسه سيبويه.

(٤) يشير هنا إلى المثل: «كل الصيد في جوف الفراء» يُضْرَبُ لِمَنْ يُفْضَلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والفراء: أصلها: الفراء وهو الحمار الوحشي. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

هُمَا مَا هُما صارَا مدى الدهر ضيخة
تكون صحيح العقل حتى إذا ترى
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأسه
ولم يشتغل إلا بنزير مسائل
وقد نال بين الناس جاهًا ورثبة
وما ذاق للآداب طعمًا ولم يبت
فينكح أبكار المعاني ويتبغى
رأى سيبويه فيه بعض تكادة
فقلت: أما أتى^(٢) ما أنت أهل لفهمه
لعمرك ما ذو لحية وتسمت
فيمشي على الأرض الهوننا كأنما
وابهائمك الجهال أنك عالم
بأجلب للنحو الذي أنت هاجر
أصاح، تجنب من غويي مخذل
لك الخير فاذأب ساهرًا في علومه
ولا تزج في الدنيا ثوابًا فإنما
ذوو النحو في الدنيا قليل حظوظهم
لهم أسوة فيها على لاغدي^(٣) مضى
مضى بعده عنها الخليل فلم ينل
ولاقي أبا بشر خليل^(٤) سفيها
أتى نحو هارون^(٥) يناظر شيخه
فأطرق شيئًا ثم أبدى جوابه
وكاد علي عمرًا إذا صار حاكمًا
سقاء بكأس لم يفق من خمارها

يزيف ما قالا وتبدو مفاسده
تباري أبا بشر، إذا أنت فاسده
وقد ظن أن النحو سهل مقاصده
من الفقه في^(١) أوراقه هو راصده
والهاك عن نيل المعالي ولا يده
يغنى بمنظوم ونشر يجاوده
لها الكفو من لفظ بها هو عاقده
وعجمة لفظ لا تحل معاقده
وما أنت إلا غائض الفكر راكده
وإطراق رأس والجهات تساعده
إلى الملا الأعلى تناهت مراصده
وأنت فرد في الوجود وزاهده
من الدرس بالليل الذي أنت هاجده
وخذ في طريق النحو أنك راشده
فلم تشم إلا ساهر الطرف ساهده
لدى الله حقًا أنت لا شك واجده
وذو الجهل فيها وافر الحظ زائده
ولم يلق في الدنيا صديقًا يساعده
كفًا ولم يعدم حسودًا يناكده
غداة تمالت في ضلال يُمادده
فنفخته^(٦) حتى تبدت مناكده
بحق ولكن أنكر الحق جاحده
وقدما علي كان عمرو يكايده
وأورده الأمر الذي هو وارده

(١) في الأصل: «وفي» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «أنت» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «خليل» ساقطة في الأصل. وأبو بشر: هو سيبويه. و خليل: هو الخليل بن أحمد

الفراهيدي.

(٤) هو اليهودي النحوي هارون بن موسى.

(٥) في الأصل: «نفخة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «نفخة»، وكذا ينكسر الوزن.

ولابن زياد شركة في مسراده
 هما جرعا إلى علي وقنبر
 أبكي على عمرو ولا عمر مثله
 قضى نخبه شرخ الشبيبة لم يرغ
 لقد كان للناس اعتناء بعلمه
 والآن فلا شخص على الأرض قارئ
 سوى معشر بالعزب فيهم تلفت
 وما زال مئا أهل أندلس له
 ولاني في مضر على ضعف ناصري
 أثار أثير العزب للنحو كامئا
 وأخيا أبو حيان مئت علومه
 إذا مغربي خط بالثغر رخله
 منينا بقوم صُدروا في مجالس
 لقد أخر التصدير عن مستحقه
 وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم
 علا عقله فيهم هواة فما درى
 أقمنا بمصر نحو^(٣) عشرين حجة
 فلما نئل منهم مدى الدهر طائلا
 لنا سلوة فيمن سرذنا حديثهم
 أخي إن تصل يوما وبلغت سالما
 وقبل ترى أرض بها حل ملكنا
 مبيد العدا قتلا وقد عم^(٤) شرهم
 أفاض على الإسلام جوردا ونجدة

ولابن رُشيد شرك^(١) القلب رائده
 أفويق سُم لم تُنجذ أساوده
 إذا مُشكل أغيا وأغوز ناقد
 بشيب ولم تغلق بذا مِعاقده
 بشرق وعزب تُستَنار فوائده
 كتاب أبي بشر ولا هو رائده
 إليه وشوق ليس يخبو مواقده
 جهابذ بُدي فضله وتُناجده
 لناصره ما ذمت حيا وعاضده
 وعالجه حتى تبدت قواعده
 فأصبح علم النحو ينفق كاسده
 تيقن أن النحو أخفاه لاحده
 لإقراء علم ضل عنهم مراشده
 وقدم عمر خامد الذهن جامده
 جزاء^(٢) وعقبى أگئت عقائده
 بأن هوى الإنسان للنار قائده
 يُشاهدنا ذو أمرهم ونُشاهده
 ولما نجد فيهم صديقا نوادده
 وقد يتسلى بالذي قال سارده
 لغرناطة فانفذ لما أنا عاهده
 وسلطاننا الشهم الجميل عوائده
 ومحيي الندى فضلا وقد رم هامده
 فعز مواليه وذل مُعانده

(١) في الأصل: «بشرك للقلب»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) كلمة «جزاء» ساقطة في الأصل، فأضفناها مع حرف العطف في كلمة «عقبى»، ليستقيم الوزن والمعنى متا.

(٣) كلمة «نحو» ساقطة في الأصل.

(٤) في الأصل: «عمر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَعَمُّ بِهَا إِخْوَانُنَا بِتَحِيَّةٍ
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا شَيْخُنَا وَإِمَامَنَا
 لَقَدْ أَطْلَعَتْ جِيَّانُ أَوْحَدِ عَصْرِهِ
 مَوْرخَةً نَحْوِيَّةً وَإِمَامَةً
 جَاءَ عَظِيمٌ مِنْ ثَقِيفٍ وَإِنَّمَا
 وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَى سُهَادِي بِبَابِهِ
 فَيَجْلُو بِنُورِ الْعِلْمِ ظُلُمَةَ جَهْلُنَا
 وَإِنِّي وَإِنْ شَطَطَتْ بِنَا غُرْبَةُ السُّوَى
 بِغُرْنَاطَةِ رُوحِي وَفِي مِضْرَ جُثَّتِي
 أَبَا جَعْفَرٍ، خُذْهَا قَوَافِي مِنْ فَتَى
 يَسِيرُ بِلَا إِذْنٍ إِلَى الْأُذُنِ حُسْنَهَا
 غَرِيبَةً شَكْلٍ كَمْ خَوْتُ مِنْ غَرَائِبِ
 فَلَوْلَاكَ يَا مَوْلَايَ مَا فَاهَ مِقُولِي
 لَهْذُبْنِي حَتَّى أَحُوكَ مُفَوَّقًا
 وَأَذْكِنْتَ فِكْرِي بَعْدَ مَا كَانَ خَامِدًا
 جَعَلْتُ خَتَامًا فِيهِ ذَكَرَكَ إِنَّهُ

ومما دُونَ من ^(٢) المطولات قوله رحمه الله ^(٣): [الطويل]

تَفَرَّدْتُ لَمَّا أَنْ جُمِعْتُ بِذَاتِي ^(٤)
 فَلَمْ أَرْ فِي الْأَكْوَانِ غَيْرًا ^(٥) لِأَنِّي
 وَقَدْ سَتَّهَا عَنْ رُتْبَةٍ لَوْ تَعَيَّنَتْ
 فَهَا أَنَا قَدْ أَصْعَدْتُهَا عَنْ حَضِيضِهَا
 وَأُسْكِنْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ حَرَكَاتِي ^(٦)
 أَرَحْتُ عَنْ الْأَغْيَارِ رُوحَ حَيَاتِي ^(٧)
 لَهَا دَائِمًا دَامَتْ لَهَا حَسْرَاتِي ^(٨)
 إِلَى رُتْبَةٍ تَقْضِي لَهَا بِشَبَاتٍ

(١) يشير هنا إلى أستاذه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٢) كلمة «من» ساقطة في الأصل. (٣) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٨٢ - ٨٣).

(٤) في الأصل: «بذات» والتصويب من الكتية.

(٥) في الأصل: «حركات» والتصويب من الكتية.

(٦) في الكتية: «غيري». (٧) في الأصل: «حيات» والتصويب من الكتية.

(٨) في الأصل: «حسرات» والتصويب من الكتية.

تشاهدُ مَغْنَى رَوْضَةٍ أَذْهَبَ الْعَنَا
أَقَامَتْ زَمَانًا فِي حِجَابٍ فَعِنْدَمَا
لِنَقْضِي بِهَا مَا فَاتَ مِنْ طَيْبِ أَنْسِنَا
وَمِنَ النَّسِيبِ قَوْلُهُ ^(٢): [الكامل]

كَشَمَ اللِّسَانُ وَمَدْمَعِي قَدْ بَاحَا
إِنِّي لَصَبٌّ ^(٤) طَيِّ ما نَشَرَ الْهَوَى
وَمَهْجَتِي مِنْ لَا أَصْرَحُ بِاسْمِهِ
رَيْمٌ أَرُومٌ خُسْنُوهُ وَجَنُوحُهُ
أَبْدَى لَنَا مِنْ شَغْرِهِ وَجَبِينِهِ
عَجْبًا لَهُ يَأْسُو الْجِسْمُ بِطَبِّهِ
فَبَلَقْظُهُ ^(٧) بُرْءُ الْأَخِيذِ وَلِحْظُهُ
نَادِيَتُهُ ^(٨) فِي لَيْلَةٍ لَا ثَالِثَ
يَا خُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ لَوْ أَنَّهَا

وَتَوَى الْأَسَى عِنْدِي وَأَنْسَى ^(٣) رَاحَا
نَشْرًا وَمَا زَالَ الْهَوَى إِفْصَاحَا ^(٥)
وَمِنْ الْإِشَارَةِ مَا يَكُونُ صُرَاحَا
وَيَرُومٌ عَنِّي جَفْوَةٌ وَجِمَاحَا
ضِدِّينَ ذَا لَيْلًا وَذَاكَ صِبَاحَا ^(٦)
وَلَكُمْ بِأَرْوَاحِ أَثَارِ جِرَاحَا
أَخْذُ الْبَرِيِّ فَمَا يُطَبِّقُ بَرَاخَا
إِلَّا أَخُوهُ الْبَدْرُ غَارَ فَلَاحَا ^(٩)
دَامَتْ وَمَدَّتْ لِلْوَصَالِ ^(١٠) جَنَاحَا

وَقَالَ ^(١١): [الكامل]

نَوْرٌ بِخَدِّكَ أَمْ تَوَقَّدَ نَارٍ؟
وَشَدَا بِرِيقِكَ أَمْ تَسَارَّجُ مِسْكَةً؟
جُمِعَتْ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيكَ فَقَدْ غَدَتْ ^(١٤)
وَضَمَّتْ بِجَفْنَيْكَ أَمْ قُتُورٌ ^(١٢) عُقَارٍ؟
وَسَنَى بِشَغْرِكَ أَمْ شُعَاعٌ دَرَارِي ^(١٣)؟
قَبِذَ الْقُلُوبِ وَفَتَنَةَ الْأَبْصَارِ

(١) في الكتيبة: «سلاتي».

(٣) في الأصل: «وَأَسَى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أحب» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «فصاحا».

(٦) في الكتيبة: «خدين...» وذا إصباحا.

(٧) في الأصل: «فبلقظه» بالقاف، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «نادمته».

(٩) في الأصل: «عارف لاحا»، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «التوصال» والتصويب من الكتيبة.

(١١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٣ - ٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٦).

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «كؤوس».

(١٣) في الأصل: «درار»، وقد صوبناه؛ لأن أصل القول هو: «دراري» وهي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماؤها.

(١٤) في الكتيبة: «...» فيك فأصبحت.

مُتَصَاوِنٌ خَفِرٌ^(١) إِذَا نَاطَقْتُهُ
فِي وَجْهِهِ زَهْرَاتُ لَفْظٍ^(٢) تُجْتَلَى
خَافَ اقْتِطَافَ الْوَرْدِ مِنْ جَنَّبَاتِهَا^(٣)
وَتَسَلَّلَتْ نَمْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ
وَبِخَدِّهِ وَرْدٌ^(٤) حَمَثُهَا وَرْدُهَا
كَمْ ذَا أُوَارِي^(٥) فِي هَوَاهِ مَحَبَّتِي

أَغْضَى حَيَاءً^(٦) فِي سَكُونٍ وَقَارٍ
مِنْ نَسْرَجِسٍ مَعَ وَرْدَةٍ وَبَهَارٍ
فَأَدَارَ مِنْ أَسْرِ^(٧) سِيَّاحِ عِذَارٍ
لِيَرِدْنَ شَهْدَةً رِيقِهِ الْمِغْطَارِ
فَوَقَفْنَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْإِضْدَارِ
وَلَقَدْ وَشَى بِي فِيهِ قَرْطُ أُوَارِي^(٨)

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله^(٩): [البسيط]

أَزْحَتُ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ
وَصَرْتُ فِي الْبَيْتِ وَحْدِي لَا أَرَى أَحَدًا

لَمَّا غَنَيْتُ عَنْ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ^(١٠)
بَنَاتُ فِكْرِي وَكُتُبِي مِنْ جُلَاسِي

وقال^(١١): [الطويل]

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي الْمَالِ أَنَّهُ
فَلَا رُوحَهُ يَوْمًا أَرَاخَ مِنَ الْعَنَا

إِذَا مَا انْتَهَى عِنْدَ الْفَتَى فَارَقَ الْعُمْرَا
وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْدًا وَلَمْ يَذْخِرْ أَجْرَا

وقال: [الطويل]

سَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ شَعْرِهِ نَحْوَ صَدْغِهِ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّ سِلْسَالَ رِيقِهِ

وَمَا انْفَصَلَتْ مِنْ خَدِّهِ إِنَّ ذَا عَجَبٍ
بِرُودٍ وَلَكِنْ شَبَّ فِي قَلْبِي اللَّهَبُ

وقال^(١٢): [السريع]

رَاضٍ^(١٣) حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا
وِظْنٌ^(١٤) قَوْمٌ أَنَّ قَلْبِي سَلَا

يَا حُسْنُهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِضٍ
وَالْأَضْلُ لَا يُغْتَدُّ بِالْعَارِضِ

(١) في النسخ: «خفراً».

(٢) في الأصل: «حيًا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) في المصدرين: «روض».

(٤) في المصدرين: «وجناته».

(٥) في المصدرين: «أس».

(٦) في النسخ: «ويخده نار حخته...».

(٧) في النسخ: «أداري».

(٨) في الأصل: «أوار» بدوء ياء، والتصويب من المصدرين.

(٩) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٠) في الكتيبة الكامنة: «أرحمت نفسي... كما غنيت...».

(١١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٢) البيتان في فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٣) وبغية الوعاة (ص ١٢٢).

(١٣) في البغية: «رائض حبي».

(١٤) في البغية: «افظن».

وقال^(١): [الخفيف]

سال في الخد للحبیب عذار
وسألت الثَّامَة فتجنى
وهو لا شك سائل مَرْحوم
فأنا اليوم سائل محروم

وقال: [الطويل]

جُننتُ بها سوداء لونٍ وناظرٍ
وَجَدْتُ بها بَرْد النعيم وإن
ويا طالما كان الجنونُ بسوداءٍ
فؤادي منها في جحيمٍ ولأواءٍ

وقال في فتي يُسمى مظلوم^(١): [الطويل]

وما كنت أدري أن مالك مُهجتي
إلى أن دعاني للضبا^(٣) فأجبتُهُ
يسمى^(٢) بمظلوم وظلم جفاؤه
ومن يك مظلوماً أجيب دعاؤه

وقال^(١): [الخفيف]

جُنُّ غيري بعارضٍ فترجى
وفؤادي بعارضين مُصابٍ
أفله أن يُفبق عما قريب
فهو داءٌ أغيا دواء^(٤) الطبيب

وقال^(١): [الطويل]

شكا الخضرُ منه ما يلاقي برذفه
إذا كان منه البعضُ يظلمُ بعضه
وأضعف^(٥) غصنَ البان جرُّ كتيبٍ
فما حالُ مُشْتَط^(٦) المزار^(٧) غريبٍ

وقال^(٨): [الطويل]

وذی شَفَة لَمِیاء زَبْنَتْ بِشامَة^(٩)
ظَمِئْتُ إليها رِيقَة کوثرِیَة
من المسك في رشافها^(١٠) يذهب الثُّشْكُ
بمثلٍ لآلي^(١١) تُغرّها يُنظَمُ السُّلْكُ

(١) البيتان في الكتبية الكامنة (ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «يسمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتبية الكامنة.

(٣) في الكتبية: «للهى». (٤) في الكتبية: «فؤاد».

(٥) في الكتبية: «ويضعف».

(٦) في الأصل: «شط» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتبية.

(٧) في الكتبية: «الديار». (٨) الأبيات في الكتبية الكامنة (ص ٨٥ - ٨٦).

(٩) في الأصل: «وذو شفة لميا زبنت...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتبية الكامنة.

(١٠) في الكتبية: «ترشافها».

(١١) في الأصل: «لقالي» ولا معنى لذلك، والتصويب من الكتبية الكامنة.

تَعْلُ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ مُدَامٌ مِنَ الْفِرْدُوسِ^(١) خَاتَمُهُ مِنْكَ

وقال: [الطويل]

أَجَلٌ شَفِيعٌ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ دِرَاهِمٌ بِيضٌ لِلْجُرُوحِ مِرَاهِمٌ
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ أَسْهَلَ مَا تَرَى وَيَقْضِي لِبَانَاتِ الْفَتَى^(٢) وَهُوَ نَائِمٌ

وقال^(٣): [مخلع البسيط]

نُجَيْسِدُ وُدٍّ قَرِيبٍ ضَلَّ^(٤) كَبِيرَ عُثْبٍ، قَلِيلَ عُثْبِي^(٥)
كَالشَّمْسِ ظَرْفًا، كَالْمَسْكَ عَرْفًا كَالْخَشْفِ طَرْفًا، كَالصُّخْرِ قَلْبًا

وقال^(٦): [الطويل]

عُدَاتِي^(٧) لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ بِحَثْوَا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا^(٨) وَهُمْ نَاقَسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

مولده: ولد بقرناطة عام اثنين وخمسين وستمائة^(٩).

وفاته: أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشقوري، رحمه الله، قال: توفي عام خمسة وأربعين وسبعمائة بمصر، ودفن بالقرافة. وكانت جنازته حافلة.

ومن الطارئین علیها فی هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي البكي

من أهل بلش^(١٠)، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكماد.

(١) في الأصل: «الفرد وسر» وهذا لا معنى له، وينكسر الوزن، والتصويب من الكتية.

(٢) في الأصل: «لبانات للفتى» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٨٦).

(٤) في الكتية الكامنة:

بَعِيدُ وُدٍّ، قَرِيبُ صَدٍّ كَثِيرُ عُثْبٍ.....

وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) العُثْبِي: الرُّضَا.

(٦) البيتان في بغية الوعاة (ص ١٢٢) والكتية الكامنة (ص ٨٥) وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٤).

(٧) في البغية: «عداي». (٨) في الكتية الكامنة: «فسترتها».

(٩) في بغية الوعاة (ص ١٢١): «ولد بمطبخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة». وفي فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٢): «مولده بقرناطة في شهر سنة أربع وخمسين وستمائة».

(١٠) هي بلش مالقة، Velez Malaga، كما سيأتي بعد قليل. وقد ذكرها باتوت مكثفًا بالقول: =

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلة صدور الفقهاء الفضلاء، زهدًا وقناعةً وانقباضًا، إلى دماء الخلق، ولين الجانب، وحسن اللقاء، والسداجة الممؤهة بالعفلة، والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة، إمامًا مشهورًا في القراءات، يُرحل إليه، ويُعول عليه، إتقانًا ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط، محدثًا ثبتًا، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيها متصرفًا في المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العُدوة، وتجوّل في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنّف وأفاد، وتصدّر للإقراء بقرناطة وبَلَش وغيرهما، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مشيخته: قرأ ببلده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرُقوطي، والمُقريء أبي الحسن بن خلف الرُشاطي، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عَيْشُون اللخمي، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المُرسي. وممن أجازوه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البَطْرني، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببَلَش مالفقة وبَسطة، فروى عنه الكثير، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي، لقيه بالمرية. ولقي بقرناطة الأستاذ أبا جعفر الطَّبَّاع، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جُزَي الكليبي، روى عنه وأجازوه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

توالياقه: اختصر كتاب «المُقنع» في القراءات اختصارًا بديعًا، وسماه كتاب «المتع في تهذيب المقنع» وغير ذلك.

شعره: من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصُّقر في فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله	شأوا وثيرا ^(١) ومجدًا مخلصًا
وصححت لهم بين الأنام مزية	أبانت لهم عزًا ومجدًا وسوددا
بدعوة خير الخلق أفضل مُرسَل	محمد المبعوث بالثور والهدى
فهم دونوا علم الحديث وأتقنوا	ونصّوا بتبيين صحيحًا ومُسندًا

= «بَلَش»: بالفتح وتشديد اللام والسين معجمة: بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البَلشي... معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).
(١) في الأصل: «وتوتيرا»، وكذا لا يستقيم المعنى.

وجاءوا بأخبار الرسول وصحبه
 وهم نقلوا الآثار والسُنن التي
 وما قَصُرُوا فيها بِفِقْهِ ولا وثَّروا
 وهم أَوْضَحُوا من بعدهم بِاجْتِهَادِهِمْ
 جزَاهُمْ إله العرش عَنَّا بِنَصَحَتِهِمْ
 وتَسَالَهُ^(٢) سُبْحَانَهُ تَهْجِ هَدِيَّتِهِمْ
 على وجهها لفظًا ورسمًا مقيدا
 مَنْ أَضْبَحَ^(١) ذَا أَخَذَ بِهَا فَقَدْ اهْتَدَى
 بل التزموا حَذًّا وحزمًا مُؤَكَّدًا
 وتَبَيَّنَتْهُمْ سُبُلُ الْهَدَى لِمَنْ اقْتَدَى
 بِأَخْسَنَ مَا جَازَى نَصِيحًا ومرشدا
 وسَعْيًا إِلَى التَّقْوَى سَبِيلًا ومَقْصِدًا

ومن شعره، رحمه الله، قوله: [السريع]

عليك بالصَّبر وكُن راضيًا
 واسلُك طريقَ المَجْدِ والْهَجْ به
 بما قضاه الله تَلْقَى النجَاحَ
 فهو الذي يَرْضَاهُ أَهْلُ الصَّلاخِ

وقد أَلَفَ شيخنا أبر البركات بن الحاج، جزءًا سماه «شعر من لا شعر له»، فيه
 من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير.

مولده: قبل الأربعين وستمائة. وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر
 وسبعمائة.

انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة»
 يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، والدؤوب على تدريس كتب
 الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، واضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس
 الحُفَاط، حُفَاط المَذْهَب، وانتفع به الناس، وكان معظمًا فيهم، متبرِّكًا به، على سُنن
 الصالحين من الزهد والانقباض وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال صاحبنا الفقيه

(١) في الأصل: «أصبح»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) في الأصل: «وتَسَلَّهُ»، وكذا ينكسر الوزن.

أبو الحسن الثباهي في تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلاً ساذجاً، مُحَشَّوْشِنًا، سُتِّيَ المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتخليق العام بالمسجد الجامع، وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو محمد بن أبي السداد، والقاضي أبو القاسم ابن السكوت. قال: وأنشد للزاهد أبي إسحق بن قشوم، قوله: [الطويل]

يروئك يوم العيد حُسنُ ملابس
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى
وإنشد لأبي عمرو الزاهد: [السريع]

تختبر الدُّنير في مَنِيذِقِ
والمرء إن رُمِتَ اختباراً له
والدُّزهم الزايف إذ يُنبَهُمُ
مَنِيذِقُه الدُّنير والدُّرهمُ
مَنْ عَفَّ عن هذا وهذا معاً
فَهُوَ الثَّقِيُّ الورع المُسْلِمُ

تواليفه: له تقييد حسن في الفرائض، وجزء في تفضيل الثين على الثمر، وكلام على نوازل الفقه.

وفاته: وتوفي في الكائنة العظمى بطريف^(١).

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتмас^(٢)، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من شراة بلده وأعيانهم، أستاذًا مُتَفَنِّئًا مُقَرِّئًا لكتاب الله، كاتبًا بليغًا، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها وأثمانها، حتى صار له من أغلاقها وذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، وقيد كثيرًا من كتب العلم. وكان مُقَرِّئًا مجوِّدًا، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالعربية، ثقة ضابطًا، مبرزًا في العدالة، حريصًا على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغرباء أكثر.

(١) موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٢) نرجع أنها ملتмас Montemas، من قرى بلش، كما سيأتي بعد قليل.

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشيخان الرُّخْلَتَان؛ أبو عبد الله بن الكمَّاد، وأبو جعفر بن الزيات، عَظِيمًا بلده، والخطيب ولي الله أبو عبد الله الطَّنْجَالِي، والقاضي أبو عبد الله بن بكر. وروى عن الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع، وابنه الرَّأْوِيَة أبي عامر، والخطيب الصالح أبي إسحاق بن أبي العاصي. وروى عن الشيخ الرَّأْوِيَة الرَّحَال أبي عبد الله بن عامر الوادي أشي وغيرهم، ودخل غرناطة.

مولده: ولد ببلش عام ثمانية وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي ببلش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائد»: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين، والجزي على سُنَنِ الفقهاء المتقدمين، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة في العدول المبرزين، وجلس للتَّحْلِيْق في المسجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبي القاسم، وخطب بمسجد مالقة الأعظم. ثم أُخِر عن الخطبة لمشاخنة وقعت بينه وبين بعض الولاة، أثمرت في إختيه. ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة، والتقيد للعلم، والاشتغال به، والعناية بأهله، إلى أن توفي على خير عمل.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، وروى عن جلة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطَّنْجَالِي^(١)، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القَبْثُورِي^(٢) وغيرهم.

مولده: ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة غير ما مرة مع الوفود من أهل بلده وفي أغراضه الخاصة.

(١) هو القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى قبور، وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

محمد بن أحمد الرقوتي^(١) المزني

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طرّفاً في المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق والهندسة والعَدَد والموسيقا والطب، فيلسوفاً، طبيباً ماهراً، آية الله في المعرفة بالألسن، يُقرىء الأمم بالسِّتْهم فنونهم التي يرغبون في تعلمها، شديد البأ، مترفعاً، متعاطياً. عَرَف طاغية الروم حقّه، لما تغلب على مرسية، فبنى له مدرسة يُقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظماً عنده. ومما يحكى من مُلحه معه، أنه قال له يوماً، وقد أدنى منزّله، وأشاد بفضلّه: لو تنصّرت وحصلت الكمال، كان عندي لك كذا وكذا، وكنت كذا، فأجابه بما أفتّعه. ولما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أعبدُ واحداً، وقد عجزتُ عما يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني. وطلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر^(٢)، واستقدمه، وتلمذ له، وأسكنه في أعدل البقاع من حضرته. وكان الطلبة يَغشون منزله المعروف له، وهو بيدي الآن، فتعلّم عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يُجَارى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطجعاً بالجدل، وكان السلطان يجمع بينه وبين مُتّابي حضرته، ممن يُقدم مُتّحلاً صناعة أو علماً، فيظهر عليهم، لتمكّنه ودالّته، حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأبدى، وأبي القاسم بن خَلصون، إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم الثوذة، مُعار البغلة، رائق البرّة، رفيق المشي، إلى أن توفي بها، سمح الله له.

محمد بن إبراهيم بن المُفرّج الأوسي

المعروف بابن الدبّاغ الإشبيلي.

حاله: كان واحداً عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عقد الوثائق، ومعرفة عللها، عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التواضع، صبوراً على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقراءه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علماؤها إلفقه وأصوله، وأقرأ به الفروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع باب الفخارين، وبمسجد ابن عزرة وغيره.

(١) نسبة إلى رقوطة Ricate، وهي من قرى مرسية.

(٢) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ. اللوحة البدوية (ص ٥٠).

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبي إسحق إبراهيم، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج الثجبي القرطبي، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض.

وفاته: توفي برؤدة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

من أهل مرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الرقام، الشيخ الأستاذ المتقن.

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، علماً بالحساب والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطلعاً، متبحراً لا يُشَقُّ غباراً، أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وسئل من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودون في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

توالياه: وتوالياه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشفا»، والزيج القويم الغريب المرصّد، المبنيّة رسائله على جداول ابن إسحق، وعدل مناخ الأهلة، وعليه كان العمل، وقيد أنكار الأفكار في الأصول، ولخص المباحث، وكتاب الحيوان والخواص. ومقالاته كثيرة جداً، ودواوينه عديدة.

وفاته: توفي عن سنّ عالية بغرناطة في الحادي والعشرين لصفر من عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصاري^(١)

ونسبه^(٢) أبو محمد القرطبي أمويًا من ضريحهم، بلنسي الأصل، يكنى أبا عبد الله.

(١) ترجمة ابن مأمون في بغية الملتقى (ص ٦٥) والتكملة (ج ٢ ص ٦٢) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩) وبنية الوعاة (ص ٢٨).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).

حاله : كان صَدْرًا في مُتَقْنِي القرآن العظيم، وأثمة تجويده، مبرزًا في النحو، إمامًا معتمدًا عليه، بارع الأدب، وافر الحظ من البلاغة، والتصرف البديع في الكتابة، طيب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حسن السمات، كثير البشر، وقورًا، دينًا، عارفًا، ورعًا، وافر الحظ من رواية الحديث.

مشيخته: روى^(١) عن أبي إسحاق بن صالح، وأبي بكر بن أبي ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفال، وأبي الحسن شريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هذيل، وتلا عليه بالسُّنْع، وأبو^(٢) عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي، وابن فرح^(٣) القيسي، وأبي القاسم خلف بن فُرتُون، ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له أبو بكر عبد العزيز بن سدير^(٤)، وابن العزفي^(٥)، وابن قندلة^(٦)، فأبو الحسن طارق بن موسى، وابن موهب، ويونس بن مغيث، وأبو جعفر^(٧) بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان^(٨)، وأبو عبد الله الجياني، المعروف بالبغدادي. وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له رواية عن أبي الحسن^(٩) بن الطراوة.

من روى عنه: روى^(١٠) عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدي^(١١)، وابن قتال^(١٢)، وأبو جعفر الجيار، والذهبي، وابن عميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون^(١٣)، وابن عبد الرزاق^(١٤)، وأبو الحسن^(١٥) عبيد الله بن عاصم الدَّارِي^(١٦)، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري^(١٧)، وأبو سليمان بن خُوْط الله، وأبو عبد الله الأندَرشي، وابن الحسين بن محبر^(١٨)، وابن إبراهيم الريسي^(١٩)، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العزفي، وأبو عثمان سعد الحفَّار، وأبو علي عمر بن جميع^(٢٠)، وأبو عمران بن إسحاق^(٢١)، وأبو

-
- | | |
|---|---|
| (١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩). | (٢) في الذيل والتكملة: «أبوي». |
| (٣) في الذيل والتكملة: «ابن فرج». | (٤) في الذيل والتكملة: «مدير». |
| (٥) في الذيل والتكملة: «ابن العربي». | (٦) في الذيل والتكملة: «قندلة». |
| (٧) في الذيل والتكملة: «أبو حفص بن أيوب». | (٨) في الذيل والتكملة: «غشيان». |
| (٩) في الذيل والتكملة: «الحسين». | (١٠) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٩). |
| (١١) في الذيل والتكملة: «الاردي». | (١٢) في الذيل والتكملة: «ابن قتال». |
| (١٣) في المصدر نفسه: «عزمون». | (١٤) في المصدر نفسه: «ابن عبيد الله الذوق». |
| (١٥) في المصدر نفسه: «أبو الحسين». | (١٦) في المصدر نفسه: «الدائري». |
| (١٧) في المصدر نفسه: «الجعيدي». | (١٨) في المصدر نفسه: «مجبر التجيبي». |
| (١٩) في المصدر نفسه: «الوشقي». | (٢٠) في المصدر نفسه: «صمع». |
| (٢١) في المصدر نفسه: «السخان». | |

القاسم الطيب بن هرقال^(١)، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملاحى^(٢)، وأبو محمد بن دلف^(٣) بن اليسر، وأبو الوليد بن الحجاج^(٤).

توالياقه: له شرح على «إيضاح الفارسي»، وآخر على «جمل الزجاجي».

مولده: بيلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفي بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى^(٥) سنة ست وثمانين وخمسمائة.

محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي^(٦)

من أهل سَرْقُسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان^(٧) مُقرِّناً مَجَوِّداً، محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه، محصلاً لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم، جيّد النظر، متوقّد الذهن، ذكي القلب، فصيح اللسان^(٨). وُلّي أحكام فاس، وأفتى فيها، ودرّس بها العربية: كتاب سيبويه وغير ذلك.

مشيخته: روى^(٩) عن أبي الأصبغ بن سهل، وأبوي^(١٠) الحسن الحضرمي، وابن سابق، وأبي جعفر بن جرّاح، وأبي طالب السَّرْقُسطي، الأديبين، وأبوي عبد الله بن نصر، وابن يحيى بن هشام المحدث، وأبي العباس الدلائي، وأبي عبيد الله البكري، وأبي عمر أحمد بن مروان^(١١) القَيْرَواني، وأبي محمد بن قورش^(١٢)، وأبي مروان بن سراج. وأجاز له أبو الوليد الباجي، رحمه الله.

-
- (١) في الذيل والتكملة: «هرقل». (٢) في المصدر نفسه: «ابن الفرس والملاحى». (٣) في المصدر نفسه: «أبو محمد بن محمد بن خلف...». (٤) في المصدر نفسه: «ابن الحاج». (٥) في بغية الوعاة (ص ٢٨): «جمادى الآخرة في السنة السابعة بعد الثمانين والخمسمائة». (٦) ترجمة ابن باق في التكملة (ج ١ ص ٣٦٠) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨). (٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨). (٨) في الذيل والتكملة: «الكلام». (٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧). (١٠) في الذيل والتكملة: «أبوي بكر: ابن الحسين الحضرمي...». (١١) في المصدر نفسه: «مروان التجيبي البلوطي الزاهد». (١٢) في المصدر نفسه: «قورش».

مَنْ روى عنه: روى^(١) عنه أبو إسحاق بن قرقول، وأبو الحسن صالح بن خلف، وأبو عبد الله بن حسن السبتي، وأبو^(٢) الحسن الأُبَدي، وتوفي قبله، وابن خلف بن الأيسر^(٣)، والثُميري، وأبو العباس بن عبد الرحمن بن الصَّقَر، وأبو علي حسن بن الجزار^(٤)، وأبو الفضل بن هارون الأزدي، وأبو^(٥) محمد: عبد الحق بن بُونه، وقاسم بن دَحْمان، وأبو مروان بن الصَّقِيل الوقشي^(٦).

توالياً: شرح^(٧) «إيضاح الفارسي»، وكان قيماً على كتابه، وصنّف في الجدل مُصنِّفين، كبيراً وصغيراً. وله عقيدة جيدة.

وفاته: توفي بفاس، وقيل بتلمسان^(٨)، سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف ابن يوسف بن خلف الأنصاري^(٩)

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج، وبابن صاحب الصلاة. حاله: كان مُقرئاً صَدْرًا في أئمة التجويد، محدثاً مُتَقَنًا ضابطاً، نبيل الخط والتقييد، دَيِّناً، فاضلاً. وصنّف في الحديث، وخطب بجامع بلده. وأم في الفريضة زماناً، واستمرت حاله كذلك، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقعة العقاب^(١٠).

دخوله غرناطة، راوياً عن ابن الفَرَس، وابن عَرُوس، وغيرهما.

مُشِيخته: روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي خالد يزيد بن رَفاعة، وأكثر عنه، وأبوي عبد الله بن عَرُوس، وابن الفَخَّار، وأبي

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨). (٢) في الذيل والتكملة: «وابن الحسن».

(٣) في المصدر نفسه: «ابن الإلييري». (٤) في المصدر نفسه: «الخزاز».

(٥) في الأصل: «وأبو» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) في الذيل والتكملة: «الوشقي». (٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨).

(٨) في الذيل والتكملة: «وقيل تلمسين، وهو أصح، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة». وكذا جاء في بغية الوعاة (ص ٢٩).

(٩) ترجمة محمد بن حسن الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٨).

(١٠) كانت وقعة العقاب في منتصف شهر صفر سنة ٦١٩ هـ، بين الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الموحد وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين، فكانت السبب في هلاك الأندلس. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٦٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٩).

محمد بن حَوْط الله، وعبد الحق بن بُوْثَة، وعبد الصُّمْد بن يَعِيش، وعبد المنعم بن الفَرَس، وأجازوا له. وتلا القرآن على أبي عبد الله الإشتجِي. وروى الحديث عن أبي جعفر الحَصَّار. وحجَّ في نحو سنة ثمانين وخمسمائة، وأخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطَّاهر الخشوعي وغيره.

وفاته: توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة وستمائة.

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قِزال، من أهل مالقة.

حاله: طالبٌ عفيف مجتهد خَيْر. قرأ بغرناطة، وقام على فنِّ العربية قياماً بالغاً، وشارك في غيره، وانتسخ الكثير من الدواوين بخطِّ بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحُسن، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية، واقتدى بصهره الصَّالح أبي عبد الله القُطَّان، فكان من أهل الصلاح والفضل. وتوفي في محرم عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد

ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد

ابن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطنبول^(١)، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي.

حاله: كان، رحمه الله، إماماً في العربية والعروض والقوافي، موصوفاً بذلك، مَشُوباً إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، ولا يفارقه بياض يومه، شديد التعصُّب له، مع خِفَّة وطيش يحمله على التوغُّل في ذلك. حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجِيَّاب، رحمه الله، قال: وقف أبو بكر القللوسي يوماً على القاضي أبي عمرو بن الرُّندون، وكان شديد الوقار، مَهِيَّاباً، وتكلم في مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضي أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسي قلقاً كاد يلبط به الأرض، ولم يقدر على جوابه بما يَشْفِي به صدره لمكان رُبْتِه. قال: فكان يدور بالمسجد، والدموع تنحدر على وجهه، وهو يقول: أخطأ من خطَّاه، يكرِّرها، والقاضي أبو عمرو يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان، مع ذلك، مشاركاً في فنون، من

(١) إسطنبول: بالإسبانية: Estepona، وهو بلد يقع على البحر المتوسط إلى الشمال من جبل طارق.

فقه وقراءات وفرائض، من أعلام الحفاظ للغة، حجة في العروض والقوافي، يُخطط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بدیعة. وولّى الخطابة ببلده مدة، وقعد للتدريس به، واثال عليه الناس وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيد، وكان بقطره علماً من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

تواليفه: نظم رَجَزًا شهيرًا في الفرائض علماً وعملاً، ونظم في العروض والقوافي، وألف كتاب «الدرة المكنونة في محاسن إسطنبول»، وألف تأليفاً حسناً في تَرْجِيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات، ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن ذرید، وأرجوزة في شرح كتاب «الفصيح». ورفع للوزير ابن الحكيم كتاباً في الخواص وصناعة الأمدّة والتطبيع الشاب، غريباً في معناه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع، ولازمه، وأخذ عنه، وعن أبي القاسم بن الحضار الضرير السبتي، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

عُلاهُ رِياضُ أورقت بمحامد	تُتَوَّرُ بِالْجَذْوَى وتُشْمَرُ بِالْأَمَلِ
تَسْبَحُ عَلَيْهَا مِنْ نَدَاهُ غَمَامَةٌ	تُرْوَى ثَرَى الْمَعْرُوفِ بِالْعَلِّ وَالنَّيْلِ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ نَفْسًا وَرِفْعَةً	فَيَغْرُبُ بِالْجَذْوَى وَيَبْعُدُ بِالْأَمَلِ؟
تَعْمُ أَيْيَادِيهِ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا	فَدَانِ وَقَاصِرُ جُودٍ كَفَيْهِ قَدْ شَمِلَ

وهي طويلة. ونقلت من خط صاحبنا أبي الحسن الشباهي، قال يمدح أبا عبد الله الرنداحي: [الكامل]

أَطْلَعَ بِأَفْقِ الرِّاحِ كَأْسَ الرِّاحِ	وَصَلَّ الزُّمَانَ مَسَاءَهُ بِصَبَاحِ
خُذْهَا عَلَى رَغَمِ الْعَذُولِ مُدَامَةً	تَنْفِي الْهَمُومِ وَتَأْتِ بِالْأَفْرَاحِ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِست بُرُودَ أَزَاهِرِ	وَتَمَنَّتْ مِنْ تَهْرَمَاتِهَا بِوِشَاحِ
وَالْجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدَمْعِ غَمَامَةٍ	ضَجَّكَ الرَّبِيعُ لَهُ بِشَجَرِ أَقَاحِ
وَالرُّوضُ مَرْقُومٌ بِوِشْيِ أَزَاهِرِ	وَالطَّيْرُ يَفْضَحُ أَيُّمَا إِفْصَاحِ
وَالْعُضْنُ مِنْ طَرَبٍ يَمِيلُ كَأَنَّمَا	سَقَيْتُ بِكَفِّ الرِّيحِ كَأَسَ الرِّاحِ
وَالْوَرْدُ مُنْتَظَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ	يَبْدُو فَتَحَسَّبُهُ خَدُودُ مِلَاحِ
وَكَأَنَّ عَرَفَ الرِّيحِ مِنْ زَهْرِ الرُّبَى	عَرَفَ امْتِدَاحَ الْقَائِدِ الرُّنْدَاحِ

وفاته: بيلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعمائة.

محمد بن محمد بن محارب الصريحي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن أبي الجيش.

حاله وأوليته: أصل سلفه من حصن يُشر من عمل مُزسية، من بيت حَسِب وأصالة، ولخزولته بالجهة التاكرونية ثورة.

وقلت فيه في «عائد الصلة»: كان من صُدور المُقرئين، وأعلام المُتصدين تفتيًا واضطلاعا وإدراكًا ونظرًا، إمامًا في الفرائض والحساب، قائمًا على العربية، مُشاركًا في الفقه والأصول وكثير من العلوم العقلية.

قعد للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الرَبَض.

مُشيخته: قرأ على الأستاذ القاضي المُتَقِن أبي عبد الله بن بكر، ولازمه. ثم ساء ما بينهما في مسألة وَقَعَت بمالقة، وهي تجويز الخُلف في وَعْد الله، شُئ فيها على شيخنا المذكور. ونُسِبَ إلى أن قال: وعد الله ليس بلازم الصَّدق، بل يجوز فيه الخُلف، إذ الأشياء في حقه متساوية. وكتب في ذلك أسئلة للعلماء بالمغرب، فقاطعه وهَجَره. ولَمَّا وَلِيَ القاضي أبو عبد الله بن بكر القضاء، خافه، فوجّه عنه إثر ولايته، فلم يشك في الشر، فلما دخل عليه، رَحَّبَ به، وأظهر له القبول عليه، والعفو عنه، واستأنف مودته، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي، رحمه الله.

ورحل المذكور إلى سَبْتَة، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ومن عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرات، متعلّمًا، وطالب حاج. ودُعِيَ إلى الإقراء بمدرستها النُصرية^(١)، عام تسعة وأربعين وسبعمئة، فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قُبِل فيه عُذره. وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، في غاية النبل والاستيفاء والخُضر والتوجيه، عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته: توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمئة، بعد أن تصدق بمال كثير، وعهد بريع مُجد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه.

(١) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفًا إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

محمد بن محمد بن لُب الكِناني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن لُب.

حاله: كان ذاكرًا للعلوم القديمة، مُعْتَنِيًا بِهَا، عَاكِفًا عَلَيْهَا، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِهَا عَلَى أَهْلِ وَقْتِهِ، لَمْ يَكُنْ يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي مَعْرِفَتِهَا، مِنَ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ، ذَاكِرًا لِمَذَاهِبِ الْقَدَمَاءِ، وَمَأْخِذِهِمْ فِي ذَلِكَ، حَافِظًا جَدًّا، ذَاكِرًا لِمَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ يُوَثِّرُ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ مَأْخِذِ خُصُومِهِمْ، وَكَانَ نَفُوذُهُ فِي فَهْمِهِ دُونَ نَفُوذِهِ فِي حِفْظِهِ، فَكَانَ مُعْتَمِدَهُ عَلَى حِفْظِهِ فِي إِيْرَادِهِ وَمِنَاطِرَتِهِ، وَكَانَ ذَاكِرًا مَعَ ذَلِكَ لِأَصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، عَجَبًا فِي ذَلِكَ؛ إِذَا وَرَدَتْ مَسْأَلَةٌ، أَوْزَدَ مَا لِلنَّاسِ فِيهَا مِنَ الْمَذَاهِبِ. وَعَزَمَ عَلَيْهِ آخِرُ عَمْرِهِ، فَقَعْدَ بِجَامِعِ مَالِقَةِ، يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَوْطَأِ، وَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِ تَهِيًّا لِذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ سَتَرَ عَلَيْهِ حِفْظَهُ، وَتَعْظِيمَ أَهْلِ بَلَدِهِ لَهُ. قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَتْ فِيهِ لُؤْفَةٌ، وَاخْشِيشَانٌ، وَكَانَ لَهُ أَرْبٌ فِي التَّطَوُّافِ، وَخُصُوصًا بِأَرْضِ النَّصَارَى، يَتَكَلَّمُ مَعَ الْأَسَاقِيفَةِ فِي الدِّينِ، فَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ أُمُورُهُ غَرِيبَةً، مِنْ امْتِزَاجِ الْيَقِظَةِ بِالْعَقْلَةِ، وَخَلْطِ السَّدَاجَةِ بِالدُّعَابَةِ. يَحْكِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ شَجَرَةٌ تَيْنٌ بَدَارُهُ بِمَالِقَةِ، فَبَاعَ مَا عَلَيْهَا مِنْ أَحَدِ أَهْلِ السُّوقِ، فَلَمَّا هُمُ بِجَمْعِهَا، ذَهَبَ لِيَمْهَدَ لِلتَّيْنِ بِالْوَرَقِ فِي الْوَعَاءِ، فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا اشْتَرَيْتَ التَّيْنَ، وَلَمْ تُدْخِلِ الْوَرَقَ فِي الْبَيْعِ، فَتَعَبَ ذَلِكَ الْمُشْتَرِي مَا شَاءَ اللَّهُ، وَجَلَبَ وَرَقًا مِنْ غَيْرِهَا، حَتَّى انْقَضَى الْأَمْرُ، وَعَزَمَ عَلَى مُعَامَلَتِهِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَأَوَّلُ مَا اشْتَرَطَ الْوَرَقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْغَلَّةِ، دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: احْمِلْ وَرَقَكَ، فَإِنَّهُ يُؤْذِنِي، فَأَصَابَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي جَمْعِهِ مِنْ أَطْرَافِ الْغُصُونِ مَا لَمْ يَكُنْ يَخْشَبُ، وَلَمْ تَأْتِ السَّنَةُ الثَّالِثَةُ، إِلَّا وَالرَّجُلُ فَقِيهٌ، اشْتَرَطَ مِقْدَارَ الْكِفَايَةِ مِنَ الْوَرَقِ، فَسَامَحَهُ وَرَفَّقَ بِهِ.

دَخَلَ غَرْنَاطَةَ وَغَيْرَهَا، وَأَخْبَارُهُ عَجِيبَةٌ. قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ: عَرَضَ لِي بِمَالِقَةِ مَسَائِلُ، يَرْجِعُ بَعْضُهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْبَيِّنِيَّةِ، وَالْمَأْخِذِ الْأَدْبِيَّةِ؛ وَضَحَتْ ضَرُورَةٌ إِلَى الْأَخْذِ مَعَهُ فِيهَا، وَفِي آيَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، فَاسْتَدْعَيْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي، وَكَانَ فِيهِ تَخَلُّقٌ، وَحَسَنُ مَلَاقَاةٍ، مَعَ خَفَّتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ وَتَشْتُّ مَنْزَعِهِ، فَأَجَابَ، وَأَخَذْتُ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، فَأَلْفَيْتُهُ صَائِمًا عَنْ ذَلِكَ جَمَلَةً.

وَصَمَّمَتْهُ: قَالَ: وَكَانَ الْقَاضِي الْجَلِيلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رَبِيعٍ وَأَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ يَنَافِرَانِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَيَحْذِرَانِ مِنْهُ، وَهُوَ كَانَ الظَّاهِرَ مِنْ حَالِهِ. قَالَ: وَاسْتَدْعَانِي فِي مَرَضٍ اشْتَدَّ بِهِ، قَبْلَ خُرُوجِي مِنْ مَالِقَةِ عَلَى انْفِرَادٍ، فَتَنَصَّلَ لِي مِمَّا كَانَ يُدْنُ^(١) بِهِ، وَأَكْثَرَ الْبَكَاءِ، حَتَّى رَثَيْتُ لَهُ.

(١) يُدْنُ بِهِ: يُتَّهَمُ بِهِ؛ يُقَالُ: ذَنْ فِي مَشِيَّتِهِ: مَشَى مَشْيَةً ضَعِيفَةً، وَذَنْ الشَّيْءُ: سَالٍ، وَجَاءَ هُنَا =

وفاته: توفي بمالقة، ووصى قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات وأشباهاها، وحبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.

محمد بن محمد البدوي^(١)

الخطيب بالرّيَض من بَلَش^(٢)، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»^(٣): كان، رحمه الله، حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قَدَمٍ في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعراً مُجيداً، بصيراً، بليغاً في خطبته، حسن الوعظ، سريع الدّعة. حجّ ولقي جِلَّةً. وأقرأ ببَلَش زمائناً، وانتفع به، ولقي شدايد أصلها الحَسَد.

مشيخته: قرأ العِلْم على الشّيخين المُقرئين، المُحجّين، أبي جعفر بن الزيّات، وأبي عبد الله بن الكمّاد، وقرأ العربية والأصْلين على الأستاذ أبي عمرو بن مَنْظُور، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله في غرض النسيب^(٤): [السريع]

خالٌ على خدك ^(٥) أم غنبر؟	ولؤلؤٌ تغرّك أم جوهَر؟
أوزنت نازَ الوجد طي الحشا	فصارت النار به ^(٦) تسعر
لو جذت لي منك برشف اللما	لقلت: خمرٌ غسل ^(٧) سكر
دغني في الحبّ أذب خسرة	سفك دم العاشق لا ينكر

= بمعنى: يتهم به. لسان العرب (ذنن).

(١) ترجمة محمد البدوي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥).

(٢) هي بَلَش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: «بَلَش؛ بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة، بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البَلشي...». معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(٣) هو كتاب «عائد الصلة» لابن الخطيب. وقد كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا لكتاب «صلة الصلة» لابن الزبير، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥ - ٥٦). (٥) في الكتيبة: «خدّيك».

(٦) في الكتيبة: «بها».

(٧) حرّكها المحقق بالكسر «عَسَل» فلما منه أنها مضاف إلى كلمة «خمر».

وقال^(١): [البسيط]

عَيْنَايَ تَفْهَمُ مِنْ عَيْنَيْكَ أَسْرَارَا
مَلَكْتَ قَلْبَ مُجِبِّ لَيْكَ مُكْتَسِبِ
رُضَابُ ثَغْرِكَ يُزَوِّي حَرَّ غُلَّتِهِ
أَنْجَمُ بَطْنِي خِيَالٍ مِنْكَ أَلْمَحَةُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ظَنِّي بِهِ كَلَفٌ^(٢)
وَوَزْدُ خَدِّكَ يُذَكِّي فِي الْحِشَا نَارَا
قَدْ أَثَرَ الدَّمْعُ فِي خَدِّيهِ آثَارَا
يَا لَيْتَ نَفْسِي تَقْضِي مِنْهُ أَوَطَارَا^(٣)
مَاذَا عَلَيْكَ بِطَنِي^(٤) مِنْكَ لَوْ زَارَا
يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ مُضْطَرًّا وَمُخْتَارَا

وقال^(٥): [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الظُّبَيِّ تَرَفَّقْ
أَلْذَنْبِ تَتَجَنَّى
إِنْ رُوحِي لَكَ مِلْكٌ^(٦)
إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالٌ
بِكَتَيْبٍ قَدْ هَلَكَ
أَمْ لَشَيْءٍ^(٧) يُوصِلُكَ؟
وَكَذَا قَلْبِي لَكَ
فَلَاكَ الْقَلْبُ فَلَاكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: «يا سيدي، أبقاك الله بهجة للأعيان الفضلاء، وحجة لأعلام العلاء، ولا زلت تسير فوق النسر، وتجري في الفضائل على كرم النجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدر السبع، أو يضارع الغمش الدعج. بيد أن لنظم الدر صناع^(٨)، والحديث قد يذاع، ولا يضاع، وحين اعتذرت له فلم يغفرتني، وانتظرت فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبي، وسلك غير طريقي، ولم يبلغني ربي، وقئت الغرض، وقضيت من إجابته الحق المفترض، ورددت عن تغذاله النصيح، وأثبت هنا ما معناه صحيح، ولفظه غير فصيح: [السريع]

بَرِيْتُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ قَوْلِي
وَوَثِقْتُ بِالْخَالِقِ فَهُوَ الَّذِي
بِخَوْلٍ مَنْ لَا حَوْلَ إِلَّا لَهُ
يُدَبِّرُ الْعَبْدَ وَأَفْعَالَهُ

(١) الأبيات في الكتية (ص ٥٦).

(٢) في الكتية: «الطيب».

(٣) الأبيات في الكتية (ص ٥٦).

(٤) رواية صدر البيت في الكتية هي: «إنما روعي ملك».

(٥) الأوجب أن يقول: «صنعا» لأنها اسم أن منصوب.

(٦) الأوطار: جمع وطر وهو الحاجة.

(٧) في الكتية: «وطف».

(٨) في الكتية: «الشيء».

وقلت بالحرم عند المُلتزم من المنظوم في مثل ذلك: [المتقارب]

أمولاي بالباب ذو فاقة وهذا يحط خطايا الأئم
فجذ لي بعفوك عن زلتني يجود الكريم بقدر الكرم

ومما أعدده للوفادة على خير من عُقدت عليه ألوية السيادة: [الكامل]

خمدت إليك مع الصباح سراها وأتثك تطلب من نذاك قراها
وسرت إليك مع التيسيم يمينها شوقا يسابق في السرى يسراها

ولولا العجز لوصلت، والعذر لأطلت، لكن ثنيت عناني لثنائك، لحسن

اعتنائك، وقلت معتذرا من الصورة لمجدكم، وتاليا سورة حمدكم: [البسيط]

المجدد يخبر عن صدق مآثره وناظم المجد في العلواء ناثره
والجود إن جد جد المزمه يُنجدُه وقلمما ثم في الأيام ذاكره
من نال ما نلت من مجد ومن شرفي؟ فليس في الناس من^(١) شخص يناظره
يا سيذا طاب في العلواء مخيده دم^(٢) ماجدا رسخت فيه أواصره
سريت في الفضل مستثا على ستن ال فضل^(٣) مآربه حقا وسامره
ورثته عن كبير أوحده علم كذاك يحمله أيضا أكابره
مبارك الوجه وضاح الجبين له نور ينير أغر الثور باهره
موفق بكفيل من عنايته مرقع العذر سامي الذكر طاهره
رغيت في الفضل حق الفضل مجتهدا مفهوم مجدك هذا الحكم ظاهره
علوت كالشمس إشراقا ومنزلة فأنت كالغيث يخبي الأرض ماطره
يتم بالفضل منك الفضل مشتهرا كما يتم بزهر الرّوض عاطره
دم وابق للمجد كهفا والعلأ وزرا^(٤) وإنما المجد شخص أنت ناظره
مؤملا منك خيرا أنت صابغة وصانع الخير عند الله شاكره
وما وليت وما أوليت من حسن للناس^(٥) والعالم العلوي ذاكره
بقيت تكسب من والاك مكرمة وناصرأ أبدا من قل ناصره

(١) كلمة «من» ساقطة في الأصل. (٢) كلمة «دم» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «في الفضل»، وكذا يتكسر الوزن.

(٤) الوزر؛ بالفتح: الجبل المنيع أو الملجأ والمعتصم. لان العرب (وزر).

(٥) في الأصل: «فللناس»، وكذا يتكسر الوزن.

عذراً لك الفضل عما جنت من خطي أن يُخطِ مثلي يوماً أنت عاذرة
ثم السلام على علياك من رجل تُهدي الذي أبداً^(١) تُخفى ضمائره
دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرة، ولقيته بها لتقضي بعض أغراض بباب
السلطان، مما يليق بمثله.
مولده: ... (٢).

وفاته: توفي ببلس في أخريات عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد
ابن عبد الله العبدري

قرطبي، استوطن مدينة مراکش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالماً بالقراءات، ذاكراً للتفسير، حافظاً للفقهاء واللغات والأدب،
شاعراً مُحسناً، كاتباً بليغاً، مبرزاً في النحو، جميل العشرة، حسن الخلق، متواضعاً،
فكه المحاضرة، مليح المداعبة. وصُف في غير ما فن من العلم، وكلامه كثير
مدون، نظماً ونثراً.

مشيخته: روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح،
وعبد الرحمن بن بقي، وابن الباذش، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله بن الحاج،
وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد، ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع،
وأجازوا له، وسمع أبا بَخر الأسدي، وأبوي بكر عيَّاش بن عبد الملك، وابن أبي
ركب، وأبا جعفر بن شانجة^(٣)، وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف
الأيصري، وابن المناصف، وابن أخت غانم، ولم يذكر أنهم أجازوا له، وروى أيضاً
عن أبوي عبد الله مكِّي، وابن المعمر، وأبي الوليد بن طريف.

من روى عنه: روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو الحسن بن مؤمن،
وأبو زكريا المرجعي، وأبو يحيى أبو بكر الضرير واختص به.

(١) كلمة «أبداً» ساقطة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، كذلك لم يشر ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة إلى سنة ولادته.

(٣) في الأصل: «سانجة» بالسين غير المعجمة، ويبدو أن جعفر بن شانجة هذا من المولدين، وهم
أولاد الإسبان النصارى الذين أسلموا.

توالياقه: من مُصَنَّفاته «مَشَايِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَأْخِذِ النَّظَارِ» و«شَرْحُاهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ عَلَى «جَمَلِ الزَّجَاجِيِّ»، وشرح أبيات الإيضاح العُضْدِيِّ، و«مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ»، وشرح مُعْشَرَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ، وَمُكَفَّرَاتِهِ الزَّهْدِيَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُمَا مِمَّا أَبَانَ عَنْ وَقُورِ عِلْمِهِ، وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ، وَاتِّسَاعِ مَعَارِفِهِ، وَحَسَنِ تَصَرُّفِهِ.

دخل غرناطة راوياً عن الحسن بن الباذش ومثله.

محدثه: كان يحضر مجلس عبد المؤمن^(١) مع أكابر مَنْ يحضره من العلماء، فيشِفُّ على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف، إلى أن أنشد أبا محمد عبد المؤمن أبياتاً كان نَظَمَهَا فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَنَعَمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ تَسْتٍ، وَهِيَ:

[المقارب]

أبا قاسم والهوى جنة^(٢) وما أنا مِنْ مَسْهَا لَمْ أَفُقْ
تَقَحَّضْتُ جَامِحَ نَارِ الضَّلُوعِ كَمَا خُضْتُ بِحَرِّ دُمُوعِ الْحَدَقِ
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ، أَكُنْتُ الْكَلِيمَ؟ أَمِثْتُ الْحَرِيقَ، أَمِثْتُ الْغَرَقَ

فهجره عبد المؤمن، ومنعه من الحضور بمجلسه، وصرف بنيه عن القراءة عليه، وسرى ذلك في أكثر مَنْ كان يقرأ عليه، ويتردّد إليه، على أنه كان في الطبقة العليا من الطّهارة والعفاف.

شعره: قال في أبي القاسم المذكور: وكان أزرَق، وقد دخل عليه ومعه أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة، فقال ابن قوسرة:

[الكامل]

عابوه بِالزَّرَقِ الَّذِي يَنْجِفُونَهُ وَالْمَاءُ أَزْرَقُ وَالْعَيُونُ^(٣) كَذَلِكَ
فقال أبو عبد الله الشاطبي: [الكامل]
الماء يُهْدِي لِلنَّفُوسِ حَيَاتَهَا وَالرُّمَحُ يُشْرِعُ لِلْمَيُتِّينَ مَسَالِكَا

(١) هو عبد المؤمن بن علي الموحدي، حكم المغرب والأندلس سنة ٥٢٤ هـ، وفي سنة ٥٤١ هـ ضمّ الأندلس إلى المغرب. وتوفي سنة ٥٥٨ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٧٩) والمعجب (ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٩٢) والحلل الموشية (ص ١٠٧).

(٢) الجئة، بكسر الجيم: الجنون. لسان العرب (جنن).

(٣) في الأصل: «والعينان»، وكذا ينكسر الوزن.

فقال أبو بكر بن ميمون المترجم به : [الكامل]

وكذاك^(١) في أجفانه سَبَبُ الرَّدَى لكن^(٢) أرى طيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله في زمن الصُّبا، عفا الله عنه : [الكامل]

لا تكثرُ بفراق أوطان الصبا فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا
والدُّرُّ يُنظَّم عند فَقْد بحاره بجميل أجيادِ الحِسان عقودا

ومن مشهور شعره : [الطويل]

توسَّلتُ يا ربِّي بأنِّي مؤمن وما قلتُ أني سامعٌ ومُطيعٌ
أيضلي بِحَرِّ النارِ عاصٍ مُوحَّدٌ وأنتَ كريمٌ والرسولُ شَفيعٌ؟

وقال في مرضه : [مخلع البسيط]

أيرتجي العيش من عَليهِ دلائلُ لِرَدَى جَسَئِيَّة؟
أولها مُخبر بِثانٍ ذاك أمانٌ وذا مَنِيَّة؟

وفاته : توفي بمراكش يوم الثلاثاء اثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسائة، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، وقد قارب السبعين سنة.

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري^(٣)

من أهل وادي آش، يكنى أبا عامر.

حاله : كان^(٤) أحد شيوخ بلده وطلَّبه^(٥)، مشاركًا في فنون، من فقه وأدب وعربية، وهي أغلبُ الفنون عليه، مطَّرح^(٦) السَّمَت، مُخشوشين الزِّي، قليل المبالاة بنفسه، مُختصرًا في كافة شؤونِه، مليحُ الدُّعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته مَعْمُور بالعلماءِ أولي الأصالة والتعُّين. تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع.

(١) في الأصل : «وكذلك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل : «ولكن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو.

(٣) ترجمة ابن عبد العظيم في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩) وبغية الوعاة (ص ٥٨).

(٤) قارن بغية الوعاة (ص ٥٨). (٥) كلمة «وطلبته» ساقطة في بغية الوعاة.

(٦) في بغية الوعاة : «مطرحًا مخشوشًا مليح الدُّعابة».

مُشِيخْتَهُ: قرأاً^(١) على الأستاذ القاضي أبي^(٢) خالد بن أرقم، والأستاذ أبي العباس بن عبد الثور. وروى عن أبيه مديح رسول الله ﷺ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وولي الله الحسن بن فضيلة.

ورحل إلى العُدوة، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة^(٣)، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث، وأبي عبد الله بن الخضار، وأبي القاسم بن الشاط، وغيرهم.

شعره: وهو من الجزء المسمى بـ «شعر من لا شعر له» والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبته، ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها^(٤):
[الكامل]

أما الوصال فإنه كالعيدِ عُذْرُ الْمُتَيْمِ واضعٌ في الغيدِ
وفاته: توفي ببلده عام أربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة راوياً ومتعلماً، وغير ذلك.

محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدِّ الفهري

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، وزعيم وقته في الحفظ. لبلي^(٥) الأصل، إشبيلي، استدعاه السيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده في جملة من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «ثورة المردين»^(٦).

حاله: كان في حفظ الفقه بَخْرًا يَعْرِفُ من مُحِيط. يقال: إنه ما طالع شيئاً من الكتب قَسِيَةً، إلى الجلالة والأصالة، وبُعْد الصِّيت، واشتহার المَحَلِّ. وكان مع هذا يتكلم عند الملوك، وَيَخْطُبُ بين يديها، ويأتي بعجائب، وفي كتاب «الإعلام» شيء من خبره، قال ابن الزبير.

(١) قارن ببغية الوعاة (ص ٥٨).

(٢) في البغية: «ابن خالد أرقم».

(٣) في البغية: «ابن عبيد».

(٤) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).

(٥) نسبة إلى لُبلة، Niebla، وهي مدينة قديمة في غرب الأندلس، كان بها ثلاث عيون. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٦) صاحب هذا الكتاب الذي لم يصلنا حتى اليوم هو ابن صاحب الصلاة، صاحب كتاب «المن بالإمامة».

مُشِيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك، وعن أبي محمد بن عثاب، وسمع عليه بعض الموطأ، وعن أبي بخر الأسدي، وأبي الوليد بن طريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي، وسمع عليه صحيح البخاري كله، وشريح بن محمد، وأبي الوليد بن رشد، وناوله كتاب «البيان والتحصيل». وكتاب «المقدمات». لقي هؤلاء كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضًا عن مالك بن وهيب.

مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ: أبو الحسن بن زرقون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، وابنا حوط الله، وغيرهم. وعليه من خُتِمت به المائة السادسة كأبي محمد بن جُمهور، وأبي العباس بن خليل، وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي محمد عبد الحق. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: حَدَّثَنِي عَنْهُ ابْنُ خَلِيلٍ وَأَبُو الْقَاسِمِ الْجَيَّانِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ السَّرَّاجِ.

مولده: بلبلة في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وفاته: وتوفي بإشبيلية في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة. ذكره ابن الملجوم، وأبو الربيع بن سالم، وابن فزتون.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد
ابن أحمد بن الفخار الجذامي

يكنى أبا بكر، أزكشي^(١) المولد والمنشأ، مالقي^(٢) الاشتيطن، شريشي^(٣)
التدرب والقراءة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، خيرًا صالحًا، شديد الانقباض، مُغْرَقًا في باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء والتصنع. خرج من بلده أزكش عند استيلاء العدو على قصبتها، وكان يصفها، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن الكزمانى: [المجتث]

أَكْرِمَ بِأَزْكُشَ دَارًا تَاهَتْ عَلَى الْبَذْرِ قُذْرًا

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن على وادي لكّة. الروض المعطار (ص ٢٨).

(٢) نسبة إلى مدينة مالقة، وقد سبق التعريف بها.

(٣) نسبة إلى شريش Jerez وهي من كور شذونة بالأندلس، كثيرة الكروم والزيتون والتين. الروض المعطار (ص ٢٤٠).

يخاطب المجذ عنها للقلب^(١) تُذني شُكراً

واستوطن مدينة شريش، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، وأقرأ بها، ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء، فدرس بها، ثم عبر البحر إلى سبتة، فقرأ بها وروى. ثم كثر إلى الأندلس، فقصد غرناطة، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن مألقة، وتصدر للإقراء بها؛ مفيد التعليم، متقنه، من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث، عظيم الصبر، مستغرق الوقت. يدرس من لذن صلاة الصبح إلى الزوال. ثم يسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرئ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهن على حال سؤالاتهن إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئاً. ومن أخذ منه بعد تحكيم الوزع، أثابه بمثله، ما رثي في وقته أوزع منه. وكان يتخذ روميّة مملوكّة، لا يشتمل منزله على سواها، فإذا أنس منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب، أعتقها، وأضحبها إلى أرضها. ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبتها اجتهاده في مناط الفتوى، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلساً أجلى عن ظهوره فيه، وبقاء رسمه، فكانت محنة، وخلّصه الله منها. وبلغ من تعظيم الناس إياه، وانحياشهم إليه، مبلّغاً لم يتلّه مثله، وانتفع بتعليمه، واستفيد منه الأدب على نسكه وسداجته.

مشيخته: قرأ ببلده شريش على المكنّب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي، وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الربّاح، وعلى الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السكوني الكرماني؛ أخذ عنه العربية والأدب، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى، المعروف بابن متيوان، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدي المراكشي، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري، وعلى الفقيه أبي عبد الله الجنيدي، المعروف بالغراق، وعلى الفقيه العددي أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المكناسي. وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرّكبي، وروى عنه، وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، وعلى الأصولي أبي أمية. وقرأ بسبتة على الأستاذ الفرضي إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع، وعلى أبي يعقوب المحبساني، وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله

(١) في الأصل: «القلب» وكذا ينكسر الوزن.

العَبْدَرِي، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المِثْيَوِي، والأصولي أبي الحسن البَصْرِي، والفقيه المَعْمَرُ الراوية أبي عبد الله محمد الأزدي، والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكُمَاد، وعلى الأستاذ العَرُوضِي الكفيف أبي الحسن بن الخَضَار التلمساني. ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع، والأستاذ أبا جعفر الطَّبَاع، وأبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدي، والأستاذ أبا الحسن بن الصَّائِغ. ولقي بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، والراوية أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجُدَامِي السَّهْلِي. وسمع على الراوية أبي عمرو بن حُوط الله، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي.

توالياقه: كان، رحمه الله، مُغَرِّى بالتأليف، فألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة، منها كتاب «تَخْيِيرُ نَظْمِ الْجُمَانِ، في تفسير أم القرآن»، و«انتفاع الطلبة الشُّبَّاء، في اجتماع السَّبعة القُرَّاء». و«الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون والسَّامعون»، وكتاب «مَنْظُومُ الدَّرَرِ، في شرح كتاب المختصر»، و«كتاب نصيح المقالة، في شرح الرسالة»، وكتاب «الجواب المختصر المروم، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الرُّوم»، وكتاب «استواء التَّهْجِ، في تحريم اللعب بالشطرنج»، وكتاب «الفَيْصَلُ الْمُتَنَزُّي المَهْزُوزِ، في الرَّد على مَنْ أنكر صِيَامَ يَوْمِ النُّيُوزِ»، وكتاب «جواب البيان، على مُصَارَمة أهل الزمان»، وكتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المُخْتَارِ، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار»، وكتاب «إرشاد السَّالِكِ، في بيان إسناد زياد عن مالك»، وكتاب «الجوابات المُجْتَمعة، عن السُّؤالات المُتَوَعِّة»، وكتاب «إملاء فوائد الدول، في ابتداء مقاصد الجمل»، وكتاب «أجوبة الإقناع والإحساب، في مشكلات مسائل الكتاب»، وكتاب «مَنْهَجُ الضُّوَابِطِ المُقَسَّمة، في شرح قوانين المُقَدِّمة»، وكتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، في حذف التنوين من حديث أسما»، وكتاب «التكملة والتبصرة، في إعراب البسملة والتضلية»، وكتاب «سَحْ مُزْنَةُ الانتخاب، في شرح خُطْبَةِ الْكِتَابِ». ومنها اللَّائِحُ المعتمد عليه، في الرَّد على مَنْ رفع الخبر بلا إلى سيويه، وغير ذلك من مُجيد ومُقصر.

شعره: وشعره كثير، غريب التُّزعة، دالٌّ على السَّذاجة، وعدم الاستِرابَة والشعور، والغفلة المُغْرِبة عن السَّلامة، من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضُّرار، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تشبَّث بها أطراف الملاحين والمعارضين، وَلَع كثير من أهل زمانه بالرَّد عليه، والتَّمْلُح بما يصدر عنه، منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.

ومن منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظر إلى ورد الرياض كأنه ديباج خذ في بنان زبرجد
قد فتحت نضارة فبدا له في القلب رونق صفرة كالعسجد
حكيت الجوانب خذ حب ناعم والقلب يحكي خذ صب مكمّد

حدث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقي، قال: قال لي يوماً الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخار: خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ بشرّيش، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم في الحانوت يزّم جلدًا كان في يده، فقالوا لي: لا تجاوز هذا الباب، حتى تضع لنا شعرًا في هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

وربّ معذّر للخبّ داع يروق بهاء منظره البهيج
وشى في وجنتيه الحسن وشيا كوشي يديّه في آدم السروج

مولده: بحصن أزكش بلده، وكان لا يخبر به، في ما بين الثلاثين والأربعين وستمئة.

وفاته: توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته بمالقة مشهورة.

محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني

من أهل الحمة^(١) من عمل المرّة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي، وينتمي في بني أسود من أعيانها.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل العلم والدين والفضل، طلق الوجه، حسن السّير، كثير الحياء، كأنك إذا كلمته تُخاطب البكر العذراء، لا تلقاء إلا مُبتسماً، في حُسن سَمَت، وفضل هوى، وجميل وقار، كثير الخشوع، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيمًا الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان له تحقّق بضبط القراءات، والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السّنية، والعلوم الدّينية. انتصب للإقراء والتدريس

(١) الحمة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوثة. استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٠).

بالحمّة المذكورة، فقرب النّجعة على أهل الحصون والقرى الشرقية، فصار مُجتمعا لأرباب الطّلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم. وكان رجلا صالحا، مُبارك النّية، حسن التّعليم، نفع الله به من هنالك، وتخرّج على يديه جمعٌ وافر من الطّلبة، غمّرت بهم سائر الحصّون. وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين، ومُنْتَدَى عذبٌ للواردين. تجول في آخرة بالأندلس والعُدوة^(١)، وأخذ عمن لقي بها من العلماء، وأقام مدةً بسبّنة مكّبا على قراءة القرآن والعربية. وبعد عوده من تجواله لزم التّصدّر للإقراء بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه أثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته: أخذ بالمرّية عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والقُدل أبي الحسن بن مُستقور. وببلّش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكمّاد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات. وبمالقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري. وبالجزيرة عن خطيبها أبي العبّاس بن خميس. وبسبّنة عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، والإمام الصّالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُرِيث، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والزّاهد أبي عبد الله بن مُعلّى، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري. وبمكناسة من القاضي واريّاش. وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مفتاح اللّجّاي، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان، والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصّنهاجي، والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي وغيرهم، وكلّ من ذكر أجاز له عامة، إلّا قاضي مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده: في أول عام اثنين وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي بالحمّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرم عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد العبّدي^(٢)

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف باليتيم.

(١) المقصود المغرب.

(٢) ترجمة أبي عبد الله العبدي اليتيم في الكنية الكامنة (ص ٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦).

حاله : كان، رحمه الله، أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشبهة، لؤذعياً في وقار، رشيّق النظم والنثر، غزلاً مع الصّون، كثير الدّعابة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصّوت، رائق الخطّ، بديع الوراق، مغسول الألفاظ، مُنتِع المُجالسة، طيّب العشرة، أدب الصّبيان مدة، وعقد الشروط أخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرّقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأغذب نعمة، وأمّثل طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يُخل منها وقتاً إلا ليلتين، إحداهما بسبب امتساكنا به في نزهة برياض بعض الطلبة، لم يُخلف مثله بعده. وخطب بقصبة مالقة، ومال أخيراً إلى نظر الطّب، فكان الناس يميلون إليه، وينتفعون به لسياغ مشاركته، وعموم انقياده، وبرّه، وعمله على التّوّد والتّجمل.

وجرى ذكره في «التّاج المُحلى» بما نصّه^(١) : مجموع أدوات حسان، من خطّ ونعمة ولسان، أوراقه^(٢) روض تتضوّع نسماته، وبشره صبح تتألّق قسماته، ولا تخفى^(٣) سيماته. يُقرّطس أغراض الدّعابة ويضميها، ويُفوّق سبهاً الفُكاهة إلى مراميتها، فكلّما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات مُنحطّة عن الإجادة نازلة، خمّس أبياتها وذيلها، وصرف معانيها وسهلها^(٤)، وتركها سمر الثّدمان، وأضحوكة الزمان^(٥). وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة^(٦)، مُتحلّ بوقار وسكينة، حالّ من أهلها بمكانة مكيّة، لسهولة جانبه، واتّضاح مقاصده في الخير ومذاهبه. واشتغل لأوّل أمره بالتّعليم^(٧) والتّكّيب، وبلغ الغاية في الوقار^(٨) والترتيب، والشّباب^(٩) لم ينصل خضابه، ولا ملّت للمشيبي عضاؤه، ونفسه بالمحاسن كلّفة صبة^(١٠)، وشأنه كله هوى ومحبة، ولذلك ما خاطبه به بعض أودائه^(١١)، وكلاهما رمى أهله بدائه، حسبما يأتي خلال هذا القول^(١٢) وفي أثناءه، بحول الله.

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠) وبعضه في الكنية الكامنة (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) في المصدرين: «أخلاقه».

(٣) في الأصل: «يُخفى» والتصويب من المصدرين.

(٤) في النفح: «وسيلها».

(٥) في النفح: «الأزمان».

(٦) في النفح: «أمره بالتكيب».

(٧) في النفح: «في التعليم والترتيب».

(٨) في الأصل: «وللشباب» والتصويب من النفح.

(٩) كلمة «صبة» ساقطة في الأصل.

(١٠) الأوداء: جمع ودود وهو المحب. لسان العرب (ودد).

(١١) في الأصل: «المقول» والتصويب من النفح.

شعره: كتبت إليه أسأل منه ما أثبت في كتاب «التاج» من شعره، فكتب إلي^(١): [البسيط]

أما الغرام فلم أخلّل بمذهبه
يا مغرضاً عن فؤاد لم يزل كلفاً
قطعت عنه الذي عودته فغدا
أياماً وضلك مبذول، وبرك بي
وسمّع ودك عن إفك العواذل في
لا أنت^(٢) تمنعني نيل الرضا كرمًا
لله عزفك ما أذكى تنسّمه
أنت الحبيب الذي لم أتخذ بدلا
يا ابن الخطيب الذي قد فقت كل سنا
محمد الحسن في خلق وفي خلق
نأيت^(٣) أو غبت مالي عن هواك غنى
سيان حال الثداني والبعاد، وهل
يا من أحسن^(٤) ظني في رضا وما
إن كان ذنبي الهوى فالقلب مني لا

فلنم حرممت فؤادي نيل مطلبه؟
بسحبه ذا جذار من تجنّبه
وحظه من رضا برزق خلبه^(٥)
مجدد، قد صفا لي عذب مشربه
شغل وبذر الدجى ناس لمغربه
ولا فؤادي بوان في تطلبه
لو كنت تمنعني استنشاق طيبه
منه وحاش لقلبي من تقلبه
أزال عن ناظري إظلام غيبه
أكملت^(٦) باسمك معنى الحسن فازه به
لا ينقص البذر حسنا في تغيبه
لمبصر البذر نيل في ترقبه؟
ينفك يندي قبيحا من تغضبه
يضعي لسمع ملام من مؤنّبه

فأجبت بهذه الرسالة، وهي طريقة في معناها^(٧):

«يا سيدي الذي إذا رفعت راية ثنائه تلقّيتها باليدين^(٨)، وإذا قُسمت سيهاً وداده

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) البرق الخلب: الذي يطعم في المطر وليس وراءه مطر، ويضرب مثلاً في الشيء الذي لا منفعة وراءه. لسان العرب (خلب).

(٣) في الأصل: «أنت» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «كملت»، والتصويب من نفع الطيب.

(٥) في النفع: «خضرت».

(٦) في الأصل: «أحسن» وكذا ينكسر الوزن والتصويب من نفع الطيب.

(٧) الرسالة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٨) أخذ هذا من قول الشماخ بن ضرار في غرابة الأوسي: [الوافر]

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها غرابة باليمين
الشعر والشعراء (ص ٢٣٥).

على ذوي اعتقاده كنت صاحب الفريضة^(١) والدّين، دام بقاؤك لطرفة^(٢) تبديها،
وغريبة تزدفها بأخرى تليها، وعقيلة بيان تجليها، ونفس أخذ الحزن بكظمها،
وكلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها وتسلّيها، لم أزل أعزك الله، أشد على
بدائعها^(٣) يد الضنين^(٤)، وأقتني دُرر كلامك، ونفثات أقلامك، اقتناء الدرّ الثمين،
والأيام بليقياك تعدّ، ولا تُسعد، وفي هذه الأيام انثالث عليّ سماؤك بعد قحط،
وتوالت^(٥) عليّ آلاؤك على شحط^(٦)، وزارثني من عقائل بيانك كل فائنة الطرف،
عاطرة العرف، راقلة في حُلّ البيان والطرف، لو ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرت
لنا العرب العاربة بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، ومطاوعة اللفظ لغرض
المعنى، وطيب الأسلوب، والتشبيث بالقلوب، غير أن سيدي أفرط في التّنزل،
وخلط المخاطبة بالتّنزل، وراجع الالتفات، ورام استدراك ما فات. يرحم^(٧) الله
شاعر المعرّة، فلقد أجاد في قوله، وأنكر مناجاة الشوق^(٨) بعد انصرام حوله،
فقال^(٩): [البسيط]

أبعد حَوْلٍ تُناجي الشوق^(١٠) ناجية هَلّا ونحن على عشر من العشر^(١١)

وقد^(١٢) تجاوزت في الأمد^(١٣)، وأنسيّت أخبار صاحبك عبد الصمد،
فأقسم باللفات القدود، وهمزات الجفون السود، وحاملي^(١٤) الأزواح مع الألواح،
بالعدو والرواح، لولا بُعد مزارك، ما أمنت غائلة ما تحت إزارك. ثم إنني
حققت الغرض، وبحثت عن المشكل الذي عرّض، فقلت: للخواطر انتقال،
ولكل مقام مقال، وتختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر
الثقات.

(١) الفريضة: الإرث أو الحصة منه. لسان العرب (فرض).

(٢) الطرفة: الغريب المستحسن. لسان العرب (طرف).

(٣) في النفع: «بدائعك». (٤) الضنين: البخل. لسان العرب (ضن).

(٥) في النفع: «وتواترت لدي». (٦) الشحط: البعد.

(٧) في النفع: «ويرحم الله تعالى».

(٨) في الأصل: «للشوق»، والتصويب من النفع.

(٩) كلمة «فقال» غير واردة في النفع. والبيت للمعري وهو في شروح سقط الزند (ص ١١٤).

(١٠) في الأصل: «للشوق»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١١) الناجية: الناقة السريعة. العُشر: شجر؛ وأراد هنا المكان الذي ينبت فيه. لسان العرب (نجا) و(عشر).

(١٢) في النفع: «ولقد». (١٣) في الأصل: «الأمّل»، والتصويب من النفع.

(١٤) في نفع الطيب: «وحامل».

ومنها^(١): وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم، والخين إلى العهد القديم، فسُررت باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ الملاحظ^(٢)، ما قال الجاحظ^(٣)، فاعتراض لا يرد، وقياس لا يضطرد^(٤)، حبذا والله عيش أهل^(٥) التأديب، فلا بالضنك ولا بالجديب^(٦)، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصور الحسان، يمينًا إن المعلمين، لسادة المسلمين، وإني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أمراء^(٧) فوق المراتب، من كل مسيطر الذرة، متقطب الأسيرة، متنمر للوارد تنمر الهرة، يغدو إلى مكتبه، كالأمير^(٨) في موكبه، حتى إذا استقل في فرشه، واستولى على عرشه، وترنم بتلاوة قائلونه^(٩) ووزيه، أظهر للخلق احتقارًا، وأزرى^(١٠) بالجمال وقارًا، ورفعت إليه الخصوم، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم، فتقول: كسرى في إيوانه، والرشيد في زمانه^(١١)، والحجاج بين أغوانه. وإذا^(١٢) استولى على البذر السرار، وتبين للشهر الغرار^(١٣)، تحرك^(١٤) إلى الخرج^(١٥)، تحرك العود^(١٦) إلى الفرج، استغفر الله مما يشق على سيدي سماعه، وتشمئز من ذكره^(١٧) طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان. فأني عيش هذا^(١٨) العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجوه إليه مضرودة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغصات^(١٩)، فكأنما طمس الأقواء^(٢٠)، ولأم بين الشفاه، وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وخف به كما خف بالبيت الحجيج. وكم بين ذلك من رشوة تدرس، وعمزة لا تحس، ووعد يستنجز، وحاجة تستعجل وتخفز. هنأ الله سيدي ما خوله، وأنساه بطيب آخره أوله. وقد بعثت

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٢) في النفح: «اللاحظ».

(٣) يشير إلى ذم الجاحظ معلمي الصبيان، ويداعب أبا عبد الله اليتيم في رجوعه إلى هذه الجزفة.

(٤) في النفح: «لا يطرّد». (٥) كلمة «أهل» ساقطة في النفح.

(٦) الضنك: الضيق. الجديب: المكان المظفر الذي لا نبات فيه. لسان العرب (ضنك) و(جذب).

(٧) في الأصل: «أمراء» وكذا لا معنى له، والتصويب من النفح.

(٨) في الأصل: «والأمير»، والتصويب من النفح.

(٩) في الأصل: «قانونه» والتصويب من النفح. وقالون وورش: مرقنان، لكل منهما قراءته الخاصة.

(١٠) في الأصل: «وأندى» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «أوانه».

(١٢) في النفح: «فإذا». (١٣) في الأصل: «القرار» والتصويب من النفح.

(١٤) في الأصل: «وتحرك» والتصويب من النفح.

(١٥) في الأصل: «الخرج» ولا معنى له، والتصويب من النفح.

(١٦) في الأصل: «القرد» والتصويب من النفح. (١٧) في الأصل: «ذكراه» والتصويب من النفح.

(١٨) في النفح: «كهذا». (١٩) في النفح: «لتحقق القصات».

(٢٠) في النفح: «على الأقواء».

بدعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسعة صدره، فليتلقها بيمينه، ويفسح لها في المرتبة بينه وبين خدينه^(١)، ويفرغ لمراجعتها وقتاً من أوقاته عملاً^(٢) بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام.

ومن شعره ما كتب به إلي^(٣): [الكامل]

آيات حُسينك حُجةً للقال^(٤) في الحب قائمة على العُدال
يا من سبى طوعاً عقول ذوي النهى ببلاغة قد أيدت بجمال
يَسْتَفِيدُ الأبصارَ والأسماعَ ما ينجلو ويشلو من سني مقال
وعليك أهواء النفوس بأشرها وقفت فغيرك^(٥) لا يمر ببال
رَفَعَتْ لَدَيْكَ^(٦) في البلاغة رايةً لما احتللت بها وحيد كمال
وغدت ثباهي منك بالبذر الذي تغنو البدور لثوره المثلالي
ماذا ترى يا ابن الخطيب لخطيب^(٧) وذا ينافس فيك كل مغال^(٨)؟
جَذَبَتْهُ نحو هواك غر محاسنٍ مشفوعة أفرادها بمعال
وشمائل رقت لرقّة طبعها فزالها يُزري بكل زلال
وحلي آداب بمثل نفيسها تزهو الحلى ويجل قدر الحالي
تستخدم^(٩) الياقوت عند نظامها فمقصر من قاسها بلال
سَبَقَ الأخيرُ الأولين بفضلها فعدا المُقَدَّمُ تابعاً للتالي
شَغَفَنِي بِبِكْرِ^(١٠) من عقائلها إذا تبدو تُصانُ من الجبى بججال
فابعث بها بث^(١١) المني مهورةً طيب الثناء لتقدّها والكالي
لا زلت شمساً في الفضائل يُهتدى بسناك في الأفعال والأقوال^(١٢)
ثم السلام عليك يثرى ما تلت

(١) الخدين: الخذن، الصديق. لسان العرب (خذن).

(٢) كلمة «عملاً» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النسخ.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٦٠). (٤) في الكتيبة: «التالي».

(٥) في الأصل: «فطيرك» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «الرئة»، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الكتيبة: «يخاطب». (٨) في الأصل: «مقال» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «يستخدم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «بذكر» والتصويب من الكتيبة. (١١) في الأصل: «نلت» والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «في الأقوال والأفعال».

ومن الدُعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كَتَبَ به إليه صديقه
الملاطف أبو علي بن عبد السلام^(١): [الوافر]

أبا عبد الله نداء خلٍّ وفي جاء يمنحك النصيحة
إلى كم تألف الشبان غيا وخذلانا، أما تخشى الفضيحة؟
فأجابه رحمه الله: [الوافر]

فديتُك، صاحب السمة المليحة ومن طابت أرومته الصريحة
ومن قلبي وضعتُ له محلاً فما عنه يحلُّ بأن أزيحه
نأيتُ قدمي عيني في انسكابٍ وأكباد^(٢) لفرقتكم قريحة
وطرفي لا يُستاح له رقاد وهل نؤم لأجفانٍ جريحة؟
وزاد تشوقي أبيات شعر أتت منكم بالفاظ فصيحة
ولم تقصِد بها جدًا، ولكن قصدت بها مداعة قبيحة^(٣)
فقلت: أتألف الشبان غيا وخذلانا، أما تخشى الفضيحة؟
وفيهم^(٤) جزفتي وقوام عيشي وأحوالي بخلطتهم نجيحة
وأمرى فيهم أمرٌ مُطاع وأوجههم مصابيح صبيحة
وتعلم أنني رجلٌ حصور^(٥) وتعرف ذاك معرفة صحيحة

قال في «التاج»: ولما^(٦) اشتهر المَشيب بعارضه وإيمته، وخَفَر الدهر لعمود^(٧)
صباه وأدِمتَه، أَقْلَع واسترجع، وتَأَلَّم لما قَرطَ وتوجَّع، وهو الآن من جلة الخطباءِ
ظاهر العِرض والثوب، خالِص من الشوب، بادٍ عليه قبولُ قابلِ التوب.

وفاته رحمه الله: في آخر صفر من عام خمسين وسبعمئة في وقية الطاعون
العام، ودخل غرناطة.

(١) البيتان وجوابهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٩).

(٢) في النفع: «أكبادي». (٣) في نفع الطيب: «وقية».

(٤) في المصدر نفسه: «ففيهم».

(٥) الحَصُور: من انقطع عن النساء وتفزع للعبادة. وفي القرآن الكريم: ﴿وَسَكِّدَا وَحَصُورًا﴾. سورة
آل عمران ٣، الآية ٣٩، ولان العرب (حصر).

(٦) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠). (٧) في النفع: «الصباه».

ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد

ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي^(١)

من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حاله: هذا^(٢) الرجل من طرف دهره ظرقاً وخصوصية ولطافة، مليح التوسل، حسن اللقاء، مبدول البشر، كثير التؤدد، نطيف البرة، لطيف التأني^(٣)، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على ضجة الملوك والأشراف، متفاض لإيثار السلاطين والأمراء، يسخرهم بخلافة لفظه، ويفتلهم^(٤) في الذروة والغارب بتزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينية بحذقه، ويضع^(٥) غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والجشمة بالبسط، عظيم المشاركة لأهل وده، والتعصب لإخوانه، إلف مألوف، كثير الأتباع والعلق^(٦)، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد الدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيّد ويؤلف، فلا يغدو السداد في ذلك، فارس مثير، غير جزوع ولا هباب^(٧). رخل إلى المشرق في كنف جشمة من جناب والده، رحمه الله، فحج وجاور، ولقي الجلة، ثم فارقه، وقد عرف بالمشرق حقه، وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميره اشتمالاً خلطه بنفسه، وجعله مفضى سره، وإمام جمعته، وخطيب مثيره، وأمين رسالته، فقدم في غرضها على الأندلس في^(٨) أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، فاجتذبه^(٩) سلطاتها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده في السادس لصفري عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأقعه للإقراء بالمدرسة من حضرته. وفي أخريات عام أربعة

(١) ترجمة ابن مرزوق في التعريف بابن خلدون (ص ٤٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٢) والديباج المذهب (ص ٣٠٥) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٥٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٥).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٦). (٣) في الأصل: «التأني» والتصويب من النفع.

(٤) يفتلهم: يداورهم. لسان العرب (قتل). (٥) في النفع: «ويصطنع».

(٦) العلق: الذين يتعلقون به ويتبعونه. لسان العرب (علق).

(٧) في النفع: «هباب». (٨) كلمة «في» غير واردة في النفع.

(٩) في الأصل: «واجذبه» والتصويب من النفع.

وخمسين^(١) بعده أطرّف عنه جفن برّه، في أسلوب طماح، ودالّة، وسبيل هوى وقحّة، فاغتتم العبرة^(٢)، وانتهاز الفرصة، وأنقذ في الرّحيل العزّمة، وانصرف عزيز الرّحلة، مغبوط المنقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة^(٣)، فاستقرّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محلّ تجلّة، وبساط قُرب، مُشترك الجاه، مُجدي التوسّط، ناجع الشّفاعَة، والله يتولّاه ويزيده من فضله.

مشيخته: من كتابه المسمى «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سُمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشّام والحجاز»: فمن^(٤) لقيه بالمدينة المشرّفة على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلامة عزّ الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي، صاحب خُطّتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي^(٥) الكريم، وأفرد جزءاً في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السّعدي العبّادي، تحمّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليُمن وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، ونائب الإمامة والخطابة به، ومُنشِد الأمداح النبوية هنالك وبمكة، شرفها الله، الشيخ المُعَمَّر الثّقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجّي^(٦) المكيّ. والشيخ الصّالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي. والشيخ مُقرّيء الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلي^(٧) البصري. والشيخ الإمام الصّالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحُجّة، انتهت إليه الرّئاسة العلمية والخطّط الشرعية بالحرم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عزّ الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكِنّاني، قاضي القضاة بمصر^(٨). وبمصر الشيخ علاء الدين القوّنوي. والثّقي السّعدي، وقاضي القضاة القزويني، والشرف أفضى القضاة الإخميمي، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحُفّاظ والعلماء بتونس، وبجاية، والزّاب، وتلمسان.

محنته: اقتضى^(٩) الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن، رحمه الله، وتوقّع^(١٠) عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليَمّ بالسّاحل بمدينة الجزائر، أن قبض

(١) في النّفع: «وخمسين صرف عنه جفن...». (٢) في النّفع: «الفترة».

(٣) قوله: «في أوائل... وسبعمائة» غير وارد في النّفع.

(٤) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٩). بتصرف المقرّي.

(٥) في النّفع: «بالمسجد الكريم النبوي». (٦) في النّفع: «الحجّي».

(٧) في النّفع: «الآبلي». (٨) في النّفع: «القضاة بالديار المصرية».

(٩) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧١). (١٠) كلمة «وتوقّع» غير واردة في نفع الطيب.

عليه يتلمسان أمراؤها المتوثبون عليها في هذه الفترة من بني زيان، إرضاء لقبيلهم المتهمة بمداخلته، وقد رحل عنهم دسيسا من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمرايين، فصرف مأخوذاً عليه طريقه، مُتَّهَباً رَحْلَهُ، مُتَّهَكَةً حُرْمَتَهُ، وَأُسْكَنَ قَرَارَةً مُطْبِقَ عَمِيقِ الْقَفْرِ، مُقْفَلَ الْمَسْلُوكِ، حَرِيزَ الْقِفْلِ، ثَانِي اثْنَيْنِ. ولأيام قُتِلَ ثَانِيهِ ذَبْحًا بِمَقْرَبَةٍ مِنْ شَفَى تِلْكَ الرُّكْبَةِ، وانقطع لشدة الثَّغَاف^(١) أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه. ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجأ ولا تَسْلُ كَيْفَ، وَخَلَّصَهُ اللهُ خِلَاصًا جَمِيلًا، وَقَدِمَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، وَاللهُ يَنْفَعُهُ بِمَحْنَتِهِ^(٢).

شعره، وما وقع من المكاتبة بيني وبينه: رَكِبَ^(٣) مع السلطان خارج^(٤) الحمراء، أيام ضربت اللوز قبايها البيض، وزينت الفخص العريض، والروض الأريض^(٥)، فارتجل في ذلك: [الكامل]

انظر إلى الشوار في أغصانه	يحكي النجوم إذا تبدت في الحلك
حيًا أمير المسلمين وقال: قد	عميت بصيرة من بغيرك مثلك ^(٦)
يا يوسفًا حزت الجمال بأسره	فمحاسن الأيام تومي هيت لك ^(٧)
أنت الذي صعدت به أوصافه	فيقال فيه: ذا عليك أو ملك ^(٨)

ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي على مَزْحَلَةٍ مِنْهَا بِمَا نَصَهُ^(٩): [الكامل]

يا قادمًا وافى بكل نجاح	أبشز بما تلقاه من أفراح
هذي ذرى ملك الملوك قلذ بها	تلل المني وتفز بكل سماح
مغنى الإمام أبي عنان يَمَمَنُ	تظفر ببحر في العلى طفاح

(١) قوله: «لشدة الثغاف» غير وارد في النسخ. (٢) في النسخ: «بنيته».

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢). (٤) في النسخ: «بخارج».

(٥) الأريض: الكثير المشب. لسان العرب (أرض).

(٦) مثلك: زعم أن لك مثيلاً. لسان العرب (مثل).

(٧) هيت لك: اسم فعل أمر بمعنى هلم وتعال؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٢٣.

(٨) أخذه من قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتُمْ فَقُلْتُمْ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٣١.

(٩) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩).

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عَنَانٍ ذِي^(١) الندى
 مَلَكٌ يُفِيضُ عَلَى الْغَفَاةِ نَوَالَهُ
 فَلَجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سَعْدَى^(٢) فِي الندى
 مَا أَنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ^(٣)
 بَسَطَ الْأَمَانَ عَلَى الْأَنَامِ فَأَصْبَحُوا
 وَهَمَى عَلَى الْعَافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ
 فَنَوَالُهُ وَجَلَالُهُ وَفِعَالُهُ
 وَبِهِ الدُّنَا أَضْحَتْ تَرَوْقُ وَأَصْبَحَتْ
 مِنْ كَانَ ذَا تَرَجٍ فَرَوِيَّةٌ وَجْهَهُ
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدَ الْإِلَهِ تَفَزَّ بِمَا
 لَا زَلَّتْ تَرْتَشِفُ الْأَمَانِي رَاحَةً

بِسْوَاهِ قَاسٍ الْبَحَرَ بِالضُّخْضَاحِ^(٤)
 قَبْلَ السُّؤَالِ وَقَبْلَ بَسْطَةِ رَاحِ
 ذِكْرُ مَحَاهٍ مِنْ نِدَاهِ مَاحِ
 مِنْ أَرِيحِي لِلْنَدَى مُرْتَاحِ
 قَدْ أَلْجَفُوا مِنْهُ بِظِلِّ جَنَاحِ
 حَتَّى حَكَى سَخَّ الْغَمَامِ السَّاحِ
 فَاقَتْ وَأَغْيَتْ أَلْسُنَ الْمُدَاحِ
 كُلُّ الْمُنَى تَنْقَادُ بَعْدَ جِمَاحِ
 مِثْلَافَةُ الْأَحْزَانِ وَالْأَتْرَاحِ
 تَبْغِيهِ مِنْ أَمَلٍ وَنِيلِ نَجَاحِ
 مِنْ رَاحَةِ الْمَوْلَى بِكُلِّ صَبَاحِ

والحمد^(٥) لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تُحصى، حمداً يؤمُّ به جميعنا
 المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان مُعْظَمُ سيدي للأسى في خبال،
 وللأسف بين اشتغال بال، واشتغال بلبال^(٦). ولقدومكم على هذا المقام^(٧) العلي في
 ارتقاب، ولمواعيدكم^(٨) بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب، فها أنت
 تجتلي، من هذا المقام العلي، لتُشيعك^(٩) وجوه المسرات صباحاً، وتتلقى أحاديث
 مكارمه ومواهبه مُسندة صباحاً، بحول الله. وليسيدي الفضل في قبول مَرْكُوبِهِ الْوَاصِلِ
 إليه بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ، فهو من بعض ما لدى المحب^(١٠) من إحسان مولاي^(١١)
 وإنعامه. ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مُسْتَقَرِّهِ مع غيره. فالحمد لله الذي
 يَسِّرُ فِي إِيْصَالِهِ، عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ.

فراجعتة بقولي^(١٢): [الكامل]

رَاحَتْ تَذْكُرُنِي كُؤُوسَ الرَّاحِ وَالْقُرْبُ يَخْفُضُ لِلْجَنُوحِ جَنَاحِي

(١) في النفع: «في الندى».

(٢) الضخضاح: الماء القليل. محيط المحيط (ضخضح).

(٣) ابن سعدى: هو أوس بن حارثة الطائي. (٤) في النفع: «ما إن سمعت ولا رأيت بمثله».

(٥) ما يزال النص الثري والشعري في نفع الطيب (ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٦) البلبال: الوسواس. لسان العرب (بلبل). (٧) في النفع: «هذا المحل المولوي».

(٨) في النفع: «ولمواعيدكم». (٩) في النفع: «بتشيعك».

(١٠) في النفع: «المعظم». (١١) في النفع: «مولاه».

(١٢) في النفع: «بما نصه».

وَسَرَتْ تَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ كَأَنَّمَا
حَسَنَاءُ قَدْ غَنِيَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا
أَمْسَتْ تَحْضُ عَلَى اللَّيَازِ بِمَنْ جَرَتْ
بِخَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُؤَيَّدِ فَارِسِ
مَا شِثَّ مِنْ هِمَمٍ^(٢) وَمِنْ شِيمٍ غَدَتْ
فَضَلَ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ يُذَرُّ شَاوَهُ
أَسْنَى بَنِي عَبَّاسِهِمْ بِلَوَائِهِ الـ
وَعَدَتْ مَغَانِي الْمُلْكِ لَمَّا حَلَّهَا
وَحَيَاةٍ مِنْ أَهْدَاكَ تَحْفَةَ قَادِمٍ
مَا زِلْتُ أَجْعَلُ ذِكْرَهُ وَثَنَاءً
وَلَقَدْ تَمَازَجَ حُبُّهُ بِجَوَارِحِي
وَلَوْ أَنَّنِي أَبْصَرْتُ يَوْمًا فِي يَدِي
فَالآنَ سَاعِدَنِي الزَّمَانُ وَأَيَّقَنْتُ
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَإِنِّهِ
أَمَا إِذَا اسْتَنْجَذْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا
فَالْيَكْهَ مَهْزُولَةً وَأَنَا أَمْرٌ

دَلَّ النَّسِيمُ عَلَى انْبِلَاجِ صَبَاحٍ
عَنْ دُمْلُجٍ وَقِلَادَةٍ وَوَشَاحٍ
بَسْعُودِهِ الْأَقْلَامُ فِي الْأَفْرَاحِ^(١)
شَمْسِ الْمَعَالِي الْأَزْهَرِ الْوَضَاحِ
كَالزُّهْرِ أَوْ كَالزُّهْرِ فِي الْأَذْوَاحِ
أَتَى يُقَاسُ الْغَمْرُ بِالضُّخْضَاحِ؟
مَنْصُورٍ أَوْ بِخُسَامِهِ السُّفَاحِ
تُزْهِى بِبَدْرِ هُدًى وَبَخْرٍ سَمَاحٍ
فِي الْعَرْفِ مِنْهَا رَاحَةُ الْأَرْوَاحِ
رُوحِي وَرِيحَانِي الْأَرِيحِ وَرَاحِي
كَتَمَازِجِ الْأَجْسَامِ بِالْأَرْوَاحِ
أَمْرِي لَطَرْتُ إِلَيْهِ دُونَ جَنَاحِ
مَنْ قُرْبِهِ نَفْسِي بِفُوزٍ قِدَاحِي
لِنِدَاءٍ وَدُ فِي غُلَاكِ صُورَاحِ
رَكَدَتْ لَمَّا خَبَّتِ الْخَطُوبُ رِيَا حِي
قَرُزْتُ عَجْزِي وَاطَّرَخْتُ سِلَاحِي

سَيِّدِي^(٣)، أَبْقَاكَ اللَّهُ لِعَهْدِ تَحْفَظِهِ، وَوَلِيَّ بَعِينِ الْوَلَاءِ تَلَحُّظِهِ، وَصَلْتَنِي رُقْعَتَكَ
الَّتِي ابْتَدَعْتَ^(٤)، وَبِالْحَقِّ مِنْ مَدْحِ^(٥) الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ صَدَعْتَ، وَأَلْفَتَنِي وَقَدْ سَطَّتْ بِي
الْأَرْحَالُ^(٦)، حَتَّى كَادَتْ تُتْلَفُ الرُّحَالُ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْغَدَاةِ قَدْ شَمُرَتْ كَشْحَ الْبَطِينِ،
وِثَانِيَةِ الْعَجْمَاوِينَ^(٧) قَدْ تَوَقَّعَ قَوَاتِ وَقْتِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَلَاتُهَا صَلَاةَ الطِّينِ، وَالْفَكْرُ قَدْ
غَاضَ مَعِينَهُ، وَضَعُفَ وَعَلَى اللَّهِ جَزَاءُ الْمَوْلَى الَّذِي يُعِينُهُ، فَغَزَّتْنِي بِكُتَيْبَةٍ بَيَانِ أَسْدِهَا
هَضُورُ، وَعَلَمُهَا مَنْصُورُ، وَالْفَاظُهَا لَيْسَ فِيهَا قُصُورُ، وَمَعَانِيهَا عَلَيْهَا الْحُسْنُ مَقْصُورُ،
وَاعْتِرَافٌ مِثْلِي بِالْعَجْزِ فِي الْمَضَاقِقِ حَوْلَ وَمِثَّةٍ، وَقَوْلُ «لَا أَدْرِي» لِلْعَالَمِ فَكَيْفَ لغيره

(١) في النفع: «في الأرواح».

(٢) في النفع: «من شيم ومن همم».

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٤) في النفع: «أبتدعت».

(٥) في النفع: «من مولى».

(٦) في النفع: «الأوجال».

(٧) ثانية العجماءوين: صلاة العصر، وأولاهما صلاة الظهر؛ لأنهما لا يجهر فيهما بالقراءة. لسان العرب (عجم).

جُئْتُ، لكنها بشرتني بما يَقِلُّ لمهديه^(١) بَذُلُ النفوس وإن جَلَّتْ، وأُطْلَعْتَنِي من السراءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ، بما أعلمت^(٢) به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله، في عَبدِهِ، وصِدْقِ المَخِيلَةِ في كَرَمِ مَجْدِهِ. وهذا هو الجود المَخْضُ، والفضلُ الذي شُكْرُهُ هو الفَرَضُ. وتلك الخلافة المَوْلَوِيَّةُ تُصَفُّ بصفة^(٣) مَنْ يَبْدَأُ بِالتَّوَالِ، من قَبْلِ الضَّرَاعَةِ والسَّوَالِ، من غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يُبْقِيَ منها على الإسلام أَوْفَى الظَّلَالِ، وَيُبَلِّغَهَا من فضله أَقْصَى الآمالِ. ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية، والتحفة الودية، وقبلتها امتثالاً، واستجليتُ منها عِثْقًا وَجَمَالًا. وسيدي في الوقت أَنَسَبُ إلى اتخاذ^(٤) ذلك الجنس، وأقدرُ على الاستكثار من إناث البَهِمِ والإنس. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلا في الثَّدْرَةِ، فلو رأى سيدي، ورأيه سَدَادٌ، وَقَضْدُهُ فَضْلٌ ووِدَادٌ، أن ينقل القَضِيَّةَ إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجوب^(٥) الحقوق المترتبة، لَبَسْتُ خَاطِرِي وَجَمَعْتُ، وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حالي معه، وقد استصحبت مركوبًا يَشُقُّ عليَّ هجره، ويناسب مقامي شكله ونَجْرُهُ^(٦)، وسيدي في الإسعاف على الله أَجْرُهُ، وهذا أمر عرض، وفرض فَرَضٌ، وعلى نظره المَعْوَلُ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول. والسلام على سيدي من مُعْظَمِ قَدْرِهِ، ومُلْتَزِمِ بَرِّهِ، ابن الخطيب، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة^(٧) خمس^(٨) وخمسين وسبعمائة، والسَّمَاءُ قد جادت بمطرٍ سَهَرَتْ منه الأجفان، وظُنُّ أنه طُوفَانٌ، واللَّحَافُ في غَدٍ^(٩) بالباب المولوي، مؤملٌ بحول الله.

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة^(١٠): [مجزوء الرجز]

أَيَا نَسِيمٍ^(١١) السَّحَرِ بِالله^(١٢) بَلَّغَ خَبَرِي
إِنْ أَنْتَ يَوْمًا بِالْجَمَى جَرَرْتَ فَضْلَ الْمُزَرِّ

(١) في النفع: «المؤديه».

(٢) في النفع: «بصفات».

(٣) في النفع: «وجود».

(٤) في النفع: «وجود».

(٥) الثَّجَرُ، بفتح النون وسكون الجيم: الأصل واللون. لسان العرب (نجر).

(٦) كلمة «سنة» غير واردة في النفع.

(٧) في الأصل: «خمس» وهو خطأ نحوي.

(٨) في النفع: «غدها».

(٩) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢ - ٣٧٨).

(١٠) في نفع الطيب: «قُلْ لنسيم».

(١١) في نفع الطيب: «الله».

ثم حششت الخطر من فوق الكشيب الأغفر
مستقرىا في عشبته تروي عن الضحك في الر
مخلق الأذيال بالوصف لجيران الحمى
وخلقهم ما غيرت لله عهد فيه قض
أيامه هي التي وبالليل فيه ما
العمر فئتان ووج والشمل بالأحباب من
صفو من العيش بلا ما بين أهل تطف ال
وبين آمال تبي يا شجرات الحي حى
إذا أجال الشوق في خرّجت من خدي حدي
وقلت يا خد أزو من عهدي بحادي^(٣) الركب كال
والعيس تجتاب القلا تخبط بالأخفاف مظ
قد عطفت عن مديد

فوق الكشيب الأغفر خفي^(١) وطء المطر
وض حديت الزفر عبير أو بالعنبر
وخدي بهم وسهري وذي صروف الغير
يت حميد الأثر أخسبها من عمري
عيب بغير القصر ه الدهر طلق السور
ظوم كنظم الدور شائبة من كسدر
أنس جني الثمر ح القرب صافي الغدر^(٢)
اك الحيا من شجر تلك المغاني فكري
ك الدمع فوق الطر دمي صبحاح الجوهرى
وزقاء عند السحر واليغملا تنبيري^(٤)
لوم البرى وهو برى^(٥) والتفتت^(٦) عن حور

(١) في نفع الطيب: «مخفي وطء». (٢) الغدر: جمع غدير. لسان العرب (غدر).

(٣) حادي الركب: الذي يحدد للإبل لتنشط في سيرها. لسان العرب (حدا).

(٤) اليغملا: جمع يغملة وهي الناقة النجبية المعتملة المطبوعة على العمل. تنبيري: تعترض، أي إنها تباري الإبل في سرعة سيرها. محيط المحيط (عمل) و(برى).

(٥) البرى، بالفتح: التراب. برى: أي برىء، فسهل الهزمة. لسان العرب (برى) و(برأ).

(٦) في الأصل: «والتفت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

قِسِي سَيْرٌ^(١) ما سوى الـ
حتى إذا الأعلامُ خُلِدَ
واستَبَشَرَ النازحُ بالـ
وعَيْنِ المِيقَاتِ للـ
والناس^(٢) بين مُخْرِمِ
لَبِيكَ لَبِيكَ إلـ
ولاحِثِ الكُفَّةِ بيـ
مَقَامِ إِبْرَاهِيمِ والـ
واغْتَنِمِ القَوْمَ طَوَا
وأَعْقِبُوا رُكْعَتِي السُّـ
وَعَرَّفُوا فِي عَرَفَا
ثم أَفَاضِ النَّاسَ سَعـ
فَوَقَّفُوا وَكَبَّرُوا
وفي مَنَى نَالُوا المُنَى
وبَعْدَ رَمَى الجَمْرَا
أَكْرَمِ بِذَاكَ الصُّخْبِ^(٣) والـ
يَا قَوْزَهُ مِنْ مَوْقِفِ
حتى إذا كَانَ الودَا
فَأَيُّ صَبِيرٍ لَمْ يَخْضَنْ
وَأَيُّ وَجْدٍ لَمْ يَصُصِلْ

عَزَمَ لَهَا مِنْ وَثَرِ
لَتَ لِحَفْسِي البَشِيرِ
قَرَبَ وَنِيلِ الوَطَرِ
فَرٍ^(٤) نَجَاحِ السُّفَرِ
بالحِجِّ أَوْ مُغْتَمِرِ
ه الخَلْقِ بَارِي الصُّورِ
تُ اللهُ ذَاتُ الأَثَرِ
مَأْمُنٌ عِنْدَ الدُّعْرِ
فَ القَادِمِ المُبْتَدِرِ^(٥)
عِي اسْتِلَامِ الحَجَرِ
تِ كُلِّ عَرَفٍ أَذْقِرِ^(٦)
يَا فِي غَدٍ لِلْمَشْعَرِ^(٧)
قَبْلَ الصَّبَاحِ المُسْفَرِ
وَأَيَقِنُوا بِالظُّفَرِ
تِ كَانَ خَلْقُ الشُّعَرِ
لَهُ وَذَاكَ النُّفَرِ^(٨)
يَا رُبْحَهُ مِنْ مَشْجَرِ
عُ وَطَوَافِ الصُّدْرِ^(٩)
أَوْ جَلْدٍ لَمْ يَغْدُرِ^(١٠)
وَسَلْوَةٍ لَمْ تُهْجَرِ

(١) يشبه الإبل الهزيلة السريعة بالقسي.

(٢) في النفع: «فالناس».

(٣) المبتدر: الممرع إلى عمل شيء، وأراد: طواف القدوم. لسان العرب (بدر).

(٤) الأذقر: الطيب الرائحة. لسان العرب (ذقر).

(٥) المشعر: موضع مناسك الحج. محيط المحيط (شعر).

(٦) في النفع: «السفر».

(٧) في النفع: «السفر».

(٨) في النفع: «السفر».

(٩) الصَّدْر: الرجوع، وطواف الصدر هو الطواف الذي يكون آخر أعمال الحج، سمي بذلك لأنهم يعودون بعده إلى بلادهم.

(١٠) يقول: إنهم جزعوا لمفارقة مكة.

ما أفجع البين لقد
 ثم ثنوا نحو رسو
 فعاينوا في طيبة
 زاروا رسول الله واسـ
 نالوا به ما أملاوا
 على الضجيعين أبي
 زيارة الهادي الشفيـ
 فأحسن الله عزـ
 ربح ترى مستنزل الـ
 وملتقى جبريل بالـ
 وروضة الجنة بالـ
 منتخب الله ومـ
 والمُنْتَقَى والكون من
 إذ لم يكن في أفق
 ذو المعجزات الثر أمـ
 يشهد بالصدق له
 والضُّبُّ والطَّيْبُ إلى
 من أطلع الألف بصا
 والجيش رؤاه بما
 يا كُتْنَةَ الكون التي
 يا حجة الله على الـ
 يا أكرم الرُّسُل على الـ

ب الواله المُسْتَغْفِر^(١)
 ل الله سَيْر الضُّمَر
 لألاء نـور نـسـر
 تشققوا بلثم الجذر
 وعرجوا في الأثر
 بكر الرضا وعمر
 مع جنة^(٢) في المـخـشـر
 قاصد لم يـزـر
 أي به والـشـوـر
 هادي الزكي العنصر^(٣)
 ين روضة ومنـبـر
 تار الوزي من مـضـر
 ملابس الخلق عري
 من رُحْل أو مُشْتَرِي^(٤)
 ثال النجوم الزهر
 منها انشقاق القمر^(٥)
 تُطْقِي الحصى والشجر
 ع في صحيح الخبر
 الراحة المُنهمر
 فائت منال الفكر^(٦)
 رائج والمبتكر
 له وخير البشر

(١) في النفع: «المُستغفر».

(٢) الجنة: بضم الجيم: الوقاية. لسان العرب (جنن).

(٣) أراد بالزكي العنصر: النبي ﷺ.

(٤) في نفع الطيب: «ومشتري».

(٥) انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ السَّاعَةَ أَفَشَقَّ الْقَمَرُ﴾. سورة

القمر ٥٤، الآية ١.

(٦) الفِكْرُ: جمع فكرة، وأراد العقول، وقوله: فائت منال الفكر: أي عجز المفكرون عن إدراك حقيقته.

يا من له الشُّقْدم الـ
يا من لدى مؤلده
إيوانٌ كَسْرِي ارتَجُّ إذ
ومَوْقِدُ النار طفا
يا غُمدتي يا مَلْجئي
يا من له اللّواء والـ
يا منقذُ الغَرْقى وهم
إن لم تُحَقِّقْ أَملي
صَلِّ على عَليكَ الله يا
يا وِبحَ نفسي كم أرى
واحسرتي^(١) من قِلَّةِ الـ
يُجِجُنِي والله بالـ
يا حُسْنَهَا من خُطْب
يا حُسْنَهَا من شَجَر
أومِّلُ الأَوْبَةَ والسـ
أَسُوِّفُ السَّعْزَ بِهَا^(٢)
من صَفَرٍ لِرَجَبٍ
ضَيِّغَتْ في الكُبْرَةِ ما
وليس ما مَرُّ من الـ
وقلِّ ما أن حُمِدَتْ
ولي غريمٌ لا يَنسي
يا نَفْسُ جَدِّي قد بدا الـ
واتعظي بمن مَضَى

حقُّ على الشُّأخِر
المُقدَّس المُطَهَّر
ضاقت^(٣) قُصُورُ قَيْصَر
كأنها لم تُسْعَرْ^(٤)
يا مَفْزَعِي يا وَزْري
حَوْضُ وَوَرْدُ الكَوْثَر
رَهْنُ العذابِ الأكبر
بُؤْتُ بِسُعي المُخْصِر
نور الدُّجَا المُعْتَكِر
من غَفَلتي في غَمَر^(٥)
زَادَ وَيُغْدِ السُّفَر
يَهرهان وَغَطُّ المَنبَر
لو حرَّكَت من نظري^(٦)
لو أَوْرَقَتْ من ثَمَر
أَمْر بِكفِّ القَدَر
من شَهْرِ لِشَهْر
من رَجَبٍ لَصَفَرٍ
أَغْدَذْتُهُ في صِغَرِي
أَيامَ بِالمُنْتَظَر
سلامةً في غَرَر
عن^(٧) طَلَبِ المُتَكَبِّر
صَبَحَ أَلَا فاغْتَبِرِي
وازْدَعِي واَزْدَجِرِي

(٢) في النفع: «ضامت».

(١) في النفع: «ضامت».

(٣) في النفع: «في غفلة من غمري».

(٤) في الأصل: «واحسروا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «من نظري» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «في».

(٧) في النفع: «به».

ما بغد شَيْبِ الْفَوْدِ مِنْ
 أَنْتِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى
 وَلَيْسَ مِنْ عُنْدِ يُقْيِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى
 هَلْ أَرْتَجِي مِنْ عَوْدَةٍ
 فَأَبْرُدَ الْقُلَّةَ مِنْ
 مَقْتَدِيَا بَمَنْ مَضَى
 نَالُوا جَوَارَ اللَّهِ وَهـ
 أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ مَوْ
 فَوْعَدُهُ لَا يَمُتُّرِي
 فَهُوَ^(٥) الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى
 أَكْرَمُ مَنْ نَالَ الْمُنَى^(٦)
 مُنْهَدَ الْمَلِكِ وَسِيـ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ السَّيِّدِ
 وَكَانَ مِنْهُ الْخُبْرُ فِي الْـ
 فَصْدُقِ الثَّصْدِيقُ مِنْ
 وَمُسْتَعِينُ اللَّهِ فِي
 فَاقَ الْمُلُوكَ الصُّيْدَا^(٧) بِالـ
 فَأَصْبَحَتْ أَلْقَابُهُمْ
 وَحَازَ مِنْهُمْ^(٨) أَوْحَدُ
 بِرَأْيِهِ الْمَأْمُونُ أَوْ
 بِسَيْفِهِ السُّفَّاحُ أَوْ
 مُرْتَقَّبِ قَشْمَرِي
 فِي قُلْعَةٍ^(١) أَوْ سَفَرٍ^(٢)
 مِ حُجَّةَ الْمُفْتَنِّ
 تَسْرِقُ طَيْبَ الْعُمَرِ
 أَوْ رَجْعَةَ أَوْ صَدْرِ
 ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِرِ^(٣) ؟
 مِنْ سَلَفٍ وَمَغْشَرِ
 وَالْفَخْرُ لِلْمُفْتَخِرِ
 لَانَسَا بِلَوْغِ الْوُطَرِ
 فِي الصَّدَقِ مِنْهُ الْمُتَمَرِي^(٤)
 وَالْخَيْرُ ابْنُ الْخَيْرِ
 بِالْمُرْهَفَاتِ الْبُثْرِ
 فِ الْحَقِّ وَاللَيْثِ الْجَرِي
 فَاقَ بِحَسَنِ السَّيْرِ
 عَالِيَاءِ وَفَقَّ الْخَبِيرِ
 مَرَّاهَ لِلثَّصْصُورِ
 وَزِدَ لَهُ وَصَدْرِ
 مَجْدِ الرُّفِيعِ الْخَطَرِ
 مَنَسِيَّةً لَمْ تُذْكَرِ
 وَضَفَّ الْعَدِيدَ الْأَكْثَرِ
 عَسْكَرَهُ الْمُظْفَرِ
 بِعَزْمِهِ الْمُقْتَدِرِ^(٩)

(١) القُلْعَةُ: الانتقال. لسان العرب (قلع).

(٢) فِي النَّفْعِ: العذب البارد. لسان العرب (خسر).

(٣) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ: «ممتري». وامتري في الشيء: شك فيه. محيط المحيط (مرى).

(٤) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ: «وهو». (٥) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ: «الغلا».

(٦) فِي الْأَصْلِ: «الصيد»، والتصويب من النفع.

(٧) فِي النَّفْعِ: «منه».

(٨) فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي يَلِيهِ تَوْرِيَّةٌ بِأَسْمَاءَ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ.

بالْعَلَمِ المنصور أو بالذابل المُستَنصِر^(١)
 بابن^(٢) الإمام الطـ همر البرّ الزكي السّير
 مَذْحُكٌ قَدْ عَلِمَ نَظـ هم الشّعر مَنْ لَمْ يَشْعِر
 جَهْدُ الْمُقِلِّ اليَوْمَ مِنْ مثلي كَوْشَعِ الْمُكْثَرِ
 فَإِنْ يُقْصِرَ ظَاهِرِي فلم يُقْصِرْ مُضْمِرِي

وَوَرَدَتْ^(٣) عَلَى^(٤) باب السلطان الكبير العالم^(٥) أَبِي عَنان، قَبَلَوْتُ مِنْ
 مشاركته، وَحَمِيد سَعِيهِ مَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ. وَلَمَّا نَكَبَهُ لَمْ أَقْصِرْ عَنْ مُمَكِّنِ حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ.
 وَلَمَّا^(٦) هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنان، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ الْمُتَلَحِّقِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ
 أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ، كَانَ مِمَّنْ دَمَتْ^(٧) لَهُ الطَّاعَةُ، وَأَنَاخَ رَاحِلَةَ
 الْمُلْكِ، وَحَلَبَ ضَرْعَ الدَّعْوَةِ^(٨)، وَخَطَبَ عُرُوسَ الْمَوْهَبَةِ، فَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِي مَتَابِ
 مَعْقُودٍ مِنْ لَدُنِ الْأَبِ، مَشْدُودٍ مِنْ لَدُنِ الْقُرْبَةِ^(٩)، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ
 كُتْبٍ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْرِهِ، وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَنْهُ بَيْتَهُ، وَلَا أَنْفَرِدَ بِمَا سِوَى
 بَضْعِ أَهْلِهِ، بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَلَا يَمْخُوحُ وَيُثْبِتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ
 حَدِّهِ، فَغَشِيَتْ بَابَهُ الْوُفُودُ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأُمَالُ، وَخَدِمَتْهُ
 الْأَشْرَافُ وَجُلِيَّتْ إِلَى سُدَّتِهِ بَضَائِعُ الْعُقُولِ وَالْأُمُوالِ، وَهَادَتْهُ الْمُلُوكُ، فَلَا تَخْذُو^(١٠)
 الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تَحْطُ الرِّحَالُ إِلَّا لَدَيْهِ. إِنْ خَضَرَ أُجْرِي الرِّسْمِ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ
 وَالنَّهْيَ، لَخَطَا أَوْ سِرَارًا أَوْ مَكَاتِبَةً، وَإِنْ غَابَ، تَرَدَّدَتْ الرُّقَاعُ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ. ثُمَّ
 أَنْفَرِدَ أَخِيرًا بَبَيْتِ الْخَلْوَةِ، وَمُنْتَبِذَ الْمُتَأَجَّجَةِ، مِنْ دُونِهِ مُصْطَفَى الْوُزَرَاءِ، وَغَايَاتِ
 الْحُجُبَابِ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ تَبِعَتْهُ الدُّنْيَا، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ، وَوُقِفَتْ بِيَابَهُ الْأُمَرَاءُ،
 قَدْ وَسَّعَ الْكُلُّ لَخْظَهُ، وَشَمِلَتْهُمْ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَالْأُمُوالِ رَغِيئُهُ، وَوَسَّسَ أَفْذَادَهُمْ
 تَسْوِيدُهُ، وَعَقَدَتْ بَيْنَانِ عَلَيْهِمْ بَنَانُهُ. لَكِنْ رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً^(١١) لَا تُدْرِكُ، وَالْحَقْدُ^(١٢)
 بَيْنَ بَنِي آدَمَ قَدِيمٍ، وَقَبِيلُ الْمَلِكِ مَبَايِنٌ لِمِثْلِهِ، فَطُويِتِ الْجَوَانِحُ مِنْهُ^(١٣) عَلَى سَلِّ،

(١) في النفع: «المتنصر».

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٣) كلمة «على» غير واردة في النفع.

(٤) كلمة «العالم» غير واردة في النفع.

(٥) كلمة «العالم» غير واردة في النفع.

(٦) في النفع: «فلما».

(٧) في النفع: «دانت».

(٨) في النفع: «الدولة».

(٩) في النفع: «التقرب».

(١٠) في النفع: «الغاية».

(١١) في النفع: «الحسد».

(١٢) في النفع: «الغاية».

(١٣) كلمة «منه» غير واردة في النفع.

وَحْنِيَتْ الضُّلُوعُ عَلَى بَثٍّ، وَأَغْمَضَتْ الْجَفُونَ عَلَى قَذَى، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ تَكْبِيَّتِهِ^(١) مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ طُهْرًا.

وَلَمَّا جَرَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى السُّلْطَانِ^(٢) بِالْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ لِحَاقٍ جَمِيعَنَا بِالْمَغْرِبِ، جَنَيْتُ ثَمْرَةً مَا أَسْلَفْتُهُ فِي وَدَّهِ، فَوْقَى كَيْلَ^(٣) الْوَفَا، وَأَشْرَكَ فِي الْجَاءِ، وَأَدْرُ الرِّزْقِ، وَرَفَعَ الْمَجْلِسَ بَعْدَ التَّسْبِيبِ^(٤) فِي الْخِلَاصِ وَالسَّعْيِ فِي الْجَبْرِ، جَبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ لَهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ذَلِكَ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٩^(٥).

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ سُلْطَانِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَذَفَ بِهِ بِحَرِّ التَّمْحِيطِ إِلَى شَطْطِهِ، وَأَضْحَى جَوْ الثُّكْبَةِ بَعْدَ انْطِيقِهِ، آثَرَ التَّشْرِيقِ بِأَهْلِهِ وَجُمْلَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ بِتُونِسَ خَطِيبَ الْخِلَافَةِ، مَقِيمًا عَلَى رَسْمِهِ مِنَ الثُّجَلَةِ، ذَائِعَ الْفَضْلِ هُنَالِكَ وَالْمُشَارَكَةِ، وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ إِلَى الْآنَ، كَانَ اللَّهُ لَهُ.

وَكُنْتُ^(٦) أَحْسَنْتُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ^(٧) الْوَارِدَةِ صَاحِبَةً إِلَى الدُّنْيَا، وَحْنِيًا لَمَّا فَارَقَ^(٨) مِنْ غُرُورِهَا، فَحَمَلَنِي الطُّورُ الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، عَلَى أَنْ خَاطَبْتُهُ^(٩) بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَحَقَّقْتُ أَنْ يَجْعَلَهَا خِدْمَةً الْمُلُوكِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى نُبْلِ، أَوْ يُلَمَّ^(١٠) بِمَعْرِفَةٍ، مُضْحَفًا يَذُرُّهُ، وَشِعَارًا يَلْتَزِمُهُ، وَهِيَ^(١١):

سَيِّدِي الَّذِي يَدُهُ الْبَيْضَاءُ لَمْ تَذْهَبْ بِشَهْرَتِهَا الْمَكَاافَةِ^(١٢)، وَلَمْ تَخْتَلَفْ فِي مَذْحِهَا الْأَفْعَالِ وَلَا تَغَايِرَتْ فِي حَمْدِهَا^(١٣) الصِّفَاتِ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا الْعِظَامُ الرُّفَاتِ، أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكُونِ^(١٤) كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَغْضِهِ، وَرَشَّدَكَ^(١٥) فِي سَمَائِهِ الْعَالِيَةِ وَأَرْضِهِ، وَحَقَّرَ الْحِظَّ فِي عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَحْمِلُكَ عَلَى رَفْضِهِ. اتَّصَلَ بِي الْخَبِيرُ السَّارُ مِنْ تَرْكِكَ لَشَانِكَ، وَإِجْنَاءِ اللَّهِ إِيَّاكَ ثَمْرَةً إِحْسَانِكَ، وَأَنْجِيَابِ ظَلَامِ

(١) في النفع: «نكبتة الثالثة».

(٢) في النفع: «فوقى الكيل».

(٣) في النفع: «التسبب».

(٤) سورة الشعراء ٢٦، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) في النفع: «كتبه الواردة إلى صاغية...» (٨) في النفع: «بلا».

(٩) في النفع: «أخاطبه».

(١٠) في النفع: «ويلم».

(١١) الرسالة مع الشعر في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩).

(١٢) في النفع: «المكافات».

(١٣) قوله: «في حمدها» غير وارد في النفع.

(١٤) في النفع: «كل الكون».

(١٥) في النفع: «وزهدك في سمائه الفانية وفي أرضه».

الشدة الحالِك، عن أفق حالِك، فكبرت^(١) لانتشاق عفو الله العطر^(٢)، واستغبرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج لا يسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدِر^(٣)، إنما هو فني^(٤)، وظل ليس له من الأمر شيء، ونسأله^(٥) جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها، وأول معارج نفسك التي تُقربها من الحق وتُذنيها، وكأني^(٦) والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها ولا حول ولا قوة إلا بالله لطبعك، وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والمليك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول: ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها^(٧) الرتبة العليا، وأفرض^(٨) المِثال لحالة^(٩) إقبالها، ووَضل جبالها، وضراعة سبالتها، وخشوع جبالها. ألتوقع المَكروه صباح مَسا^(١٠)، وارتقاب الجِوالة التي تُدِيل من التعيم البأسا^(١١)، ولزوم المنافسة التي تُعادي الأشراف والرؤسا^(١٢)؟ أَلترتب العُشب، حتى^(١٣) على التقصير في الكُتب، وضعية جارِ الجنب، ولوع الصديق بإحصاء الذنب؟ أَلنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري، وتطويقك الموبقات وأنت منها غري؟ أَلاستهدافك للمضار التي تُتجها غيرهُ الفروج، والأحقاد التي تُضطبها^(١٤) رَكبة السروج وسَرْحَةُ المروج، ونجوم السما ذات البروج؟ أَلتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصححت إليه فاقتك، من حاجة لا يفتضي قضاءها^(١٥) الوجود، ولا يَكفيها^(١٦) الركوع للملك والسجود؟ أَلقطع الزمان بين سلطان يُعبد، وسِيهام للغيوب تُكبد، وعجاجة^(١٧) شرّ تلبّد، وأقبوحة تُخلد وتؤبّد؟ أَلوزير يُصانع ويُدارى، وذو حجة صحيحة يُجادل في مرضاة السلطان ويُمارى، وعزرة لا تُوازي؟ أَلمباكرة كل عائب^(١٨) حاسد، وعدو مُستأيد، وسوقٍ للإنصاف والشفقة كاسيد، وحالٍ فاسد؟ أَللوفود^(١٩) تتزاحم بسدتك،

- (١) قوله: «فكبرت» وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت، لا يسوى...، غير وارد في النفع.
 (٢) في الأصل: «العاطر»، وقد صوبناه لتستقيم السجعة.
 (٣) يبتدِر: يسرع.
 (٤) الفني: الظل.
 (٥) في النفع: «ونسأل الله جلّ وعلا...». (٦) في النفع: «وكأني».
 (٧) الزبرج: الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك. محيط المحيط (زبرج).
 (٨) في النفع: «ونفرض».
 (٩) في النفع: «بحال».
 (١٠) في النفع: «صباحا ومساء».
 (١١) في النفع: «البأساء».
 (١٢) في النفع: «والرؤساء».
 (١٣) كلمة «حتى» غير واردة في النفع.
 (١٤) في النفع: «تضبطها».
 (١٥) في الأصل: «لقضاها» والتصويب من النفع.
 (١٦) في النفع: «ولا يكفيها».
 (١٧) العجاجة: العجاج وهو الغبار. محيط المحيط (عجج).
 (١٨) في النفع: «قرن».
 (١٩) في النفع: «الوفود».

مُكَلِّفَةٌ لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوِّقِكَ، فَإِنْ لَمْ تَنْتَلِ أَغْرَاضَهَا^(١) قَلَبْتَ عَلَيْكَ السَّمَاءَ مِنْ فَوْقِكَ؟ الْجُلُوسُ بِيَابِكَ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ^(٢) رَجُوعِكَ وَإِيَابِكَ، إِلَّا بِقَبِيحِ اغْتِيَابِكَ؟ فَالتَّصَرُّفَاتُ تُنْقَتُ، وَالْقَوَاطِعُ التَّجُومِيَّاتُ^(٣) تُؤَقَّتُ، وَالْأَلَاقِي^(٤) تُبَثُّ، وَالسَّعَايَاتُ تُحَثُّ، وَالْمَسَاجِدُ يُشْتَكَى فِيهَا^(٥) الْبَثُّ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي يَدِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِمَارِ الْمَدْبُورِ، وَالْيَتِيمِ الْمَخْجُورِ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ، لَيْسَ لَهُ شَهْوَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَا أَمَلٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَرْبٌ، وَلَا مَوْجِدَةٌ^(٦) لِأَحَدٍ كَامِنَةٌ، وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَنِ رَأْيِ نَفَرَةٍ، وَلَا بِلِزَاءِ مَا لَا يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفَرَةٌ، إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصِيدِكَ، وَعَانٌ فِي قَيْدِكَ، وَآلَةٌ لَتَصْرِفَ كَيْدَكَ، وَأَنْتَ عِلَّةُ خَيْفِهِ، وَمُسَلِّطُ سَيْفِهِ: الشَّرَارُ يَسْمُلُونَ عُيُونَ النَّاسِ بِاسْمِكَ، ثُمَّ يَمَزَّقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَزْقَ جِسْمِكَ، قَدْ تَتَخَلَّاهُمْ الْوُجُودُ أَخْبَثَ مَا فِيهِ، وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ، إِذِ الْخَيْرُ يُسْرُهُ^(٧) اللَّهُ عَنِ الدُّوَلِ وَيُخْفِيهِ، وَيُقْنِعُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، فَهَمَّ يَمْتَاخُونَ بِكَ وَيُولُونُكَ الْمَلَامَةَ، وَيَقْتَحِمُونَ^(٨) عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ وَيَسُدُّونَ طُرُقَ السَّلَامَةِ، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ إِلَّا مَا يَعُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ، وَلَا يَفُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ، وَذَهَابِ صُدَاعِهِ، مِنْ غِذَاءٍ يُشْبِعُ، وَثَوْبٍ يُقْنَعُ، وَفِرَاشٍ يُنِيمُ، وَخَدِيمٍ يَقْعُدُ وَيُقِيمُ. وَمَا الْفَائِدَةُ فِي فُرْشٍ تَحْتَهَا جَمْرُ الْغَضَا، وَمَالٍ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَا، وَجَاهٍ يُحَلِّقُ عَلَيْهِ سَيْفٌ مُنْتَضِي؟ وَإِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ، وَاللُّجَاجَ حَوْلَ الْمَسْقَطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَهْلِكُ^(٩)، فَكَيْفَ تُنْسَبُ^(١٠) إِلَى تَبَلٍّ، أَوْ تَسِيرُ^(١١) مَعَ^(١٢) السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ؟ وَإِنْ وَجَدْتَ فِي الْقُعُودِ^(١٣) بِمَجْلِسِ التَّحِيَّةِ، بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ، فَلَيْتَ شِغْرِي أَيُّ شَيْءٍ زَادَهَا، أَوْ مَغْنَى أَفَادَهَا، إِلَّا مُبَاكَرَةً وَجْهِ الْحَاسِدِ، وَذِي الْقَلْبِ الْفَاسِدِ، وَمَوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْمِدِ؟ أَوْ شَعْرَتَ بَعْضِ الْإِيْنَسِ، فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ. هَلِ^(١٤) التَّدْتُ إِلَّا بِحِلْمٍ كَاذِبٍ، أَوْ جَذْبِهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَاذِبٍ^(١٥)؟ إِنَّمَا الْحِلْيَةُ^(١٦) وَاقْتَنَكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْبِزَّةِ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدَّتْ^(١٧)

(١) في النفع: «إِنْ لَمْ يَقَعْ الْإِسْعَافُ قَلْبَكَ...».

(٢) في النفع: «زَمَانٌ».

(٣) كلمة «النجوميات» ساقطة في النفع.

(٤) الأَلَاقِي: جَمْعُ أَلْقِيَّةٍ وَهِيَ مَا أَلْقَى مِنَ التَّحَاجِي وَالْأَلَاغِزِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (لَقِي).

(٥) في النفع: «فِي حَلْقِهَا».

(٦) الموجدة: الغضب. لِسَانُ الْعَرَبِ (وَجَد).

(٧) في النفع: «يُسْرُهُ».

(٨) في الأصل: «تَمْلِكُ» والتصويب من النفع. (٩) في الأصل: «أَوْ يُسْرُ» والتصويب من النفع. (١٠) في الأصل: «يُنْسَبُ» والتصويب من النفع.

(١١) في الأصل: «أَوْ يُسْرُ» والتصويب من النفع. (١٢) في النفع: «مِنْ».

(١٣) في النفع: «الجلوس».

(١٤) في النفع: «جاذب».

(١٥) في النفع: «إِنَّمَا رَاكِبُكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْحِلْيَةِ وَالْبِزَّةِ...».

(١٦) في النفع: «حُدَّتْ».

بخبرك، وَيَتَّبِعْ بِالنُّقْدِ وَالتَّجَسُّسِ مَوَاقِعَ نَظَرِكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ مَسَايِرَةِ أَنْيْسِكَ^(١)،
وَيَحْتَالِ عَلَى فَرَاغِ كَيْسِكَ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لَكَ وَلِرَّيْسِكَ^(٢). وَأَيُّ رَاحَةٍ لِمَنْ لَا يُبَاشِرُ
قَضْدَهُ، وَيَسِيرُ^(٣) مَتَى شَاءَ وَخَدَهُ؟ وَلَوْ صَعُخَ فِي هَذِهِ الْحَالِ لِلَّهِ حَظٌّ، وَهَبَهُ زَهِيدًا،
أَوْ عَيْنًا^(٤) لِلرُّشْدِ عَمَلًا حَمِيدًا، لَسَاغَ الْمَصَابُ^(٥)، وَخَفَّتِ الْأَوْصَابُ^(٦)، وَسَهِّلَ
الْمُصَابُ. لَكِنْ الْوَقْتُ أَشْغَلُ، وَالْفِكْرُ أَوْغَلُ، وَالزَّمَنُ قَدْ غَمَرَتْهُ الْحَصَصُ الْوَهْمِيَّةُ،
وَاسْتَنْفَدَتْ مِنْهُ الْكُمِّيَّةُ، أَمَّا لَيْلُهُ فَفَكْرٌ أَوْ نَوْمٌ، وَعَثْبٌ يَجْرُ^(٧) الضَّرَاسُ وَلَوْمٌ، وَأَمَّا
يَوْمُهُ فَتَذْيِيرٌ، وَقَبِيلٌ وَذَيْبِيرٌ، وَأُمُورٌ يَغْيَا بِهَا ثَيْبِيرٌ^(٨)، وَبِلَاءَةٌ مُبِيرٌ، وَلَفْظٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ
حَكِيمٌ كَبِيرٌ، وَأَنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ خَبِيرٌ. وَوَاللَّهِ يَا سَيِّدِي، وَمَنْ فَلَقَ الْحَبَّ وَأَخْرَجَ
الْأَبَّ^(٩)، وَذَرَأَ مِنْ مَشَى وَمِنْ^(١٠) دَبٍّ، وَسَمَّى نَفْسَهُ الرَّبَّ، لَوْ تَعَلَّقَ الْمَالُ الَّذِي
يَجِدُهُ هَذَا الْكَذْحُ^(١١)، وَيُورِي سَقِيظَهُ هَذَا الْقَذْحُ، بِأَذْيَالِ الْكَوَاكِبِ، وَزَاحَمَتِ الْبَذَرُ
بِذْرَهُ بِالْمَنَاقِبِ، لَمَّا^(١٢) وَرِثَهُ عَقِبٌ، وَلَا خَلَصَ بِهِ مُحْتَقِبٌ^(١٣)، وَلَا فَازَ بِهِ سَافِرٌ
وَلَا مُنْتَقِبٌ. وَالشَّاهِدُ الدُّوْلُ وَالْمَشَائِمُ^(١٤) الْأُولَى: فَأَيْنَ الرَّبَاعُ الْمُقْتَنَاءَةُ؟ وَأَيْنَ الدِّيَارُ
الْمُبْتَنَاءَةُ^(١٥)؟ وَأَيْنَ الْحَدَائِقُ^(١٦) الْمُغْتَرَسَاتُ، وَأَيْنَ الذُّخَائِرُ الْمُخْتَلَسَاتُ؟ وَأَيْنَ الْوُدَائِعُ
الْمُؤَمَّلَةُ، وَأَيْنَ الْأَمَانَاتُ الْمُحْمَلَةُ؟ تَأْذُنُ اللَّهِ بِتَثْبِيرِهَا، وَإِذْنَاءُ نَارِ الثُّبَارِ^(١٧) مِنْ
دَنَائِيرِهَا، فَقَلَمًا تَلْقَى أَعْقَابَهُمْ إِلَّا أَغْرَاءَ الظُّهُورِ^(١٨)، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَائِاتِ^(١٩) الشُّهُورِ،
مُتَعَلِّلِينَ بِالْهَبَاءِ الْمُنْثُورِ، يُطَرَّدُونَ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي حُجِبَ عَنْهَا^(٢٠) آبَاؤُهُمْ، وَعُورِفَ

(١) في الأصل: «من شارة أنسك»، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «ولرئيسك» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «ويمشي إذا شاء...». (٤) في النفع: «وعين».

(٥) المصاب: عصارة شجر مر. لسان العرب (صوب).

(٦) الأوصاب: جمع وصب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٧) في النفع: «بجرا الضرائر ولوم».

(٨) ثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. الروض المعطار (ص ١٤٩).

(٩) الأب: الكلا والمرعى. لسان العرب (أب).

(١٠) في الأصل: «ما» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «الذي يجزه هذا القذح».

(١٢) في الأصل: «لا» والتصويب من النفع.

(١٣) محتقب: محتمل، يقال: احتقب الشيء إذا وضعه في حقيقته. لسان العرب (حقب).

(١٤) في الأصل: «والمشائم». (١٥) في الأصل: «المبتدأة» والتصويب من النفع.

(١٦) في النفع: «الحوائط».

(١٧) في الأصل: «وإذناء وتار الثيار»، والتصويب من النفع. والتثبير: الإهلاك. والثبار: الهلاك.

محيط المحيط (تبر).

(١٨) في الأصل: «إلا أغربنا للطمور» والتصويب من النفع.

(١٩) في النفع: «الجرايات». (٢٠) في النفع: «عنها».

منها إباؤهم، وشتم من مقاصيرها عَنَبَرُهُمْ وَكَبَاؤُهُمْ، لم^(١) تُسامحهم الأيام إلا في إرث مُحَرَّرٍ، أو حلال مُقَرَّرٍ، وربما مُحَقَّةُ الْحَرَامِ، وتَعَذَّرَ مِنْهُ الْمَرَامُ. هذه، أعزك الله، حالُ قَبُولِهَا^(٢) ومالها مع الترفيه، وعلى فرض أن يَسْتَوْفِي الْعُمْرُ فِي الْعِزِّ مُسْتَوْفِيهِ. وأما ضِدُّهُ من عدو يتحكَّم وَيَسْتَقِمُّ، وَخَوْثٌ بَغْيِي يَبْتَلِجُ وَيَلْتَقِمُ، وَطَبَقُ^(٣) يَخْجِبُ الْهَوَاءَ، وَيُطِيلُ فِي الثَّرَابِ الثَّوَاءَ، وَتُعْبَانُ قَيْدُ^(٤) يَعْضُ السَّاقَ، وَشَوْبُوبُ عَذَابٍ يُمَزَّقُ الْأَبْشَارَ الرَّقَاقَ، وَغِيلَةٌ يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ^(٥) الْغَاسِقُ، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ الْفَاسِقُ، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق^(٦)]، مع الأفول والشروق. فهل في شيء من هذا مُغْتَبِطٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ، أو ما يساوي جُرْعَةً حَالٍ مُرَّةٍ؟ وَاحْشَرْتَاهُ لِلْأَحْلَامِ ضَلَّتْ، وَلِلْأَقْدَامِ زَلَّتْ، وَيَا لَهَا مُصِيبَةٌ جَلَّتْ! وَلِسِيْدِي أَنْ يَقُولَ: حَكَمْتَ عَلَيَّ^(٧) بِاسْتِثْقَالِ الْمَوْعِظَةِ وَاسْتِجْفَائِهَا، وَمُرَاوَدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خَلَانِهَا وَاكْفَائِهَا، وَتَنَاسِيِ عَدَمِ وَفَائِهَا، فَأَقُولُ: الطَّبِيبُ بِالْعِلَلِ أَدْرِي، وَالشُّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى، وَكَيْفَ لَا وَأَنَا أَقِفُ عَلَى السَّحَابَاتِ بِخَطِّ يَدِ^(٨) سِيْدِي مِنْ مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ، وَمَشَاقِفِ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَخَلَوَاتِ^(٩) الْإِسْتِعْدَادِ لِلِقَاءِ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ، وَتَوَشُّ^(١٠) الْأَمِئَةِ الْجِدَادِ، وَحَيْثُ يَجْمَلُ بِمِثْلِهِ إِلَّا يَضْرِبُ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ بَنَانًا، وَلَا يَثْنِي لِمَخْلُوقٍ عِنَانًا. وَاتَّعَرَفَ أَنَّهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوْ وَالِدَوَّ^(١١)، وَقَصَّدَتْ الْجَمَادَ وَالْبَوَّ^(١٢)، تَقْتَحِمُ أَكْفُ أُولَى السَّمَاتِ، وَحَفَظَةَ الْمَذْمَاتِ، وَأَعْوَانَ الثُّوبِ الْمَلِئَمَاتِ، زِيَادَةً فِي الشَّقَاءِ، وَقَصْدًا بَرِيًّا مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَالِانْتِقَاءِ، مُشْتَمِلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى أَغْرَبِ مِنَ الْعَنْقَاءِ، وَمِنَ الثَّقَاقِ عَلَى أَشْهَرِ مِنَ الْبَلْقَاءِ. فَهَذَا يُوصَفُ بِالْإِمَامَةِ، [وهذا يُنسب في الجود إلى كعب بن مامة^(١٣)]، وَهَذَا يُجْعَلُ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ، وَهَذَا يُكَلَّفُ الدُّعَاءَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَهَذَا يُطَلَّبُ مِنْهُ لِقَاءُ الصَّالِحِينَ وَلَيْسُوا مِنْ شَكْلِهِ، إِلَى مَا أَخْفَظْنِي وَاللَّهُ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ

(١) في النفع: «ولم».

(٢) في النفع: «قبولها مع الترفيه، ومالها المرغوب فيه، وعلى فرض...».

(٣) في النفع: «ومطبق».

(٤) في الأصل: «قميد» والتصويب من النفع.

(٥) يقال: وقب الرجل: أي دخل في الوقب، أي عند غياب الشمس. محيط المحيط (وقب).

(٦) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفع.

(٧) كلمة «علي» ساقطة في النفع.

(٨) كلمة «يد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٩) في النفع: «رخطوات».

(١٠) الدَّوُّ: المفازة. محيط المحيط (درو).

(١١) البَوُّ: جلد الخوار يُخْشَى تَبَنًا فَيُقَرَّبُ مِنْ أُمِّ الْفَصِيلِ إِذَا فَقَدَتْ وَلَدَهَا فَتَعْطِفُ عَلَيْهِ فَتَلْرَ. محيط

المحيط (بوو).

(١٢) ما بين قوسين ساقط في النفع.

السُّموم، وكُتِبَ النجوم، والمَذْمُوم من المعلوم، هَلَا كَانَ من يَنْظُرُ في ذلك قد قُوطِعَ بَتَاتًا، وأَعْتَقَدَ أَنَّ الله قد جعل لَزَمَنَ الخير والشرِّ مِيقَاتًا، وَأَنَا لَا نَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا نُشُورًا وَلَا حَيَاتًا، وَأَنَّ اللُّوحَ قد حَصَرَ الأشياءَ مَخُورًا وَإِثْبَاتًا، فكيف نَرْجُو لِمَا مَنَعَ مِنَالًا أو نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَرُ إِفْلَاتَا؟ أَفِيدُونَا مَا يُرْجِحُ الْعَقِيدَةَ الْمُقَرَّرَةَ^(١) نَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ، وَيُيِّنُوا لَنَا الْحَقَّ نَعْمُولُ عَلَيْهِ. الله الله يَا سَيِّدِي فِي النَّفْسِ الْمُرْشَحَةِ، وَالذَّاتِ الْمُحَلَّلَةِ^(٢) بِالْفَضَائِلِ الْمُوْشَحَةِ، وَالسُّلْفِ الشَّهِيرِ الْخَيْرِ، وَالْعُمَرِ الْمُشْرِفِ عَلَى الرُّحَلَةِ بَعْدَ حَتِّ السَّيْرِ، وَدَعِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا^(٣) فَمَا أَوْكَسَ حُظُوظَهُمْ، وَأَخْسَ لِحُظُوظِهِمْ، وَأَقْلَى مَتَاعَهُمْ، وَأَعْجَلَ إِسْرَاعَهُمْ، وَأَكْثَرَ عَنَاءَهُمْ، وَأَقْصَرَ آثَاءَهُمْ: [مَجْزُوءُ الْكَامِلِ]

مَا تَمَّ ^(٤) إِلَّا مَا رَأَى	ت، وربما تُغَيِّي السَّلَامَةَ
وَالنَّاسُ إِمَّا جَائِرٌ	أَوْ حَائِرٌ يَشْكُو ظِلَامَةَ ^(٥)
وَاللهُ مَا اخْتَقَبَ الْحَرِيبَ	حُصْ سَوَى الذُّنُوبِ أَوْ الْمَلَامَةَ
هَلْ تَمَّ شَكٌّ فِي الْمَعَا	دِ الْحَقِّ أَوْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
قُولُوا لَنَا مَا عِنْدَكُمْ	أَهْلَ الْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ

وإِنْ رَمَيْتَ بِأَحْجَارِي، وَأَوْجَرْتَ^(٦) الْمَرْءَ مِنْ أَشْجَارِي، فَوَاللهِ مَا تَلَبَّسْتَ مِنْهَا الْيَوْمَ^(٧) بِشَيْءٍ قَدِيمٍ وَلَا حَدِيثٍ، وَلَا اسْتَأَثَّرْتَ بِطَيِّبٍ فَضْلًا عَنْ خَبِيثٍ. وَمَا أَنَا إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ، وَهَاجِرُ مَرْعَى وَبَيْلٍ، وَمُرْتَقِبٌ وَعَدٍ^(٨) قَدَرُ فِيهِ الْإِنْجَازُ، وَعَاكِفٌ عَلَى حَقِيقَةٍ لَا تَعْرِفُ الْمَجَازَ، قَدْ فَرَزْتَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يُقَرُّ مِنَ الْأَسَدِ، وَحَاقَلْتَ الْمَقَاطِعَةَ حَتَّى بَيْنَ رُوحِي وَالْجَسَدِ، وَغَسَلَ اللهُ قَلْبِي، وَاللهُ^(٩) الْحَمْدُ، مِنَ الطَّمَعِ وَالْحَسَدِ، فَلَمْ أَبْقِ عَادَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا، وَلَا جُنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا اذْرَعْتُهَا، أَمَّا اللَّبَاسُ فَالْصُّوفُ، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي^(١٠) النَّاسِ فَمَعْرُوفٌ، وَأَمَّا الْمَالُ فَالْغَيْبُ فَعَلَى الصَّدَقَةِ مَصْرُوفٌ. وَوَاللهِ

(١) فِي النَّفْحِ: «الْمُتَقَرَّرَةُ فَتَحَوَّلَ...».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَاللَّذَاتِ الْمَحَلَّاتِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٣) فِي النَّفْحِ: «لِبَنِيهَا». (٤) فِي الْأَصْلِ: «تَمَّ». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٥) جَاءَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ الْبَيْتِ التَّالِي:

وَإِذَا أَرَدْتَ السَّيْرَ لَا تَرُزْ أَبْنِي الدُّنْيَا قِلَامَةَ

(٦) أَوْجَرْتَ الْمَرْءَ: صَيَّبْتَهُ فِي الْقَمِّ. لِسَانَ الْعَرَبِ (وَجَر).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْيَوْمَ». وَفِي النَّفْحِ: «الْيَوْمَ مِنْهَا».

(٨) فِي النَّفْحِ: «وَعَدًا». (٩) فِي الْأَصْلِ: «وَلَهُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٠) فِي النَّفْحِ: «بِأَيْدِي الْخَلْقِ فَمَعْرُوفٌ».

لو علمتُ أنَّ حالي هذه تتصل، وعُراها^(١) لا تنفصل، وأن ترتبني هذا يدوم، ولا يحيرني^(٢) الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمتُ أسفاً، وحسبي الله وكفى. ومع هذا يا سيدي، فالموعظة تُتلقى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم أو^(٣) المحمود. ولقد أعملت نظري فيما يكافىء عني بعض يدك، أو ينشهي^(٤) في الفضل إلى أمديك، فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، وألفت بذل النفس قليلاً لك من غير شرط ولا ثنيا^(٥)، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفا، لمن لا يُثبت عين الصفا، ولا يُشيم بارقة^(٦) الوفا، ولا يعرف قاذورة الدنيا مغرفة مثلي من المُتدسِّين بها المُتهمكين، وينظر عُوارها القادح^(٧) بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حُسنتها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبين لي أنني^(٨) قد كافيت^(٩) صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك المُلتزمة، وأمحضت^(١٠) لك النصيح الذي يُعزُّ^(١١) بعزُّ الله ذاتك، ويُطيب حياتك، ويُخسي مَوَاتك، ويريح جوارحك من الوَصَب^(١٢)، وقَلْبِكَ من النَّصَب^(١٣)، ويُحقِّر الدنيا وأهلها في عينك إذا اغتبرت، ويُلاشي عَظائِمها لديك إذا اختبرت. كلُّ مَنْ تقع عليه^(١٤) عينك حقير قليل، وفقير ذليل، لا يفضلك بشيء إلا باقتفاء رُشد أو ترك غي، أثوابه النُبِيهة يُجردها الغاسل، وعزوة عزه^(١٥) يَفْضُلها الفاصل^(١٦)، وماله الحاضر الحاصل، يعيش فيه الخُسام الفاصل، والله ما تَعَيَّن للخلف إلا ما تَعَيَّن للسلف، ولا مصيرُ المجموع إلا إلى التلَف، ولا صَحَّ من الهياط والمِياط^(١٧)، والصَّياح والعِياط^(١٨)، وجَمع القيراط إلى القيراط، والاستظهار بالورعة والأشرط، والمُخْبِط والمُخْبَاط، والاستيكتار والاغْتِباط،

- (١) في النفع: «وأن عراها». (٢) في الأصل: «يجيزني» والتصويب من النفع.
 (٣) في النفع: «ولا». (٤) في الأصل: «ينتهي» والتصويب من النفع.
 (٥) الثنيا: الاستثناء. لسان العرب (ثنا).
 (٦) يشيم: ينظر. البارقة: السحابة ذات البرق. لسان العرب (شام) و(برق).
 (٧) في الأصل: «عواره القادح» والتصويب من النفع.
 (٨) في النفع: «أنني». (٩) في النفع: «كافات».
 (١٠) في الأصل: «ومحضت لله» والتصويب من النفع. وأمحض: أخلص. لسان العرب (محض).
 (١١) في الأصل: «يقر» والتصويب من النفع. (١٢) الوَصَب: المرض. لسان العرب (وصب).
 (١٣) النَّصَب: التعب. لسان العرب (نصب). (١٤) في النفع: «عينك عليه فهو حقير...».
 (١٥) في الأصل: «غيره» والتصويب من النفع. (١٦) في النفع: «يقضلها القاصل».
 (١٧) الهياط: مصدر هاط يهيط، أي ضج وأجلب. المِياط: الدفع والزجر، والمراد من «الهياط والمياط»: الدنو والتباعد. محيط المحيط (هاط) و(ماط).
 (١٨) العياط: الصياح. محيط المحيط (عاط).

والْعُلُوُّ وَالْإِشْطِطَاطُ، وَبِنَا الصُّرْحِ وَعَمَلِ السَّابِاطِ، وَرَفَعِ الْعِمَادِ^(١) وَإِدَارَةِ الْفُسْطَاطِ، إِلَّا
 أَلَمْ^(٢) يَذْهَبِ الْقُوَّةُ، وَيُنْسِيَ الْأَمَالَ الْمَرْجُوَّةُ، ثُمَّ نَفْسٌ يَصْعَدُ، وَسَكْرَاتٌ تَتَرَدَّدُ،
 وَحَسَرَاتٌ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا تَتَجَدَّدُ، وَلِسَانٌ يَثْقُلُ، وَعَيْنٌ تُبْصِرُ الْفِرَاقَ الْحَقَّ^(٣) وَتَمْقُلُ ﴿قُلْ
 هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾^(٥) ثُمَّ الْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَيْدُهُ
 وَوَعْدُهُ، فَالْإِضْرَابُ الْإِضْرَابُ، وَالتُّرَابُ التُّرَابُ. وَإِنْ اعْتَذَرَ سَيِّدِي بِقَلَّةِ الْجَلْدِ، لَكثْرَةِ
 الْوَلَدِ، فَهُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ لَا ابْنَ رَزَاقٍ، وَيِيْدُهُ مِنَ التَّسْبِيبِ مَا يَتَكْفَّلُ بِإِمْسَاكِ أَزْمَاقٍ، أَيْنَ
 التَّنْخِجُ الَّذِي يَتَبَلَّغُ الْإِنْسَانُ بِأَجْرَتِهِ^(٦)، فِي كَيْنٍ حُجْرَتِهِ؟ لَا بَلِ السُّؤَالُ الَّذِي لَا عَارَ عِنْدَ
 الْحَاجَةِ بِمَعْرَتِهِ؟ السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَقْوَمُ طَرِيقًا، وَأَكْرَمُ فَرِيقًا، مِنْ يَدٍ تَمْتَدُّ إِلَى حَرَامٍ، لَا
 يَقُومُ بِمَرَامٍ، وَلَا يُؤْمِنُ مِنْ ضِرَامٍ، أَخْرِقَتْ فِيهِ الْحُلُلُ، وَقُلِيَّتِ الْأَدْيَانُ وَالْمِلَلُ،
 وَضُرِبَتِ الْأَبْشَارُ، وَنُحِرَتِ الْعِشَارُ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلَى يَدَيِ وَاسِطَةِ السُّوءِ الْمِغْشَارُ.
 ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ الشَّدَّةِ فَفُضِّحَ، وَبَانَ سَوْمُهُ^(٧) وَوَضَّحَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنْهَا^(٨) أَيْدِيَنَا وَقُلُوبَنَا،
 وَبَلِّغْنَا مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنَا، وَعَرِّفْنَا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَكَ، وَلَا يَسْتَرْفِدُ إِلَّا
 خَيْرَكَ، يَا اللَّهُ. وَحَقِيقٌ عَلَى الْفُضْلَاءِ إِنْ جَنَحَ سَيِّدِي مِنْهَا إِلَى إِشَارَةٍ، أَوْ أَعْمَلَ فِي
 اخْتِلَابِهَا إِضْبَارَةً^(٩)، أَوْ لَيْسَ مِنْهَا شَارَةً، أَوْ تَشَوَّفَ إِلَى خِدْمَةِ إِمَارَةٍ، أَلَا يُخَسِّنُوا
 ظَنُونَهُمْ بَعْدَهَا بِابْنِ نَاسٍ، وَلَا يَغْتَرُّوا بِسِمَةِ^(١٠) وَلَا خَلْقٍ وَلَا لِيَاسٍ، فَمَا عَدَا، عَمَّا
 بَدَأَ^(١١)؟ تَقْضَى الْعُمْرُ فِي سِجْنٍ وَقَيْدٍ، وَعَمْرُو وَزَيْدٍ، وَضُرٌّ وَكَيْدٍ، وَطِرَادٌ صَيْدٍ،
 وَسَعْدٌ وَسُعَيْدٍ، وَعَبْدٌ وَعَبِيدٌ، فَمَتَى تَظْهَرُ الْأَفْكَارُ، وَيَقْرَأُ الْقَرَارُ، وَتُلَازِمُ الْأَذْكَارُ^(١٢)،
 وَتُشَامُ الْأَنْوَارُ، وَتَتَجَلَّى^(١٣) الْأَسْرَارُ؟ ثُمَّ يَقَعُ الشُّهُودُ الَّذِي تَذْهَبُ مَعَهُ الْأَفْكَارُ^(١٤)، ثُمَّ
 يَحِقُّ الْوُصُولُ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهِ الْفِرَارِ، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ. وَحَقُّ الْحَقِّ الَّذِي مَا
 سِوَاهُ قَبَاطِلِ، وَالْفَيْضُ الرَّخْمَانِي الَّذِي رَبَابُهُ^(١٥) الْأَبَدُ^(١٦) هَاطِلٌ، مَا شَابَتْ^(١٧)

- (١) فِي النَّفْحِ: «الْعُمْدُ». (٢) فِي النَّفْحِ: «أَمَلُ». (٣) كَلِمَةُ «الْحَقُّ» سَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ. (٤) سُورَةُ صَّ، الْآيَتَانِ: ٦٧، ٦٨. (٥) الْمُرَادُ نَسْخُ الْكُتُبِ وَكُتَابَتِهَا. (٦) فِي الْأَصْلِ: «مَتَا» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٧) الْإِضْبَارَةُ: الْحَزْمَةُ مِنَ الصَّحْفِ. مُحِيطُ الْمَحِيطِ (ضَبْر). (٨) فِي الْأَصْلِ: «بِسْمَتِ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٩) أَخَذَهُ مِنَ الْمَثَلِ: «مَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ». أَيُّ مَا مَنَعَكَ مَا ظَهَرَ لَكَ أَوَّلًا. مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ (ج ٢ ص ٢٩٦). (١٠) فِي الْأَصْلِ: «الْأَذْكَارُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١١) فِي النَّفْحِ: «وَتَسْتَجَلَّى». (١٢) فِي النَّفْحِ: «الَّذِي يَذْهَبُ مَعَهُ الْإِنْخِبَارُ». (١٣) الرِّبَابُ: السَّحَابُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (رَبِيب). (١٤) فِي الْأَصْلِ: «لَا يَدْ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١٥) فِي الْأَصْلِ: «مَا شَابَ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

مُخاطبتي لك شائبة تريب^(١)، ولقد مَحَضْتُ لك ما يَمَحُضُه الحبيب إلى الحبيب^(٢)،
 فيحمل جَفَاءً^(٣) في الذي حَمَلْتُ عليه الغيره، ولا تَظُنُّ بي غيره. وإن^(٤) أقدر قُدري
 في مُكاشفة سيادتكَ بهذا البَثِّ، في الأسلوب الرث، فالحقُّ أقدم، ويناؤه لا يُهدم،
 وشأني معروف في مُواجهة الجبابة على حين يَدِي إلى رِفْدِهِمْ مَمْدُودَة، ونفسي في
 النفوس المُتَهافتة عليهم مَعْدُودَة، وشبابي فاجِم، وعلى الشهوات مُزاجِم، فكيف بي
 اليوم مع الشَّيب، ونُضح الجَنِب، واستِكشاف العَيب؟ إنما أنا اليوم على كلِّ مَنْ
 عَرَفَنِي كُلُّ ثَقِيل، وسيفُ العَدْل^(٥) في كَفِّي صَقِيل، أَغْذِلُ أَهْلَ الهوى، وليست
 النفوس في القَبُولِ سَوَاء، ولا لكلِّ مَرَضٍ^(٦) دَوَاء، وقد شَفَيْتُ صَدْرِي، وإن جَهِلْتُ
 قُدْرِي، فاحمِلْنِي، حَمَلَك اللهُ، على الجادة الواضحة، وسَحَبَ عَلَيْكَ سِثْرَ الأبوَّة
 الصالحة، والسلام.

ولمَّا^(٧) شَرَحَ كِتَابَ «الشفا» للقاضي^(٨) أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض،
 رحمه الله، واستبَّحَ فيه، طلب أهل العُدوتين بنَظْمٍ^(٩) مقطوعات تتضمَّنُ الثناء على
 الكتاب المذكور، وإطراء مؤلفه، فأنشأ عليه من ذلك الطم والرَّم، بما تعددت منه
 الأوراق، واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق، إيثارًا لِعَرْضِهِ، ومبادرةً من أهل^(١٠)
 الجهات لإسعاف أَرِيهِ، وطلب مني أن أَلِمَّ في ذلك بشيءٍ، فكتبت في^(١١) ذلك:
 [الطويل]

شِفَاءُ ^(١٢) عياض للصدور ^(١٣) شِفَاءُ	وليس ^(١٤) بفضلٍ قد حواه خفاء
هديةٌ بَرٌّ لم يكن لجزيلاها ^(١٥)	سوى الأجر والذكر الجميل كِفَاءُ
وفى لِتَبِيِّ الله حقَّ وفائه	وأكرم أوصاف الكرام وفاء

(١) في الأصل: «بريب» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «للحبيب».

(٣) في النفع: «فتحمل جفائي الذي...».

(٤) في النفع: «وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتكَ بهذا البَثِّ، في الأسلوب الرث».

(٥) في النفع: «العدل» بالبدال غير المعجمة.

(٦) في الأصل: «لا لكلِّ مَنْ ضَرٌّ؟» والتصويب من النفع.

(٧) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٤).

(٨) في النفع: «للقاضي عياض رحمه الله تعالى».

(٩) في النفع: «نظم».

(١٠) في النفع: «كل».

(١١) في النفع: «له في ذلك». والأبيات أيضًا في نفاضة الجراب ص ١٢٨.

(١٢) في الأصل: «شفا» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في نفاضة الجراب: «للقلوب».

(١٤) في المصدر نفسه: «فليس».

(١٥) في النفع: «المديها».

وجاء به بَخْرًا يقول بفضله
وحق رسول الله بعد وفاته
هو الذخر يُغني في الحياة عتاده
هو الأثر المحمود ليس يناله
حرصت على الإطناب في نشر فضله
واستزاد^(٤) من هذا الغرض الذي لم يَفْتَحْ منه^(٥) بالقليل، فبعثت إليه من محل
انتقالي بمدينة^(٦) سَلا حرسها الله^(٧): [مجزوء الرمل]

أَزَاهِيسِير رِيَاضٍ أَم شَفَاء لِعِيَاضٍ
جَدَلُ الْبَاطِلِ لِلْحَقِّ بِأَسْسِيَّافٍ مَوَاضٍ
وَجَلَا الْأَنْوَارُ بُرْهَانًا نَا بِحَقِّ^(٨) وَافْتِرَاضٍ
وَشَفَى^(٩) مَنْ يَشْتَكِي الْغُلَّ لَمَّةٌ فِي زُرْقِ الْحِيَاضِ
أَيُّ بُنْيَانٍ مُعَارٍ^(١٠) آمِنٍ فَوْقَ^(١١) انْقِضَاضِ
أَيُّ عَهْدٍ لَيْسَ يُزْمَى بِانْتِكَاثٍ^(١٢) وَانْتِقَاضِ
وَمَعَانٍ فِي سَطُورٍ كَأَسْوَدٍ فِي غِيَاضِ
وَشَفَاءٍ لِمَصْدُورٍ^(١٣) مِنْ ضَنْى الْجَهْلِ مَرَاضِ
خَرَّرَ الْقَصْدَ فَمَا شِئَ نَ بِنَقْدٍ وَاعْتِرَاضِ
يَا أَبَا الْفَضْلِ أَذِرْ أَنْ^(١٤) اللَّهُ عَنْ سَعْيِكَ رَاضِ
فَازَ عَبْدٌ أَقْرَضَ الْكُلَّ بِرُجْحَانِ الْقِرَاضِ^(١٥)

- (١) في الأصل: «اليقين» وهكذا ينكسر الوزن. وفي المصدرين: «اللبين».
- (٢) في نفاضة الجراب: «ولا يَخْفَى». (٣) العفاء: الزوال. لسان العرب (عفا).
- (٤) ما يزال النص شعراً ونثراً في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٥).
- (٥) في النفع: «فيه».
- (٦) في النفع: «من مدينة».
- (٧) الأبيات أيضاً في نفاضة الجراب (ص ١٩٢ - ١٩٣).
- (٨) في نفاضة الجراب: «بخلف».
- (٩) في نفاضة الجراب: «وسقى».
- (١٠) في النفع: «مقال». وفي نفاضة الجراب: «معال».
- (١١) في المصدرين: «خوف».
- (١٢) الانتكاث: الانتقاض. لسان العرب (نكث).
- (١٣) في نفاضة الجراب: «النفوس».
- (١٤) في الأصل: «بأن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
- (١٥) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ سورة البقرة ٢، الآية ٢٤٥.

وَجُبِثَ عَزٌّ^(١) الْمَزَايَا
لَكَ يَا أَضْدَقَ رَاوٍ^(٣)
لِرَسُولِ اللَّهِ وَقِيْ—
خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَا—
سَدِّدَ اللَّهُ ابْنَ مَرْزُو—
زُبْدَةَ الْعِرْفَانِ مَغْنَى
فَتَوَلَّى بَسْطَ مَا أَجْ—
سَاهِرٌ^(٥) لَمْ يَذَرِ فِي اسْتِخْ—
إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْإِي—
دَامَ فِي عُلُوٍّ وَمِنْ عَا—
مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي

مَنْ طِلْوَالٍ وَعِرَاضٍ^(٢)
لَكَ يَا أَغْدَلَ قَاضٍ
تَ بِجَدٍّ^(٤) وَانْتِهَاضٍ
لِي وَفِي آتٍ وَمَاضٍ
قِي إِلَى تِلْكَ الْمَرَاضِي
كُلُّ نُسْكَ وَارْتِيَاضٍ
مَلَتْ مِنْ غَيْرِ انْقِباضٍ
لَا صَهَ طَنَمَ اغْتِمَاضٍ
أَمَ قَدْ حَانَ التُّقَاضِي
دَاهِ يَهْوِي فِي انْخِفَاضٍ
فِي سَوَادٍ بِبَيَاضٍ^(٦)

ثم^(٧) نظمت له أيضًا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط، في هذا
الموضع، ليس على سبيل التَّبْجُحِ بغرابته وإجادته^(٨)، ولكن على سبيل الإشادة
بالشرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار^(٩): [السريع]

حُيِّثَ يَا مُخْتَطِّ سَبْتِ بْنِ نُوخٍ
وَحَمَلَ الرُّيْحَانُ رِيحَ الصُّبَا
دَارُ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي
يَا نَاقِلَ الْأَثَارِ يُعْنَى بِهَا
طَرْقُكَ فِي الْفَخْرِ^(١١) بَعِيدُ الْمَدَى
كَفَاكَ إِعْجَازًا كِتَابُ الشُّفَا
لِلَّهِ مَا أَجْزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ
رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ

بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحُ
أَمَانَةً فَيْكَ^(١٠) إِلَى كُلِّ رَوْحٍ
أَضَحَتْ بِرِيَاهُ رِيَاضًا تَفُوحُ
وَوَاصِلًا فِي الْعِلْمِ جَزَيِ الْجَمُوحُ
طَرْقُكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحُ
وَالصَّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحِ
مِنْحَةً تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُثْرُوحُ
مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السُّفُوحُ

- (١) في المصدرين: «عزٌّ».
(٢) في نقاضة الجراب: «داو».
(٣) في المصدرين: «ساهرًا».
(٤) في المصدر نفسه: «بجهد».
(٥) النص في الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦).
(٦) في النفع: «بسوادٍ في بياض».
(٧) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦ - ٣٨٧) ونقاضة الجراب (ص ١٩٠ - ١٩٢).
(٨) في الأصل: «في كل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٩) في النفع: «في الفضل».
(١٠) في المصدرين: «أو عراض».
(١١) في النفع: «بجهد».

فمن بيان الحق زهر ندى^(١) ومن لسان الصدق طير صدوح
تأرجح العزف وطاب الجنى وحلة من طيب خير الورى
ومفلم للدين^(٢) شيدته فقل لها مان كذا أو فلا
في أحسن التفويم أنشأته فغمزه المكتوب لا ينقضي
كأنه في الحفل ريح الصبا ما عذر مشغوف بخير الورى
عجبت من أكباد أهل الهوى إن ذكر المخبوب سالت دما
يا سيد الأوضاع يا من له يا من له الفخر على غيره
يا خير مشروح وفى واكتفى فشح من الله حباه به

ومن لسان الصدق طير صدوح وكيف لا يثمر^(٣) أو لا يفوح
في الجيب والأعطاف منها نضوح فهذه الأعلام منه^(٤) تلوح
يا من أضل الرشد تبني الصروح خلقا جديدا بين جسم وروح
إذا تقضى عمر سام ونوخ وكل عطف فهو غص^(٥) مروح
إن هاج منه الذكر أن لا يبوح وقد سطا البغد وطال التزوح
ما من أكباد ولكن جروح يسيد الإرسال فضل الرجوح
والشهب^(٦) تخفى عند إشراق يوح منه ابن^(٧) مرزوق بخير الشروح
ومن جناب الله تأتي الفتوح

مولده: بتلمسان عام أحد عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي^(٨) الكرسوطي^(٩)

من أهل فاس، نزيل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: الشيخ^(١٠) الفقيه المتكلم أبو عبد الله، غزير الحفظ، متبحر الذكر، عديم القرين، عظيم الاطلاع، عارف بأسماء الأوضاع، يتثال منه على المسائل كتيب مهيل، ينقل الفقه منسوباً إلى أمانة، ومنوطاً برجاله، والحديث بأسانيده ومثونه،

(١) في الأصل: «زهر ندى» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في نفاضة الجراب: «لا يطعم».

(٣) في المصدر نفسه: «في الدين».

(٤) في المصدرين: «منها».

(٥) في المصدرين: «غصن».

(٦) في النفع: «والشمس».

(٧) في نفاضة الجراب: «ومن ابن».

(٨) التسلي: نسبة إلى قبيلة تسولة البربرية.

(٩) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(١٠) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

خَوَار^(١) العِنان، وسَّاع الخطو، بعيدُ الشَّو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المَنظُومات، ممَّا يختصُّ بنظمه أولو الشُّطارة والجِرفة من المغاربة، ويستظهر مَطَوِّلات القصاص، وطَوابير الوُعَاظ، ومَساطير أهل الكُذبة، في أسلوب وقاح يَفْضحه الإعراب، حسن الخُلُق، جَمُّ الاحتمال، مُطَرِّح الوقار، رافضُ التَّصْنُع، مُتَبَذِّل^(٢) اللبسة، رَحيب أكناف المرارة لأهل الولايات، يُلقى بمعاطنهم البرك، وينوط بهم الوسائل، كثيرُ المشاركة لوصلائه، مُخَصِّبٌ على أهل بيته، حَدِيبٌ على بنيهِ. قَدِمَ على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعمئة، فأقام بالجزيرة مقرًّا بمسجد الصُّواع منها، ومسجد الرَّايات، ثم قدم على مالقة وأقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة وعشرين وسبعمئة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، وخفَّ به موقعه، فلم يَقدم صلةً، ولا فقد مِرْفَقَةً، حتى ارتاش وتأنل بمحل سُكناه من مالقة، مَدْرَةَ مُغْلَةٍ، وعقارًا مفيدًا. وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، تَمَيَّرَ في الركب، مَهْجُور الحَلَقَة، حَمَلًا من الخاصَّة والعامة، لتلبسه بالعرَض الأذنى. وهو الآن خطيب مسجد القصبة بها، ومحلّه من الشهرة، بالحِفْظ والاستظهار لقروع الفقه، كبير.

مُشِيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس، منهم أبوه، والأستاذ أبو الحسن القيحاوي البلوي، وأبو إسحق الحريري، وأبو الحسن بن سليمان، وأبو عبد الله بن أجروم. وقرأ الفقه على أبي زيد الجزولي، وعبد الرحمن بن عفان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عَزَلَه، ولذلك حكاية. حَدَّثَنِي الشيخ أبو عبد الله الكرُسوطي، المُترجم به، قال: قرأتُ بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، والدُّجَاج والأوز المُخَلَّات، فقال: انظر، هل يُقال الدُّجَاج أو الجدَّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: وَجَدَّ بَيْضٌ، وَحَمَرٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا، وغرايب سُود. فَأُزْرَى به، ونقل إليه إزاره، فعزله. وقعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. وأخذ عن أبي إسحق الزناتني، وعن خلف الله المجاصي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجزولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل ابنه، وأبي العباس بن راشد العمراني، وأبي عبد الله بن رُشيد. وروى الحديث بسببته عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، وذاكر أبا الحسن بن وشَّاش. وبمالقة عن الخطيب الصالح الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور.

(١) خوار العنان: سهل المعطف لئنه.

(٢) متبذل اللبسة: غير معتن بملبسه وهندامه، بخلاف مبتذل اللبسة أي رث الملابس.

وبغرناطة عن أبي الحسن القييجاطي، وأبي إسحق بن أبي العاص. ويبلش عن أبي جعفر الزيات.

توالياه: منها^(١) «الغرر في تكميل الطرر»، طرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم^(٢) «الدرر في اختصار الطرر» المذكور. وتقييدان على الرسالة، كبير وصغير. ولخص «التهذيب» لابن بشير، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة، البخاري، والترمذي، ومسلم^(٣)، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك^(٤) الصحاح الواقعة في التهذيب^(٥) على مسلم والبخاري. وقيد على مختصر الطليطلي، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى^(٦) بن عياض، برسم ولدي، أسعده الله.

شعره: أنشدني، وأنا أحاول بمألقة لوث^(٧) العمامة، وأستعين بالغير على إصلاح العمل، وإحكام الليانة^(٨): [الكامل]

أَمْعَمَما قَمَرًا تَكاملَ حُسْنُهُ أربى على الشمس المنيرة في البها
لا تَلتمس مِن لَدِيكَ زيادَةً فالْبَذرُ لا يَمْتارُ من نورِ الشها
ويَصْدُرُ منه الشعرُ مُصَدَّرًا، لا تُكِنِّفه العِناية.

محتته: أسير ببحر الزقاق^(٩)، قادمًا على الأندلس في جملة من الفضلاء، منهم والده. واستقر بطريف^(١٠) عام ستة وعشرين وسبعمائة، ولقي بها شدة ونكالا، ثم سرح والده، لمحاولة فكاك نفسه، وفك ابنه، ويسر الله عليه، فتخلصا من تلك المحنة في سبيل كذبة، وأفلت من بين أنياب مشقة.

(١) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١). (٢) في النفع: «ثم كتاب الدرر...».

(٣) قوله: «البخاري والترمذي ومسلم» ساقط في النفع.

(٤) في النفع: «واستدرك».

(٥) في النفع: «في الترمذي على البخاري ومسلم».

(٦) في النفع: «موسى برسم ولدي».

(٧) لوث العمامة: عصيها ولقها. لسان العرب (لوث).

(٨) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(٩) بحر الزقاق: هو الداخل من المحيط الأطلسي الذي عليه سبتة ما بين طنجة المغربية وبين الأندلس، ويتسع كلما امتد إلى ما لا نهاية. الروض المعطار (ص ٢٩٤).

(١٠) جزيرة طريف على البحر المتوسط في أول المجاز المسمى بالزقاق، وهي مدينة صغيرة. الروض المعطار (ص ٣٩٢).

بعض أخباره: قال: لقيتُ الشيخ وليَّ الله أبا يعقوب بساحل بادس^(١)، قاصداً الأخذ عنه، والتَّبَرُّك به، ولم يكن رأيي قط، والقيتُ بين يديه عند دخولي عليه، رجلاً يقرأ عليه القرآن، فلما فرغ أراد أن يقرأ عليه أسطُراً من الرُّسالة، فقال له: اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إليَّ، ورأيتُ في عَرَضَةٍ له أصولَ خَصٍّ، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سُرعة، واقتلع منها أصولاً ثلاثة، ودفعها إليَّ، وقال: كُل. فقلت في نفسي، تصرف في الخَضرة قبل حضور رباعها، فقال لي: إذا أردت الأكل من هذه الخَضرة، فَكُل من هذا القسم، فإنه لي. قلت: وخَبَرْتُ من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ما قضيت منه العَجَب في غير ما شيء جَرَّبْتُهُ. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاء عن وطنه؛ لتوفر الحمل عليه من الخاص والعام، بما طال به نكده. ثم آلت حاله إلى بعض صلاح، والله يتولاه.

مولده: بمدينة فاس عام تسعين وستمائة.

محمد بن عبد المنعم الصَّنْهاجي الحميري^(٢)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سَبْتَة، الأستاذ الحافظ. حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، رجلَ صِدْقٍ، طَيِّب اللُّهجة، سَلِيم الصدر، تام الرُّجولة، صالحاً، عابداً، كثير القُرب والأُوراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيراً، وسنّه تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل الدُّوب والسَّابِقة، وكان من صدور الحُفَظاء، لم يَسْتَظْهر أحدٌ في زمانه من اللُّغة ما اسْتَظْهره، فكاد يستظهر كتاب التَّاج للجَوْهري وغيره، آيةً تُثْلَى، ومثلاً يُضْرَب، قائماً على كتاب سيبويه، يَسْرُدُه بَلْفُظَه. اختَبَرَهُ الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقةً في الشطرنج، يلعبها محجوباً، مُشاركاً في الأصول، آخذاً في العلوم العقلية، مع المُلازمة للسُّنة، يُعْرِبُ أبداً كلامه ويزينه.

مُشِيخته: أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ولازم أبا القاسم بن الشَّاطِ وانتفع به وبغيره من العلماء.

(١) بادس: مدينة بها نخل كثير وفواكه وعيون كثيرة. الروض المعطار (ص ٧٥).

(٢) هو صاحب كتاب «الروض البعطار»، في خبر الأقطار، وكانت وفاته في سنة ٧٢٧ هـ. راجع مقدمة كتاب «الروض المعطار»، ففيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت له.

دخوله غرناطة: قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر، لما وصلوا بالبيعة.

وفاته: كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند مُنصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأخواز تيزي^(١)، حسبما وقع التنبه على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس

ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر

ابن رُشيد الفهري^(٢)

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رُشيد.

حاله: من «عائد الصلة»: الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريد دهره عدالة وجلالة، وجفظاً وأدباً، وسمتاً وهدياً، واسع الأشيعة، عالي الإسناد، صحيح الثقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيماً عليها، بصيراً بها، محققاً فيها، ذاكراً فيها الرجال، جماعةً للكُتب، محافظاً على الطريقة، مضطلاً بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأضلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رفيق الوجه، متجملًا، كلف الخاصة والعامة، مبدول الجاه والشفاعة، كنهًا لأصناف الطلبة. قديم على غرناطة في وزارة صديقه، ورفيق طريقه، في حجه وتثريقه، أبي عبد الله بن الحكيم، فلقي برأ، وتقدم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونفع الله لدينه بشفاعته المبدولة طائفة من خلقه، وانصرف إثر مقتله إلى العُدوة، فاستقر بمدينة فاس، معظمًا عند الملوك والخاصة، معروف القدر عندهم.

مشيخته: قرأ ببلده سبتة على الأستاذ إمام الشحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سيبويه. وقيد على ذلك تقييداً مفيداً، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطار. ورخل من بلده سبتة لأداء الفريضة. حج ولقي

(١) جاء في الروض المعطار (ص ١٢٨): «تازا: من بلاد المغرب، أول بلاد تازا خد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب... وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط، أعني في جبال تازا».

(٢) ترجمة ابن رشيد في نفع الطبيب (ج ٥ ص ٦٩) و(ج ٧ ص ٢١٤، ٢٥٧، ٣٦٣).

المشايع عام ثمانية وثمانين وستمائة، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد الله الحكيم، وأخذ عن الجلة الذين يُشَقُّ إحصاؤهم، فممن لقي بإفريقية الراوية العذل أبا محمد عبد الله بن هارون، يزوي عن ابن بقي، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجني. وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسمع، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة، وعن غيره، كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقة في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، فليُنظر هنالك.

تواليفه: ألف فوائد رحلته في كتاب سماه «ملء الغيبة»، فيما جمع بطول الغيبة، في الوجهتين^(١) الكريمتين إلى مكة وطينية. قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: وقفت على مسودته، ورأيت فيه فنونا وضروبا من الفوائد العلمية والتاريخ، وطرفا من الأخبار الحسان، والمُسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير، ولم يسبق إلى مثله. قلت: ورأيت شيئا من مختصره بسبته.

دخوله غرناطة: ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستمائة، فعقد مجالس للخاص والعام، يُقرىء بها فنونا من العلم. وتقدم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال: قعد يوما على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بإشعاره وتشبيهه، وكلمه آخر، فلم يُثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهية: أيها الناس، رجمكم الله، إن الواجب لا يُبطله المندوب، وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، واتبهاوا، وتذكروا قوله، عز وجل: وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد رويناه عنه عليه السلام، أنه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب، اضمّت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له. جعلنا الله وإياكم ممن عليم فعيل، وعَمِلَ قَبِيل، وأخلص فتخلص. وكان ذلك مما استدل به على قوة جنانته، وانقياد لسانه لبيانه.

شعره: وله شعر يتكلفه، إذ كان لا يزن أعاريضه إلا بميزان العروض، فمن ذلك ما حدث به، قال: لما خللتُ بدمشق، ودخلتُ دار الحديث الأشرافية، برسم رؤية الثغل الكريمة، نعل المصطفى، صلوات الله عليه، ولثمتها، حضرني هذه

(١) في نفع الطيب (ج ٥ ص ٧٠): «في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطينية».

الآيات: [الطويل]

هنيئًا لعيني أن رأث نغل أحمد
وقبيلتها أشفي الغليل فزادني
فلله ذاك اللثم فهو ألد من
ولله ذاك اليوم عيدًا ومعلمًا
عليه صلاة نشرها طيب كما
فيا سعد، جدي قد ظفرت بأسعد
فيا عجبًا زاد الظما عند مورد
لمى شفة لثما وخد مؤرد
بتاريخه أرخت مؤلد أشعد
يحب وترضى ربنا لمحمد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستمائة، بثغر سبنة حرمها الله

تعالى: [الطويل]

أقول إذا هبّ النسيم المعطر
وعالي الضبا مرت على ربع جبرتي
وأذكر أوقاتي بسلمى وبالجمل
ربوع يود الميسك طيب ترابها
بها جيرة لا يخفرون بذمة
إذا ما اجتلث زهر النجوم جمالهم
ومن جود جذواهم يرى الليث يغمر
ومن سيب يمناهم يرى الرّوض يزهر
رعى الله عهدًا بالمصلى عهده
زمانًا نعلمنا فيه والظل وارف
ولله أيام المصلى وطيبها
بحيث يرى بذر الكمال وشمسه
أروم دثوا من بهاء جمالها
خضعت وذلي للحبیب تعزّز
ووجه سروري مسافر متهلل
فطوبى لمن أضحى بطيبة ثاويًا
لعلّ بشيرًا باللقاء يبشر
فمن طيبهم عرف النسيم يعبر
فتذكو لظى في أضلعي حين أذكر
ويتهوى حصى فيها عقيق وجوهر
هم لمواليهم جمال ومفخر
تغار لباهي نورهم فتغور
ومن خوف غدواهم يرى الليث^(١) يدغر
ومن قبض نعماهم يرى البحر يزخر
وروض المنى غص يرق وينضر
بجئات عدن تحتها العذب يخضر
وأنفسنا بالقرب والأنس تجبر
وروضته فردوس حوض^(٢) ومثبر
ولثما فتأبى هنية وتوقر
فطرفي مغضوض وخدي مغمر
وحالي بهم حل^(٣) وعيشي أخضر
يجر بأذيال^(٤) الفخار وينشر

(١) قوله: «يرى الليث» ساقط في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٢) في الأصل: «فردوس وحوض»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «حلل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «أذيال»، وكذا ينكسر الوزن.

وَإِذَا فَاَتَ عَيْنِي أَنْ تَرَاهُمْ فَرَّدُوا
وَرَدْتُ فِيَا طِيبُ الْوُرُودِ بِطَيْبَةٍ
زَمَانِي زَمَانِي بِالْفِرَاقِ فَنَزَنِي
وَأَضْمَرْتُ أَشْجَانِي وَدَمْعِي مُظْهِرٌ
فَمِنْ أَذْمَعِي مَاءٌ يَفِيضُ وَيَهْمُرُ
فَجَسَمِي مُضْفَرٌ وَقُودِي أَبْيَضُ
وَحِينَ دَنَا التُّودِيْعُ مِمَّنْ أَحْبَبُهُ
وَنَادَى صِحَابِي بِالرَّحِيلِ وَأَزْمَعُوا
وَأَلَوِي إِلَيْهِ الْجِيدَ حَتَّى وَجَعْتَهُ
وَقَفْتُ لِأَقْضِي زُفْرَةً وَصِبَابَةً
وَلَوْ أَنَّني بَعَثْتُ الْحَيَاةَ بِنَظَرَةٍ
وَمَا بِاخْتِيَارِي إِنَّمَا قَدَرُ جَرَى
حَنِينِي إِلَى مَعْنَى الْجَمَالِ مُوَاضِلُ
وَعَبْرُ جَمِيلٍ أَنْ يُرَى عَنْ جَمَالِهَا
أَيْضُبُّرُ ظَمَانٌ يُغَالُ بِغُلَّةٍ
فِيَا عَيْنِئِهَا الزُّرْقَاءُ إِنَّ عُيُونَهَا
سَاقَطِعُ لَيْلِي بِالسُّرَى أَوْ أَزُورُهَا
وَأَنْضِي الْمَطَايَا أَوْ أَوَافِي رَبْعَهَا
حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي الْجِدَارَ مِنَ الرُّدَى
أَيْشُكْرُ تَغْرِيرِ الْمَشْشُوقِ بِنَفْسِهِ
وَقَفْتُ عَلَى فَشْوَى الْمُحِبِّينَ كُلِّهِمْ
وَإِنِّي إِذَا مَا خَطَرَةٌ خَطَرَتْ قَضَيْتُ
أَقِيمُ فَأَلْفِي بَيْنَ عَيْنِي هِمَّتِي
إِذَا مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ طَيْبَةٍ
وَلِلْقُبَّةِ الزُّهْرَاءِ سَمُوكُ سَمَا عَلَا
لَهَا مَنظَرٌ قَيْنِدُ الثَّوَاظِرِ وَالنُّهَى

عَلَى مَسْمَعِي ذَكَرَ الْمُصَلَّى وَكَرَّرُوا
صَدَرْتُ فَوَاحِزْنِي فَلَا كَانَ مَضْدَرُ
عَلَى مِثْلِ مَنْ فَارَقْتُ عَزُّ الثُّصْبُرِ
وَأَسْرَرْتُ هِجْرَانِي وَحَالِي تُخْبِرُ
وَمَنْ أَضْلَعِي نَارَ تَقُورٍ وَتَسْعَرُ
وَعَيْنِي مَغْبَرٌ وَدَمْعِي أَخْمَرُ
وَحَانَ الَّذِي مَا زِلْتُ مِنْهُ أَحْذَرُ
وَسَارَتْ مَطَايَاهُمْ وَظِلْتُ أَقْهَقِرُ
وَضِلُّ فَوَادِي لَوْعَةٍ يَتَفَطَّرُ
وَلَا أَتْنِي فَاَلْمَوْتَ أَجْدَى وَأَجْدَرُ
لَأَبْتُ وَحَظِّي فِيهِ أَوْفَى وَأَوْفَرُ
رَضِيْتُ بِمَا يَقْضِي الْإِلَهَ وَيُقْدَرُ
وَشَوْقِي إِلَى مَعْنَى الْجَمَالِ مُوَفَّرُ
فَوَادِي صَبُورًا وَالْمَسِيرُ مُبَسَّرُ
وَفِي رَوْضَةِ الرُّضْوَانِ شَهْدٌ وَكَوْثَرُ؟
مِنَ الْحُزْنِ فَيَضُّ بِالنُّجِيعِ تُفْجَرُ
وَأَحْمِي الْكَرَى عَيْنًا لِبَعْدِكَ يَظْهَرُ
فَتُتْجِدُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُغَوَّرُ
أَتَحْذَرُ نَفْسُ الْحَبِيبِ تُسِيرُ؟
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ مُقَرَّرُ؟
فَلَمْ أَجِدِ التَّغْرِيرَ فِي الْوَضَلِ يُنْكَرُ
بِهَمِّي وَعَزْمِي هَمَّةٌ لَا تُؤْطَرُ
وَسَيْرِي فِي سُبُلِ الْعُلَا لَيْسَ يُنْكَرُ
وَلَا حَتَّ قِبَابُ كَالْكَوَاكِبِ تُزْهَرُ
وَرَأَقُ سَنَى كَالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَزْهَرُ
لَهَا سَاكِنٌ مِنْ نُورِهِ الْبَدْرُ يَبْدُرُ

فأعرجوا^(١) على أهل^(٢) الكمال وسلموا
بنفسي لا بالمال أَرْضَى بِشَارَةٍ
وما قَدَّرُ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ كِفَاءً^(٣)
أقول إذا أَوْقَيْتُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ
وأخطى بِشَفْرِبِ الْجَوَارِ مُكْرَمًا
وأزْتَعَ فِي ظِلِّ الْجِنَانِ مَنْعَمًا
هُنَاكَ هُنَاكَ الْقُرْبُ فَاتِّعِمْ بِثَنِيْلِهِ
وَدَعْ عَنْكَ تَطَوَّافَ الْبِلَادِ وَخَيْمَ^(٤)
فَخَرْتُ بِمَذْحِي لِلثَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَطْلُتْ وَإِنِّي فِي الْمَدِيحِ مُقْصِرُ
مَا بَلَغْتُ كَفْ أَمْرٍ مَتَنَاوِلِ
وما بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِذْحَةً
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا مَرَّ سَبِقُ

سَلِمْتُمْ وَبُلَغْتُمْ مُنَاكُمُ فَاَبْشِرُوا
إِذَا لَاحَ نَوْرٌ فِي سَنَاهَا مُبَشِّرُ
ولكنها جُهِدَ الْمُقِلُّ فَأَعْذَرُ
قِرَائِي عَلَيْكُمْ أَنَّ ذَنْبِي يُغْفَرُ
وَأَصْفَحُ عَنْ جَوْرِ الْبِعَادِ وَأَعْذَرُ
وَأَمْنِي بِقُرْبٍ مِنْ جِمَاكَ وَأُجَبِّرُ
بَحِيثَ ثَوِي جِسْمٍ كَرِيمٍ مُطَهَّرُ
بِطَيِّبَةِ طَابَتْ فَهِيَ مِنْكَ وَعَنْبَرُ
وَمِنْ مَذْحِهِ الْمَدَاحُ يَزْهَى وَيَفْخَرُ
فَكُلُّ طَوِيلٍ فِي مَعَالِيكَ يَنْقُصُ
بِهَا الْمَجْدُ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَكْبَرُ
وإنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْخَرُ
إِلَيْكَ وَمَا هَبَّ التَّسِيمُ الْمُعْطَرُ

وقال يرثي ابنا نجيبًا ثكله بغرناطة: [الطويل]

شَبَابٌ ثَوِي شَابَتْ عَلَيْهِ الْمَفَارِقُ
عَلَى حِينِ رَاقِ النَّاطِرِينَ بِسَوْقِهِ
فَمَا أَخْطَأَتْ مِنْهُ الْفَوَازُ بَعْمُهَا
وَحِينَ تَدَائِي لِلْكَمَالِ هِلَالُهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَهُوَ يُشْكِي نَوَازِعًا
وَلَا مِثْلُ فُقْدَانِ الْبُنْيِ فَجِيعَةٌ
مُحَمَّدُ إِنْ الصَّبْرُ صَبْرٌ وَعَلَقَمُ
فَإِنْ جَزَعًا فَاللَّهُ لِلْعَبْدِ عَازِرُ
وَتَاللهِ مَا لِي بَعْدَ عَيْشِكَ لَذَّةُ

وَعُضْنُ دَوِي تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْحَدَائِقُ
رَمَتْهُ سَهَامٌ لِلْعَيُونَ رَوَاشِقُ
فَلَا أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْعَيُونَ الرُّوَانِقُ
أَلَمْ بِهِ نَقْصٌ وَجَدْتُ مَوَاحِقُ
عَظَامًا سَطَاهَا لِلْعِظَامِ عَوَارِقُ
وإنْ طَالَ مَا لَجْتُ وَجَلْتُ بِوَانِقُ
عَلَى أَنَّهُ حُلُوُ الْمُثُوبَةِ سَابِقُ
وإنْ جَلَّدَا فَالْوَعْدُ لِلَّهِ صَادِقُ
وَلَا رَاقِنِي مَزَايَ لِعَيْنِي رَاقِقُ

(١) في الأصل: «فمَرَّجُوا» وكذا ينكسر الوزن. وأعرجوا: ادخلوا في وقت غيبوبة الشمس. محيط المحيط (عرج).

(٢) في الأصل: «كَمَل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «كَفَاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «وَحَيْمٌ».

فَأَنبِي بِهِ وَالْمُذَكَّرَاتِ عَدِيدَةٌ فَتُبَلُّ وَهَمٌ لِلْعَوَائِدِ خَارِقِ
فَإِنْ أَلْتَفِتَ^(١) فَالشَّخْصُ لِلْعَيْنِ مَائِلٌ وَإِنْ أَسْتَمِعَ فَالصُّوْتُ لِلْأُذُنِ طَارِقِ
وَإِنْ أَدْعُ شَخْصًا بِاسْمِهِ لِحُضُورَةٍ فَإِنْ أَسْمَكَ الْمَحْبُوبَ لِلتُّنْقِ سَابِقِ
وَإِنْ تَقْرَعَ الْأَبْوَابَ رَاحَةً قَارِعِ يَطْرُزُ^(٢) عِنْدَهَا قَلْبٌ لِذِكْرِكَ خَافِقِ
وَكُلُّ كِتَابٍ قَدْ حَوِيَتْ فَمُذَكَّرُ وَأَنَارُهُ كُلُّ إِلَيْكَ تَوَائِقُ
سَبَقَتْ كَهَوْلًا^(٣) فِي الطُّفُولَةِ لَا تُنِي وَأَزْهَقَتْ أَشْيَاخًا وَأَنْتَ مُرَاهِقُ
فَلَوْ لَمْ يُغْلَكِ الْمَوْتُ دُمْتَ مُجَلِّيًا وَأَقْبَلَ سَكِينًا وَجِيئًا^(٤) وَلَا حِقِ
عَلَى مَهَلٍ أَخْرَزْتَ مَا شَتَّ ثَانِيًا عِنَانُكَ لَا تَجْهَدُ وَأَنْتَ مُسَابِقِ
رَأَيْتَكَ الْمَنَايَا سَابِقًا فَأَعْرَضْتَهَا فَجُدَّ طِلَابًا إِنَّهِنَّ لَوَاحِقِ
لَشُنَّ سُلَيْتٌ مِنِّي نَفِيسٌ ذَخَائِرِ فَلَمَّئِي بِمَذْخُورِ الْأُجُورِ لَوَائِقِ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ فَقَدْ صَارَ عِلْمِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقِ
غَرِيبِينَ كُنَّا فَرَقَ الْبَيْنَ بَيْنَنَا فَأَبْرَحَ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ الْمُفَارِقِ
فَبَيْنَ وَبُعْدَ بِالْغَرِيبِ تَوَكُّلًا قَدْ رَعَى بِمَا حَمَلْتُ وَاللَّهُ ضَائِقِ^(٥)
عَسَى وَطَنٌ يَذْثُرُ فَتَذْثُرُ لَهُ^(٦) مَنِي وَأَيُّ الْأَمَانِي وَالْخَطُوبِ عَوَائِقِ؟
فَلَوْلَا الْأَسَى ذَابَ الْفَوَادِ مِنَ الْأَسَى وَلَوْلَا الْبُكَاءُ لَمْ يَحْمَلِ الْحُزْنَ طَائِقِ
فَخَطُّ الْأَسَى خَطًّا تَرَوْقُ سَطُورُهُ وَتَمَحُّو الْبُكَاءُ فَالدَّمْعُ مَاحٍ وَمَسَاحِقِ
فِيَا وَاحِدًا قَدْ كَانَ لِلْعَيْنِ نُورُهَا عَلَيْكَ ضِيَاءٌ^(٧) بَعْدَ بُعْدِكَ غَاسِقِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا جَنُّ سَاجِعِ وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا ذَرُّ شَارِقِ
وَمَا هَمَمَتْ سُحْبٌ غَوَادٍ رَوَائِعِ وَمَا لَمَعَتْ تَخْدُو الرُّعُودَ بَوَارِقِ
وَجَادَ عَلَى مَثَوَاكَ غَيْثٌ مُرَوِّضُ عِبَادٌ^(٨) لِرُضْوَانِ الْإِلَهِ مُوَافِقِ

- (١) في الأصل: «فأين التفت» وكذا لا يستقيم المعنى والوزن.
(٢) في الأصل: «يطير» وكذا ينكسر الوزن، والوجوب جزمه لأنه جواب الشرط.
(٣) في الأصل: «كهولة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «وجيئة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٥) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى. (٦) كلمة «له» ساقطة في الأصل.
(٧) في الأصل: «تل ضياء» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.
(٨) في الأصل: «عباد» بتشديد الباء، وكذا ينكسر الوزن.

محنته: تعرّض إليه قومٌ يوم قُتل صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذاعة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتل، فتخلص ولا تسَل كيف، وأزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، في اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد وعشرين وسبعمائة. ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس، وكان مولده بسبته عام سبعة وخمسين وستمائة.

محمد بن علي بن هاني اللّخمي السّبيّ^(١)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.

حاله: كان، رحمه الله، فريداً دهره في سموّ الهمة، وإيثار الاقتصاد والتّحلي بالقناعة، وشموخ الأنف على أهل الرئاسة، مقتصرًا على فائدة رُبّع له ببلده، يتّبع مع الاستقامة، مع الصّبر والعمل على حفظ المروعة، وضوّن ماء الوجه، إمامًا في علم العربيّة، مبرزًا متقدّمًا فيه، حافظًا للأقوال، مُستوعبًا لطريق الخلاف، مُستحضرًا لحجج التّوجيه، لا يُشَقُّ في ذلك غبارُه، ريان من الأدب، بارع الخطّ، سهل مقادة الكلام، مُشاركًا في الأضلين، قائمًا على القراءات، حَسَن المجلس، رائق البزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرسُّل، متوسط النّظم، كثير الاجتهاد والعكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدّعة، بيته شهير الحسب والجلالة.

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصّه^(٢): عَلِمَ تشير إليه الأكف^(٣)، ويُعَمَلُ إلى لقائه الحافر والخف^(٤)، رفع للعربيّة ببلده راية لا تتأخّر، ومرج منها لُجّة تزخر، فانفسح مجالُ درسيه، وأثمرت أذواحُ غزسيه، فركضَ بما^(٥) شاء وبرّج، ودوّن وشرح، إلى شمائل تملك^(٦) الظّرف زمامها، ودُعابة راشّت الحلاوة سيّهامها. ولما أخذ المسلمون في مُنازلة الجبل^(٧) وجِصاره، وأصابوا الكُفر منه بجارحة

(١) ترجمة ابن هاني اللّخمي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١ - ٣٨٢).

(٣) قوله: تشير إليه الأكف: كناية عن الشهرة.

(٤) يُعَمَلُ إلى لقائه الحافر والخف: كناية عن أنه مقصود من كل الناس.

(٥) في النفح: «ما». (٦) في المصدر نفسه: «يملك».

(٧) يقصد جبل طارق أو جبل الفتح.

أَبْصَارُهُ، وَرَمَوْا بِالثُّكُلِ فِيهِ نَارَخَ أَمْصَارِهِ، كَانَ مَمَّنْ انْتَدَبَ وَتَطَوَّعَ، وَسَمِعَ النَّدَاءَ فَأَهْطَعَ^(١)، فَلَازِمُهُ إِلَى أَنْ تَفِدَ لِأَهْلِهِ الْقُوتَ، وَبَلَغَ مِنْ فَسْحَةِ^(٢) الْأَجْلِ الْمَوْقُوتِ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ بِمَحْرَابِهِ، وَقَدْ^(٣) غَيْرَ مُحْيَاةً طَوْلَ اغْتِرَابِهِ، وَبَادَرَهُ الطَّاعِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرَّ نَصْلُ الْإِسْلَامِ فِي قِرَابِهِ^(٤)، أَوْ يَغْلُقَ أَصْلُ الدِّينِ فِي ثَرَابِهِ. وَانْتَدَبَ إِلَى الْحَصَارِ بِهِ وَتَبَرَّعَ، وَدَعَا أَجْلَهُ قَلْبِي وَأَسْرَعَ. وَلَمَّا هَدَرَ عَلَيْهِ الْفَنِيْقُ^(٥)، وَرَكَعَتْ إِلَى قِبْلَتِهِ الْمَجَانِيْقُ^(٦)، أُصِيبَ بِخَجَرٍ دَوْمٍ عَلَيْهِ كَالْجَارِحِ الْمُخْلَقِ، وَانْقَضَ إِلَيْهِ انْقِضَاضُ الْبَارِقِ الْمَتَالِقِ، فَاقْتَنَصَهُ وَاخْتَنَطَفَهُ، وَعَمِدَ إِلَى زَهْرِهِ فَقَطَّطَهُ^(٧)، فَمَضَى إِلَى اللَّهِ طَرِيقَ نَيْتِهِ، وَصَجِبَتْهُ غَرَابَةُ الْمَنَازِعِ حَتَّى فِي مَنِيَّتِهِ^(٨).

مَشِيخَتُهُ: قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ، وَعَلَى الْأُسْتَاذِ النَّحْوِيِّ أَبِي بَكْرٍ بَنِ عُبَيْدَةَ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَى الْإِمَامِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ حُرَيْثٍ.

تَوَالِيْفُهُ: أَلْفٌ^(٩) كُتِبَتْ، مِنْهَا^(١٠) كِتَابُ «شَرْحِ التَّسْهِيلِ لِابْنِ مَالِكٍ»، وَهُوَ أَجَلُ كِتَبِهِ، أَبْدَعَ فِيهِ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ فِيهِ. وَمِنْهَا^(١١) «الْعُرَّةُ الطَّالِعَةُ فِي شَعْرَاءِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ»، وَمِنْهَا^(١٢) «إِنْشَادُ الضُّوَالِ»، وَإِرْشَادُ السُّؤَالِ فِي لَحْنِ الْعَامَةِ، وَهُوَ كِتَابٌ^(١٣) مُفِيدٌ، وَ^(١٤) «قُوتُ الْمُقِيمِ». وَدَوَّنَ تَرْسِيلَ^(١٥) رَئِيسِ الْكِتَابِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بَنِ عُمَيْرَةَ وَضَمَّهُ فِي سِفْرَيْنِ. وَلَهُ رَجَزٌ^(١٦) فِي الْفَرَائِضِ مُفِيدٌ.

شَعْرُهُ: حَدَّثَنَا^(١٧) شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ، نَسِيْجٌ وَحْدَهُ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ، قَالَ: خَاطَبَتِ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بَنِ هَانِيٍّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أَوَّلَهَا^(١٨):

-
- (١) أهطع: أسرع. لسان العرب (هطع). (٢) في الأصل: «فتحة» والتصويب من النفع. (٣) في النفع: «وحياء وقد...». (٤) القرباب: جفن السيف وغمده. لسان العرب (قرب). (٥) في الأصل: «الفتيق» والتصويب من النفع. والفتيق: الفحل من الإبل. لسان العرب (فتق). (٦) في النفع: «وركع إلى قبلة المنجنيق». (٧) في النفع: «فاقتطفه». (٨) في النفع: «أمنيته». (٩) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٢). (١٠) في النفع: «منها شرح التسهيل الفوائد» لابن مالك، مبدع تنافس الناس فيه...». (١١) في النفع: «وكتاب». (١٢) كلمة «كتاب» ساقطة في النفع. (١٣) في النفع: «ترسيل أبي المطرف...». (١٤) في النفع: «جزء». (١٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٨٢) وجاء فيه: «وحدثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم قال: خاطبت ابن هانيء بقصيدة...». (١٦) الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٢ - ٣٨٣).

[البسيط]

هات^(١) الحديث عن الرُكْب^(٢) الذي شَخَصَافأجابني عن ذلك بقصيدة في رَوِيهَا^(٣):

لولا مَشِيبٌ بِفَوْدِي لَلْفَوَادِ عَصَى
وَاسْتَوْقَفْتُ عِبْرَاتِي وَهِيَ جَارِيَةٌ
مُسَائِلًا عَنْ لِبَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزَتْ
وَكُنْتُ جَارِيَتْ فِيهَا مَنْ جَرَى طَلْقًا
أَصَابَ شَاكِلَةَ الْمَرْمِي حِينَ رَمَى
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ الثُّبُلِ ثُبُلَ جَجَا
ثُمَّ انْثَنَى ثَانِيًا عِطْفَ الثُّسَيْبِ إِلَى
فَظَلْتُ أَرْفُلُ فِيهَا لَيْسَةً شَرُفْتُ
يَقُولُ فِيهَا وَقَدْ خَوْلْتُ مِنْحَتَهَا
هَذِي عَقَائِلُ وَأَفْتُ مِنْكَ ذَا شَرَفٍ
فَقُلْتُ: هَلَّا عَكَسْتَ الْقَوْلَ مِنْكَ لَهُ
وَقُلْتُ: ذِي بِكَرٍّ فِكْرٍ مِنْ أَخِي شَرَفٍ
لَهَا خُلَى حُسَيْنِيَّاتٌ عَلَى حُلَلٍ
خَوْلَتْهَا وَقَدْ اعْتَزَّتْ مَلَابِسَهَا
خُذْهَا أَبَا قَاسِمٍ مَنِي نَتِيجَةً ذِي
جَاءَتْ تَجَاوِبُ عَمَّا قَدْ بَعَثَتْ بِهِ

نَضَيْتُ^(٤) فِي مَهْمَةِ الثُّسَيْبِ لِي قُلُصَا^(٥)
وَكَفَاءُ تُوهِمُ رُبْعًا لِلْحَبِيبِ قُصَا
أَيْدِي الْأَمَانِي بِهَا مَا شِئْتَهُ فُرْصَا
مِنَ الْإِجَادَةِ لَمْ يُخْجَمِ^(٦) وَلَا نَكْصَا
مِنَ الشُّوَارِدِ مَا لَوْلَاهُ مَا اقْتَنَصَا
لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِأَبْكَارِ النُّهَى قُنْصَا
مَذَحَ بِهِ قَدْ غَلَا مَا كَانَ قَدْ رَخَصَا
ذَاتًا وَمُنْتَسَبًا أَغْرَزَ بِهِ قُمُصَا
وَجَرَّعَ الْكَاشِحَ الْمُغْرَى بِهَا غُضَصَا^(٧)
لَوْلَا أَيْادِيهِ بَيْعَ الْحَمْدِ مُرْتَخَصَا
وَلَمْ يَكُنْ قَابِلًا مِنْ^(٨) مَذَحِهِ الرُّخَصَا؟
يُزْدِي وَيُرْضِي بِهَا الْخُسَادَ وَالْخُلُصَا
حُسْنِيَّةٌ تَسْتَبِي مَنْ حَلَّ أَوْ شَخَصَا
بِالْبَحْتِ يَنْقَادُ لِلْإِنْسَانِ مَا عَوِصَا^(٩)
وَدَّ إِذَا شِئْتَ وَدَّا لِلْوَرَى خَلَصَا
إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُ مِنْ دُرِّ النُّحُورِ خَصَا

(١) في الأصل: «هلت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «الكُزْب» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «فأجابني بقصيدة على رَوِيهَا أولها».

(٤) في النفع: «أنضيت».

(٥) القُلُص: جمع قُلُوص وهي الناقة. لسان العرب (قلص).

(٦) في النفع: «لم يجمع».

(٧) جَرَّعَ: سَقَى. وَالْكَاشِحُ: الْمُبْغِضُ. وَالْقُضَصُ: جَمْعُ غَضَّةٍ وَهِيَ عَدَمُ انْسِيَاغِ الطَّعَامِ فِي الْحَلَقِ. لسان العرب (جرع) و(كشح) و(غصص).

(٨) في النفع: «في». (٩) عَوِصَ: صَعِبَ. لسان العرب (عوص).

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه^(١): [الكامل]

ما للثوى مُدَّتْ لغير ضرورة ولقُبِلَ ما عهدي بها مَقْصُورَةٌ
إنَّ الخليل وإنَّ دَعَتْهُ ضرورة لم يَرَضْ ذاك فكيف دون ضرورة

وقال مضمَّنًا: [الرملى]

لا يَلُمَّنِي عاذلي حتى يرى^(٢) وَجَّةَ من أهوى فلؤمي مستحيل
لو رأى وَجَّةَ حبيبى عاذلي لَتَفَارَقْنَا على وجه جميل

وقال في الفخر: [الكامل]

قُلْ لِلْمَوَالِي: عِشْ بِغِبْطَةٍ حَامِدٍ وَلِلْمُعَادِي: بِثْ بِضَغْنَةٍ حَاسِدٍ
الْمُزَنُ كَفَى وَالشُّرَيَّا هُمْنِي وَذُكَا^(٣) ذِكْرِي وَالسُّعُودُ مَقَاصِدِي^(٤)

وقال في غير ذلك: [البسيط]

غَنِيْتُ بي دون غيري الدَّهْرَ عن مَثَلٍ بَعْضِي لِبَعْضِي أَضْحَى يَضْرِبُ المَثَلَا
ظَهْرِي انحنى لمشيبي لاح واعجبا غَضُّ إِذَا أَيْتَعَتْ أَزْهَارُهُ دَبْلَا
أَذَاك^(٥) أَمْ زَهْرٌ لَاحَتْ تُخْبِرُ أَنَّ يَوْمَ الصَّبَا وَالتُّصَابِي آنَسَ الطُّفْلَا

ومما جَمَعَ فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا القاضي الشريف أبا القاسم

الحسني، عن القصيدة الهمزية التي ثبتت في اسمه^(٦): [الكامل]

يَا أَوْحَدَ الْأَدْبَاءِ أَوْ يَا أَوْحَدَ الْفُضَلَاءِ غَضَّاءَ أَوْ يَا أَوْحَدَ الشُّرَفَاءِ
من ذا تراه أَحَقُّ مِنْكَ إِذَا التَّوْتُ طَرَقَ الْحِجَااجُ بِأَنْ يَجِيبَ نِدَائِي^(٧)
أَدَبٌ أَرَقُّ مِنَ الْهَوَاءِ وَإِنْ تَشَا فَمِنْ الْهَوَا وَالْمَاءِ وَالصُّهْبَاءِ
وَالَّذِي مِنْ ظَلَمٍ^(٨) الْحَبِيبِ وَظَلَمَهُ بِالظَّاءِ مَفْتُوحًا وَضَمَّ الظَّاءِ
مَا السُّخْرُ إِلَّا مَا تَصُوعُ بَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ حَلِيَّةِ الْإِنْشَاءِ
[وَالْفَضْلُ مَا حَلِيَّتُهُ وَحَبِيبَتُهُ] وَحَبَوْتَنِي مِنْهُ بِخَيْرِ جِبَاءِ

(١) هذان البيتان والبيتان التاليان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣).

(٢) في النفع: «لا تلمني عاذلي حين ترى».

(٣) في الأصل: «وذكا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «مقاصد» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «أذلك» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) بعض أبيات هذه القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٧) في الأصل: «نداء»، والتصويب من النفع.

(٨) الظلم، بفتح الطاء وسكون اللام: الريق. لسان العرب (ظلم).

أبكارُ ففكرِكَ قد رُفَّتْ^(١) بِمِذْحَتِي
 لا من قُصورِ بل لثُقُصِيَّهَا
 لكنْ جُيَزَنَ وقد جُيِلَنَ على الرضا
 هذا إلى الشرفِ الذي قد فِزَتْ
 شرفُ السُّليل من الرسولِ ومِيلةً
 حسنَ أبو^(٢) حسنٍ وفاطمةُ ابنةُ الـ
 شرفَ على شرفٍ إلى شرفينِ
 هذي ثلاثُ أنتَ واحدُ فخرِها
 من رام رُثبتَكَ السُّنِّيَّةَ فَلْيَقِفْ
 هذي مائِرُ قد شَأَزَتْ بصيبتها
 والليثُ يُزهبُ زأْرُه في موطنِ
 يكفيكَ من نكدِ المُعاند أن يُرى
 السُّنُّ يُفنى بالأناملِ قرْعُه
 أثخَفْتَنِي بقصيدةٍ هَمَزِيَّةٍ
 كم بين تلك وهذه لَكُنْهَا
 ذو الشيبِ يَغْذُرُه الشَّبابُ فما لهمْ
 من قاربِ الخمسينِ خَطُوا سُنُّهُ
 أبْنِي، إنك أنتَ أسدى من به
 لله نفْثَةُ سحرٍ ما قد شِذَتْ لي
 عارضتَ طُفُوانًا بها فأرَيْتَ ما
 لو راءَ لؤلؤكَ المُنظَّمِ لم يَفُزْ

تمشي روائعها على استخياءٍ
 من حيثُ لم يَظْفُرَنَ بالإزفاءِ
 فالجَبَرُ للأبكارِ للآباءِ
 علياءه^(٣) بالعِزَّةِ القُفْساءِ
 قامت بابنِ^(٤) سَنًا وابنِ^(٥) سَناءِ
 هادي البريَّةِ خاتمِ الثُّبلاءِ
 من حائزِ^(٦) ما حُزَتْ من عَلياءِ
 فاشمَخَ لها شرقًا بأنفِ علاءِ
 دون المرامِ مواقفَ الإقصاءِ
 من كان من أبٍ لها أو شاءِ
 ما كان من نَفْدٍ به أو شاءِ
 مُثَقِّلُ الأَعْضاءِ بالبَغْضاءِ
 أو عَضُّهُ متوقِّدُ الأحشاءِ
 مقصورةٌ ممدودةُ الآراءِ
 غطى على هذي ذهابُ فتاني^(٧)
 بذكاءِ^(٨) نُبْلِ أو بئبْلِ ذكاءِ
 فمحالُه مستوجبُ الإبطاءِ
 يتعاضمُ الآباءُ بالأبْناءِ^(٩)
 من نفثِ سحرِكَ في مشادِ ثناءِ
 يَسْتَغْظِمُ الرَّاوي له والرَّائي^(١٠)
 في^(١١) نظمٍ لؤلؤه بغيرِ عَناءِ

- (١) في الأصل: «رُفَّتْ» وهكذا ينكسر الوزن.
 (٢) في الأصل: «من عليائه» وهكذا ينكسر الوزن.
 (٣) في الأصل: «بابن» وهكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع للضرورة الشعرية.
 (٤) في الأصل: «وأبو» وهكذا ينكسر الوزن.
 (٥) في الأصل: «من ذا حاز...» وهكذا ينكسر الوزن.
 (٦) في الأصل: «فتاء» بدون ياء.
 (٧) في الأصل: «بذكا» وهكذا ينكسر الوزن.
 (٨) ما بين قوسين ساقط في نفع الطيب.
 (٩) في الأصل: «والراء» والتصويب من النفع.
 (١٠) في النفع: «من».

بَوَاتَنِي مِنْهَا أَجَلٌ مَبْرُورٌ فَلأَخْمَصِي مُسْتَوِطِنٌ^(١) الْجَوَازِ
وَسَمَا بِهَا اسْمِي سَائِرًا^(٢) فَأَنَا بِمَا
وَأَشَدَّتْ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَلِي بِهَا
وَلَقَوْمِي الْفَخْرُ الْمَشِيدُ بَنِيَّةُ
فَلَيْتَنِي هَانِيَهُمْ يَدٌ بِيضَاءُ مَا
حَلَيْتُ أَبْيَاتًا لَهُمْ^(٥) لَخْمِيَّةُ
فَلَيْشُمُخُوا أَنْفًا بِمَا أُولِيَّتَهُمْ يَا مُخَرِّزَ الْآلَاءِ بِالْإِيْلَاءِ

هذا^(٧)، بُنِي، وصل الله سبحانه^(٨) لك ولي بك علو المقدار، وأجرى وفق أو فوق إرادتك أو^(٩) إرادتي لك جاريات الأقدار ما سمح^(١٠) به الذهن الكليل، واللسان الفليل، في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية السراء^(١١)، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية^(١٢) بجوامع المطلوب، الحسنة المهيّج^(١٣) والأسلوب، المتهلّية بالخلى السنية^(١٤)، العريقة المنتسب في العلى الحسنة، الجالية صدا^(١٥) قلوب ران عليها الكسل، وخانها المسعدان السؤل والأمل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو أقامت حولها، شكّت ونلها وعولها، وحرمت من فريضة الفضيلة عولها، وعهدي بها والزمان زمان، وأحكامه^(١٦) الماضية أماني مفضية وأمان، تتوارد ألافها، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل سهل مُتَمَع، مفترق مُجَمَع^(١٧)، مُسْتَأْنَسٍ غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلا، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المبين، أيد من الفصاحة بأباد، فلم يخفيل بصاحبي طي وإباد، وكسي

(١) في النفع: «مستوطى».

(٢) في الأصل: «سائر» والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «بأحسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «له».

(٥) في الأصل: «بحلا علا» والتصويب من النفع.

(٦) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٤ - ٣٨٧).

(٧) كلمة «سبحانه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٨) في النفع: «وإرادتي».

(٩) في الأصل: «الجالية للسراء»، والتصويب من النفع.

(١٠) في النفع: «الموفية».

(١١) في الأصل: «الحسنة» والتصويب من النفع. (١٥) في النفع: «لصدا القلوب».

(١٢) في النفع: «وأحكامها».

(١٣) في النفع: «مجتمع».

بضاعة^(١) البلاغة، فلم يعبا بهما وابن المراغة^(٢). شفاء المحزون، وعلم السر^(٣) المحزون، ما بين مثوره والمؤزون. والآن لا ملهج ولا مبهج، ولا مرشد ولا منهج، عكست القضايا فلم تثيج، فتبلد القلب الذكي، ولم يرشح القلب البكي^(٤)، وعم الإفحام، وعم الإحجام، وتمكن الإكداء والإجبال، وكورت الشمس وسيرت الجبال، وغلت سامة، وغلبت ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لنوعي الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المهرق، وفرع غصنه المورق، تغنى^(٥) به الحمام الأورق، وأحاط بإعداد عذاته الغصص والشرق، وأمن من الغضب والشرق، وأقبل الأمن وذهب بإقباله الفرق، نفخ في صور أهل المنظوم والمثور، وبغثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتراءت للأدب صور، وعمرت للبلاغة كور، وهمت للبراعة دزر، ونظمت للبراعة دزر، وعندها يتبين^(٦) أنك واحد حلبة البيان، والسابق في ذلك الميدان، يوم الرهان، فكان لك القدم، وأقر لك مع التأخر السابق الأقدم، فوحي نصاعة ألفاظ أجدها، حين أوردتها، وأسلتها حين أزلتها، وأزنتها حين وزنتها، وبراعة معان سلكتها حين ملكتها، وأزويتها حين رويتها^(٧) وأزويتها، وأصلتها حين فصلتها ووصلتها^(٨)، ونظام جعلته لجسد^(٩) البيان قلبا، ولمغصمه قلبا^(١٠)، وهصرت حدائقه غلبا، وارتكبت رويته^(١١) صغبا، ونثار^(١٢) أثبغته له خديما، وصيرته لمدير كأسه نديما، ولحفظ^(١٣) فمامه المدامي أو مدامه الذمامي مديما، لقد فتنتني حين أتتني، وسبنتني حين نصبتني^(١٤)، فذهبت خفتها بوقاري، ولم يرعها بعد شيب عذاري، بل دعت للتصابي فقلت مرحبا، وحللت لفتتها الحبا، ولم أحفل بشيب، وألفت ما رد نصابي نصيب^(١٥)، وإن كنا فرسي رهان، وسابقي حلبة ميدان، غير أن الجلدة

(١) في النفع: «نصاعة».

(٢) همام: هو الفرزدق. وابن المراغة: هو جرير بن عطية.

(٣) في النفع: «سر».

(٤) في النفع: «ولم يرشح القلم الذكي».

(٥) في النفع: «وتغنى».

(٦) في النفع: «تبين».

(٧) في النفع: «رويتها أو رويتها».

(٨) في النفع: «أو وصلتها».

(٩) في النفع: «بجسد».

(١٠) في الأصل: «والمغصمة قلما» والتصويب من النفع. والقلب: السوار. لسان العرب (قلب).

(١١) في الأصل: «روية» والتصويب من النفع. وهنا يشير إلى صعوبة القافية وإن كانت همزية، وهي غير صعبة.

(١٢) في الأصل: «ونثارا» والتصويب من النفع. (١٣) في النفع: «ولحفظه».

(١٤) في النفع: «أطبتني».

(١٥) يشير هنا إلى قول نصيب [الوافر]

بيضاء، والمرجوز الإغضاء، بل الإرضاء. بُني، كيف رأيت للبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، ومحل دغواه بين رحلة وتعريس^(١)؟ كم بين ثغاء بقر^(٢) هذا القلا، وبين زئير ليث العريس؟ كما أني أقطع^(٣) علما، وأعلم قطعاً، وأحكم مضاء وأمضى حكماً، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته، لذهب عرضاً وطولاً، ثم اعتقد لك اليد الطولى، وأقر بارتفاع^(٤) النزاع، وذهبت له تلك العلالات^(٥) والأطماع، ونسي كلمته اللؤلؤية، ورجع عن دعواه الأدبية، واستغفر الله ربّه من تلك الإلهية^(٦). بُني، وهذا من ذلك، من الجري في تلك المسالك، والتبسط في تلك المآخذ والمتارك، أينزع غيري هذا المنزع؟ أم المزة يشغره^(٧) وابنه مولع؟ حيا الله الأدب وبنيه، وأعاد علينا من أيامه وسنيه! ما أعلى منازعه، وأكبا منازعه، وأجل مأخذه، وأجهل تاركه وأعلم آخذه، وأرق طباعه، وأحق أشياعه وأتباعه، وأبعد طريقه، وأشد فريقه، وأقوم نهجه، وأوثق نسجه، وأسمح ألفاظه، وأفصح عكاظه، وأصدق معانيه وألفاظه، وأحمد نظامه ونثاره، وأغنى شعاره ودثاره، فعائبه مطرود، وعائبه مضفود، وجاهله مخضود، وعالمه مخسود، غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل، من ظفر بهما وصل، وعلى الغاية القصوى منهما^(٨) حصل، ومن تكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البرّ الزكي، الحبيب الحفي^(٩)، الصفيّ الوفي، أنك حامل رايته، وواصل غايته، ليس أولوه وآخروه لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يطول الكتاب، ويتخرف الشعراء والكتاب، لفاضت ينابيع هذا الفضل^(١٠) فيضاً، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضاً، قرث عيون أودائك^(١١)، وملئت غيظاً صدور أغدائك، ورقيت درج الآمال، ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالي. والسلام

= وترجمة نصيب في الأغاني (ج ١ ص ٣١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٢٢).

(١) التعريس: النزول ليلاً للراحة. لسان العرب (عرس).

(٢) في النفع: «بقر الفلاة وبين ليث العريس». (٣) في النفع: «أعلم قطعاً، وأقطع علماً».

(٤) في النفع: «فارتفع». (٥) في النفع: «الملاقات».

(٦) في النفع: «الآلية». (٧) في النفع: «بنفسه».

(٨) في النفع: «منه».

(٩) الحفي: الذي يبلغ في السؤال عن الشيء. لسان العرب (حفي).

(١٠) في النفع: «الفضل».

(١١) الأوداء: جمع ودود وهو المحبب. لسان العرب (ودد).

الآتَم^(١) الأكمل الأعم، يَخْصُصُكَ بِهِ مِنْ طَالٍ فِي مَذْحِهِ إِزْقَالَكَ وَإِغْذَاذَكَ^(٢)، وَرَادَّ رَوْضُ حَمْدِهِ^(٣) طَلُّكَ وَرِذَاذَكَ، وَغَدَتِ مَصَالِحُ سَعْيِهِ فِي سَعْيِ مَصَالِحِكَ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَقُضْلِهِ وَمِثَّتَهُ مُعَاذُكَ، وَوَسَمَتْ نَفْسُكَ بِتَلْمِيذِهِ فَسَمَتْ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ أَسْتَاذُكَ، ابْنُ هَانِيٍّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الوفد من أهل بلده عند تصيرها إلى الإيالة النصرية، حسبما ثبت في موضعه.

وفاته: توفي بجبل الفتح، والعدو يحاصره، أصابه حَجَرُ المنجنيق في رأسه، فذهب به، تقبل الله شهادته ونفعه، في أواخر ذي قعدة، من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة^(٤).

وممن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أبو القاسم الحسني، وهي القصيدة التي أولها^(٥): [الطويل]

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضِرَاءِ أَشْلَاءَ سُودِدٍ تَضَمَّنَّهِنَّ الثُّرُبُ صَوْبَ الْغَمَائِمِ

وقد ثبت في «جهد المقل» في اسم المذكور، فليُنظر هنالك.

وممن رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين، رحمه الله بقوله^(٦): [مجزوء الكامل]

قَدْ كَانَ مَا قَالَ الْيَزِيدُ ^(٧)	فَاضْبِرْ فَحُزْنُكَ لَا يَفِيدُ
أَوْدَى ابْنُ هَانِيٍّ الرُّوضَا	فَاعْتَادَنِي لَشُكْلِي عِيدُ
بَسَخَرُ الْعُلُومِ وَصَدْرُهَا	وَعَمِيدُهَا إِذْ لَا عَمِيدُ
قَدْ كَانَ زَيْنًا لِلْوُجُو	دَفْقِيهِ قَدْ فُجِعَ الْوُجُودُ
الْعِلْمُ وَالتَّحْقِيقُ وَالتَّ	وَفَيْقُ وَالسَّخَسْبُ التَّلِيدُ
تَشْدَى خِلَائِقُهُ قُلُ	فِيهَا: هِيَ الرُّوضُ الْمَجُودُ

(١) في النفع: «الآتَم الأكمل...».

(٢) الإرقال والإغذاذ: ضربان من السير السريع. لسان العرب (رقد) و(غذذ).

(٣) في النفع: «حمدك وإبلك وطلُّك ورذاذك».

(٤) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨): «وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعمائة».

(٥) البيت في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨).

(٦) قصيدة ابن شبرين في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٧) في النفع: «البريد».

مُغْضٍ عَنِ الْإِخْوَانِ لَا
أَوْدَى شَهِيدًا بَاذِلًا
لَمْ أَنْسَهُ حِينَ الْمَعَا
وَلَهُ ضُبُوبٌ فِي طَلَا
لِلَّهِ وَقَتٌ كَانَ يَنْتَـ
أَيَّامَ نَفْسِهِ أَوْ نَرُو
وَإِذَا الْمَشِيخَةُ جُثِمَ
وَمُرَادُنَا جَمُّ النَّبَا
لَهْفِي عَلَى الْإِخْوَانِ وَالـ
لَوْ جِئْتُ أَوْطَانِي لَأَنـ
وَلَرَأَيْتُ نَفْسِي شَيْبٌ مِّنْ
وَلَطَفْتُ مَا بَيْنَ اللَّحْرِ
سَرْعَانَ مَا عَاثَ الْجَمَا
كَمْ رُمْتُ أَعْمَالَ الْمَسِيـ
وَالآنَ أَخْلَقْتُ الْوَعْوِ
مَا لَفَتِي مَا يَنْتَفِي
أَعْلَى الْقَدِيمِ الْمُلْكِ يَا
يَا بَيْنَ، قَدْ طَالَ الْمَدَى
وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَـ
أَيْنَ الرِّسَائِلُ مِنْكَ تَأْ
أَيْنَ الرُّسُومُ الصَّالِحَا

جَهْمُ الْقَلَاءِ وَلَا كُنُودٌ^(١)
مَجْهُودَةٌ نِغَمَ الشَّهِيدِ
رَفٌّ بِاسْمِهِ فِينَا تُشِيدُ
بِ الْعِلْمِ يَثْلُوهُ ضُغُودُ
ظَمُنَا كَمَا تُظِمُّ الْفَرِيدُ
ح وَسَغِينَا السُّغَى الْحَمِيدُ
هَضَبَاتُ جِلْمٍ لَا تَبِيدُ^(٢)
ت وَعَيْشُنَا خَضِرُ بَرُودِ^(٣)
أَتْرَابِ كُلِّهِمْ فَقِيدُ
كَرْنِي الثَّهَائِمِ وَالشُّجُودِ
غَادِرْتُهُ وَهَوَّ الْوَلِيدُ
د وَقَدْ تَكَاثَرَتِ اللَّحُودُ
مُ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ هُجُودِ
رِ قَقِيدَتُ عَزْمِي قُبُودِ
د وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ الْبُرُودِ
وَاللَّهُ^(٤) يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
وَيُلَاحِظُ يَفْتَرِضُ الْعَبِيدُ
أَزْعِدُ وَأَبْرِقُ يَا يَزِيدُ^(٥)
وَلَرُبَّمَا لَانَ الْحَدِيدُ
لَهُ وَدُونَنَا مَرْمَى بَعِيدُ
تِينَا كَمَا تُظِمُّ^(٦) الْعُقُودُ؟
تُ؟ تَصْرَمْتُ، أَيْنَ الْعُهُودُ؟

(١) الكُنُود: كافر النعمة، البخيل. لان العرب (كند).

(٢) في النفع: «لا تميد».

(٣) في الأصل: «خَضِرُ الْبُرُودِ» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «فأله».

(٥) في النفع: «أَبْرِقُ وَأَزْعِدُ...». وقد أخذ المعنى من قول الكميت [مجزوء الكامل]:

أَزْعِدُ وَأَبْرِقُ يَا يَزِيدُ — دُ فَمَا وَعَيْدُكَ بِضَائِرِ

(٦) في النفع: «تُصَيِّقُ».

أَنعم مساء لا تَخْطُثُ لك^(١) البشائر والسُّعُود
 وأَقْدِم على دار الرُّضَا حيث الإقامة والخُلود
 والتَّوَّ الأحبَّة حيث دا ر المُلْك والقَصْر المَشِيد
 حتَّى الشَّهادة لم تُفْث لك فَتَجْمَك النُّجْم السَّعيد
 لا تَبْعُدَنَّ وَغَدًا^(٢) لَوْ أَنَّ ن المَمِيتَ^(٣) في الدنيا يَعُود
 ولئن^(٤) بُليتْ فإنْ ذَكَرَ لك في الدُّنَا غَضُّ جَدِيد
 نالَه لا تُنْسَاكَ أَنَا دية العُلى ما اخْضَرَّ عُود
 وإذا تُسْومَخ في الحقو قِ فَحَقُّكَ الحَقُّ الأكِيد
 جادَتْ صَدَاك غَمَامَةٌ يُروى^(٥) بها ذاك الصُّعيد
 وتَعَهَّدْتُكَ مِنَ المُهَيِّب من رحمة أَبَدًا وَجُود

محمد بن يحيى العبدي

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصدفي.

حاله: قال الأستاذ في «صلته»^(٦): إمام في العربية، ذاكِر اللُّغات والآداب، متكلم، أصولي مفيد، مُتَقَنِّن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورع، فاضل. أخذ عِلْم العربية والآداب عن النُّحوي أبي الحسن بن خروف، وعن النُّحوي الأديب الضَّابط أبي ذَرِّ الحُشْنِي، وأكثر عنهما، وأكَمَلَ الكتاب على ابن خروف، تَفَقُّها وتَقْيِيدًا وضَبْطًا. وكان حسن الإقراء، جيّد العبارة، متين المعارف والدين، شديد الورع، متواضعًا جليلاً، عالماً عاملاً، من أجل من لَقِيته، وأجمعهم لفنون المعارف، وضروب الأعمال، وكان الجَفْظ أغلب عليه، وكان سريع القَلَم إذا كَتَب أو قَيَّد، وسمِعته يقول: ما سمعت شيئاً من أحد من أشياخي، من نُكِبَ العِلْم، وتَفْسِير مُشْكِل، وما يرجع إلى ذلك، إلَّا وقَيَّدته، ولا قَيَّدْتُ بخطي شيئاً إلَّا حَفِظْتُهُ، ولا حَفِظْتُ شيئاً فَتَسِيَّته. هذا ما سمعت منه.

(١) في النسخ: «لا تخطبك».

(٢) في الأصل: «وَعَدًا» وهكذا يتكرر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٣) في النسخ: «البدء».

(٤) في النسخ: «فلئن».

(٥) في النسخ: «يرمي».

(٦) الأستاذ هو أبو جعفر بن الزبير، وكتابه هو: «صلة الصلة».

مشيخته: أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي ذر الحشني، وأكثر عنه، وأخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، ولازم ثلاثتهم، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح، وأخذ عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعة كانت لديه، يتجر فيها، ودخل إشبيلية، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفي، رحمه الله، شهيداً بمرسى جبل الفتح. دخل عليهم العدو فيه، فقاتل حين قتل، وذلك سنة إحدى^(١) وخمسين وستمائة. وسمعه يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة.

المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاً الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير^(٢)

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا^(٣) الشيخ سيكيت حلبة، ولد أبيه في علو الثبابة، إلا أنه لودعي فكه، حسن الحديث، رافض للتصنع، ركض طرّف الشبيبة في ميدان الراحة، منكباً عن ستن أبيه وقومه، مع شغوف^(٤) إدراك، وجودة حفظ، كانا يطعمان والده في نجابته، فلم يقدّم قادحاً. ورحل إلى العُدوة، وشرق ونال حظوة، وجرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رُسمه يتكور بها، وهو الآن قد نال منه الكبر، يُزجي الوقت^(٥) بمالقة، متعللاً بوقف^(٦) من بعض الخدم المخزنية^(٧)، لطف الله به.

مشيخته: استجاز له والده الطم والرّم، من أهل المغرب والشرق، ووقف عليه منهم في الصغر وقفاً لم يختبط به عمره، وأذكره الآن بعد أمة، عندما نقر عنه لديه، فأثرت به يده من علو رواية، وتوفر سبب مبرة، وداعية إلى إقالة عشرة، وسر

(١) في الأصل: «أحد» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة ابن الزبير في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٤) في النفح: «شغوف». (٥) في النفح: «الوقت».

(٦) في النفح: «برمن».

(٧) نسبة إلى المخزن. وجاء في النفح: «المخزونية».

هَيِّبَةُ شَيْبَةٍ. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المِشْدَالِي، إجازة ثم لقاء وسماعاً، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون. وأجازه الأستاذ أبو إسحاق الغافقي، وأبو القاسم بن الشاط، والشريف أبو العباس أحمد الحسيني، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القرشي، نزيل سبته. ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتاني الشاطبي ببجاية، والإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحرام، وابن دقيق العيد وغيرهم. ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السُّدَاد، وأبو جعفر بن الزيَّات، وأبو عبد الله بن الكُمَاد، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله بن بُرْطَال، وأبو محمد عبد المنعم بن سِمَاك، والعَدْل أبو الحسن بن مَسْتَقُور. وأجازه من أهل المشرق والمغرب عَالَمٌ كبير.

شعره: وبضاعته فيه مُرْجَاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان^(١): [الوافر]

نوالي الشُّكْرَ للرحمٰنِ قَرَضَا	عَلَّمَ نِعَمَ كَسَتْ طَوَلَا وَعَرَضَا
وكم لله من لُطْفٍ خَفِيٍّ	لنا منه الذي قد شَا ^(٢) وأَمْضَى ^(٣)
بِمَقْدَمِكَ السُّعِيدِ أَتَتْ سَعُودُ	فَنَالَ ^(٤) بِهَا نَعِيمَ الدَّهْرِ مَخْضَا
فيا بُشْرَى لَأَنْدَلَسٍ بِمَا قَدْ	بِهِ وَالْأَكْ بَارِينَا وَأَرْضَى
ويا لله من سَفَرٍ سَعِيدِ	قَدْ أَقْرَضْتَ ^(٥) الْمُهَيِّمَ فِيهِ قَرَضَا
نَهَضْتَ ^(٦) بِنِيَّةٍ أَخْلَصْتَ فِيهَا	قَابَتْ ^(٧) بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي وَيَرْضَى
وُثِنَتْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لِمَا	عَلِمْتَ بِأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَقْضَى
لَقَدْ أَخَيَّنْتَ بِالثَّقْوَى رُسُومًا	كَمَا أَرْضَيْتَ بِالتَّمْهِيدِ أَرْضَا
وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِينَا	تَمَهَّدُ سُنَّةً وَتُقِيمُ قَرَضَا
وَرَضْتَ ^(٨) مِنَ الْعُلُومِ الصُّغْبَ حَتَّى	جَنَيْتَ ثَمَارَهَا رَطْبًا وَغَضَا

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) أصل القول: «شَاء»، فحذف الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «الذي يشاء... وأَمْضَى»، أي في الأصل بياض مكان كلمة «قد»، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «نَالَ» والتصويب من النفع.

(٥) في النفع: «قَدْ أَقْرَضْتَ». (٦) في النفع: «ورخت».

(٧) في الأصل: «قَابَتْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) رَضْتَ: دَلَّلْتَ وَمَهَّدْتَ. لسان العرب (روض).

فَرَأَيْكَ نَاجِعٌ^(١) فِيمَا تَرَاهُ وَعَزَمُكَ مِنْ مَوَاضِي الْهَيْدِ أَمْضَى
تُدَبِّرُ أَمْرَ مَوْلَانَا فَيَلْقَى الْـ حُسْبِيَّ لَدَيْكَ إِشْفَاقًا وَإِغْضَا^(٢)
فَأَغْقَبْنَا شِفَاءً^(٣) وَائِبِسَاطًا وَقَدْ كَانَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مَرْضَى
وَمَنْ أَضْحَى عَلَى ظَمِلٍ وَأَمْسَى يَرِذُ إِنْ شَاءَ مِنْ نِعْمَاكَ حَوْضًا^(٤)
أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ إِلَيْكَ أَشْكُو زَمَانِي حِينَ زَادَ الْفَقْرُ عَضًا^(٥)
وَمِنْ نِعْمَاكَ أَسْتَجِدِي لِبَاسَا يَفِيضُ^(٦) بِهِ عَلَيَّ الْجَاهُ فَيُنْضَا
بَقِيَّتَ مُؤَمَّلًا تُرْجَى وَتُخْشَى وَمِثْلُكَ مِنْ إِذَا مَا جَادَ أَرْضَى

وفاته: توفي في التاسع لمحررم من عام خمسة وستين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك

ابن غالب الغساني

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، ويعرف بالقلبي^(٧)،

أوليته: قد جرى من ذكره وذكر بيته في الطبقات ما فيه كفاية^(٨).

حاله: كان^(٩) نبيه البيت، رفيع القدر، عالي الصيت، من أهل العلم والفضل
والحسب والدين، وأجمع على استيفضائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سَمُحُون سنة
ثمان وخمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة أوائل صفر عشرة وخمسمائة، ودفن في روضة أبيه. ذكره
ابن الصيرفي وأطّنب.

(١) في النسخ: «راجع».

(٢) إغضا: أصلها: إغضاء، فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «شفا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٤) في الأصل: «خوضا» بالخاء والتصويب من النسخ.

(٥) رواية عجز البيت في الأصل هكذا:

حِينَ نَابَ الْفَقْرُ غَضَا

وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٦) في النسخ: «تفيض».

(٧) ترجمة القليبي في التكملة (ج ١ ص ٢٣٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥).

(٨) تقدمت ترجمة أبيه أحمد بن خلف في الجزء الأول من الإحاطة.

(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥) والتكملة (ج ١ ص ٢٣٥).

محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، شيخ الفقهاء والمؤثقيين، صدر أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل والتخلق والعدالة، طرّفاً في الخير، مُحَبِّباً إلى الكافة، مجبولاً على المشاركة، مطبوعاً على الفضيلة، كَهْفًا للغرباء والقادمين، مَالِفًا للمتعلمين، إِمَالًا للأسرى والعائنين، تَخْلَصُ منهم على يَدَيْهِ أُمَّمٌ؛ لقصد الناس إِيَّاهُ بِالصَّدَقَةِ، مقصوداً في الشِّفَاعَاتِ، مُعْتَمِداً بالأمانات، لَا يُسَدَّلُ دُونَهُ سِتْرٌ، وَلَا تُخَجَّبُ عَنْهُ حُرْمَةٌ، فَقِيهًا حَافِظًا، إِيْخْبَارِيًّا مُحَدِّثًا مَمْتَعًا، متقدماً في صناعة التوثيق، حسن المشاركة في غيرها، كثير الحُضُرِ على الصدقة في المَحْوُلِ والأزمات، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها الضعفاء، وينقاد الناس لموعظته، ويؤثر في القلوب بصِدْقِهِ. فَقَدْ يَفْقَدَانَهُ رَسْمٌ من رسوم البرِّ والصَّدَقَةِ.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة، وروى عن الشيخ الوزير المُمِيسِنُ المَحْدَثُ أبي محمد عبد المنعم بن سمالك، وأبي القاسم بن الشُّكُوتِ المالقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشِيد، والقاضي أبي يحيى بن مسعود، والعَدْلُ أبي علي البَجَلِي، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني. وأجازه جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة وستين وستمائة، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة. وكانت جنازته مشهودة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن

يوسف بن روبيل الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السراج. طليطلي الأصل، طبيبُ الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل التَّمَنُّنِ والمعرفة، مُتَنَاهِي الأَبْهَةِ والحُظُوءَةِ، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدُّعَابَةِ والمُؤَانَسَةِ، ذَاكِرًا للأخبار والطُّرَفِ، صاحب حُظٍّ من العربية والأدب والتفسير، قَارِضًا للشعر، حسن المخط،

(١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٧): «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدؤسي...».

ظريف الوراق، طرّفاً في المعرفة بالعُشب، وتمييز أعيان الثّبات، سنيّاً، محافظاً، مُحبّاً في الصالحين، ملازماً لهم، مُعْتَنياً بأخبارهم، مُتَلَمِّداً لهم. انحاش إلى الولي أبي عبد الله التّونسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودوّن أحواله وكراماته. وعيّن رنّع ما يستفيدة في الطّب صدقة على يَدَيْهِ، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. ونال حظاً عريضاً من جاه السلطان، فاطرح حظّ نفسه مع المساكين والمحتاجين، فكان على بأوه على أهل الدنيا، يؤثر ذوي الحاجة، ويخفّ إلى زيارتهم، ويُرْفِدُهم، ويُعينهم على معالجة عللهم.

مُشِيخته: قرأ الطّب على الشيخ الطيب، نسج وحده أبي جعفر الكزني، رئيس الصناعة في وقته، ولقي فيه الأستاذ إمام التّعاليم والمعارف أبا عبد الله الرّقوطي المُرّسي وغيره. وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطّبّاع بالروايات السّبع، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصائغ الإشبيلي، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير.

توالياه: ألف كتباً كثيرة، منها في الثّبات والرّوايا، ومنها كتاب سمّاه «السّرّ المُداع، في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله مُلَغّزاً في المَطَر: [الطويل]

وما زائر مهما أتى ابتَهَجَتْ به	نفوس وعَمّ الخَلْقُ جوداً وإحساناً
يُقيمُ فيشكو الخَلْقُ منه مُقامه	ويكرُبهم طُراً إذا عَنْهُمْ بانا
يسُرُّ إذا وافى ويكرُب إن نأى	ويكرّه منه الوصل إن زار أحيانا
وأعجب شيء هَجَرَ حَبّ مواصل	به لم ^(١) يُطلن هواه إن لم يُطلن خانا

مُحنته: ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر^(٢) فجأة، وهو يُصَلّي المغرب، وياكر الطيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر أنه تناول كَغَكاً وَصَلَهُ من وليّ عهده، فقال كلاماً أوجب نكبته، فامتحن بالسّجن الطويل، والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلي إلى العُدوة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفاً ما عهد من البرّ وفقد من التّجلة.

ميلاده: بقرناطة عام أربعة وخمسين وستمائة.

(١) في الأصل: «حين»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ولي سلطنة غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنِين المُرِّي^(١)

يكنى أبا عبد الله^(٢)، وبيته معلوم.

حاله: كان من أهل المعرفة والتُّبَل والذكاء.

مُشِيخته: قرأ القرآن على أبي بكر بن التُّفَيْس، وأبي عبد الله بن شهيد المُرِّي المقرئ بطخشارش من غرناطة. ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله بن مالك^(٣) المقرئ، وأبي الحسن علي بن عمر بن أَضْحَى، وعلى غيرهما من شيوخ غرناطة.

وفاته: توفي سنة أربعين وخمسمائة.

قلت: وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ألا أذكر هذا النمط لمكان مُصَاهرتي في هذا البيت. ولعلَّ حافِذَ هذا المترجم به من ولدي يُطْلِع على تَعْدَادهم وذكرهم في هذا التَّأليف وتردادهم، فيكون ذلك محَرِّضًا له على التَّجَابة، محَرِّضًا للإجابة، جعلنا الله مِّنْ اتَّمَى لِلْعِلْمِ وأهله، واقتفى من سُنَّته واضح سُبُلَه.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم
ابن حَسَّان القيسي^(٤)

الوادَاشي الأصل والمعرفة، التُّونسي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر.

حاله: من «عائد الصلة»: نشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرِّوَاية ونَقَّب عن المشايخ، وتَيَدَّ الكثير، حتى أصبح جَمَاعَة المغرب، وراوية الوقت. ثم قَدِمَ الأندلس ظريف التُّزعة، عظيم الوقار، قَوِيم السُّنَّت، يَأْوِي في

(١) ترجمة ابن أبي زَمَنِين في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٠١) وهو فيه: «محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله...».

(٢) كنيته في الذيل والتكملة: أبو بكر.

(٣) في الأصل: «ملك» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) ترجمة محمد بن جابر القيسي في التعريف بابن خلدون (ص ١٨) والدياج المذهب (ص ٣١١) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٩٢) و(ج ٧ ص ١٩٢).

فضل التَّعْيِش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع والرواية، وانتقل إلى بُلش، فقرأ بها القرآن العظيم والروايات الشَّيع، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرُّحلة الحجازية، وأغرق، فلقى أُمَّة من العلماء والمحدثين، وأصبح بهم شيخاً وخُده، انْفِصَاح رواية، وعُلُوْ إسناده.

مشيخته: من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمَّاز الخزرجي البَلَنَسِي، وقاضي الجماعة بها أبو إسحق بن عبد الرقيق، وقاضي قضاة الديار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر الكِنَانِي. وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغبريني، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طراد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصبحي، وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السَّعْدِي المصري، ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري، وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، وأبو الفضل أبو القاسم بن حمَّاد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبيد، وعبد الله بن يوسف بن موسى الخِلاسي، وعبد الله بن محمد بن هارون، وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج الشَّجِيبي، وأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللَّبْلِي^(١)، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعزُّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصُّفَّار، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجُذَامِي الشَّاطِبي، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القَيْرَوَانِي، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القَبْشُورِي^(٢)، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رزين الشَّجِيبي، وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرَنِي^(٣)، وعزَّ القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وصُدْر النُحَاة أبو حيَّان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي المقدسي الدَّلاصِي، ورضيُّ

(١) نسبة إلى لبله Niebla وهي مدينة في غرب الأندلس. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٢) نسبة إلى قبور وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

(٣) نسبته إلى بَطْرَنَة وهي قرية بساحل البيرة. نزهة المشتاق (ص ٥٦٤) وجغرافية الأندلس وأوروبا (ص ١٢٩) ومملكة غرناطة (ص ٢٨٨).

الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطُّبري، والمُعَمَّر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وأما مَنْ كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب.

قدم غرناطة في أول عام ستة وعشرين وسبعمئة، فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طارئاً وغريب.

توالياقه: له توالياف حديثة جُملة، منها أربعون حديثاً، أغرب فيها بما دلّ على مَنعة خطوه وانفساح رَحله.

وفاته: كان حياً سنة أربعين وسبعمئة، وبلغني أنه توفي عام سبعة بعدها.

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي^(١)

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان^(٢) مُتَكَلِّماً، واقفاً على مذاهب المُتَكَلِّمين، متحققاً برأي الأشعرية، ذاكرةً لكتب الأصول والاعتقادات، مشاركاً في الأدب، مقدِّماً في الطب.

مُشِيخته: روى عن أبي جعفر بن محمد بن حكم بن باق، وأبي جعفر بن خَلَف بن الهيثم، وأبوي الحسن بن خَلَف العنسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، وأبوي عبد الله بن عبد العزيز المَورِي، وابن فرج مولى الطَّلَاع، وأبي العباس بن محمد الجُذامي، وأبي علي الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصُّفار، وأبي القاسم أحمد بن عمر. وأخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن المُرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن موسى الكلبي. وتأدب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خَلَف بن يوسف بن فَرْثُون بن الأبرش.

مَنْ روى عنه: روى عنه أبو إسحق بن قرقول، وأبو خالد المرواني، وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصُّيقل المرسِي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سَمعان، وأبو الوليد بن خيرة.

(١) ترجمة محمد بن خلف في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

توالياً: من توالياً: «الثكت والأمالى، في الرد^(١) على الغزالي»،
و«الإيضاح»^(٢) والبيان، في الكلام على القرآن»، و«الأصول»^(٣)، إلى معرفة الله ونبوة
الرسول» ورسالة «الاقتصار»^(٤)، على مذاهب الأئمة الأخيار»، ورسالة «البيان، في»^(٥)
حقيقة الإيمان»، والرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في
الجزء الأول من مقدماته، و«شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح»^(٦) البخاري»،
وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وخمسمائة^(٧) في شوال منه، وبلغ في
الكلام فيه إلى الثكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في
معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: ألفت في نور البصيرة، فألف في نور البصر تنفع
وتتفع، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جم الإفادة، ثم أكمل الثكت.

شعره: وكان له حظ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا
المعالى الجويني^(٨): [الخفيف]

حُبُّ خَيْرٍ^(٩) يُكْنَى أبا للمعالى^(١٠) هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا والله مُفَرِّمٌ في هواه^(١١) غلّلوني بذكره غلّلوني

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع
 وخمسين وخمسمائة^(١٢).

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشريشي^(١٣).

- (١) في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨): «في النقص».
- (٢) كلمة «والإيضاح» ساقطة في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤).
- (٣) في الأصل: «والوصول» والتصويب من التكملة والذيل والتكملة.
- (٤) في التكملة والذيل: «الاقتصار».
- (٥) في التكملة والذيل: «عن».
- (٦) في التكملة «وكتاب».
- (٧) في الأصل: «وستمئة» وهو خطأ، وصوبناه من الذيل والتكملة.
- (٨) هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني، والبيتان في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).
- (٩) الخبر: العالم، جمعه أخبار. لسان العرب (حبر).
- (١٠) في الأصل: «أبا المعالى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
- (١١) في المصدرين: «بهواه».
- (١٢) جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥): «وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة».
- (١٣) ترجمة أبي عبد الله الشريشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥) ونفع الطيب (ج ٩ ص ٢٣٠)=

حاله: من أهل التُصاؤُن والحشمة والوقار، مُغرق في بيت الخَيْرِية والعفة، وكان والده صاحبنا، رحمه الله، آيةً في الدُّؤوب والصُّبر على انتِساخ الدُّواوين العِلْمية والأجزاء، بحيث لا مَظَنَّة معرفة أو حُجرة طَلَب تخلو عن شيءٍ من خطِّه إلا ما يَقِلُّ، على سكون وعدالة وانقياض وصبر وقناعة. وأكتب للصُّبيان في بعض أطواره، ونشأ ابنه المذكور ظاهر الثُّبُل والخصوصِية، مشاركاً في فنون؛ من عربية وأدب وحساب وفريضة. وتصرَّف في الشهادة المَخزَنية برهة، ثم نُزِع عنها انقياداً لداعي التَّزاهة، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: وشعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله^(١): [السريع]

بي شادنْ أهيفْ مَهْمَا انْشنى	يحكي تَثْنِيهِ الْقَضِيْبُ الرُّطِيْبُ
ذو غُرَّةٍ كَالْبَذْرِ قَدْ أَطْلَعَتْ	فوق قَضِيْبٍ نَابِتٍ فِي كَثِيْبٍ
خُضْتُ حَشَا الظُّلَمَاءِ مِنْ حُبِّهِ	أَخْتَلِسُ الْوَضْلَ حِذَارَ الرُّقِيْبِ
فَبِتُّ وَالْوَضْلُ ^(٢) لَنَا ثَالِثُ	يَضْمُنَا ثَوْبٌ عَفَافٍ قَشِيْبٍ
حتى إذا ما الليلُ ولَّى وقد	مالتْ نَجُومُ الْأَفْقِ نَحْوَ الْغُرُوبِ
وَدَّغَتْهُ وَالْقَلْبُ ذُو لَوْعَةٍ	أُسَيْلُ ^(٣) مِنْ مَاءٍ جَفُونِي غُرُوبِ
فَلَسْتُ أَدْرِي حَيْثُ وَدَّغَتْهُ ^(٤)	قَلْبٌ بِأَضْلَاعِي غَدَا أَمْ قَلِيْبٌ؟

ومن ذلك في النسيب^(٥): [السريع]

يا أَجْمَلَ النَّاسِ يَا مَنْ غَدَتْ	غُرَّتُهُ تَمَحُّو سَنَا الشَّمْسِ
أُنْعِمْ عَلَى عَبْدِكَ يَا مَالِكِي	دُونَ اشْتِرَاءٍ وَمُنَى نَفْسِي
بأن تُرى وَشَطَى لِعِقْدِي وَأَنْ	تُعِيدَ رَبَّعِي كَامِلَ الْأَنْسِ
فإن تَفَضَّلْتَ بِمَا أَرْتَجِي	أَبْقِيْتَنِي فِي عَالَمِ الْإِنْسِ
وإن تَكُنْ تُرْجِعُنِي خَائِبًا	فَلْإِنِّي أَذْرَجُ فِي رَمْسِي ^(٦)

= (ج ١٠ ص ٢٤، ١٣٦).

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٢) في الأصل: «وللوصل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «أسيل» والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أودغته» والتصويب من الكتيبة.

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥).

(٦) في الأصل: «رمس» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

وقال في فضل العلم^(١): [السريع]

يا طالب العلم اجتهد إنه خير من الثالد والطارف
فالعلم يذكو^(٢) قذر إنفاقه والمال إن^(٣) أنفقته تالف

وترقى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من تعليم ولد السلطان،
والرئاسة القرآنية بباب الإمارة، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة^(٤)، حميد الطريقة
في ذلك كله، معروف الحق، تولاه الله.

مولده: عام ثمانية عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن علي بن سودة المرّي

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نُبهاء بيوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البشارة^(٥)، بشارة بني
حسان، وولي جده الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله: هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء، المانع عن كثير من
الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المماسّة في بعض أغراضها
بالدؤوب والعكوف، المورّين تأثير جبل الرّكية في جعرها، فتصدّر للعلاج، وعانى
الشعر، وأزسم في الكتابة، وغدّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات
الحكماء، وتشوّف إلى العهد للرحلة الحجازية، والله ييسّر قصده.

مشيخته: قرأ الطبّ والتّغديل على الخبر طبيب الدّار السلطانية، فارس دّينك
الفّنين، إبراهيم بن زوّار اليهودي، ورحل إلى العُدوة، فقرأ على الشّريف العالم
الشهير، رُحلة الوقت في المغرب، أبي عبد الله العلّوي، ويلقائه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاد الجِمى صوب الغمام هُتونه تُزجي البروق سحابه فتُعينه

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥). (٢) في الكتيبة: «يزكو».

(٣) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) المراد القلعة الحمراء الملاصقة لقصر الحمراء.

(٥) البشارة أو بشرة أو البُشَرَات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير،
على مقربة من البحر المتوسط. نفع الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة
غرناطة (ص ٤٦).

وسقى ديار العامرية بعد ما
يسندى بأفسنان الأراك كأنه
ومحى الكثيب سكوبه فكأنه
حتى إذا الأرواح هبت بالضحي
وكأنه والرعد يحدو خلفه
أو سخ دمعى فوق أكناف اللوى
والبرق في خلل السحاب كأنه
أو ثوب ضافية الملايس كاعب
من الديار برامة لا دهرها
ولقد وقفت برسمها فكأنني
قلبي بذاك اللوى خلقت
لا تسأل^(٣) العذال عني فالهوى
إن يخف عن شرحي حديث زميرتي
عجبا لدمعي لا يكف كأنما
محيي المكارم بعدما أودى بها
مولى الملوك عميد كل فضيلة
يضيفني إلى داعي الندى فيهره
من ذا يسابق فضله لوجوده
إن تلقه تلق الجمال وقاره
غمر الأنام نواله ومحا الضلا
أخيا رسوم الدين وهي دوارس
شمس الهدى خفت العدا مخبي الندا
ليث الشرى غوث الورى قمر الشرى
فليأسه يوم الوغى ولعزمه

وافى بجزع^(١) الكثيب معيته
عقد تناثر بالعقيق ثميته
خط تطلس ميسمه أو نوته
مسحت عليه بالجنح ثبينه
صب يطول إلى اللقاء حنيته
جادت بلؤلؤة النفيس عيونه
مكنون سر لم يدع^(٢) مضمونه
عمدت بحاشية النصار تزيته
سلس القياد ولا العتاب يلينه
من ناجل الأطلال فيه أكوته
ألوى بمزديف الرفاق ظعيته
هذا^(٤) يخامر بالضلوع دفينه
فعلى الفنون فريضة ثبيته
جدوى أبي عبد الإله هثونه
زمن تقلب بالكرام خثونه
علق الزمان ثميته ومكيته
وبملتقى الجمعين طال سكونه
ويلج فيض البحر فاض يمينه
والحلم طبع والسماحة دينه
ل رشاده وجلا الظلام جبينه
ولطالما صدع الشكوك يقيته
بحر الجدا طول المدى تمكينه
سن القرى عم القرى تأمينه
جاش الهزبر إذا الهزبر يخونه

(١) في الأصل: «الجرع» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قد أذيع» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «تسأل» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «ذا» وكذا ينكسر الوزن.

لا تَسْأَلِ^(١) الهيجاء عنه إنه
لو كان يُشغله المنام عن الغلا
وإذا تطاولت الملوك بماجد
يا ابن الآلى نصرُوا الرسول وَمَنْ بِهِمْ
خُصُوا ببيعته وحاموا دونه
أَمَاضِدَ الإسلام أنت عميدُه
لم يبق إلا من بسيفك طائع
وبجيشك المنصور لو لاقينته
ولو اضطئفت إلى العدو إدالة
خُذها إليك قصيدة من شاعر
جعل القوافي للمعالي سُلَمًا
غَطَّى هواه عقله واقتاده

يصل المراد كما تحب ظنونه
هجر المنام وباعدته جفونه
بمحمد دون الأنام يكوونه
نطق الكتاب فصيحُه ومبينه
نهج الرضا حتى تقاوم دينه
وخليفة الرحمن أنت أميئه
الفنش^(٢) في أقصى البلاد رهينه
أدرى بمشجر الرماح طعيئه
طاغت إليك بلادُه وحصونه
حلوا الكلام مهدب تبينه
فجنى القريض كما اقتضته فنونه
يحصي النجوم جهالة تزينه

ولو أخذته أيدي التحرير والنقد، لرجي أن يكون شاعرًا، وبالجمله فالرجل
معدود من السراة بيتًا وتخصصًا.

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

مُنْكَبِي^(٣)، الأصل، يكنى أبا عبد الله، طيب الدار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، فذا في الانطباع واللؤذعية، حسن
المشاركة في الطب، مليح المحاضرة، حفيظة، طلعة، مستحضرًا للأدب، ذاكرًا
لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبي جعفر الكزني، وانتصب للعلاج، ثم انتقل
إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، وولي الحسبة، ومن شعره يخاطب السلطان
على السنة أصحابنا الأطباء الذين جمعتهم الخدمة ببابه يومئذ، وهم أبو الأضبع بن
سعادة، وأبو تمام غالب الشقوري: [الخفيف]

قد جمعنا ببابكم سطر علم لبلوغ المني ونيل الإرادة

(١) في الأصل: «تسل» وكذا ينكر الوزن.

(٢) في الأصل: «والفنش»، وكذا ينكر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو. والفنش: هو Alfonso صاحب قشتالة.

(٣) نسبة إلى المُنْكَب Almuneacar، وهي مدينة صغيرة في مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط.
الروض المعطار (ص ٥٤٨).

وَمِنْ أَسْمَائِنَا^(١) لَكُمْ حُسْنُ قَالَ غَالِبٌ ثُمَّ سَالَمَ وَسَعَادَةَ

وفاته: توفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين^(٢)

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الملاحى^(٣)، قال: وَلِي الْأَحْكَامَ، وكان فقيها نبيها.

وفاته: توفي بغرناطة في عَشْر السنين وأربعمائة.

قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر، فليُنظر هناك إن شاء

الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِين

عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي

حاله: كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، وأجل وقته قدرا في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء، متفنتا في العلم، مضطلعا بالأدب، قارضا للشعر، متصرفا في حفظ المعاني والأخبار، مع التمسك والزهد، والأخذ بسُنَن الصالحين، والتخلق بأخلاقهم. لم يزل أُمَّة في الخير، قانتا لله، مُنِيبًا له، عالما زاهدا صالحا خيرا متقشفا، كثير التبتل والتزلف بالخيرات، مسارعا إلى الصالحات، دائم الصلاة والبكاء، واعظا، مذكرا بالله، داعيا إليه، ورعا، مُلَبِّي الصدقة، معينا على النّابة، مواسيا بجاهه وماله، ذا لسان وبيان، تُصغي إليه الأفتدة فصيحًا، بهيا، عربيا، شريفا، أبي النفس، عالي الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكيا، راسخا في كل جم من العلوم، صيرفيا جهبذا، ما رؤي، قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، وسمع بها من أحمد بن مطرف، ووهب بن مسرة

الججاري، وعن أبان بن عيسى بن محمد بن دثير، وعن والده عبيد الله بن عيسى.

(١) في الأصل: «ومن أسمائنا» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) ترجمة ابن أبي زَمَنِين في مطمح الأنفس (ص ٢٦٦) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٩٨).

(٣) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي، المعروف بالملاحى، صاحب كتاب «تاريخ علماء البيرة»، وقد توفي سنة ٦١٩ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب بعد قليل.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري وغيره.

توالياً: ألف كتاب المَغْرِب في اختصار «المُدَوْنَة» ثلاثين جزءاً، ليس في المختصرات مثله بإجماع، والمُهَذَّب في تفسير «المَوْطِئ»، والمُشْتَمَل في أصول الوثائق، وحياة القلوب، وأنسُ الفريد، ومُنْتَخَب الأحكام، والنصائح المنظومة، وتفسير القرآن.

مولده: في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

وفاته: توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه الله ونفع به.

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَّف
ابن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايصي^(١)

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان^(٢) وزيراً جليلاً، فقيهاً رفيعاً، جواداً، أديباً، جيد الشعر، عارفاً بصناعة النحو والعروض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرواية والدراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رشد القاضي الإمام، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمُجُون.

شعره: من شعره قوله^(٣): [السريع]

يا حُرْقَةَ البَيْنِ كَوْنِي الحشا	حتى أَذْنَبِ القلبَ في أضْلَعِ
أَذْكَيْتَ فِيهِ النَّارَ حتى غدا	يَنْسَابُ ذاك الذُّؤْبُ من مَذْمَعِ
يا سَوْلاً هذا القلبَ حتى متى	يؤسى بِرَشَفِ الرِّيقِ من مَتْبَعِ؟
فإنَّ في الشَّهْدِ شِفَاءَ الوري ^(٤)	لا سيما إنْ مُصَّ ^(٥) من مَكْرَعِ
والله يُدْني مِنْكُمْ عاجلاً	وَيُبْلِغُ القلبَ إلى مَطْمَعِ

(١) ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن هاني اللخمي في التكملة (ج ٢ ص ٥٤) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣). (٣) الأبيات في نفع الطب (ج ٥ ص ١٤٣).

(٤) في الأصل: «شفاً للورى» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «يصر» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من النفع.

مولده: ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في آخر^(١) جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد
ابن يوسف بن أحمد الغساني^(٢)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان محدثاً نبيلًا حاذقًا ذكيًا، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب»^(٣)، واختصار حسن في «اقتباس الأنوار» للرشاطي. وكان كاتبًا وافر الحظ من الأدب، يقرض شعراً لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب^(٤): [الكامل]

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعِمَارَةٌ	بَطْنٌ وَفَخْدٌ وَالْقَصِيلَةُ تَابِعَةٌ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ ^(٥) لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَامِعَةٌ
وَالْبَطْنُ تَجْمَعُهُ الْعِمَارَةُ ^(٦) فَاغْلَمَنُ	وَالْفَخْدُ تَجْمَعُهُ ^(٧) الْبَطُونُ الْوَاسِعَةُ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ ^(٨) لِلْقَصَائِلِ كُلِّهَا ^(٩)	جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ لَهَا مُتَتَابِعَةٌ
فَحُزْنِيَّةٌ شَعْبٌ وَإِنْ كُنَانَةٌ	لَقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْقَصَائِلُ شَائِعَةٌ ^(١٠)
وَقُرَيْشُهَا تُسَمَّى الْعِمَارَةُ ^(١١) يَا فَتَى	وَقُصِيَّ بَطْنٌ لِلْأَعَادِي ^(١٢) قَامِعَةٌ

- (١) في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣): «توفي بغرناطة لسبع بقين من جمادى الآخرة...».
- (٢) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الغساني في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
- (٣) ورد في التكملة أن هذا الكتاب سماه الغساني بمستفاد الرحلة والاغتراب.
- (٤) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
- (٥) في النفح: «مجتمع القبيلة».
- (٦) في الأصل: «يجمعه العِمَارَةُ» والتصويب من المصدرين.
- (٧) في الأصل: «بجمعه» والتصويب من المصدرين.
- (٨) في الذيل: «تجمع».
- (٩) في المصدرين: «هاكها».
- (١٠) في الأصل: «شامعة» والتصويب من المصدرين.
- (١١) في الأصل: «تسمو العبارة»، والتصويب من المصدرين.
- (١٢) في الأصل: «بَطْنُ الْأَعَادِي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

ذا هاشم^(١) فخذ^(٢) وذا^(٣) عباسها^(٤) إلا^(٥) الفصيلة لأثناط بسابعة

مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسائة.

وفاته: بمُرْسِيَة في رمضان تسع عشرة وستمائة^(٦).

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد
ابن عبد الواحد بن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد
ابن حَقْل الغافقي^(٧)

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاحه^(٨) من قَنْبِ قَيْس من عمل
البيرة، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاحى. وقد نقلنا عنه الكثير، وهو من المفاخر
الغُرْنَطِيَّة.

حاله: كان محدثًا راوية مُعْتَنِيًا، أدبًا، مؤرخًا، فاضلاً جليلاً. قال الأستاذ^(٩)
في «الصلة»: كان من أفضل الناس، وأحسَنهم عِشْرَةً، وألَيَنهم كلمة، وأكثرهم مروءة،
وأحسنهم خَلْقًا وخُلُقًا، ما رأيت مثله، قدس الله تربته. وذكره صاحب «الذيل»^(١٠)
الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الملك، وأطنب فيه، وذكره المحدث أبو عبد الله
الطنجالي، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبي محمد، وأبي القاسم بن بَشْكَوَال، وأبي العباس بن
اليتيم، وعالم كثير من غير بلده، ومن أهل بلده سوى أبيه، وعن أبي سليمان
داود بن يزيد بن عبد الله السَّعْدِي القلعي^(١١)، لازمه مدة. وعن أبي خالد بن رَفَاعَة
اللخمي، وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العَبْدَرِي، وأبي جعفر عبد الرحمن بن

(١) في الأصل: «ذا ما ثم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الذيل: «وما». (٣) في النفع: «أثر».

(٤) في التكملة: «وتوفي بمُرْسِيَة في العشرة الأواخر من رمضان سنة تسع عشرة وستمائة».

(٥) ترجمة محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣) والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٦) الملاحه: قرية على بريد من غرناطة. التكملة (ج ٢ ص ١١٩) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٧) هو ابن الزبير صاحب «صلة الصلة».

(٨) هو ابن عبد الملك المراكشي، صاحب كتاب «الذيل والتكملة» وقد ذكره، كما قلنا، في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣).

(٩) ترجمة داود بن يزيد السَّعْدِي القلعي في التكملة (ج ١ ص ٢٥٥) والوافي بالوفيات (ج ١٣ ص ٤٩٩) ويغية الوعاة (ص ٢٤٦).

الحسن بن القصير، وأبي بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن حَكَم الحضار، وأبي عبد الله بن عَرُوس، وأبي الحسن بن كَوثر، وأبي بكر الكُثندي، وأبي إسحاق بن الجَلَّا، وأبي بكر بن أبي زَمَين، وأبي القاسم بن سَمَجون، وأبي محمد عبد الصمد بن محمد بن يَعِيش الغساني. وكان من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط والتقيد والإتقان، بارع الخط، حسن الوراق، أديبًا بارعًا ذاكراً للتاريخ والرجال، عارفًا بالأنساب، نقادًا حافظًا للأسانيد، ثقةً عدلًا، مشاركًا في فنون، سياسيًا. وروى عنه الأستاذ، واعتنى بالرواية عنه. وقال الأستاذ: حدثني عنه من شيوخه جماعة، منهم القاضي العدل أبو بكر بن المُرابط.

توالمفه: ألف كتابه في «تاريخ علماء البيرة»، واحتفل فيه. وألف كتاب «الشجرة في الأنساب»، و«كتاب الأربعين حديثًا»، و«كتاب فضائل القرآن»، و«برنامج روايته» وغير ذلك.

مولده: سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وفاته: توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستمائة ببلده^(١).

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشَّقُوري، منسوبًا إلى مدينة شَقُورة^(٢) ومنها أهله، صاحبنا طبيب دار الإمارة، حفظه الله.

حاله: هذا الرجل طُرِفَ في الخير والأمانة، فذُ في حسن المشاركة، نقي في حب الصالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حَذِرَ من التفريط، حريص على التعلُّق بجناب الله، نشأ سابغ رداء العفة، كثيف جلباب الصيانة، متصدّرًا للعلاج في زمن المراهقة، مُعَمًّا، مُخَوَّلًا في الصناعة، بادي الوقار في سنّ الحشمة. ثم نظر واجتهد، فأخَرَزَ الشهرة بدينه، ويُنَمِّنُ نقيته، وكثرة جِيطته، ولطيف علاجه، ونُجَح تجربته. ثم كَلِفَ بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغْتَبَط به، وشدَّ اليَدَ

(١) في التكملة (ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠): «وتوفي لخمس خلون من شعبان سنة تسع عشرة وستمائة، وقال غيره: سنة عشرين». ومثله جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٨).

(٢) شقوره: بالإسبانية Segura de la Sierra، وهي مدينة من أعمال جيان بالأندلس. الروض المعطار (ص ٣٤٩).

عليه، وظهر له فضله، وهو لهذا العهد ببابه، حميدُ السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشدُّ الخلق حرصًا على سعادة من صَحِبَه، وأكثرهم ثناءً عليه، وأضرَّحُهم نصيحة له، نبيلُ الأغراض، قُطْنُ المقاصد، قائمٌ على الصنعة، مُبِينُ العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلم في طريقة الصوفية، عديم النظر في الفضل، وكرم النفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هذيل، ولأزمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ الصوفي أبي مُهذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بركته.

توالياه: ألف كتبًا نبيلة، منها «تحفة المتوصل في صنعة الطب» وكتابًا أسماه «الجهاد الأكبر»، وآخر سماه «قمع اليهودي عن تعدي الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدني بعد ممانعة واعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت رِكابَ العِزِّ أين رِكابِي	فأبدي عِنادًا ثم ردَّ جوابِي
رِكابُك مَع مِيري يَسِيرُ بِسِيرِهِ	بغير حُلُولٍ مَدَّ حَلَلْتُ جَنابِي
فلا تَلتَفْتُ سِيرًا لِداتِكَ إِنما	تَسِيرُ بِها سِيرًا لِغَيرِ ذهابِ

وهي متعددة.

مولده: ولد في عام سبعة وعشرين وسبعمائة.

محمد بن علي بن فرج القَرَبَلْياني^(١)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلًا ساذجًا، مشغولًا بصناعة الطب، عاكفًا عليها عمره، محققًا لكثير من أعيان النبات، كَلِفاً به، مُتَعَيِّشًا من عُشْبِهِ أول أمره، وارتاد المنايا، وسَرَحَ بالجبال، ثم تصدَّر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كُتائِشِهِ على رِكاكَةِ خُطِّهِ، وعالج السلطان نصر المُسْتَقَرَّ بوادي آش، وقد طرق مَن بها مرضٌ وافد حمل علاجه المُشاقَّةَ لأجله، وعظُم الهلاك فيمن اختصَّ بتدبيره، فطوَّف

(١) نسبة إلى قَرَبَلْيَان Grevillente، وهي قرية صغيرة بمقاطعة لقنت، كثيرة الزيتون. الروض المعطار (ص ٤٥٥).

القلب المبارك بمبراه. ثم رحل إلى العُدوة، وأقام بمزأكش سنين عدة، ثم كُرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين، وبها هلك على أثر وصوله.

مُشِيخته: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قَرْبَلَيان بلد الدُجن^(١)، وأخذ الجراحة عن فوج من مُحسنِي صناعة عمل اليَد من الرُّوح. وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره.

توَالِيْفُه: ألف كتابًا في النِّبات.

وفاته: في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعمائة.

محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكُونِي^(٢)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش^(٣).

حاله: رحل في فتاته، بعد أن شدا شيئًا من الطلب، وكَلِفَ بالرواية والتقييد فلقي مُشِيخَةً، وأخذ عن جِلَّة، وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقباض والعفة، وأدخل الأندلس فوائد وقصائد، وكان ممن ينتفع به لو أمهلتُه المنية.

شعره: مما نسبته إلى نفسه من الشعر قوله^(٤): [المجثث]

يا مَنْ عليه اعتمادي	في قَلِّ أنْـرِي وكُثْرَةٍ
سَهْلٌ عليّ ارتحالي	إلى الثُّبِيّ وقُبْرَةٍ
فَسَـدَاكْ أَقْصَى مُرَادِي	مِنَ الوُجُودِ بِأَشْرَةٍ
وليس ذا بعزيز	عليك فامْتُنْ بِبُشْرَةٍ

ومن ذلك^(٤): [الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ ما لَاحَ المَشِيْبُ بمُفْرِقِي	أَمِيلُ لَزُورٍ بِالغُرُورِ مِصَاغُ ^(٥)
وَأَرْتَاحَ لِلذَّاتِ والشُّيْبُ مُنْذَرُ	بِمَا لَيْسَ عَنْهُ لِلْأَنَامِ مِرَاغُ

(١) أي أن قربليان هذه كانت في أيام ابن الخطيب، أي في عهد بني نصر، سلاطين غرناطة، في أيدي النصارى، والدجن أو المدجنون هم المسلمون الذين كانوا يرزخون تحت حكم الإسبان.

(٢) ترجمة محمد بن علي السكوني في الكتبية الكامنة (ص ٦١).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس، تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

(٤) الأبيات في الكتبية الكامنة (ص ٦١). (٥) في الكتبية: «يصاغ».

وَمَنْ لَمْ^(١) يَمُتْ قَبْلَ الْمَشِيبِ فَإِنَّهُ يُرَاغُ بِهَوْلِ بَعْدِهِ وَيُرَاغُ
فِيَا رَبِّ وَقَفْنِي إِلَى مَا يَكُونُ لِي بِهِ لَسْذِي أَزْجُوهُ مِنْكَ بِلَاغُ
وفاته: توفي مُغْتَبِطًا فِي وَقِيعَةِ الطَّاعُونَ عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، خَطِيبًا بِحَصْنِ
قُمَارَش.

محمد بن سُودَة بن إبراهيم بن سودَة المُرِّي

أصله من بُشْرَة عرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من بعض التواريخ المتأخرة: كان شيخًا جليلاً، كاتبًا مجيدًا، بارع
الأدب، رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفًا بالنحو واللغة والتاريخ،
ذاكرًا لأيام السلف، طيب المحاضرة، مליح الشببة، حسن الهيئة، مع الدين والفضل،
والطهارة والوقار والضمّت.

مشيخته: قرأ بفرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن
الفرس، وغيره من شيوخ غرناطة. وبمالقة على الأستاذ أبي القاسم الشهيلي، وبجيان
على ابن يزبوع، وبإشبيلية على الحسن بن زرقون وغيره من نظرائه.

أدبه: قال الغافقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن
سهل بن مالك، مكاتبات ومراجعات، ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم
يراعته.

محتته: أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة، أسر هو وأولاده، فكانت وفاته أسفًا
لما جرى عليهم، نفعه الله. توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة.

محمد بن يزيد بن رفاعَة الأموي البيري

أصله من قرية طُرُش^(٢).

حاله: طلب العلم وعنى بسمعه، ونسخ أكثر كتبه بخطه، وكان لغويًا شاعرًا،
من الفقهاء المشاورين الموثقين، وولي الصلاة بالحاضرة، وعزل، وسرد الصوم عن
نذر لزمه عُمره.

(١) كلمة «لم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة الكامنة.

(٢) طُرُش: بالإسبانية Turro، وهي قرية على ضفة البحر بين المنكب وبلش مالقة. راجع مملكة
غرناطة (ص ٧٠) ففيه دراسة عن هذه القرية مع ثبت بأسماء المصادر التي تحدثت عن تلك
القرية.

مشيخته: سمع من شيوخ البيرة؛ محمد بن قُطيس، وابن عَمْرِيْل، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص بن نجيع، وبقرطبة من عُبَيْد الله بن يحيى بن يحيى وغيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي علي البغدادي، في مقدّمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحَكَم^(١) أمر ابن الرُّمَاحِس عامله على كُورَتِي البيرة وبجّانة، أن يجيء مع أبي علي في وفد من وجوه رعيّته، وكانوا يتذكرون الأدب في طريقهم، إلى أن تجاروا يوماً، وهم سائرون، أدب عبد الملك بن مَرْوان، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، وإنشاده بيت عبّدة بن الطيّب^(٢): [البسيط]

ثُمّت قُمنّا إلى جُردٍ مُسَوّمةٍ أعرافُهُنَّ^(٣) لأَيدينا مَناديلُ

وكان الذّاكر للحكاية أبو علي، فأنشد الكلمة في البيت: أعرافُها^(٤)، فلوى ابن رفاعه عِنايه منصرفاً، وقال: مع هذا يُوفد على أمير المؤمنين، وتُجشّم الرّحلة العظيمة، وهو لا يقيم وَزَنَ بيت مشهور في النَّاسِ، لا يَغْلُظ فيه الصُّبيان، والله لا تَبِغْته خطوة، وانصرف عن الجماعة، ونَدَبه أميره ابن الرُّمَاحِس، ورامَه بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يعرفه بآبن رفاعه، ويصف ما جرى معه، فأجابه الحَكَم على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جَعَلَ في بادية من بوادينا مَنْ يُخْطِئ وفد أهل العراق، وآبن رفاعه بالرّضا أولى منه بالسُّخط، فدعه لَشَأْنه، وأقدم بالرّجل غير متَّقَصٍ من تكريمه، فسوف يُعليه الاختبار أو يحطّه.

وفاته: توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمئة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي

ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء.

(١) هو الخليفة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر، المعروف بالحكم المستنصر، حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

(٢) عبدة بن الطيّب شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وترجمته في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٦١٣) وبيته هذا قاله في الصعلكة، وهو في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٢) والشعر والشعراء (ص ٦١٤).

(٣) في الأصل: «أعرافهن» بالقاف، والتصويب من المصدرين. والأعراف: جمع عُزف وهو شعر عُتق الفرس. محيط المحيط (عرف).

(٤) في الأصل: «أعرافها» بالقاف.

حاله : كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً، خطيباً، فقيهاً، مُجَوِّداً للقرآن، قديماً
الطلب، شهير البيت، معروف الثَّعْنَيْنِ، نبيه السُّلف في القضاء، والخطابة والإقراء،
مضى عمره خطيباً بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها، وبأشر
الحصار بها عشرين شهراً، نفعه الله. ثم انتقل إلى مدينة سَبْتَة، فاستقرَّ خطيباً بها إلى
حين وفاته.

مشيخته : قرأ على والده، رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ أبيه أبي عمر،
وعباس بن الطفيل، الشهير بابن عَظِيمَة، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبير،
والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد بخرناطة عند قدومه عليها، والقاضي أبي المجدد بن
أبي الأحوص، قاضي بلده، وكتب له بالإجازة الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن
ربيع، وأجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد الله الطَّنْجَالِي، وأبو محمد الباهلي، وأبو
عثمان بن سعيد. وأخذ عن القاضي بَسْبَة أبي عبد الله الحَضْرَمِي، والإمام الصالح
أبي عبد الله بن حُرَيْث، والمحدث أبي القاسم التُّجَيْبِي، والأستاذ أبي عبد الله بن
عبد المنعم، والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم، ابني يَزْبُوع. قال: وكلُّهم لقيته
وسمعتُ منه. وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُرَيْث فإنه أجاز لي، ولقيته
ولم أسمع عليه شيئاً، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المِشْدَالِي، والخطيب ابن عَزْمُون
وغيرهما، ممن تضمنه برنامجُه.

توالياقه : قال: وكان أحد بُلْغَاء عصره، وله مُصَنَّفَات منها: «التَّفْحَة الأَرْجِيَّة»،
في الغزوة المَرْجِيَّة»، ودخل غَرْناطة مع مثله من مشيخة بلده في البَيْعَات، أظن
ذلك.

وفاته : توفي في الطَّاعُون بِسَبْتَة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين
وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

من أهل المَرِيَّة.

حاله : من بعض الثَّقِيدَات، كان فَنِي وَسِيمًا، وقوراً، صَيِّبًا، متعَفِّفًا، نَجِيًّا،
ذَكِيًّا. كَتَبَ عن شيخنا أبي البركات بن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله
إلى غَرْناطة، فَكَتَبَ بها. وكان ينظم نظمًا مترفَعًا عن الوَسْط. وجرى ذكره في
«الإكليل» بما نصُّه: مَمَّنْ نَبِغَ وَنَجَّبَ، وَخُلِقَ لَهُ الْبِرُّ بِذَاتِهِ وَوَجِبَ، تَحَلَّى بِوَقَارِ،
وَشَغَّشَ لِلْأَدَبِ كَأْسَ عَقَارِ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَرِمَ فِي اقْتِبَالِ، وَأَصِيبَ الْأَجَلِ بِنِيَالِ.

ومن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعاني على طول البعاد هواها وقد سَدُّ أبواب اللقاء^(١) نواها
وقد شِمْتُ بَرَقًا لِلْقَاءِ^(٢) مُبَشِّرًا وقد نَفَحَتْ رِيح الصُّبَا بشذاها
وجنُّ دُجَى لَيْلٍ بِخَيْلٍ بِصُبْحِهِ كما بَخِلْتُ لَيْلَى بِطَيْفِ سُرَاهَا
وقاد زَمَانِي قَائِدُ الْحَبِّ قاصدا ربوعًا ثَوَتْ لَيْلَى بِطُولِ قَنَاهَا
وناديتُ والأشواق بالوَجْدِ بَرَحَتْ ودمعِي أَجْرَى سَابِغًا لِلْقَاهَا
أَيَا كَفَّةَ الْحُسْنِ الَّتِي النَّفْسُ^(٣) تَرْتَجِي رضاها وحاشى أَنْ يَخِيبَ رَجَاهَا
أَحْبَبُكَ يَا لَيْلَى عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى وبِي مِنْكَ أَشْوَاقُ تَشْبُ لَظَاهَا
لِئِنْ حُجِبْتَ لَيْلَى عَنِ الْعَيْنِ إِنِّي بعَيْنِ فَوَادِي لَا أَزَالُ أَرَاهَا
إِلَى أَنْ بَدَا الصَّبْحُ الْمُشْتَتِ شَمْلَنَا وما بَلَغَتْ نَفْسُ الْمُشْوَاقِ مُنَاهَا
فَمَدَّتْ يَمِينًا لِلْوَدَاعِ وَدَمْعُهَا يُكْفِكِفُهُ خَوْفُ الرَّقِيبِ سُرَاهَا
وَقَالَتْ: وَدَاعًا لَا وَدَاعَ تَفَرِّقُ لَعَلَّ اللَّيَالِي أَنْ تُدِيلَ نَوَاهَا
تُذَكِّرُنَا لَيْلَى مَعَاهِدَ بِاللَّوَى رَعَى اللَّهُ لَيْلَاتِ اللَّوَى وَرَعَاهَا

وفاته: توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمراكشي.

حاله: كان فتي جميل الرؤيا، سَكُونًا، مَطْبُوعًا عَلَى الْمُغَافَصَةِ^(٤) وَالْغَمَزِ، مهتديًا إِلَى خَفِيِّ الْحَيْلَةِ، قَادِرًا عَلَى الْمُبَاحَثَةِ، ذَكِيًّا، مُتَسَوِّرًا عَلَى الْكَلَامِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْأَلْقَابِ، مِنْ غَيْرِ تَدْرُبٍ وَلَا حُنْكَ، دَمِثَ الْأَخْلَاقِ، لَيْنَ الْعَرِيكَ، انْتَحَلَ الطَّبَّ، وَتَصَدَّرَ لِلْعِلَاجِ وَالْمَدَاوَةِ، وَاضْطَبَّنَ أَغْلُوطَةً صَارَتْ لَهُ بِهَا شَهْرَةٌ، وَهِيَ رِقٌّ يَشْتَمَلُ عَلَى أَعْدَادٍ وَخُطُوطٍ وَزَايِرَجَةٍ، وَجَدَاوِلَ غَرِيبَةِ الْأَشْكَالِ، تَحْتَهَا عِلَامَاتٌ فِيهَا اصْطِلَاحَاتُ الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ، وَيَتَّصِلُ بِهَا قَصِيدَةٌ رَوِيهَا لَامُ الْأَلْفِ أُولَاهَا، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ: [الطويل]

يَقُولُ لِسَبْتِي^(٥) وَيَحْمَدُ رَبُّهُ مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أَرْسَلَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «اللقاء»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ. (٢) فِي الْأَصْلِ: «اللقاء»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.
(٣) فِي الْأَصْلِ: «لِلنَّفْسِ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ. (٤) الْمَغَافَصَةُ: الْمَفَاجَاةُ. لِسَانَ الْعَرَبِ (غَفَصَ).
(٥) فِي الْأَصْلِ: «سَبْتِي»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

وأنها مدخل للزيرجة، ذكر أنه عشر عليها في مَظَنَّة غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام بالكنايات، والإخبار بالخفي وتَقْدِمة المعرفة، والإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المشيخة، ممن كان يركن إلى رُجحان نظره، وسلامة فطرته، واستغلت الشهادة له بالإصابة سجيّة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتحرفين. أخبرني بعضهم أنه خبأ له عَظْمًا صغيرًا، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح ديك، وزعم أرباب الخواص أنه يُزِيل الإعياء إذا عُلِق، فتصرف على عادته من الدخول في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثيرة، يضربها آونة، ويُقسِمها أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوبًا وسهامًا، ويأخذ جذورًا، وينتج له العمل آخرًا حروفًا مقطعة، يبقياها الطرح، يُؤلف منها كلامًا تُقْتَنَص منه الفائدة، فكان في ذلك بيت شعر: [الطويل]

وفي يدكم عَظْمٌ صغير مُدَوَّر يُزِيل به الإعياء^(١) مَنْ كان في السَفَر

وأخبرني آخرون أنه سُئِل في نازلة فقهية لم يَلَق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جَلَّة من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يُخرج خبيثته سواد لئلة، فتأمل ما يصنعه، فلم يأت بشيء، ولا ذهب إلى عمل يُتَعَقَّل، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تَخَيُّل وتخمين، تختلف فيه الإصابة وضدها، بحسب الحالة والقائل، لتصرف الحيلة فيه، فافتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة الممؤهة، ممطولين منه بطريق التصرف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان، فأرسم ببابه، وتعدى الإنس إلى طب الجن، فافتضح أمره، وهُمَّ به، فنجا مُقْلِتًا. ولم تزل حاله مضطربة، إلى أن دُعي من العُدوة وسلطانها، منازل مدينة تلمسان، ووصلت الكتب عنه، فتوجه في جَفَن هُمَّى له، ولم ينشب أن تُوفي بالمحلة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعماية.

محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من أهل الخصوصية والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلُّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس والمأكَل، على سُنن الفضلاء وأخلاق الجَلَّة.

(١) في الأصل: «الإعياء» وكذا ينكسر الوزن.

انتظم لهذا العهد في نَمَط من يُستَجاز ويُجيز. وكان غَفَلًا فأقام رَشَمًا محمودًا، ولم يَقْصُر عن غاية الاستعداد.

مُشِيخَتُهُ: منهم الأستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السَّدَاد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة^(١) خَتْمَةً قِرَاءَةً تَجْوِيد وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتبًا كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمته، رضي الله عنه وأرضاه، إلى حين وفاته، ونلتُ من عظيم بركاته وخالص دَعَوَاتِهِ ما هو عندي من أجلِّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أَعْدَدْتُهُ لهذه الدَّار والدار الآخرة. وكان في صَدْر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين. وهو عِلْمٌ يجعله الله في قَلْبِ الْعَبْدِ إذا أَحَبَّهُ؛ لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومُجاهدة الهوى، ومُحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمُراقبة لله، والحياء من الله، وصحَّة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحَّة النية، واستشعار الخشية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) فكفى بخشية الله عِلْمًا، وبالإقبال عليه عزًّا. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لأنَّ مثله لا يصدر إلَّا عن ذي حركة، ومُضْطَبِّن بَرَكَةٍ، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.

دخل غرناطة راويًا، وفي غير ذلك في شؤونه، وهو الآن ببلده مألقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي

الميورقي^(٣) الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدِّثًا، عالي الرواية، عارفًا بالحديث وعِلَلِهِ، وأسماء رجاله، مشهورًا بالإتقان والضبط، ثقة فيما نقل ورَوَى، دينًا، زكيًا، متحاملًا، فاضلًا، خيرًا، مُتَّقِلًا من الدنيا، ظاهري المذهب داوُدِيَّة^(٤)، يَغْلِبُ عليه الزهد والفضل.

مُشِيخَتُهُ: روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الجباري، وأبي علي الصدفى الغساني، وأبي مروان الباجي، ورحل إلى المشرق وحجَّ، وأخذ

(١) في الأصل: «أربعة عشر» وهو خطأ نحوي. (٢) سورة فاطر ٣٥، الآية ٢٨.

(٣) نسبة إلى ميورقة Mallorca وهي إحدى الجزر الثلاث: منورقة ويايسة وميورقة. الروض المعطار (ص ٥٤٩).

(٤) نسبة إلى خلف بن داود الأصفهاني، مؤسس المذهب الظاهري.

بمكة، كرمها الله، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني. قلت: وغيرهم اختصرتهم لطولهم، وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل، وغيرهما^(١).

محدثه: أمثحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه صحبة أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمعتم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفاً ورؤاء وعارضة وترتيباً، تجلجل بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المثرفين من وزراء الدول بالمغرب أيام وجهته إليه صحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالا عريضاً لينفقه في سبيل البر، فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووقف عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد، فحصلت الشهرة، ونبه الذكر وتطور، ورام الخروج في مدارج السلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصلت الصبغة، وغلبت الطبيعة، وتأئل له مال جم اختلف في سبب اقتنائه، وأظهر التجر المزهف الجوانب بالجاه العريض، والحرص الشديد، والمسامحة في باب الورع، فتبئك به نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترفه، طارد به اللذة ما شاء في باب النكاح استمتاعاً وذواقاً يتبع رائد الطرف، ويقلد شاهد السمع، حتى نعي عليه، وولي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما شاء من جهورية وعارضة، وتسور على أعراض، والفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القحة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكر إلى بلده، مليح الشيبة، بادي الوقار، نبيه الرتبة، فتولى الخطابة إلى حين وفاته.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

مشيخته: حسبما قيّدته من خطّ ولده أبي الحسن، وارثه في كثير من خلاله، وأغلبها الكفاية. فمنهم والده، رحمه الله، قرأ عليه وتأدّب به، ودوّن في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركشي، والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم، كابن رُشيد، وابن خميس، وابن بُرطال، وابن مَسْعُدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

توالياً: وتُسَوَّر على التأليف، بفرط كفايته، فمما يُنسب إليه كتاب: «التجربة الربيع»، في شرح الجامع الصحيح. قال: منه ما جرّده من المبيضة، ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، وكتاب «بهجة الأنوار»، وكتاب «الأسرار»، وكتاب «إرشاد السائل»، لنهج الوسائل، وكتاب «بغية السالك»، في أشرف المسالك في التصوف، وكتاب «أشعة الأنوار»، في الكشف عن ثمرات الأذكار. وكتاب «الثّفة القدسيّة»، وكتاب «غنية الخطيب»، بالاختصار والتّقرير، في خطب الجُمع والأعياد، وكتاب «غرائب الثّجب»، في رغائب الشعب، شعب الإيمان، وكتاب «في مناسك الحج»، وكتاب «نظم سلك الجواهر»، في جيّد معارف الصُّدور والأكابر، فهرسة تحتوي على فوائد من العلم وما يتعلق بالرواية، وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

دخوله غرناطة: دخلها مرات تشدُّ عن الإحصاء. ولد عام ثمانية وسبعين وستمائة، وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر، ويعرف بالطنجالي، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

حاله: من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدراية والرواية والتراث والاكتساب، وعُلُو الانتساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصُّول، وطول الألسنة بالطول، وهدوا إلى الطيب من القول، أترُ الشموخ يترق من آتفه، ونسيم الرُسوخ يغبق من عَرَفه، وزاجر الصّلاح يُومي بطرقه، فتخاله من خَوْف الله ذا لَمَم، وفي خلقه دماثة وفي عِرنيه شَمَم. ووصفه بكثير من هذا النمط.

ومن «العائد»: كان من أهل العلم والتّفن في المعارف والتّهم بطلبها، جمع بين الرواية والدراية والصّلاح. وكانت فيه خِفّة، لفرط صحّة وسداجة وفضل رجولة

به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيبًا جزلاً، مع ما كان عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأقرأ به العلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه الولي الخطيب، رحمه الله. وروى عن جده أبي جعفر، وعن الراوية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والراوية أبي عبد الله بن عيَّاش، والقاضي أبي القاسم بن السكوت، وغيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق والمغرب.

وفاته: توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان عمره نحوًا من تسع وخمسين سنة.

محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بلا أسلم؛ لكثرة صدور هذه اللفظة عنه، مُرْسِي الأصل، وسكن غرناطة ووادي آش والمرية.

حاله: من كتاب «المؤتمن»^(١): كان دَمِث الأخلاق قبل أن يخرجه شيء من مُصَيِّقات الصدور، يشارك في العربية، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لُحْن. وكان يتعيش من صناعة الطب. وَجَرَتْ له شهرة بالمعرفة تُرْفَعُ به بتلك الصُّنَاعَة على حَدِّ شهرة ترك النصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به. وشهرته بترك النصيحة تُنْزِلُه، فيمرُّ بين الحاليتين بِشَطَفِ العيش، وَمَقْتِ الكافة إِيَّاه.

قلت: كان لا أسلم، طَرَفًا في المعرفة بطُرُق العلاج، فسيح التجربة، يشارك في فنون، على حال غريبة من قِلَّة الطُّرُف، وَجَفَاء الآلات، وَخَشْنِ الظاهر، والإزراء بنفسه وبالناس، متقدِّم في المعرفة بالخصوم، يُقصد في ذلك. وله في الحرب والحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خَمْرٌ مُخْبِئَةٌ، في كَرَم كان له بالمرية، عَثَر عليها بعض الدُّعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرَّة وملاها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئًا من العقاقير المُسَهِّلات، وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تُسرق، وإنما باقية بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدُّعرة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستِطْلَاق القبيح المُهْلِك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إِيه، أدوا إليَّ ثمن الشربة،

(١) هو كتاب «المؤتمن»، على أنباء أبناء الزمن، لأبي البركات ابن الحاج البليقي، أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.

وحينئذ أشرع لكم في الدواء، ويقع الشفاء بحول الله، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة. وأخباره كثيرة.

وفاته: توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونة عن المربة عام تسعة وسبعمائة^(١). وخلفه ابن كان له يسمى إبراهيم، ويعرف بالحكيم، وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه، مرت عليه بخت وقبول، وتوفي بعد عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري^(٢)

جثاني الأصل مالقيه، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشديد على بنية التصغير، وهو كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة.

حاله: من^(٣) أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصية، مجموع^(٤) خلال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله. بلبل دوح السبع المثاني، وماشطة عروس أبي الفرج الجوزي، وآية صقعه في^(٥) الصوت، وطيب النغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، وتوصل إلى ضحبة الأشراف، وجر أذيال الشهرة. قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان، أمير المسلمين بالعدوة، ودنا منه محله، لولا إيثار منقط رأسه. وتقرب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلى التراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر^(٦) على الحكايات، متسور^(٧) جمى الوقار، ملتب^(٨) داعي الانبساط، على استرجاع واستقامة، مبرور الوفاة، منوّه الإنزال، قلّد شهادة الديوان بمالقة، معولا عليه في ذلك، فكان مغار جبل^(٩) الأمانة، صليب العود، شامخا^(١٠)، صادق^(١١) النزاهة، لوخا للألقاب، محرزا للعمل.

(١) في غرة ربيع أول من هذا العام نازل صاحب برجلونه (برشلونة) مدينة المربة وأخذ بمخنتها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفع الحصار. اللوحة البدرية (ص ٧٥).

(٢) ترجمة محمد بن قاسم الأنصاري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢ - ٣٠٤) بتصرف.

(٤) في النفح: «جملة جمال».

(٥) في النفح: «صقعه، ونسيج وحده، في حسن الصوت...».

(٦) في النفح: «قادر».

(٧) في الأصل: «مستور». وفي النفح: «متسورا».

(٨) في النفح: «ملتب».

(٩) في الأصل: «جبل» والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «شامخ».

(١١) في النفح: «مارن».

وؤلى الحسبة بمالقة، حرسها الله تعالى، فخاطبته في ذلك أداعبه، وأشير إلى قوم من أجداده، وأولى الحمل عليه بما نصه: [السريع]

يا أيها المُخْتَسِبُ الْجَزْلُ ومن لديه الجِدُّ والهَزْلُ
تُهْنِيكَ^(١) والشكرُ لمولى الورى ولايسة ليس لها عَزْلُ

كتبْتُ أيها المحتسب، المئتمي إلى النزاهة المُنتَسِب، أهنئك ببلوغ تمنيك، وأحذرك من طمع نفسٍ بالغرور تُمنِّيك، فكأنني^(٢) وقد طافت بركابك الباعة^(٣)، ولزم لأمرِك^(٤) السُّنْع والطَّاعَة، وارتفعت في مُصانعتك الطُّماعَة، وأخذت أهل الرِّيب بَغْتَة كما تقوم الساعة، ونَهَضت تُقْعِد وتقيم، وسكوْتُك^(٥) الريح العقيم، وبين يديك القِسْطاس^(٦) المُستقيم، ولا بُدَّ من شَرِكٍ يُنْصَب، وجماعة على ذي جاه تُغْصَب^(٧)، وحالة^(٨) كُنِيَتْ بها الجَناب الأَخْصَب، فإن غَضَضْتَ ظَرْفَكَ، أَمِئْتُ عن الولاية صَرْفَكَ، وإن ملأت ظَرْفَكَ^(٩)، رَحَلْتُ عنها حَرْفَكَ، وإن كَفَفْتُ فيها كَفْكَ، حَفَّكَ العِزُّ فيمن حَفَّكَ. فكن لقالِي المُجَبِّنة قَالِيًا^(١٠)، وَلِخَوَاتِ السُّلَّة سَالِيًا. وأبْدِ لدقيق الحَوَارِي زُهْدَ حَوَارِي^(١١)، وازهد فيما بأيدي الناس من العَوَارِي، وسِرُّ في اجتناب المَحْلُوء^(١٢)، على السبيل السَّوَاء، وارفُضْ في الشَّوَاء، دواعي الأهواء، وكُنْ على الهَرَّاس^(١٣)، وصاحب ثريد^(١٤) الرَّاس، شديد المِرَّاس، وثبَّ على بائع^(١٥) طَبِيخ الأعراس، لَيْثًا مرهوبَ الافتراس، وأدب أطفال المُسَوَّق^(١٦)، في السوق، سيما مَنْ

(١) في النفع: «يهنيك». (٢) في النفع: «فكأنني بك وقد...».

(٣) في الأصل: «الساعة» والتصويب من النفع. (٤) في النفع: «أمرِك».

(٥) في النفع: «وسطوتك».

(٦) القِسْطاس: الميزان المستقيم. محيط المحيط (قسطس).

(٧) في الأصل: «تغصَّب» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «ودالة يمت بها...».

(٩) ملأت ظرفك: كناية عن قبول الهدية والرشا.

(١٠) قَالِيًا: مبغضًا. لسان العرب (قلا).

(١١) الحَوَارِي: لباب الدقيق وخالصه. والحَوَارِي: مَنْ يكون من أنصار الأنبياء. لسان العرب (حور).

(١٢) في الأصل: «المُحْلُوء» والتصويب من النفع.

(١٣) الهَرَّاس: صانع الهريسة. لسان العرب (هرس).

(١٤) في الأصل: «فريد» والتصويب من النفع. والثريد: كسرة الخبز المتلطخة بماء اللحم. محيط المحيط (ثرد).

(١٥) كلمة «بائع» غير واردة في النفع. (١٦) في الأصل: «السوق» والتصويب من النفع.

كان قبل البلوغ والسُّبوق^(١)، وصَمَّم في^(٢) استخراج الحقوق، والناس أصناف، فمنهم خَسِيس يطمع منك في أكلة، ومُسْتَعْد عليك بِوَكْزَةٍ أو رَكْلَةٍ. وحاسدٌ في مطيئة تُركب، وعَطِيَّة تُسَكَّب، فاحفض للحاسد جناحك، وسدّد إلى حربه رِماحك، وأشبع الخَسِيسَ منهم مَرَقَةً دَسِمةً^(٣) فإنه حَنِق، ودُسْ له فيها عَظْماً لعلّه يَحْتَنِق، واحفَظْ لِشَرِيرِهِمْ حُفْرَةً عميقة، فإنه العدو حَقِيقَةٌ، حتى إذا حَصَلَ، وعلمت أن وقت الانتصار قد وَصَلَ^(٤)، فَأَوْقِعْ وَأَوْجِعْ، ولا تَرْجِعْ، وأولياه من^(٥) جِزْبِ الشَّيْطَانِ فَأَفْجِعْ، والحقُّ أقوى، وإن تَغْفِرْ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى. سَدِّدْكَ اللهُ تَعَالَى^(٦) إلى غرض التَّوْفِيقِ، وأَعْلَقَكَ^(٧) من الحقِّ بالسَّبَبِ الوَثِيقِ، وجعل قدومك مقروناً بِرُخْصِ اللحم والزَّيْتِ والدَّقِيقِ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ^(٨).

مُشِيخَتُهُ: قرأ القرآن على والده المُكْتَبِ النُّصُوح، رحمه الله، وحَفِظَ كُتُبًا كرسالة أبي محمد بن أبي زيد، وشهاب القُضَاعِي، وفصيح ثَغْلِب، وعَرَضَ الرُّسَالَةَ على ولي الله أبي عبد الله الطَّنْجَالِي، وأجازَه. ثم على ولده الخطيب أبي بكر، وقرأ عليه من القرآن، وَجَوَّدَ بِحَرْفٍ نافع على شيخنا أبي البركات. وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي. ثم رَحَلَ إلى المغرب، فلقي الشيخ الأستاذ الأوحد في التلاوة، أبا جعفر الدَّرَاج، وأخذ عن الشريف المُقْرِيء أبي العباس الحسن بن سَبْتَةَ، وأذَرَكَ أبا القاسم التَّجِيبِي، وتلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم^(٩) ولازمه، واختصَّ بالأستاذ ابن هاني السُّبْتِي، ولقي بفاس جماعة كالفقيه أبي زيد الجَزُولِي، وخَلَفَ اللهُ المَجَاصِي، والشيخ أبا العباس المِكنَاسِي، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرزاق، وقرأ على المُقْرِيء الفَذَّ الشَّهِير في الثَّرْنُم بِالْحَنانِ القرآن أبي العباس الزَّوَاوِي سَبْعَ خَتَمَات، وجمع عليه السَّبْع، والمُقْرِيء أبي العباس بن جِزْبِ اللهِ، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المُهَيْمِنِ الحَضْرَمِي.

شعره: من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير الدولة المَغْرِبِيَّة في غرض الاستِطَاف:

[الكامل]

يا من به أبدا عُرِفْتُ ومن أنا لولاه لي دامتْ عُلاه وداما

- (١) في النفع: «السُّبوق». (٢) في النفع: «على». (٣) كلمة «دَسِمة» غير واردة في النفع. (٤) في النفع: «قد اتَّصَلَ». (٥) في النفع: «من الشَّيَاطِينِ فَأَفْجِعْ». (٦) كلمة «تَعَالَى» غير واردة في الأصل، وقد أضفناها من النفع. (٧) في الأصل: «وأَعْلَقْنَا» والتصويب من النفع. (٨) قوله: «بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ» غير وارد في النفع. (٩) هو الكاتب محمد بن محمد بن عبد المنعم، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٧).

لا تَأْخُذْكَ فِي الشَّدِيدِ لَوْمَةٌ فَشَخِيصٌ نَشَأَتْهُ بِفَضْلِكَ قَامَا
رَبُّيْنَهُ عِلْمُهُ أَذْبَنُهُ قَدُمْتُهُ لِلْقَرْضِ مِنْكَ إِمَامَا
فَجَزَاكَ رَبُّ الْخَلْقِ خَيْرَ جِزَايَةٍ عَنِّي وَبِوَاكِ الْجِنَانِ مُقَامَا

وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطناً حضرة غرناطة، وتالياً الأعراس القرآنية، بين يدي السلطان، أعزّه الله، مرقع الجانب، معزز الجراية بولايتيه أخباس المدرسة، أطروقة عضره، لولا طرش نقص الأئس به، نفعه الله.

مولده: ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعمائة.

ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري

السبتي الدار، الغرناطي الاستيطان، يكنى أبا الحسين، ويعرف بالتلمساني.

حاله: طرّف في الخير والسلامة، مُعَرِّق في بيت الصّون والفضيلة، مُعِمْ^(١) تَحْوُل في العدالة، قديم الطّلب والاستعمال، معروف الحق، مليح البَسْط، حلو الفكاهة، خفيف إلى هينة الدّعاية، على سَمْت ووقار، غَزَل، لوذّعي، مع استرجاع وامتسك، مُتَرَف، عريق في الحضارة، مؤثر للمراحة، قليل التّجلّد، نافر عن الكدّ، مُتّصل الاستعمال، عريض السعادة في باب الولاية، محمول على كَتَد المبرّة، جار على سُنن شيوخ الطّلبة والمُقتاتين من الأرزاق المُقدّرة، أولى الخُصوصيّة والضّبط من التّظاهر بالجاء على الكفاية. قَدِم على الأندلس ثمانية عشر وسبعمائة، فمهد كَنَف القَبُول والاستعمال، فوَلَّى الحِشْبَة بغيرناطة، ثم قُلّد تنفيذ الأرزاق وهي الخُطّة الشرعية والولاية المُجدّية، فأتّصلت بها ولايته. وناب عَنِّي في العَرَض والجواب بمجلس السلطان، حميد المئأى في ذلك كله، يقوم على كتاب الله حِفْظًا وتَجْوِيدًا، طَيِّب النّعمة، راوياً محدّثاً، إخبارياً، مُرتاحاً للأدب، ضارباً فيه بِسْهُمْ يقوم على كُتُب السّيرة النبوية، فذَا في ذلك. قرأ بالمسجد الجامع للجمهور، عند إحقاقه بغيرناطة، مُعَرِّباً به عن نفسه، مَتَّبِعاً على مكانه، فزعموا أن رجلاً فاضت نفسه وَجَدًا لَشَجْو نَعْمَتِهِ، وَحُسْن إلقائه. وقرأ التّراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به، وأتسم بمجلسه بالسّلامة والخير، فلم تُؤثر عنه في أحد وَقِيعَة، ولا بَلَرَتْ له في الحَمَل على أحد بنتُ شَفّه.

(١) المُعِمْ: الذي يُعِمْ القوم بالعطية، أي يشملهم. لسان العرب (عم).

مشيخته: منهم الشريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي الثقى طاهر بن أبي الشرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم والده المترجم به، ومنهم أبوه وجدّه، ومنهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد العزفي، والمقرئ أبو القاسم بن الطيب، وإمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن خريث، والأستاذ ملحق الأبناء بالآباء أبو إسحاق الغافقي، والكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والأستاذ المعمر أبو عبد الله بن الخضار، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رشيد، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغماري، والأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، والولي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والقاضي الأغدل أبو عبد الله بن برطال، والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع، والصوفي الفاضل أبو عبد الله بن قطرال، والأستاذ الحسابي أبو إسحاق البرغواطى، هؤلاء لقيهم وقرأ وسمع عليهم. ومن كتب له بالإجازة، وهم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحّل، والخطيب أبي الحسن فضل ابن فضيلة، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، والغدل أبي الحسن بن مستقور، والوزير المعمر أبي محمد بن سيماك، والخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عثمان بن حَكَم، والشيخ الصالح أبي محمد الخلاسي، والقاضي أبي العباس بن الغمّاز، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللبيدي، والغدل المعمر الراوية أبي عبد الله بن هارون، والمحدث الراوية أبي الحسن القرافي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن أبي المنصور، والإمام شرف الدين أبي محمد الدُمياطي، وبهاء الدين بن النحاس، وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، وضياء الدين أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد، وكتب في الإجازة له: [الطويل]

ولدتُ لعام من ثلاث وعشرة وستُ منين هجرة لمحمد
تطوّفتُ قُدماً بالحجاز وإنني بمصر هو المزيّبي^(١) وسبته مؤلدي^(٢)

(١) في الأصل: «المزيلي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «مولد» بدون ياء.

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشق إحصاؤهم، قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، رحمه الله.

محبته: نالته محنة بجزي الأمور الاشتغالية وتبعاتها، قال الله فيها لعثرته لغا، فاستقل من النكبة، وعاد إلى الرتبة. ثم عفت عليه بآخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

مولده: ولد عام ستة وسبعين وستمائة، وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصاري

من أهل مراکش، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، فاضلاً صوفياً، عارفاً، متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تجرد عن ثروة معروفة، واقتصر على الزهد والتخلي، وملازمة العبادة، والغروب عن الدنيا. وله نظم رائع، وخط بارع، ونثر بليغ، وكلام على طريقة القوم، رفيع الدرجة، عالي القدر. شرح قصيدة الإسرائيلي بما يشهد برسوخ قدمه، وتجوّل في لقاء الأكابر على حال جميلة من إثارة الصمت والانقباض والجشمة. ثم رَحَلَ إلى المشرق حاجاً صدر سنة ثلاث وسبعمائة.

مشيخته: من شيوخه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي، والفقيه أبو فارس الجوّري، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، والقُدل أبو محمد بن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله بن الخضار، وأبو إسحق التلمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السكوت، وأبو عبد الله بن عيَّاش، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لقيهم، وأخذ عنهم. وكتب له بالإجازة جملة، كالقاضي أبي علي بن الأخوص، وأبي القاسم العزفي، وأبي جعفر الطنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد بن الحجاج، وأبي بكر بن حَبِيش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني، وغيرهم.

شعره: وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا مُعمل السَّير أيَّ أعمال سَلَّم على الفاضل ابن قَطْرالِ

من أبيات راجعني عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زارَتْ فأزْرَتْ بِمَسْكَ دَارِين تَفْتَنُ لِلْحَسَنِ فِي أَفَانِين

ومثلها في شَتَّى محاسنها ليست بِبِدْع من ابن شبرين

وفاته: توفي بحرم الله عاكفاً على الخير وصالح الأعمال، مُعرضاً عن زُهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، وفيه حكاية، عام تسعة وسبعمائة.

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة. وغير ذلك.

الْعَمَال فِي هَذَا الْاسْمِ وَأَوَّلًا الْأَصْلِيُونَ

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل^(١)

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخ^(٢) حسن الشَّيْبة، شامل البياض، بعيد مدى الذَّن، خذوع الظاهر، خَلُوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصُّوفية، والكَلَف بإطراءِ الخيرية^(٣)، سيما عند فَقْدان شُكر الولاية، وِجْماع الحُظوة، من بيت صَوْنٍ وحشمة، مُبين عن نفسه في الأغراض، مُتقدِّم في معرفة الأمور العملية، خائضٌ مع الخائضين في غُمار طريق^(٤) التصوُّف، وانتحال كيمياء السَّعادة، راكبٌ مَثْنٍ دعوى عريضة في مقام التَّوحيد، تُكذِّبها أحواله الرَّاهنة جُملةً، ولا تسلم له منها ثُبْدة، لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاء الشَّره، وَغَلَبَ^(٥) سلطان الشهوة، فلم يَجْن من جَفْجاعه المُبرم فيها إلا استِغراق الوقت في القواطع عن الحق، والأسف على ما رَزَّته الأيام من مَتاع الزُّور، وقِنية الغرور، والمَشاحة أيام الولاية، والشُّباب^(٦) الشاهد بالشَّره، والحلف المتصل بياض اليوم، في ثمن الخَرْدلة باليمين التي تجرُّ فساد الأتْكِحة، والغَضْب الذي يَقلب

(١) ترجمة ابن الأكحل في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣) بتصرف.

(٣) في النفع: «إطراء أهل الخير».

(٤) كلمة «طريق» غير واردة في النفع.

(٥) في النفع: «وغلبة».

(٦) في النفع: «والسباب».

العَيْن، والبَذَا الذي يُصاحب الشَّيْن، مَغْلُوبٌ عليه في ذلك، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ، وتَقْوِيَتِ جِدَّةٌ، وإطْباقُ رَوْعٍ، وقيدٌ للعذاب، فآلَقِيْتُ عليه رِدَائِي، ونَفْسُ الله عنه بِسَبَبِي، محوًا للسينة بالحسنة، وتوسُّلاً إلى الله بترك الحفظ، والمِنَّةُ لله جلَّ جلاله على ذلك.

شعره: خاطبني بين يَدَي نكبتة أو خَلَقَهَا بما نصُّه، ولم أكن أظنَّ الشَّعر مما تلوكة جَحْفَلْتَهُ^(١)، ولكن الرجل من أهل الكفاية^(٢): [الطويل]

رَجَوْتُكَ^(٣) بعد الله يا خيرَ مُنْجِدٍ وأفضلَ مَنْ أَمَلْتُ للحادث الذي وحاشا وكلاً أن يَخِيبَ مُؤْمِلِي^(٤) وما أنا إِلَّا عَبْدُ أَنْعَمِهِ^(٥) التي وأشرفُ مَنْ حضَّ الملوكَ على التَّقَى وساسَ الرُّعَايَا الْآنَ خَيْرَ سِيَامَةٍ وَأَعْرَضَ عن دُنْيَاهِ زُهْدًا وَإِنِّهَا وما هو إِلَّا اللَّيْثُ وَالغَيْثُ إِنْ أَتَى وَيَخْرُ عَلُومُ دُرَّةٍ كَسَلَمَائِهِ صُقَيْلُ مَرَائِي^(٦) الْفِكْرُ رَبُّ لَطَائِفِ بَدِيعِ عَرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلِ الَّذِي شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمُ الْحِلْمِ رَاحِمٌ صَفُوحٌ عن الجاني على حين قُدْرَةٍ وَأَكْرَمَ مَأْمُولٍ وَأَعْظَمَ مُرْفَدٍ^(٧) فَقَدْتُ به صَبْرِي وما مَلَكْتُ يَدِي^(٨) وقد عَلِقْتُ بِابْنِ الْخَطِيبِ مُحَمَّدٍ عَهْدْتُ بها يُعْنِي وَإِنْجَاحَ مَقْصِدِي^(٩) وَأَبْدَى لَهُمْ نُصْحًا وَصِيَّةً^(١٠) مُرْشِدٍ مَبَارَكَةٍ فِي كُلِّ غَيْبٍ وَمَشْهَدٍ^(١١) لِمَظْهَرَةٍ طَوْعًا لَه عَنْ تَوَدُّدٍ لَهُ خَائِفٌ أَوْ جَاءَ مَغْنَاهُ مُجْتَدِي^(١٢) إِذَا رُدَّدْتُ فِي الْحَفْلِ أَيُّ تَرْدُدٍ مُحَاسِنُهَا تُجَلِّي بِحَسَنِ تَعَبُّدٍ تَجَلَّتْ به الْأَسْرَارُ فِي كُلِّ مَضْعَدٍ وَأَيُّ جَمِيلٍ لِلْجَمِيلِ مَعُودٍ يُوَاصِلُ^(١٣) تَقْوَى الله فِي الْيَوْمِ وَالْغَدِ

(١) الجَحْفَلَةُ للدابة بمنزلة الشفة للإنسان. لسان العرب (جحفل).

(٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٣٥).

(٣) في الأصل: «راجوتك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٤) المُرْفَدُ: المُعْطَى. لسان العرب (رند). (٥) في الأصل: «يد» والتصويب من النفح.

(٦) في الأصل: «مأملي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٧) في النفح: «نعمته».

(٨) في الأصل: «مقصدي» والتصويب من النفح.

(٩) في النفح: «نصيحة».

(١٠) المشهد: الحضور. لسان العرب (شهد).

(١١) في الأصل: «مُجْتَدِي» والتصويب من النفح. والمُجْتَدِي: طالب النوال والعطاء. لسان العرب (جدا).

(١٢) في الأصل: «مرأى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٣) في النفح: «مواصل».

ويا مشربي^(١) متى ظمئت وموردي
ورفقا على شيخ ضعيف منكّد
ووافاك يُهدي للثناء^(٢) المُجدّد
بحال كحز الجمر^(٣) حين توقّد
لأكرم مولى حاز أجرا وسيد
يزيد لوقع الحادث المتزيد
إذا مسهم ضرّ أليم التعهد
وجذ بالرضا وانظر لشمل مبدّد
وأضعف بغفران الذنوب وأبعد^(٤)
جريمة شيخ عن محلّك مُبعد
فعاوذك^(٥) لي الفعل الجميل وجدّد
وعيش هنيء كيف شئت وأسعد
لمثن^(٦) وداع للمحلّ المُجدّد

أيا سيدي يا غمدتي عند شدّتي
حنائيك والطف بي وكُن لي راحما
رجاك رجاء^(٧) للذي أنت أهله
وأملك مضطرا لرحماك شاكيا
وعندي افتقار لا يزال^(٨) مواضلا
تَرْفُق بأولاد صغار بكأؤهم
وليس لهم إلا إليك تَطْلُع
أينهم أيا مولاي نظرة مُشفقي
وقابل أخا الكُرّه^(٩) الشديدي برحمة
ولا تنظرن إلا لفضلك، لا إلى
وإن كنت قد أذنبت إني تائب
بقيت بخير لا يزال^(١٠) وعزة
وسخرك الرحمن للعبد، إنه

وقد وُلّي خُططا نبيهة، منها خُطة الاشتغال على عهد الغادر المُكايد للدولة، إذ
كان من أولياء شيطانه وممدّيه في غيّه، وسماسير شغوّذته، فلم يزل من مُسيطري^(١١)
ديوان الأعمال، على تهوّر واقتحام كُبريّة، وخط لا غاية وراءه في الرُكاكة، كما قال
المعري^(١٢): [الوافر]

تَمَشَّت^(١٣) فوقه حُمُرُ المَنايا ولكن بعد ما مُسِيخَتْ نَمالا

(١) في الأصل: «شربي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «رجا الذي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «الثناء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «كجر الشمس حال توقّد».

(٥) في الأصل: «افتقار لأنوال» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «الكرب».

(٧) في النفع: «فَقَوُذْ».

(٨) في الأصل: «لأنوال»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «لمثن» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «ج ٨ ص ٢٣٥»: «مسطري».

(١٢) شروح سقط الزند (ص ١٠٤).

(١٣) في شروح السقط: «ودبّت». وهذا البيت في وصف السيف ويقول فيه: إن إفرنده كأنما دبّت فوقه النمل.

استحضرتَه يومًا بين يدي السلطان، وهو عُقْل لَفَكْ ما أَشْكَل من معْصِياته في الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئة، ولما أُغْتِيب بسببه ونعيثُ عليه هُجنته، أحسن الصُّدر عن ذلك الورد، وتَذَر في نفسه وقال: حيَّا الله رداءة الخطِّ إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم، فاستحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاته: توفي عام سبعة وستين وسبعمائة.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طليطلة، انتقل منها جدُّ أبيه، وسكنوا غرناطة، وعدُّوا في أهلها.

حاله: كان أبو الوليد طالبًا نبيلًا، نبيها، سريًا، ذكيًا، ذا خطِّ بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونَزَعَ إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. ووُلِّي الإشراف في غير ما موضع. قلتُ: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه، التي من جملة المُستَخْلَص السلطاني بغرناطة وغيرها، مما يدل على قِدم وتِعَمَّة أصيلة.

وفاته: توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسماية، وسنه دون الخمسين.

محمد بن محمد بن حسان الغافقي^(١)

إشبيلي الأصل، غرناطي المنشأ، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السُّرُو والظُرف والمروءة، وحسن الخلق، تولَّى الإشراف بغرناطة، وخُطَّة الأشغال، فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدَّثني بعض أشياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، وقد تحدَّث بصَرْف ابن حسان عن عمل كان بيده، وإذا رُقعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكنم أيادٍ لكم أيادٍ كَرَزْتُهَا إنها كثيرة

(١) ترجم ابن الخطيب في الكتبية الكامنة (ص ٢٤٥) لرجل يحمل الاسم نفسه تحت عنوان: «الشيخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الغافقي، رحمه الله تعالى»؛ والذي ترجم له في الكتبية الكامنة كان قد بعث إليه شعراً في بعض المناسبات، يعني أنه كان صديقه، بينما المترجم له هنا في الإحاطة توفي سنة ٧١٣ هـ، وابن الخطيب توفي سنة ٧٧٦ هـ. فاعلم.

فإن عزمتم على انتقالي رُبَّة أَبْغِي أَوْ السَّجْزِيرَةَ
وإن أبيتم إلى^(١) مُقامي فنعممة منكم كبيرة

وقال لي بعضهم: جرى بين ابن حسان هذا، وبين أحد بني علاق، وهم أعيان، كلام وملاحة، فقال ابن حسان: إنما كان جدكم مولى بني أضحى، وجد بني مشرف، فاستعدى عليه، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزك الله، كنت بالكُثيبين، وعرض عليّ كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي: [البسيط]

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء المجد إشراق
فلم يزل ينتمي للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراق
فإن تُردَّ شَرْقًا يَمُنُّ مُشْرِفُهُ وإن تردَّ عِلَقٌ مجدٍ فهو علاق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، ونتيجة بديهته، فعجب من كفايته، وترضى خصمه، وصرفهما بخير. وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد
ابن أسد بن قاسم الثُميري، المدعو بابن الحاج

يكنى أبا عمرو، وقد مرّ ذكر أخيه.

حاله: تولى خطة الإشراف بِلَوْشَة وَأَنْدَرَش ومالقة. ووُلِّي النظر في مختص المريّة، والأعشار الرومية بغيرناطة. وكان له خط حسن، وجودة كاملة، وحُسن خُلُق، ووَطْأَةٌ أَكْثَاف تشهد له بجلالة قدره، ورفيع خُطره. وضاهر في أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن، فاضلٌ، سَرِيٌّ، متخلّق، حسن الضريبة، متميّز بخصال متعددة، من خطٍ بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طبّ وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حَجَّ وجمال في البلاد، ولقي جِلَّة. وتولّى بالمغرب خُطَطًا نبهة عليه. ثم كَرَّ إلى الأندلس عام ستين وسبعمائة، فأجرى من الاستعمال على رَسْمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي، أن يُوجه في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر، لما تقدّم من مُرانه على تلك البلاد، وجولاته في أقطارها، وتعرّفه بملوكها والجلّة من أهلها، فأب بعد أعوام، مشكور التصرفات، جاريًا على سُنَن

(١) في الأصل: «إلا» وكذا ينكر الوزن.

الفضلاء، مضطلعًا بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل مُعْتَنِي به، مُرَشَّحًا إلى الخُطَط التي تطمح إليها نفس مثله، مُسْنِدًا النُّظْر في زمام العسكر الغربي إلى ولده الذي يخلفه عند رحلته نائبًا عنه، مُعَزِّزًا ذلك بالمرتبات والإحسان، تولاه الله وأعانه.

شعره: مدح السلطان، وأنشد له في المواليد النبوية. ورَفَعَ إلى السلطان بحضرتي هذه الأبيات: [البسيط]

مولاي، يا خَيْر أعلام السلاطين	ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين
ومن له سَيْرُ ناهيك من سَيْرِ	واقث بأكرم تحسين وتحصين
شرقتْ عَبْدك تشریفًا له رُتَبٌ	فوق النجوم التي للأفق ^(١) تُغليني
وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه	وزاد في العزُّ بعد الرُتبة الدُّون
والله ما الشُّكر مني قاضيًا وطَّري	ولو أتيتُ به حينًا على حين
ولا الثناء مَوْفٌ حقُّ أنعمه	ولو ملأتُ به كل الدَّواوين
لكن دُعائي وحبِّي قد رضيتهما	كفاء ^(٢) أفعاليه الغر الميامين
وعند عَبْدك إخلاصٌ يواصله	في خدمةٍ لم يزل للخير تُدنيني
وسوف أنصح كل النصيح مُغتَنِمًا	رضى إمام له فضل يُرَجِّعيني
جوزيتُ عني أمير المسلمين بما	ترضاه للملك من نصرٍ وتُمكين
وأنت أكرمُ من ساس الأنام ومن	عمَّ البلاد بتسكين وتَهْدِين
ومن كمِثل أبي عبد الإله إذا	أضحى الفَخار لنا رُحْب الميادين
محمد بن أبي الحجاج خيرةً من	أهْدِي له ^(٣) مِدْحًا بالسُّعد يخطِئني
وَجْهٌ جميل وأفعال تناسبه	ودولةٌ دولةُ المأمون تُنسيني
لا زال في السُّعد والإسعاد ما سَجَعَتْ	وزق الحمام على قُضْب البساتين

محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آش.

حاله: كان طالبًا نبيلًا كاتبًا جليلاً، جيّد الكتابة. كَتَب عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب، واختصُّ بالسيد أبي زيد بغرناطة، وبشرق الأندلس، وكان أثيرًا عنده

(١) في الأصل: «التي فوق الأفق...» وكذا يتكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «كفاء» وكذا يتكسر الوزن. (٣) في الأصل: «إليه» وكذا يتكسر الوزن.

مكرماً. وكان، رحمه الله، شاعراً، مطبوعاً، ذا معرفة جيدة بالعَدَد والمِساخَة، ثم نَزَعَ عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، وولّى إشراف بُنيات غرناطة. ثم وُلّي إشراف غرناطة، فكفّ يده، وظهرت نصيحته. ثم نُقل إلى حضرة مراكش، فولّي إشرافها مدة، ثم صُرف عنها إلى غرناطة، وقُدّم على النظر في المُستَخْلَص إلى أن توفي.

مناقبه: أشهد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج في صحته وجوازه، أربعة آلاف دُنيّر من صميم ماله لتتميم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل^(١) بخارج غرناطة. وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأنق في بنائه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيراً، نفعه الله.

شعره: ومن شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران، وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته: [الطويل]

شَكَوْتُ فَأُضْنِي الْمَجْدَ بَرَحُ شَكَاتِهِ	وفارق وَجْهَ الشَّمْسِ حُسْنُ آيَاتِهِ ^(٢)
وعَادَتْ بِبُعْدَيْكَ ^(٣) الزُّمَانُ زَمَانَةً	تَعَدَّتْ إِلَى عَوَادِهِ ^(٤) وَأَسَاتِيهِ
وَعَيْضُ مَا لِلْبَشْرِ لَمَّا تَبَسَّطَتْ	يَدُ السُّقْمِ ^(٥) فِي سَاحَاتٍ كَافِي كَفَاتِهِ
فَكَيْفَ بِمَقْصُوصٍ وَصَلَتْ جَنَاحَهُ	وَأَذْهَمَ قَدْ سَرَبَلَتْهُ بِشَاتِهِ؟
وَمُنْتَحِنٍ لَوْلَاكَ أَذْعَنَ خَبْرَةً	وَهَانَ عَلَى الْأَيَّامِ عُمُرُ قَنَاتِهِ
أَمَغْلَقَ أَمَالِي وَمُطْمَخَ هُمُتِي	وَوَاهِبَ نَفْسِي فِي عِدَادِ مِبَاتِهِ
سَأَسْتَقْبِلَ النُّعْمَى بِبِرِّكَ غَضَّةٍ	وَيَضْغُرُ ذَنْبُ الدَّهْرِ فِي حَسَنَاتِهِ
وَتَسْطُو عَيْنُ الْحَقِّ مِنْكَ بِمُرْهَفٍ	تُرَاعِ الْخَطُوبَ الْجُورَ مِنْ فَتَكَاتِهِ
وَتُطْلِعَ فِيهِ أَفْقَ الْخِلَافَةِ نَيِّرًا	تُطَالِعُنَا الْأَقْمَارَ مِنْ قَسَمَاتِهِ
حَرَامٌ عَلَى الشُّكْوَى اعْتِيَادَ مَطْهَرٍ	حَيَاةَ الدُّنَا وَالْدِّينَ طَيِّ حَيَاتِهِ
فَمَا عَرَضْتُ فِي قَصْدِهِ بِمَسَاءَةٍ	وَلَكِنْ تَرَجَّجْتُ أَنْ تُرَى فِي عَفَاتِهِ

(١) سمي أيضاً نهر شنيل، وشنجل، وسنجل، واسمه بالإسبانية اليوم Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يخترق مرج غرناطة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٨).

(٢) في الأصل: «آياته» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «بعديك» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «عواده»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «يد للسقم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

مشيخته: قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد الشهلبي، رحمه الله.
وفاته: وتوفي بقرنطة سنة سبع وستمائة، ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها
على ضفة الوادي.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد
ابن عمار بن ياسر^(١)

أوليته: قد وقع التنبه عليها ويقع بحول الله.
حاله: كان^(٢) وزيراً جليلاً بعيد الصيت، عالي الذكر، رفيع الهممة، كثير
الأمل^(٣).

نباهته: ذكره^(٤) ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين، فنبه على مكانة
محمد بن عبد الملك منهم في الرأي والحظوة، والأخذ عنه في أمور الأندلس^(٥)،
وأثنى عليه. وذكره أبو زيد الشهلبي في «شرح السيرة الكريمة»^(٦)، حتى انتهى إلى
حديث كتاب رسول الله ﷺ، الموجه إلى هرقل، وأن محمد بن عبد الملك عاينه
عند أذفونش، مكرماً، مفتخراً به. والقضية^(٧) مشهورة. وأما محله من أمداح
الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرصافي بقوله^(٨): [الكامل]

أيذا^(٩) تفيض وخاطراً متوقداً؟ دغها تبث قبساً على علم الندى

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة: [البسيط]

يا رحمة الله للراجي ونقمته لكل باغ طفى عن خيرة الرسل

(١) ترجمة محمد بن عبد الملك في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) وفيه يكنى: أبا عبد الله، ونفع
الطيب (ج ٣ ص ٩٦). وذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخ المن بالإمامة (ص ٢٥١ - ٢٥٢)،
مع أخيه عبد الرحمن، وقال: كان لهما مشاركة في بناء المسجد الجامع بإشبيلية وصومعته
الشهيرة.

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٣) في النفع: «كثير الأموال».

(٤) قارن أيضاً بنفع الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٥) في النفع: «أمور الناس».

(٦) في النفع: «الشريفة». و«شرح السيرة الكريمة» هو كتاب «الروض الأنف».

(٧) في النفع: «والقصة».

(٨) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتاً، وهو في ديوان الرصافي البلسي (ص ٦٢).

(٩) في الأصل: «أبداً». وفي النفع: «ذهناً يفيض وخاطراً متوقداً ماذا عسى يُثنى على علم
الندى».

لم تُبْقِ مِنْهُمْ كَفُورًا دُونَ مَرْقَبَةٍ مَطَالَعًا مِنْكَ حَتْفًا غَيْرَ مُنْفَصِلٍ
كَمَا بُزَائِكَ لَمْ تَتْرِكْ بَارِضَهُمْ وَخَشًا يَفِرُّ وَلَا طَيْرًا بَلَا وَجَلٍ
وَكَانَ كَثِيرَ الصُّيْدِ، وَمَتَرَدَّدَ الْغَارَاتِ.

مناقبه في الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرُّصافي في القصيدة التي مطلعها^(١): [الكامل]

لِمَخْلُوكِ الشَّرْفِيعِ وَالتَّعْظِيمِ وَلِوَجْهِكَ التَّقْدِيسِ وَالتَّكْرِيمِ
حَلَفَ أَلَّا يَسْمَعَهَا، وَقَالَ: عَلَيَّ جَائِزَتُكَ، لَكِنْ طِبَاعِي لَا تَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا،
فَقَالَ الرُّصافي: وَمَنْ مِثْلُكَ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ غَيْرُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: دَعْنِي مِنْ
خِدَاعِكَ أَنَا وَمَا أَعْلَمُهُ عَنْ نَفْسِي.

شعره: أنشده صاحب «الطالع»^(٢)، وَلَا يَذْكُرُ لَهُ غَيْرُهُ^(٣): [الطويل]

فَلَا تُظْهِرُنَّ مَا كَانَ فِي الصُّدْرِ كَامِنًا وَلَا تَرْكَبُنَّ بِالْغَيْظِ فِي مَرْكَبٍ وَغَرٍ
وَلَا تَبْخَحْنَ فِي عُذْرِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا فَلَيْسَ كَرِيمًا مَنْ يَبَاحِثُ فِي عُذْرِ^(٤)

وَوُلِّيَ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلْمُوحِدِينَ كَثِيرًا، كُمُخْتَصِصَ حَضْرَةِ مَرَكَشَ، وَدَارَ السِّلَاحِ،
وَسَلَا، وَإِشْبِيلِيَّةَ، وَغَرْنَاطَةَ، وَاتَّصَلَتْ وَلايَتُهُ عَلَى أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ، وَكَانَ مِنْ شِيُوخِهَا
وَأَعْيَانِهَا.

معرفته: وَغُمِلَ فِيهِ عَقْدُ بَأْنِ بَدَارِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْحُلَى، مَا لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ
الْمُلُوكِ، وَأَنَّهُ إِذَا رَكِبَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، مِنْ دَارِ الرُّخَامِ الَّتِي يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا، فِي
اِثْنَيْ عَشَرَ مَكَانًا، شَوْشُ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ، دَوِيُّ الْجَلَّاجِلِ بِالْبُزَاةِ، وَمَنَادَاةُ الصِّيَادِينَ،
وَنَبَاحُ الْكَلَابِ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَعَلَى ابْنِ عَمِّهِ، صَاحِبِ أَعْمَالِ إِفْرِيْقِيَّةَ،
أَبِي الْحُسَيْنِ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُمَا، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَكْتُبَ بِخَطِّهِ كُلِّ مَا أَخَذَ لَهُ، فَصَرَفَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْقُصْهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَغَرَمَ
مَا فَاتَ لَهُ.

(١) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتًا في مدح أبي جعفر الوقشي، وزير ابن همشك، وهو في ديوان
الرُّصافي البُلَنْسِي (ص ١٣١) والمغرب (ج ٢ ص ٣٤٣) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد، لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي،
صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب.

(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٤) في المصدرين: «في العذر».

ولد سنة أربع عشرة^(١) وخمسمائة، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار
ابن ياسر العنسي^(٢)

يكنى أبا بكر، وقد تقدّم التعريف بأوليته.

حاله: قال في «الطالع»: ساد في دولة الملثمين^(٣)، وولّوه بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقي فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل قلعة يَحْصِب^(٤). كان في عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، ووُلّي إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد الميمون بن بدر اللمتوني. وقال صاحب «المُنْهَب»^(٥): وَحَسِبُ الْقَلْعَةَ كَوْنُ هَذَا الْفَاضِلِ الْكَامِلِ^(٦) مِنْهَا، وَقَدْ رَقَمَ بُرْدَ مَجْدِهِ بِالْأَدَبِ، وَنَالَ مِنْهُ بِالْإِجْتِهَادِ وَالسَّجِيَّةِ الْقَابِلَةِ أَعْلَى سَبَبٍ، وَلَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ مَا يُغَيِّرُ فِي وَجْهِ كَعْبٍ وَحَاتِمٍ، لِذَلِكَ مَا قَصَدَتْهُ الْأَدْبَاءُ، وَتَهَافَّتْ فِي مَدْحِهِ الشُّعْرَاءُ، وَفِيهِ أَقُولُ: [الطويل]

وكان أبو بكر من الكُفْر عصمة	وردّ به الله الغُواة إلى الحقّ
وقام بأمر الله حافظاً أهله	بليّن وسبّط في المبرّة والخُلُق
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر	بغرناطة ناغاه في الرّأي والصّدق
فهذا لنا بالغرب يَجْنِي معالما	تُبَاهِي الَّذِي أَخْيَا الدُّيَانَةَ بِالشُّرُق

وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزْمان، ويجري عند ذكر نَزْهون بنت القِلاعي ما فيه كفاية، إذ كان مَفْتُونًا بِهَا، وَبِحَمْدَةٍ وَزَيْنَبٍ، بِشِّي زِيَادِ الْمُؤَدَّبِ مِنْ أَهْلِ وَادِي آش، وفيهما يقول: [المجثث]

ما بيسن زينب عُمري أَحسُّ كَأْسِي وَحَمْدَةَ

(١) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٥٢) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠).

(٣) الملثمون هم المرابطون، وقد حكموا الأندلس من سنة ٤٨٣ إلى سنة ٥٤٢ هـ.

(٤) قلعة يَحْصِب: بالإسبانية Alcalá la Real، أي القلعة الملكية، وتنسب إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة أيوب، وقلعة بني سعيد، وتبعد عن غرناطة ثلاثين ميلًا. مملكة غرناطة (ص ٦٢).

(٥) النص في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣). (٦) كلمة «الكامل» غير واردة في المغرب.

وكل نظم ونشر وحكمة مُسْتَجِدَّة
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ الْمَرَّةَ قَضْدَهُ

ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى، وقد سَهَا عن رَسْمِ تَفْقُّدِهِ، فكَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ^(١) فِي شَأْنِهِ بِمَا كَانَ سَبَبَ عَزْلِهِ وَنَكَبَتِهِ: [الطويل]

إِلَيْكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَصِيحَةً يَجُوزُ بِهَا الْبَحْرَ الْمُجْمَعَجَ شَاعِرُ
بَغْرِنَاطَةٍ وَلَيْتَ فِي النَّاسِ عَامِلًا وَلَكِنْ بِمَا تَخْوِيهِ مِنْهُ الْمَآزِرُ
وَأَنْتَ أَمَّا^(٢) تَخْفَى عَلَيْكَ خَفِيَّةٌ؟ فَسَلْ أَهْلَهَا فَالْأَمْرُ لِلنَّاسِ ظَاهِرُ
وَمَا لِإِلَآهِ الْعَرْشِ تَفْنِيهِ حَمْدُهُ وَزِينَةُ وَالْكَأْسِ الَّذِي هُوَ دَائِرُ

شَعْرِهِ: مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٣): [المجتث]

يَا هَذِهِ، لَا تَرُومِي خِدَاعَ مَنْ ضَاقَ دُزْعُهُ
تَبْكِي وَقَدْ قَتَلْتَنِي كَالسَّيْفِ يَقْطُرُ دَمْعُهُ
وَقَالَ عَفَى اللَّهُ عَنْهُ^(٣): [الطويل]

لَقَدْ صَدَعَتْ قَلْبِي حَمَامَةٌ أَيْكَةً^(٤) أَثَارَتْ غَرَامًا مَا أَجَلُّ وَأَكْرَمًا
وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ مِنْ تَخْوِ أَرْضِيكُمْ وَلُطْفٍ حَتَّى كَادَ أَنْ يَشْكَلُمَا
وَقَالَ فِي مَذْهَبِ الْفَخْرِ^(٥): [الخفيف]

فَخَرْنَا بِالْحَدِيثِ بَعْدَ الْقَدِيمِ مِنْ مَعَالِ تَوَارِثِ^(٥) كَالنَّجُومِ
نَحْنُ فِي الْحَرْبِ أَجْبَلُ رَاسِيَاتٍ وَلَنَا فِي التُّدَيِّ لُطْفُ النُّسِيمِ

ولادته: ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

ومن الطارئين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري^(٦)

من أهل وادي آش، يكنى أبا عبد الله.

(١) هو علي بن يوسف بن تاشفين المرابطين، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥١٠ هـ إلى سنة ٥٣٧ هـ.

(٢) في الأصل: «ما» وكذا يتكسر الوزن. (٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣).

(٤) في المغرب: «بانية». (٥) في المغرب: «توارث».

(٦) ترجمة العبدري في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩) وجاء فيه «العبدري» بدل «العبدري».

حاله: كان رجلاً شديد الأذمة، أغين، كث اللحية، طرْقاً في الأمانة، شديد الاستِرابة بجليسه، مُخِيناً لرفيقه، سيء الظنّ بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مُختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على الثّفير والقِطْمير، مُستوعب للحضر والتقييد، أسير محيي وعابد زمام، وجنّيب أمانة، وجلس سقيفة، ورقيب مُشرف، لا يقبل هودة، ولا يُلابس رشوة، كثير الالتفات، متفقّداً للآلة، متمماً للعمل.

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شِغْرِ خامل نسب إليه بما نصه^(١): رجل غليظ^(٢) الحاشية، معدود في جنس السائمة والماشية، ثلّيت على العمال به سورة الغاشية، ولي^(٣) الأشغال السلطانية، فدُعِرَت الجبأة لولايته، وأيقنوا^(٤) بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقنطروا كل القنوط، وقالوا: جاءت الدابة تُكلّمنا وهي إحدى الشروط، من رجل صائم الحُشوة^(٥)، بعيد عن^(٦) المصانعة والرّشوة، يتجنب الناس، ويقول عند المخالطة^(٧) لهم: لا مِساس، عهدي به في الأعمال يَخِيط وَيَتَبَر^(٨)، وهو^(٩) يهلل ويكبر، ويحسن^(١٠) ويقبح، وهو يسبح، انتهى. قلت: وولي الأشغال السلطانية، فضمّ النّشر، وأوصد باب الحيلة، وبثّ أسباب الضياع، وتُرصد ليلاً وأصيب بجراحة أخطائه، ثم عاجلته الوفاة، فنُفّس عن أفتاله المُخنق.

شعره: قال يخاطب بعض أثراء الدولة قبل نهايته^(١١): [الطويل]

عمادي، ملاذي، مؤثلي، ومؤثلي	ألا أنعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه	على نحو ما يُرضيك يا ذا التّفضّل
فأنت الذي في العلم يُعرف قدره	بخير زمان فيه لا زلت تَغثلي ^(١٢)
فهنيئاً يا معنى ^(١٣) الكمال برتبة	تقرّ لكم بالسُّبق في كلّ مخفل

-
- (١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٥٤). (٢) في النفح: «كثيف».
- (٣) في النفح: «تولّى».
- (٤) في النفح: «وقامت قيامتهم لطلوع...».
- (٥) في النفح: «الحُشوة».
- (٦) في النفح: «من».
- (٧) في النفح: «عند المخاطبة: لا...».
- (٨) في النفح: «في الأعمال يقدر فيها ويدبر، ويرجع ويعبر، ويخطب ويتبر».
- (٩) في النفح: «وهو مع ذلك يكبر».
- (١٠) في النفح: «ويحسن من الأزمنة ويقبح».
- (١١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٠).
- (١٢) في الأصل: «منه لا زلت فيه تعتل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصريب من النفح.
- (١٣) في النفح: «معنى».

وفاته: توفي عام ثلاثة وأربعين^(١) بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، وله خط حسن، وممارسة في الطب، وقد توسط المعتزك.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي^(٢)

من أهل المرية، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن»^(٣) قال: يُشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة بيرة، إما من بجانة^(٤)، وإما من البريج^(٥)، واستوعب سبب انتقالهم.

حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقة، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوة وسماحة، ومبرة وأدبا ولودعية ودعابة، رافع راية الانطباع، وحائز قصب السبق في ميدان التخلق، مبذول البر، شائع المشاركة.

وقال في «المؤتمن»: كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بأقوال الناس، حافظاً لمراتبهم، مُنزلاً لهم منازلهم، ساعياً في حوائجهم، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الذل، ولا أغفل من كان يالفه في المنزل الخشن، واصلاً لرحمه، حاملاً لوطة من يخفوه منهم، في ماله حظ للمساكين، وفي جاهه رقد للمضطرين، شيخاً ذكياً المجالسة، تستطيب معاملته، على يقين أنه يخفي خلاف ما يظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، ولا يعلّق بهم أهل الآخرة، لعزوه عن النخوة والبطر، رحمه الله. تكررت له الولاية بالديوان غير ما مرة، وورد على غرناطة، وافداً ومادحاً ومُعزياً.

مشيخته وما صدر عنه: قرأ على ابن عبد الثور، وتأدّب به، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأخوص أيام قضائه ببسطة، ونظم رجزاً في الفرائض.

(١) في النسخ: (ج ٨ ص ٤٠٠): «توفي عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة».

(٢) نسبة إلى دار بلي بقرطبة، وهو بلي بن عمرو بن قضاة، وقبيلة بلي عربية كانت تسكن بشمال قرطبة، ولم تكن في أيام ابن حزم تحسن التحدث باللطينية. جمهرة أنساب العرب (ص ٤٤٣).

(٣) هو «المؤتمن على أبناء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البلفيقي. وقد تقدم اسم الكتاب كاملاً في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة ابن البركات.

(٤) بجانة: بالإسبانية Pechina، وهي مدينة بالأندلس مشهورة بحفاتها العجيبة، وتبعد عن المرية خمسة أميال. الروض المطار (ص ٧٩).

(٥) البريج: بلدة قريبة من بجاية، تابعة للمرية.

شعره: قال الشيخ^(١) في «المؤتمن»: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوَسَط، وكان يُسَمَّرُ تلك الحَلْبَة الآخذة عن ابن عبد النور، كأنه مصوغٌ من شعر شيخهم المذكور، ومَحْذُوقٌ عليه، في ضعف المعاني، ومِهْنَة الألفاظ. تنظر إلى شعره، وشعر عبد الله بن الصائغ، وشعر ابن شُعْبَة، وابن رُشَيْد، وابن عُبَيْد، فتقول: ذَرِيَّة بعضها من بعض.

فمن ذلك ما نظمته في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلّهي، أَجِرْني إنني لك تائب
عَصِيئُكَ جَهْلًا ثم جَشِيئُكَ نَادِمًا
مضى زمن بي في البطالة لاهيًا
فَحُذْ بيدي واقبل بفضلِكَ ثَوْبِي
أَخاف على نفسي ذنوبًا جَنِيئُهَا
وإنني لأَخْشَى في القيامة موقفًا
وقد وُضِعَ الميزان بالقِسْطِ حاكما
وطاشت عقول الخلق واشتد خوفهم
فما ثم من يُرْجى سواكَ تفضُّلا
ومن ذا الذي يُغْطِي إذا أنت لم تَجُدْ؟
عَبِيدُكَ، يا مولاي، يدعوك رغبة
دَعْوَتِكَ مُضْطَرًا وَعَفْوِكَ واسِعُ
فَهَبْ لي مِنْ رُحْمَاكَ ما قد رَجَوْتُهُ
توسَّلت بالمختار من آل هاشم
شفيعُ الوري يوم القيامة جَاهُ

ولائي من ذَنْبِي إليك لَهَارِبُ
مُقِرًّا وقد سُدَّتْ عليَّ المذاهِبُ
شبابي قد ولى وعُمْري ذاهِبُ
وَحَقُّ رَجائي في الذي أنا راغِبُ
وحاشاك أن أشقى وأنتَ المُحاسبُ
ويومًا عظيمًا أنت فيه المُطالِبُ
وجاء شهيدٌ عند ذاك وكاتبُ
وفرَّ عن الإنسان خلٌّ وصاحبُ
وإن الذي يَرْجُو سواكَ لخائبُ
ومن هو ذو مَنِّعٍ إذا أنت واهِبُ؟
وما زلتَ غَفَارًا لِمَنْ هو تائبُ
فأنت المجازي لي وأنت المعاقِبُ
وبالجود يا مولاي تُرْجى المواهبُ
ومن نَحْوَهُ قَصْدًا تُحْكُ الرُّكائبُ
ومُنْقِذٌ مَنْ في النار والحق واجبُ

ومما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجادة، قوله من قصيدة هنا فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر^(٢)، لما وفد هو وجملة أعيان البلاد أولها: [الكامل]

يُهني الخلافة فَتَحَتْ لك بابها فادخل على اسم الله يُمْنًا غَابَهَا

(١) هو أبو البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي.

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، تابع سلاطين بني نصر، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

منها، وهو بديع، استظرف يومئذ:

يا يوسفيا باسمه وبوجهه
في الأرض مكنك الإله كيوسف
بلغت بكم آرابها من بعد ما
كانت تراود كفوها حتى إذا
اضعد لمثبرها وضن محرابها
ولتملكن بربها أربابها
قالت لذلك نسوة ما رابها
ظفرت بيوسف غلقت أبوابها

قلت^(١): ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه الله، في هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسيط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال، وحاز بها نمطا أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى، فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المئزج، بعيدة من الجزالة، ولعل ذلك كان مقصودا من ناظمها رحمه الله.

وفاته: توفي ببلده عن سن عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة.

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين، رحمه الله، بقوله: [البسيط]

يا عَيْن، سَحِي بدمع واكف سَرِب
بكِتْ، إذ دُكِر الموتى، على رجل
على الفقيه أبي بكر تَضَمَّنْه
قد كان بي منه وُد طاب مَشْرَعُه
لكن ولاء^(٢) على الرحمن مُحْتَسِبَا
فاليوم أصبح في الأجداث مُزْتَهِنَا
إنا إلى الله ومن فقد الأحبة ما
من للفضائل يُسَدِّيها ويُلَحِّمُهَا؟
قل فيه ما^(٣) تَصِفُ رُكْنَا لِمُنْتَبِذِ
باقٍ على العهد لا تُثْنِيهِ ثَانِيَة
سهل الخليفة يادي البشر مُنْبَسِطِ
لحامِلِ الفضل والأخلاق والأدب
إلى بَلِي^(٤) مِنَ الأحياء مُنْتَسِبِ
رَمَسٌ وأعمل سيرا ثم لم يُؤْبِ
ما كان عن رَغَبٍ كَلَّا ولا رَهَبِ
في طاعة الله لم يَمْدُقْ ولم يَشِبِ
ما ضَرَبَ الرِيحُ أَمْلُودَا مِنَ الغَضَبِ
أشدُّ لَذْعَا لِقَلْبِ الشَّاكِلِ الوَصِيبِ
مَنْ لِلْعُلَى بين مَوْرُوثٍ ومُكْتَسِبِ؟
رَوْضِ، لِمُنْتَجِعِ أَنْسٍ، لِمُغْتَرِبِ؟
عن المكارم في وِزْدٍ ولا قُرْبِ
يَلْقَى الغريب بوجه الوالد الحَدِيبِ

(١) القول هنا للناسخ كما يتضح من السياق.

(٢) هو بلي بن عمرو بن قضاة، وقد تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٣) في الأصل: «ولا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أما» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

كم غير الدهر من حالٍ فقلبها
سامي المكانة معروفٌ تقدمه
أكريم به من سجايا كان يحملها
ما كان إلا من الناس الألى درجوا
أمسى ضجيج الثرى في جنب بلقعة
ليست صباية نفسي بعده عجباً
أجاب دمعى إذ نادى النعوى به
ما أغفل المرء عما قد أريد به
يا ويح نفسي أنفاس^(١) مضت هذراً
ظننت أنى بالأيام ذو هزء
أشكو إلى الله فقري من معاملة
ما المال إلا من الله فأفلح من^(٢)
اسمع^(٣) أبا بكر الأوضى نداء أخ
أهلاً بقدمتك الميمون ظاهرها
نم في الكرامة فالأسباب وافرة
له الله والآجال قاطعة
ومن فرائد آداب يحبرها
أما الحياة فقد ملئت مدتها
لولا قواطع لي أشراكها نصبت
وقل ما شفيت نفس بزورة من
يا نخبة ضمها ترب ولا عجب
كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا
عليك مني سلام الله يتبعه

وحال إخلاصه ممتدة الطنب
وقدره في ذوي الأقدار والرتب
وكلها حسن تنبيك عن حسب
عقلاً وحلماً وجوداً هامى الشحب
لكن محامده تبقى على الحقب
وإنما صبرها من أعجب العجب
لو غير متعاه نادى الدمع لم يجب
في كل يوم تناديه الردى اقترب
بين البطالة والتسويق واللعب
غلطت بل كانت الأيام تهزأ بي
له أنجو بها في موقف العطب
جاء القيامة ذا مالٍ وذا نشب
باك عليك مدى الأيام مكتتب
على محل الرضى والسهل والرحب
وربما نبئت الحسنى بلا سبب
ما بيننا من خطابات ومن خطب
فيودع الشهب أفلاكاً من الكتب
فمعرض الله منها خير مُثقل
لزرت قبرك لا أشكو من النصب
حل البقيع ولكن جهد ذي أرب
إن التراب قديماً مدفن الشخب
بيني وبينك ما بقي من الحجب؟
حسن الثناء^(٤) وما حييت من كتب

(١) في الأصل: «الأنفاس» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ما المال إلا من الله قوى فأفلح من»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «اسمع» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٤) في الأصل: «الثناء» وكذا ينكسر الوزن.

محمد بن محمد بن شعبة الغساني^(١)

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال شيخنا أبو البركات في الكتاب «المؤتمن»: من أهل المرية ووجوهها، لا حظ له في الأدب، وبضاعته في الطلب مُزجاة. قطع عمره في الأشغال المخزنية، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العملية، ماض على لين، متحرك في سكون، كاسد سوق المروءة، ضان بما يملك من جدة، مُنحط في هوة اللذة، غير مُعرج على رُبُع الهمة، لطيف الثأني، مُتَنَزِّل في المعاملة، دِمِث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، مُنَجِب الولد.

مشيخته: قرأ على ابن عبد الثور، والقدُر الذي يُحس به عنه أخذه.

شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة: [البسيط]

وَأَقْبَلَ السَّغْدَ والتَوْفِيقَ والأَمَلَ	وَأَفَى البَشِيرَ فَوَافَى الأَنْسَ والجَذَلَ
وَأَخْضَرَ ^(٢) مِنْهَا الرُّبَى والسَّهْلَ والجَبَلَ	وَرَأَتْ الأَرْضُ حُسْنًا زَاهِرًا وَسَنَى
لَهُ شِعَاعُ كُضُوءِ الشَّمْسِ مُتَّصِلُ	وَلَا حَ وَجْهَ عَلِيٍّ بَغْدَا قَفْدَا
أَحْشَاؤُنَا بِلَهَيْبِ الشُّوقِ تَشْتَعِلُ	مَذْ غَابَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لَنَا وَغَدَتْ
عَادَ الظُّلَامُ ضِيَاءَ وَانْتَفَى الخَبَلُ	وَحِينَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِغُرَّتِهِ
مَهْمَا اغْتَرَّتْ شِدَّةٌ أَوْ ضَاقتَ الحِيلُ	إِيهِ أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ الرَّجَاءُ لَنَا
نَالَ المُنَى وَبَدَا عَيْشٌ لَهُ خَفِيلُ	وَأَنْتَ كَهْفٌ مَنِيعٌ مَنْ نَحَاكَ فَقَدْ
مَشِيدَةٌ قَدْ بَثَّتْهَا السَّادَةُ الأُولُ	يَا سَيِّدَا قَدْ غَدَا فِي المَجْدِ ذَا رُتَبِ
بَاهَتْ بِهِمْ فِي قَدِيمِ الأعْصُرِ الدُّوَلُ	بَنُو كُماشَةَ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ شَهَرُوا
وَالْبَاذِلُونَ نَدَى والنَّاسِ قَدْ بَخَلُوا	السَّالِكُونَ هَدَى السَّابِقُونَ مَدَى
وَالسَّيِّدُ المَرْتَجَى والفَارِسُ البَطْلُ	أَنْتَ الأَخِيرُ زَمَانًا والقَدِيمُ عُلَا
أَضْحَى بِجُودِ يَدَيْكَ يُضْرِبُ المِثْلُ	إِنْ كُنْتَ جِئْتَ أَخِيرًا فَارِسًا ^(٣) فَلَقَدْ
مَنْ رَامَ إِحْصَاءَهَا سُدَّتْ لَهُ السُّبُلُ	حُزَّتِ المَائِرُ لَا تُخْصَى لِكُثْرَتِهَا
وَأَنْتَ تَجَرُّ النَّدَى والوَابلُ الهِطْلُ	جُزَّتِ البُدُورُ سَنَى والفَرْقَدَيْنِ عُلَا

(١) ترجمة محمد بن محمد بن شعبة في الكتيبة الكامنة (ص ١١٦).

(٢) في الأصل: «واخضرت» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «فارسًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

من جاء يطلب منك السِّلَمَ قابله
ومن يُرِذْ غير ذا تَبًا له وردى
هناك ربك ما أولاك من نعم
ولا عِدَمَتَ مدى الأيام منزلة
وخذه بعد سلامًا عاطرًا أرجا
من خادم لعلاكم مخلص لكم
تقبيل كُفِّكَ أغلى ما يؤمله

وفاته: في أول عام أربعة وستين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن العراقي^(١)

وادي آشي، يكنى أبا عبد الله.

حاله: فاضل^(٢) الأبوة، معروف الصُّون والعفة، بادي الاستقامة، دَمِث^(٣) الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم وينثر، ويجيد الخط، تولى أعمالاً نبيلة، ثم عُلِقَتْ به الحرفة، فلقي ضغطاً وفقد نَشَبًا، واضطرَّ إلى التحول عن وطنه إلى برِّ العُدوة عام ستة وخمسين وسبعمائة، وتعرَّف لهذا العهد أنه تولى الأشغال بقُسْطُيْنِيَّة^(٤) الهواء من عمل إفريقية.

شعره: كتب إلي وقد أبى عملاً غرض عليه^(٥): [الطويل]

أَضَمْتُ أَلْفًا ثُمَّ أَنْطَقُ بِالْخُلْفِ وَأَقْبَدُ إِلْفًا ثُمَّ أَنْسُ بِالْجِلْفِ؟
وَأَمْسِكُ دَهْرِي ثُمَّ أَنْطَقُ^(٦) عَلَقَمًا وَيَمْنَحُقُ بَنَدْرِي ثُمَّ أَلْحُقُ بِالْخَسْفِ؟
وَعَزُّكُمْ لَا كُنْتُ بِالذُّلِّ عَامِلًا وَلَوْ أَنَّ ضَعْفِي يَنْتَمِي بِي^(٧) إِلَى حَتْفِ^(٨)

(١) ترجمة محمد بن محمد بن العراقي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) وجاء فيه: «محمد بن محمد العراقي».

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) بتصريف.

(٣) في النفح: «حسن».

(٤) في الأصل: «قُسْطُيْنِيَّة»، والتصويب من معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٩)؛ إذ جاء فيه: «قُسْطُيْنِيَّة، بضم القاف وفتح السين: مدينة وقلعة يقال لها قسطنطينية الهواء».

(٥) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٦).

(٦) في النفح: «أنظر».

(٧) كلمة «بي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(٨) في النفح: «الحتف».

فإنَّ تُعمَلُونِي فِي تَصَرُّفِ عَزَّةٍ وَعَدَلٍ وَإِلَّا فَاحْسَمُوا عَلَّةَ الصَّرْفِ
بَقِيَتْ وَسُحِبَ الْعَطْفُ^(١) مِنْكُمْ تُظِلُّنِي وَعَطْفُ^(٢) ثُنَائِي^(٣) دَائِمًا ثَانِي الْعِطْفِ

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله
أبن محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا.

أوليته: يُنسب إلى القاضي بِيَطْلَبُوس، قاضي القضاة، رحمه الله. وبمالقة دُورٌ
تنسب إلى سَلَفِهِ تَدَلُّ عَلَى نِبَاهَةٍ، وَقَدْ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالتَّصْنِيفُ الْجَلِي أَوْلَى مِنَ
الْقِيَاسِ.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار
السلطانية. صَدُرَ نَمَطُهُ، وَفَرِيدُ فَتَاهُ رَجُولَةٌ وَجَزَالَةٌ وَاضْطِلَاعًا وَإِدْرَاكًا وَتَجَلُّدًا وَصَبْرًا.
نَشَأَ بِمَالِقَةٍ مَعْدُودًا فِي أَهْلِ الطَّلَبِ وَالْخُصُوصِيَّةِ، وَرَحَلَ إِلَى الْحِجَازِ الشَّرِيفِ فِي
فِتَائِهِ، فَاسْتَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ، وَأَخَذَ عَنْ أَكْبَرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، حَسْبَمَا يَشْهَدُ
بِذَلِكَ بَرْنَامُجُهُ.

وكان على سُنَنِ مِنَ السَّرْوِ وَالْحَشْمَةِ، فَذَا فِي الْكِفَايَةِ، جَرِيًّا، مِقْدَامًا،
مَهِيًّا، ظَرِيفَ الشَّارَةِ، فَارِهِ الْمَرْكَبِ، مَلِيحَ الشَّيْبَةِ، حَسَنَ الْحَدِيثِ، وَقَادَ الذَّهْنَ،
صَابِرًا عَلَى الْوُظَائِفِ، يَخْلُطُ الْخَوْضَ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِعِبَادَةِ بَاهِظَةٍ، وَأُورَادِ
ثَقِيلَةٍ، وَيَجْمَعُ ضَحْكَ الْفَاتِكِ وَبُكَاءَ النَّاسِكِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، هَشًّا، مَفْرُطَ الْجِدَّةِ،
يَشْرُدُ عَلَيْهِ مَجْلُلُ لِسَانِهِ فِي الْمَجَالِسِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمَا تَعْرُوهُ الْمُتَدَمِّعَةُ بِسَبِيهِ، قَائِمًا عَلَى
حِفْظِ الْقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهِ وَتِلَاوَتِهِ، ذَا خِصَالٍ حَمِيدَةٍ، صَنَاعِ الْيَدِ، مُقْتَدِرًا عَلَى
الْعَمَلِيَّاتِ مِنْ نَسْخٍ وَمُقَابَلَةٍ وَحِسَابٍ، مَعْدُودًا مِنْ صُدُورِ الْوَقْتِ وَأَعْلَامِ الْقَطْرِ وَرِجَالِ
الْكَمَالِ.

مُشِيخَتُهُ: أَخَذَ عَنِ الْجَلَّةِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ كَالْأَسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ بَنِى السُّدَادِ
الْبَاهِلِيِّ؛ لَازِمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَالْخَطِيبِ أَبِي عَثْمَانَ بَنِى عَيْسَى؛ أَخَذَ عَنْهُ، وَالْوَلِيِّ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُمْ مِنَ الْعُدُودِ وَالْأَنْدَلَسِ
وَالْمَشَارِقِ.

(٢) فِي النَّفْعِ: «وَحَفْظٌ».

(١) فِي النَّفْعِ: «الْعَفْوُ».

(٣) فِي الْأَصْلِ: «ثُنَائِي» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

محنته: لقي نصيباً في الخدمة السلطانية، وغضاً من الدهر لبأوه، بتعنته وعدم مبالاته مزات، ضيق لها سجنه، وغرض عليه النكال، ونيل منه بالإهانة كل منال، وأغرم مالا أجحف بمحتججه، وغرض للأيدي نفائس كتبه، وعلى ذلك فلم يذعر سربه، ولا أضعفت النكبة جأشه.

ولادته: ولد عام ثلاثة وسبعين وستمائة. ومات ميتة حسنة. صلى الجمعة ظهرًا، وقد لزم الفراش. ونفث دم الطاعون، ومات مُستقبل القبلة، على أتم وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، أزدي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله: كان فاضلاً وقوراً سَمَحًا، مليح الدُّعابة، عذب الفكاهة، حلو النادرة، يكتُب ويُشعر، طرُفاً في الانطباع واللُّوعِيَّة، آيةً في خلط الجِدِّ بالهزل. وُلِّي الإشراف بمدينة مالقة، وتقلب في الشهادة المَخزنية عُمره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، رحمه الله:

[الطويل]

فؤداي من خَظَب الزمان سَقِيمٌ وفيه لَسَهم الحادثات كُلوْمٌ
ولم أَشكُ دائي في البريَّة لامرئ أَأشكو به وابنُ الحكيم حَكِيمٌ؟

وفاته: توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين

وسبعمائة.

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راوية ثقة، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيب النفس، كامل المروءة، حسن الخلق، جميل العشرة، تلبس بالأعمال السلطانية دهرًا، ووُلِّي إشراف غرناطة وغيرها، إلى أن قعد لشكاية منعه من القيام والتصرف فعكف على النظر، فانتفع به.

مشيخته: كانت له رِخلة سَمِع فيها بالإسكندرية على أبي عبد الله بن منصور

وغیره، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن، ابنا صالح بن سالم.

توالياً له اختصار حسن في «أغاني الأصبهاني»، وردّ جيّد على ابن غزبيّة في رسالته الشّعوبية^(١)، لم يقصّر فيها عن إجابة.

وفاته: وتوفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين وستمئة.

الزّهاد والصّالحاء والصّوفية والفقراء وأولاً الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري^(٢)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصّناع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصّوفي، الكثير الاتّباع، الفذّ الطريقة، المُحبّب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه الله، شيخاً حسن السّمت، كثير الذّكر والمداومة، يقود من المُخشوشين عدّة ربيعة ومضر، يعمل الرّحلة إلى حصونهم، فيتألّفون عليه تألّف الثّحل على أمرائها ويغاسيبها، مُعلنين بالذّكر، مهرولين، يغشّون مثواه بأقواتهم على حالها، ويتناغون في التماس القرب منه، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة. وكان من الصّالحين، وعلى سُنن الخيار الفضلاء من المسلمين، وله حظّ من الطّلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينية، ويتكلم في طريق المتصوّفة على مذهب أبي عبد الله السّاحلي شيخه، كلاماً جهورياً، قريب الغمر. وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها وأهل مُتَحليها؛ ليستعين بها بزعم على آماله الخيريّة، فلم يخل بظائل.

مُشيخته: قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، وكانت له في حالة فُراسة. حدّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي، رحمه الله. وسلك على الشيخ الصّالح أبي عبد الله السّاحلي.

وفاته: وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمئة، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال، قدّم لها العهد، ونفّر لها الناس من كل أوب، وجيء بسريره، تلوح عليه العناية، وتحفّهُ الاتّباع المقتاتون من جُلّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولّوا مواراته، تعلو الأصوات حوله، ببعض أذكّاره.

(١) هو أبو عامر أحمد بن غربية، من أبناء نصارى البشكنس، سبي صغيراً وأدبه مولاه مجاهد العامري. المغرب (ج ٢ ص ٤٠٦). وقد ذكره ابن بسام وأورد له رسالته الشّعوبية، وهي رسالة ذميمة ذمّ فيها العرب، وفخر بقومه العجم. الذخيرة (ق ٣ ص ٧٠٥ - ٧١٤).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠): «محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب الأنصاري...».

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمواق.

حاله: كان معلماً لكتاب الله تعالى، خطيباً بمسجد رضى الفخارين، طزقاً في الخير ولين العريكة والسذاجة المشفوعة بالاختصار وإيثار الخمول، مستقيماً في طريقته، خافئاً في خطبته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء، مظنةً الصلاح والبركة.

وفاته: توفي بغرناطة قبل سنة خمسين وسبعمائة بيسير، وكلف الناس بقبوره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم وجلب أواني المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

محمد بن حسنون الحميري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلاً صالحاً، مشهور الولاية والكرامة، يقصده الناس في الشدائد، فيسألون بركة دعائه. ومن إملاء الشيخ أبي بكر بن عتيق بن مقيم، قال: أصله من بياسة^(١)، وكان عمه من المقرئين المحدثين بها، وسكن هو مرسية، ونشأ بها، وقرأ على أشياخها، وحفظ «كتاب التحبير» في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم القشيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، وأم الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحلفاء، ويتقوت من ذلك.

وفاته: توفي عام خمسة وسبعمائة بغرناطة، وهو من عدد الزهاد.

ومن مناقبه: ذكروا أنه سمع يوماً بعض الصبيان يقول لصبي آخر: مرّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فأنصرف إلى السجن، فدخله، وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان، فوجّه وزيره، فأخرجه، وأخرج معه أهل السجن كلهم، وكانت من كراماته.

محمد بن محمد البكري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

(١) بياسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة تبعد عن جيان عشرين ميلاً. الروض المعطار (ص ١٢١).

كان، رحمه الله، شيخاً صالحاً، جهورياً، بعيداً عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مُغْلِظاً لأهل الدنيا، شديداً عليهم، غير مُبالٍ في الله بغيره، يلبس خِرقة الصوفية من غير التزام لاضطلاح، ولا مُنقاد لرُقُو، ولا مؤثر لسماع، مشاركاً للناس، ناصحاً لهم، ساعياً في حوائجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مكنون، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتجند، فرفض زيّه، ولبس المسوح والأسمال. وكان ذا حظٍّ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن العجّاب: سمعته ينشد في بعض مجالسه: [الرجز]

يا غادياً في غفلة ورائحاً	إلى متى تَسْتَحْسِنُ القَبائِحَ؟
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً	يَسْتَنْطِيقُ الله به الجوارحاً؟
يا عجباً منك وأنت مُبْصِرٌ	كيف تُجَنَّبُ ^(١) الطريقَ الواضِحَ؟
كيف تكون حين تقرا ^(٢) في غَد	صحيفةً قد مُلِئت فضائِحاً؟
أم كيف ترضى أن تكون خاسراً	يوم يَفُوز مَنْ يَكُونُ رابِحاً؟

ولما حاصر الطاغية مدينة المريّة^(٣) وأشرفت على التلف، تبرّع بالخروج منها ولحقه يباب السلطان؛ لبثّ حالها، واستنقار المسلمين إلى نضرها، فيُسّر له من سَرّ غرضه، وتسهّل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته: توفي بالمريّة محلّ سكناه، في حدود عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

غرناطي، قيجاطي^(٤) الأصل، يعرف بالشواس.

قال في «المؤتمن»^(٥) في حاله: رجل مُتَطَبِّب، سهل الخُلُق، حسن اللقاء، رحل من بلده، وحجّ، وفاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، وعاد فتصدّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلت: وعظم صيته، وشهر فضله، وقُدّم أميناً على أخباس

(١) في الأصل: «تجتنب» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «تقرا» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا الهمزة.

(٣) المراد بالطاغية صاحب برجلونة، إذ حاصر في غرة ربيع الأول من عام ٧٠٩ هـ مدينة المريّة وأخذ بمخنتها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفِع الحصار. اللمعة البدرية (ص ٧٥).

(٤) نسبة إلى قيجاطة Quesada، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع على ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من أبدة. الروض المعطار (ص ٤٨٨).

(٥) هو كتاب «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البلفيقي.

مسجد رسول الله ﷺ، بالمدينة الطاهرة وصدقائه، وذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن يخصى نفسه، وسقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكّانه برخبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المرحّل لنفسه:

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمت والكلب أخفّ مخلوق لإحسان
فإن غضبت على شخص لتشتيمه فقل له: أنت إنسان ابن إنسان
وفاته: كان حيًا عام خمسين وسبعمئة فيما أظن.

ومن الطّارئين عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر
ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار
ابن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف السلمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجي، منسوبًا إلى قرية^(١) بالإقليم، وكان من أهل غرناطة.

حاله: من خطّ شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلًا صالحًا فاضلاً متخلّقًا، سَمَحًا، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممّن وضع الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصّة تَبْرُهُ ولا تنتقدّه، والعامّة تُؤدّه وتعتقده، وتترادف على زيارته، فئة بعد فئة، فلا تُثَقِّلُ عنه إلّا راضيةً، وكان جاريًا على طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، إذ كان قد لقي بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله، ولازمه وانتفع به، كما لقي ولازم تاج الدين أبا العباس المُرسِي، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى، ينتسبون إليه، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، وملازمة الوظائف، وخرج عنه إليهم على طريقة التّذوين كتابٌ سمّاه بـ«الأنوار في المخاطبات والأسرار» مُضَمَّنُهُ جملةٌ من كلام شيخهم تاج الدين،

(١) هي قرية قنجة، كما سيّتين بعد قليل.

وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سرّه، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي، وحقائق الطريق، وبعض كرامات غير مَنْ ذُكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مُشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل فحجّ ودخل الشام، وعاش مدة من حراسة البساتين، واعتنى بقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان مليًا بأخبار مَنْ لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى مَنْ خفّ على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم المرئية، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضًا أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باقٍ فيه من قرشٍ وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يخبر حالك، فحسبته فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكه	ما لم يُرذ من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبُ أهواءٍ فيقلقه	هذا ويأخذه هذا ويتركه
طورًا يؤمنه طورًا يخوفه	طورًا يُيقّنه طورًا يُشكّكه
حينًا يوحشه حينًا يؤنسّه	حينًا يُسكّنه حينًا يُحرّكه
عسى الذي يمكك الشبح الطباقي على	يديك يا مُطلع الأنوار يمسكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها	مهما أبيضه بالذكر تُشركه
عسى الذي شأنه السّثر الجميل كما	غطى عليه زمانًا ليس يهتّكه

فلما قرأ منها: «فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها»، قال: هذه عِلّتي.

مولده: سأله عنه، فقال لي: عام ثمانية وستين بقرية الجيظ من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيبًا بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة، في الوياء العام، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين
ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي^(١)

وبيته شهير بمالقة، يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صفوان.

حاله: كان مفتوحاً عليه في طريق القوم، مُلْهِمًا لرموزهم، مصنوعاً له في ذلك، مع المحافظة على السنة والعمل بها آخر الرُعييل، وكوكب السحر، وفذلكة الحساب ببلده، اقتداءً وتخلقاً وخشوعاً وصلاحاً وعبادة ونصحاً. رَحَلَ فحجَّ، وقفل إلى بلده، مؤثراً الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلم في شيء من تلك النحلة، يأتي بالعجائب، ويفك كل غامض من الإشارات. وعُني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الرُّوبي المسمى بـ«منازل الساري إلى الله» فقام على تدريسه، واضطلع بأعبائه، وقيد عليه ما لا يدركه إلا أولو العناية، ولازمه الجملة من أولي الفضل والصلاح، فانتفعوا به، وكانوا في الناس قُدوة. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من الرُّبض الشرقي، وبه كان يقعد، فيقصده الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيام على كتاب الله.

توالياً: ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج^(٢)، رحمه الله، كتاباً في التَّصَوُّف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاي الخليفة يوسف	جاءت بهذا العالم المُتَصَوِّف
فكفى بما أسدى من الحكم التي	أبدى من سرِّ الطريقة ما خفي ^(٣)
وحقائق رُفَع الحجاب بهنَّ عن	نور الجمال فلاح غير مُكَيَّف
كالشمس لكن هذه أبدى سناً	للحسن والمعنى لعين المُنْصِف
فيه حياة قلوبنا ودواؤها	فمن استغاث بجرعة منها شفي ^(٤)
إن ابن صفوان إمام هداية	صافي قُصُوفي فهو صُوفي صفي ^(٥)
وإن اختبرت فإنه صفو ابن صف	و ظاهر في طيِّه صفو خفي ^(٦)

(١) ترجمة ابن صفوان القيسي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة، وقد حكم من سنة ٧٢٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

(٣) في الأصل: «ما خف» بدون ياء. (٤) في الأصل: «شف» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «صف» بدون ياء. (٦) في الأصل: «خف» بدون ياء.

علمَ توارثه وحالٌ قد خَلَّتْ ذوقًا فَنِعَمَ الْمُقْتَدَى والمُقْتَفَى^(١)
 فليُنهِنِكَ المولى سُعودِ إِيَالَةٍ فيها سراجٌ نورُهُ لا يَنْطَفَى^(٢)
 جَلَى وجوهَ شريعةٍ وحقيقةٍ صُبْحًا سَنَاءُ باهرٌ لا يَخْتَفَى^(٣)
 لا زِلْتَ تسلكِ كلَّ نَهْجٍ واضحٍ منها وتحيي كلَّ سَفَى مُزَلَفٍ

ومن قواليفه: «جَرُّ الحُرِّ» في التوحيد، وعلق على الجزء المنسوب لأبي إسماعيل الهروي.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: أَخَذَ عَنْهُ بِيَلَدِهِ وَتَبَرَّكَ بِهِ جَلَّةً، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ عَالِمٌ، مِنْهُمْ شَيْخُ الشُّيُوخِ الْأَعْلَامِ أَبُو الْقَاسِمِ الْكَسْكَلَانِ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْكَوَّابِ، وَالْأَسْتَاذُ الصَّالِحُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَطَّانِ، وَصَهْرُهُ الْأَسْتَاذُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قِرَالٍ، وَالْعَاقِدُ النَّاسِكُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَحْمَرُ وَغَيْرُهُمْ.

شعره: رَأَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، يُذِيلُ قَوْلَ أَبِي زَيْدٍ^(٤)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥): [الطويل]

رَأَيْتُكَ يُذْنِنِي^(٦) إِلَيْكَ تَبَاعَدِي^(٧) فَأَبْعَدْتُ نَفْسِي لَابْتِغَاءِ التَّقَرُّبِ^(٨)

فَقَالَ: [الطويل]

هَرَبْتُ^(٩) بِهِ مِنِّي إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ بِي الْبُعْدُ فِي بُعْدِي فَصَحَّ بِهِ قُرْبِي^(١٠)
 فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ وَكَانَ بِهِ لَا بِي^(١١) لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ
 فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بِغَيْرِ تَبَاعِدٍ وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِي^(١٢)

(١) في الأصل: «والمقتف» بدون ياء. (٢) في الأصل: «لا ينطف» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لا يختف» بدون ياء. (٤) في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤): «أبي يزيد».

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤ - ٥٥).

(٦) في الأصل: «تذنيني» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الأصل: «تباعدني» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «وابتغائي من القرب».

(٩) في الأصل: «هويت بدمني...» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «قرب» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «وكان به لأي» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٢) في الأصل: «قرب» بدون ياء.

وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها، وذهب سَحَرًا يرتاد ماء لوضوئه، فتردى في حفرة تردّيًا أوهن قواه، وذلك بخارج بَلَش^(١)، فرُدَّ إلى مالقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري^(٢)

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالساحلي.

حاله: من «عائد الصلاة»: المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة، وصبره على المُجاهدة. قطع عمره في التَّبتُّل والتَّهَجُّد، لا يَفْتُر لسانه عن ذكر الله والصلاة على نبيّه، ﷺ. خرج عن مَثْرُوك والده، واقتصر على التَّعْيِش من جرفة الخياطة. ثم تعدّاها إلى النُّسخ والتَّعليم، وسلك على الشيخ أبي القاسم المُريد، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره مُستوعبًا ضروب الخير، وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكر ونسخ وقراءة وملازمة خَلْوَةٍ، ذا حظٍّ من الفصاحة، وجُرأة على الوعظ في صوت جَهِير وعارِضَةٍ صَلِيبة. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الدُّيار، والزمهم الأذكار، وحولهم للسلوك، فأصبح كثير الأتباع، بعيد الضَّيِّت. ووُلِّي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونُقِل إلى الخطابة بجامع غرناطة في تَبَوُّة عرضت له بسبب دُنَابِي ذُرِّيَّة طرَقوا الكَدْر إلى سِرْبِهِ، ثم عاد إلى بلده متين ظَهر الحُظْوَةِ، وثيق أساس المَبَرَّة.

مشيخته: قرأ ببلده مالقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لُب، وأبي جعفر الحرّار، وأبي عبد الله بن الحُلُو، والخطيب أبي عبد الله بن الأغور.

محنته: ابتلي بعد السبعين من عمره بِفَقْد بصره، فظهر منه من الصبر والشكر والرِّضا بقضاء الله ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن يكفَّ بصري خوفًا من الفِتنة. وفي هذا الخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره، ﷺ، بسؤال العافية والإمتاع بالإسماع والإبصار.

(١) هي بَلَش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: «بَلَش»، بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة: بلد بالأندلس ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي. معجم البلدان (ج ١ ٤٨٤).

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي في نيل الابتهاج (ص ٢٣٠) والكتيبة الكامنة (ص ٤٥).

شهرته: وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق، الملوك فمن دونهم، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المعمر الحجة الرحلة أبا علي ناصر الدين المشدالي كتب إليه من بجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسنا وأهلنا الضر، وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل، وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين. وبعده: من العبد الأصغر والمحب الأكبر فلان، إلى سيد العارفين، وإمام المحققين، في الفاظ تناسب هذا المعنى.

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب، وكان من أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدي، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله ﷺ، فأخبرني واشف صدري، هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال: فأفكر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية ابن الجيَّاب الساعة ومحدثته، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: وهذا أمر غريب، ولا يصح إلا رؤية القلب، ولكن غلبت عليه حتى تخيل في الحسن الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد في محلين اثنين محال.

شعره: نظم الكثير من شعر مئط لا يصلح للكتب ولا للرواية، ابتلي به، رحمه الله، فمن لبابه قوله، وهو من الوسط^(١): [الكامل]

إن كنت تأمل^(٢) أن تنال وصالهم فامح الهوى في القيل والأفعال
واصبز على مرّ الدواء فإنه يأتيك بغد بخالص السُّلَسَالِ

تواليفه: ألف كتاباً سماه «إعلان الحجة»، في بيان رسوم المحجة.

وفاته: توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعمائة، وكانت جنازته مشهودة، تراحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عاداتهم من ارتكاب القحة الباردة في مَسْلَاح حُسن الظن.

محمد بن أحمد بن قاسم الأمي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطان، الفقيه الأواب المتكلم المجتهد.

حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المنزع، عجيب التصوف. قرأ وعقد الشروط، وتصدر للعدالة، ثم تجرد، وصدق في معاملته لله، وعول عليه،

(١) البيتان في الكتبية الكامنة (ص ٤٥). (٢) في الكتبية: «تطلب».

واضطلع بشروط التوبة، فتحلل من أهل بلده، واستفاد واسترحم، واستغفر، ونقض يديه من الدنيا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يُشار إليه في الزهد والورع، لا تراه إلا متبسماً، ملازماً لذكر الله، متواضعاً لأصاغر عبادته، محباً في الضعفاء والمساكين، جميل التخلق، مُغضياً عن الهنات، صابراً على الإفادة. وجلس للجمهور بمجلس مألقة، يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، ويُرشدهم، ويُرْهِدُهم، ويحملهم على الإيثار، في أسلوب من الاستنفار والاسترسال والدلالة والفصاحة والحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بالهام وإعانة، فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتوبة، وبادر مُثْرِفُوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزلات، ودَّهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة، ما لا يأخذه الحضر ولا يدركه الإحصاء، ولولا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، وانتشر نفعه.

وفاته: توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمائة، ودفن بجبانة جبل فاره^(١)، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلى عليه خارج باب قنينة، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم.

وممن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوزاد فقال: [الطويل]

أَبْغَدَ وَلِيَّ اللَّهِ دَمْعِي يُسْجَمُ	وَعِمَارَ قَلْبِي مِنْ كَلَامٍ تُتَرْجَمُ؟
فَوَادِي مَكَلُومٍ بِحُزْنِي لَفَقْدِهِ	لِذَاكَ جُفُونِي دَمْعُهَا كُلُّهُ دَمٌ
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي التَّفْجُّعَ وَالْبُكََا	وَمَاذَا عَسَى يُجْدِي الْأَسَى وَالتَّبَرُّمُ؟
سَأَصْبِرُ لِلْبَلَوِّ وَإِنْ جَلَّ خَطْبُهَا	فَصَبِرُ الْفَتَى عِنْدَ الشَّدَائِدِ يُعْلَمُ
كَذَا الْعِلْمُ بِالسِّيفِ الصَّقِيلِ لَدَى الْوَعَى	فَوَيْقَ الَّذِي مِنْ حُسْنِهِ لَا يَوْسَمُ ^(٢)
عَلَى قَدَرِ صَبْرِ الْمَرْءِ تَضَعُ عِنْدَهُ	خَطُوبٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ تَعْظُمُ
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تَعِيلُهُ بَاطِلٌ	وَمَخْمَضُ ^(٣) أَحْلَامٍ لِمَنْ بَاتَ يَخْلُمُ
تَجَنَّبَهَا أَهْلُ الْعُقُولِ فَأَقْصَرُوا	وَأَغْرَقَ فِيهَا الْجَاهِلُونَ وَأَشَامُوا ^(٤)

(١) جبل فاره: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزهة المشتاق (ص ٥٧٠).

(٢) كلمة «لا» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «ومخمضة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «وأشام».

أَعِذْ نَظَرًا فِيهَا تُجِبُّكَ بِرَاحَةٍ
 أَعِذْ لَهَا دِرْيَاقَ صَبْرِكَ إِنَّهَا
 تَلْقَتْ إِلَى تَعْذِيبِهَا لِمَحَبَّتِهَا
 يُظَنُّ بِهَا رِيحَانَةٌ وَهِيَ مِذْرَةٌ
 عَجِبْتَ لَهَا تَخْفَى عَلَيْنَا غُيُوبُهَا
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُعَوَّلَ عَاقِلٌ
 وَمَا وَضَلَهَا مِغْشَارُ غُشْرِ صُدُورِهَا
 إِذَا ابْتَسَمْتَ يَوْمًا تَرَقَّبَ غُيُوبَهَا
 ضَحَى كَانَ وَجْهُ الدَّهْرِ سَبْرٌ بِشْرُهُ
 ذَرِينَا بِعَقْدٍ مِنْ وَلِيٍّ مَكَائَةٍ
 هَوَى مِثْلَ مَا هَوَى مِنَ الْأَفْقِ كَوَكَبٍ
 تَسَاوَى لَدَيْهِ صَيْدُهَا وَعَبِيدُهَا
 هُوَ الْمَوْتُ لَا يَنْفَكُ لِلْخَلْقِ طَالِبًا
 وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّاءُ عَزَّ دَوَاؤُهُ
 دَهَا كُلَّ مَخْلُوقٍ فَمَا مِنْهُ سَيِّدٌ
 وَلَوْ كَانَ ذَا كَانَ التُّبَيُّ مُحَمَّدٌ
 تَعْنَى بِهِ مُوسَى وَيُوسُفَ قَبْلَهُ
 بِهِ بَادَ بِهَرَامٍ وَتُبِّرَ بِهِرَمٍ
 وَكَمَ مِنْ عَظِيمِ الشَّأْنِ حَلٌّ بِرَبِّعِهِ
 وَلَكُنَّا نُنْهَى وَنَأْبَى حَدِيثَهُ
 فَحَتَّى إِذَا حَلَّ سَاحَةَ مَا جِدَّ
 نُسِينَا حَدِيثَ الْمَوْتِ جَهْلًا بِغَدْرِهِ
 وَفَاةً وَزَمِيٍّ فِي الثَّرَابِ مُوسِدٌ
 خَبَا ضَوْؤُهُ نَادِيٌّ فَأَقْفَرُ^(٥) رَبُّعُهُ

وَأَنْسَ^(١) بِمَا تَقْضِي عَلَيْكَ وَتَحْكُمُ
 مِنَ الْبُؤْسِ وَالتَّلْوِينِ وَاللَّوْنِ
 وَمَاذَا بِهَا يَلْقَى كَثِيبٌ وَمُغْرَمٌ
 وَلَا مُنْتَهَى إِلَّا الرَّدَى وَالتَّنْدَمُ
 وَذَلِكَ لِأَنَّا فِي الْحَقِيقَةِ نُؤْمُ
 عَلَى عَاجِلٍ مِنْ وَضَلَهَا يَتَصَرَّمُ؟
 وَلَكِنَّهُ صَرَفٌ وَلِلدَّهْرِ^(٢) أَذْوَمُ
 فَمَا إِنْ لَنَا مِنْهَا يَذْوَمُ التَّبَسُّمُ
 فَلَمْ يُخَسِرْ حَتَّى بَانَ مِنْهُ التَّجَهُّمُ
 مَكِينٌ لَدَى الْعِلْيَاءِ سَامٌ مَعْظَمُ
 فَجَلَّلْنَا لَيْلٌ مِنَ الْخَطْبِ مُظْلَمُ
 وَعَالِمُهَا التَّحْرِيرِ وَالْمُتَعَلِّمُ
 يَرْوَحُ وَيَغْدُو كُلُّ حِينٍ عَلَيْهِمُ
 فَلَيْسَ لَشَيْءٍ فِي الْبَسِيطَةِ يُخَسِّمُ
 لَهُ الْجَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَنْجُو وَيَسْلَمُ^(٣)
 تَجَنَّبَهُ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا^(٤)
 وَنُوحٌ وَإِدْرِيسٌ وَشِيثٌ وَآدَمُ
 وَكُسْرٌ مِنْ كِسْرَى سَوَازٍ وَمِغْصَمُ
 فَإِنْ تَخْتَبِرُهُ فَهُوَ رَبٌّ وَأَعْظَمُ
 وَتُشْجِدُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَتُثْمِمُ
 نَطْلُ بِهَا مِنْ خَسْرَةٍ نَتَكَلَّمُ
 فَالْهَمْنَا إِذْ هَزْنَا مِنْهُ مُلْهَمُ
 وَأَثَارُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ تُخَيِّمُ
 مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ رِبْعٌ وَمُغْلَمُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَأَنْسَ»، وَكَذَا يَنْكُسرُ الْوِزْنُ، لِذَا جَعَلْنَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ هَمْزَةً قَطْعًا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «لِلدَّهْرِ» وَكَذَا يَنْكُسرُ الْوِزْنُ. (٣) فِي الْأَصْلِ: «فَسَلَّمَ».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «وَسَلَّمَ». (٥) فِي الْأَصْلِ: «أَقْفَر» وَكَذَا يَنْكُسرُ الْوِزْنُ.

تردّى فأردى ففدّه أهل رية^(١)
غدا أهلها من فجعة بمصابه
وهل كان إلا والد مات عنهم؟
قضى نخبه الأستاذ واحد عصره
قضى نخبه القطان فالحزن قاطن
وهل كان إلا روضة رف ظلها
وهل كان إلا رحمة عاد ففدّها
سل الثائبين العاكفين على الهدى
أفادهم من كل علم لبابه
جزى الله ربّ الناس خير جزائه
أبان لهم طرّق الرّشاد فأقدّموا
وجاء من التّعليم للخير كله
فصاحّة ألفاظ وحسن عبارة
يُصيب فلا يُخطي إذا مقصدا
يحدث في الآفاق شرقا ومغربا
سرى في الورى ذكر له ومدائح
لعمرك ما يأتي الزمان بمثله
فقيه نزية زاهد متواضع
يود لو أنّ الناس أئرى جميعهم
يود لو أنّ الله تاب على الورى
عليه من الرّحمن أوسع رحمة

فما منهم إلا كئيب ومغرّم
وعيشهم صابّ قطيع وعلقم
فيا من لقوم يُثمّوا حين أيّموا^(٢)
فكاد الأسى يقضي إلى الكلّ منهم
مقيم بأحناء الضّلوع مُحكّم
أتيح له قيظ من الجّون صيّلّم؟
علامة ففد العلم والله أعلم؟
لكم مئة أسدى وأهدى إليهم
وفهمهم أسراره فتفهموا^(٣)
دليلا بهم نحو الهدى حيث يثمّوا^(٤)
وحذرهم عن كل غي فأحجموا^(٥)
بأبين من يأتي به من يُعلم
مضي كما يمضي الحسام المضمّم
ومن^(٦) يجيب فلا يبطي ولا يتلعم
فأخباره أضحت تُخط وتُرم
يكاد بها طير العلى يترّم
وما ضرّني لو كنت بالله أقسم
رؤوف عطوف مشفق مُترحم
فلم يبق مسكين ولم يبق مُعدم
فتابوا فما يبق من الكلّ مجرم
فقد كان فينا الدهر يحنو ويرحم

(١) رية Reyو: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٧٩).

(٢) في الأصل: «حين أو يثم» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن. وأيّم الرجل أو المرأة: قتل زوجه أو جعله أيّما. محيط المحيط (أيم).

(٣) في الأصل: «فتفهم».

(٤) في الأصل: «فأحجم».

(٦) في الأصل: «ولمن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي
ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي^(١)

لوشي^(٢) الأصل، مالقي النشأة والاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيه إلى هاشمية الثبه، وهم ببلدنا لوشة أشراف، وكانت لهم فيها
ثروة وثورة اجتثها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات. ويمت سلفنا إليهم
بضجة ومصاهرة في حديث يستدعي طولاً، وانتقل خلفهم إلى مالقة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان هذا الولي الفاضل، المجمع على ولايته وفضله،
سهل اللقاء، رفيقاً بالخلق، عطوفاً على الضعفاء، سالكا سنن الصالح من السلف
سمتاً وهدياً، بصره مغضوض، ولسانه صامت إلا من ذكر الله، وعلمه نافع، وثوبه
خشن، وطعمته قد نفدها الورغ الشديد حتى اضطفاها مختارة، إذا أبصرت بها العين،
سبقتها العبرة. بلغ من الخلق الملوك فتمن دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطر،
وتمد إلى عنايته الأيدي، وتخط بفنائه الوسائل، فلا يرتفع عن كلف الناس ولا
حوادثهم، ولا يتقبض عن الشفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم؛ له في ذلك كله أخبار
طريفة. واستعمل في السفارة بين ملكي العدو والأندلس في أحوال المسلمين، فما
فارق هيئته، وركوب جماره واستصحاب زاده، وليس الخشن من ثوبه. وكان له حظ
رغيب من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة. ولي الخطابة ببلده مالقة، واستسقى في
المحول، فسقى الناس.

حدثني بعض أشياخنا، قال: حضرت مقامه مستسقياً، وقد امتنع الغيث، وقحط
الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضج الخلق بالبكاء والعجيج، ولم
يترحوا حتى سقوا. وكراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدث بعض أشياخنا عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات، قال: رأيت في
النوم قائلاً يقول: فقد الليلة من يغمر بيت الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من
تلك الليلة حتى ورد الخبر بموته.

(١) له حفيد يحمل اسمه، ترجم له أبو الحسن النباهي والمقري؛ هو القاضي أبو عبد الله
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، ولي قضاء بلده مالقة
صدر عام ٧٥٠ هـ. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى لوشة Loza، وهي مدينة من إقليم البيرة، بينها بين البيرة ثلاثون ميلاً. الروض المطار
(ص ٥١٣).

مشيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم وأُسند إليهم الرواية والده، رحمه الله، وأبو عمرو بن حوط الله، والخطيب ابن أبي ربحانة المَرْبَلِي، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، والراوية أبو الوليد بن العطار، والراوية المحدث أبو بكر بن مُشليون، والمقرئ أبو عبد الله بن مستَقُور الطائِي، والأستاذ أبو جعفر الطَّبَّاع، وأبو الحسين بن أبي الربيع، والمحدث أبو عبد الله بن عِيَّاش، والأستاذ أبو الحسن السَّفَّاج الرُّنْدِي، والخطيب بالمرية أبو الحسن الغَزَّال. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رُزَيْق الشافعي، والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليُمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات، المعروف بالنجم، والحسن بن هبة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطُّبري، إمام الخليل، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطُّبري، ومحمد بن علي بن وَهَب بن مُطِيع القُشَيْرِي، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي وغيرهم.

ميلاده: بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة.

وفاته: بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شيء من أعماله المقرَّبة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، ومُلازمة الإقراء والرواية، والصبر على الإفادة.

حدث من يُوثق به أنَّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، وهو في حال التزع، والمَنيَّة تُحشِرُج في صدره، فقال: يا والدي، أوصني، فقال، وعيناه تدمعان: يا ولدي، اتق الله حيث كنتَ واتبع السيئة بالحسنة تَمْجِهَا، وخالق الناس بخُلُقٍ حسن.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البَلْفِيقي^(١)

ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات. وقد مرَّ في ذكر النسب المُتَّصل بعباس بن مرداس، والأولَّية التَّبيهة ما يُغني عن الإعادة.

(١) نسبة إلى بَلْفِيق Vellefique، وهي بلدة تابعة لمدينة ألمرية. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٤٨) بتحقيق عنان.

حاله: من خط ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبني في بعض ما كتب به إلي: ذكر أبي، وهو ممن طلبتم ذكره إلي في أخباره جزءا من نحو سبعين ورقة في المقسوم، لخصت لك من مبيضته ما يذكر:

نشأ، رحمه الله، بسبته على طهارة تامة، وعفة بالغة وضون ظاهر، كان بذلك علما لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقرءات السبع، وحفظ ما يذكر من المبادئ، واتسم بالطلب. ثم تافت نفسه إلى الاعتلاق بالعمرة الوثقى التي اعتلق بها سلفه، فنبذ الدنيا، وأقبل على الآخرة، وجرى على سنن المتقين، آخذا بالأشد من ذلك والأقوى، طامحا بهمة إلى أقصى ما يؤمله السالكون، فرفض زي الطلبة، ولبس الخشنية، وترك ملابسة الخلق بالجملة، وبالح في الانقباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات سبته وجبالها، وخصوصا بمينائها، وعكف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحا في الأرض، على زي الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، وورد المرية، مستقر سلفه، وأخذ في إثارة بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التبتل والإخبات. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخدانه، صواما، قواما، خاشعا، ذاكرا، تاليا، قوالا للحق، وإن كان مورا كبيرا في إسقاط التصنع والمباهاة، لا يضاهي في ذلك، ولا يشق غباره. وقدم على غرناطة، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتك؟ فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله، فعاز على من انتسب إليه أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر وقد اشتدت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوهم، وقدم على ملكه، ووعظه موعظة أغنف عليه فيها، فأنفعل لموعظته، وأجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، وغزا بها، وأقام بها ما شاء الله، وتأدب الروم لو تم المراد، قال: وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل علي كانت يده ترعد في يدي، إلا هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعد في يده عند مصافحته.

كراماته: وجلب له كرامات عدة، فقال في بعضها: ومن ذلك ما حدثني الشيخ المعلم الثقة أبو محمد قاسم الحصار، وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، والسفر معه إلى البادية، فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدثني أهل وادي الزرجون، وهو حش^(١) من أعمال سبته، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا، هذا لفظه، فلما استقر في

(١) الحش: البستان. محيط المحيط (حش).

رأس العقبة المشرفة على الوادي، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسداً كبيراً جداً قد تعرّض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله، فلما سمع الصياح قال: ما هذا؟ فقبل له: أهل القرى يصيحون عليه خيفةً من السبع، قال: فأعرض عنهم بيده، ورفّع حاجبه كالمُتَكَبِّر على ذلك، وأسكتهم، وأخذ في الطريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب، وقال له: من ههنا، من ههنا، أخرج عن الطريق، فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

مُشِيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، وأجازه والده أبو إسحاق إجازة عامة. ومن شيوخه القاضي المُسنُّ أبو عبد الله الأزدي، والمحدث أبو بكر بن مشليون، وأبو عبد الله بن جُوهر، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس بن عبد الملك، وأبو إسحاق بن عياش، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية، وأبو بكر القرطبي حُميد، وأبو إبراهيم الطرسى، والقاضي أبو عبد الله بن عياض، والكاتب أبو الحسن الرُعيني، وأبو الحسن الشّاري، وأبو يحيى بن الفرس، وأبو إسحاق بن عبيد الله، وأبو الحسن الغزّال، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء. ومن أهل العُدوة كآبي يعقوب المحاسبي، وابن قُرتُون، وغيرهما^(١).

مُحنّته: نُمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرَى به ملك المغرب، وتخلّص بعد لأي في خبر طويل، وانتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمُختَص^(٢)، واستمرّ، وذلك إلى دولة والده، وامتنح السّاعون به، فعجل الله عقوبتهم.

مولده: قال شيخنا: نقلت من خطّ أبيه ما نصّه: وُلد ابني أبو بكر محمد، أسعده الله ووفّقه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستمائة.

وفاته: قال: أُلْفِيْتُ بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شبرين، وكان ممن حضر جنازته بسبّته، وكانت وفاة الفقيه النّاسك السّالك الصّالح أبي بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث أبي إسحاق السلمي البُلْفِيقي في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستمائة، بمُخْرُوسَة سبّته، ودفن إثر صلاة العصر بجبّانة الخُرُوبة من منارتها بمقربة من قبر ربحان الأسود العبد الصّالح، نفع الله به. وصلى عليه الإمام أبو عبد الله بن حُرَيْث.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

(٢) المختص: المستخلص، وهو الأملاك السلطانية.

محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك
ابن إبراهيم بن يحيى بن عباد النّفْزِي^(١)

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاجّ الصّوفي.

حاله: نشأ ببلده رُنْدَة، وهو من ذوي البيوتات الأصيلة بها، ثم رَحَلَ إلى المشرق، ولقي العلماء والصّوفية، وحضر عند المَشْيَخَة، ثم كَرَّ إلى الأندلس، فتصوف، وجال في النّواحي، وأطرح السُّمُوت، وفوّت ما كان بيده من متاع الدُّنيا، وكان له مالٌ له خطر، وألقى التّصنُّع لأهله رأساً. وكان فيه تَوَلُّه وجِدَّة، وله ذهنٌ ثاقب، يتكلم في المعقولات والمَثْقُولات، على طريقة الحُكَمَاء والصّوفية، ويأتي بكلّ عبارة غريبة، وأثاره هائلة من غير تمكُّن عِلْم، ولا وثاقَة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلّا حَسَنًا، وهو مع ذلك طَوَّاف على البلاد، زوَّار للرُّبُط، صَبَّار على المجاهدة طَوْعًا وضرورة، ولا يسأل ثيابًا البتّة إلّا بَذْلَةً من ثوب أو غيره، صَدَقَةٌ واحد في وقته.

محنته وفضله وشعره: نُحِي عنه كلامٌ بين يَدَي صاحب المغرب، أَيْفَ به مُدَبِّر الدولة يومئذ، فأشخص عند إياه إلى رُنْدَة وسُجِن بسِجْن أَرْباب الجرائم، فكتب إلى وليّ الأمر: [الطويل]

تركتُ لكم عزَّ الغنى فأبَيْتُم وأن تتركوني للمَذَلَّة والفَقْرِ
ونازعتموني في الخمول وإنه لذي مُهْجتي أخلى من البُنى والأمرِ

ثم قال: يا مَنْ رَماني بِسَهْمه الغربُ، قد رُدَّ عليك مَخْضُوبًا بالدم. قال: فوالله ما مرّت ثلاثة، حتى نفذ حُكْمُ الله فيمن عدا عليه.

وشعره حسن يدلّ على طبع مَعِين، فمن ذلك: [الكامل]

سُرَى يُسِيرُ إِلَيَّ أَنْكَ تَارِكِي نَفْسِي الْفِدَاءَ لِلطُّفِكِ الْمُتَدَارِكِ
يا مالكي وليّ الفخار بأنني لك في الهوى ملكٌ وأنتُ مالِكي^(٢)
الشُّرْكُ هَلَكٌ فاعفِني منه وعِذْ بالوَضَلِ تُحْيِي ذَا^(٣) مُجِبُّ هَالِكِ

(١) ولد ابن عباد النّفْزِي برنده عام ٧٣٣ هـ وتوفي عام ٧٩٢ هـ، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٤٠) ونيل الابتهاج (ص ٢٨٧) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣١٨).

(٢) في الأصل: «مالك» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «ذما» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

وأَعِذْ جَمِيلًا فِي الْهُوَى عَوِّدْتَنِي
يَا مُثْبِتَةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ
آتِيهِ^(١) دُونَكَ أَوْ أَحَارْ وَفِي سَنَى
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ
وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِسُتْرِ سُرِّي فِي الْهُوَى
مَا السُّتْرُ إِلَّا مَا يُحَوِّكُ رِضَاكَ لَا
مَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ قَضَنُ
مَا لِي سِوَى حُبِّكَ يَا حُبِّي فَدَعْ

وَقَالَ أَيْضًا^(٣): [الكامل]

هَذَا الْعَقِيقُ قَسَلَ مِعَاطِفَ بَايِهِ
وَأَسْأَلُهُ إِنْ زَارْتَهُ مَاذَا أَخْبَرْتَ
وَأَصِخْ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعِذْهُ لَدَى
يَا حَبِّذَا ذَاكَ الْحَدِيثُ وَحَبِّذَا
وَسَقَى الْإِلَهَ زَمَانَهُ وَمَكَانَهُ
يَا سَعْدُ، سَاعِذْ مُسْتَهَامًا فِيهِ لَا
وَأَصِخْ لِمَا يَتْلُو^(٥) الْوَجُودَ عَلَيْكَ مِنْ
وَأَبْنِهِ لِي وَأَقْبِلْ دَمَامِي بِشَارَةٍ
وَسَلِ التَّسِيمَ يَهْبُ مِنْ وَادِيهِمْ
أَزْحَمَ بِرُوحٍ مِنْهُ رُوحِي تُخَيِّرُ
وَيَنْشُرُهُ أَنْشُرْ نَفْسَ مُشْتَاقٍ قَضَتْ
يَا سَعْدُ، حَدَّثَنِي فَكُلَّ مُحَبِّرٍ

إِنْ لَمْ تُعِذْهُ إِلَيَّ مَنْ لِلْهَالِكِ؟
فَتَيْنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكَ أَوْ نَاسِكَ
ذَاكَ الْجَمَالِ جَلَا الظَّلَامِ الْحَالِكِ؟
تَكُنِ الدَّلِيلَ اخْتَلْ قَضْدُ السَّالِكِ
فَهَجَرْتَنِي فَكُسِبَتْ ثُوبُ الْهَاتِكِ
مَا حَاكَهُ لِلْبَشْرِ كَفُ الْحَائِكِ
وَاهْتِكِ وَصِلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ كُنْ تَارِكِي^(٢)
تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَلِكِ تَرَكَ الْمَالِكِ

هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتْهُ مِنْ نُعْمَانِهِ؟
عَنْ أَجْرِعِ الْعَلَمَيْنِ أَوْ سُكَّانِهِ
مُضْنِي فِيهِ الْبُرْءُ مِنْ أَشْجَانِهِ
مَنْ قَدْ رَوَاهُ^(٤) وَحَبِّذَا بَيَانِهِ
وَيَعِزُّ قَدْرُ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ
ذُقْتُ الْهُوَى وَتَجَوَّزْتُ مِنْ عُدْوَانِهِ
أَتَبَانَهُمْ بِلِسَانِ حَالِ كِيَانِهِ^(٦)
وَيَقُلْ بِذَلِكَ دَمَائِي فِي تَبْيَانِهِ
بَشْدًا^(٧) خُزَامَاهُ وَطَيْبَ لِيَانِهِ^(٨)
وَيُسْقِيهِ^(٩) سُقْمِي فَدَيْتُكَ عَائِنِهِ
شَوْقًا لِنَفْحَةِ نَسَمَةٍ^(١٠) مِنْ بَانِهِ
عَنْ خُسْرِ مِنْ أَهْوَاهُ أَوْ إِحْسَانِهِ^(١١)

(١) في الأصل: «آيته» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تارك» بدون ياء.

(٣) القصيدة في الكنية الكامنة (ص ٤١ - ٤٢).

(٤) في الأصل: «رفاه» والتصويب من الكنية الكامنة.

(٥) في الكنية: «يجلو». (٦) في الكنية: «بيانه».

(٧) في الأصل: «شدًا» والتصويب من الكنية الكامنة.

(٨) في الأصل: «لبانه» بالباء الموحدة، والتصويب من الكنية الكامنة.

(٩) في الأصل: «ويسقيه» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكنية الكامنة.

(١٠) في الكنية الكامنة (مبة). (١١) هذا البيت غير وارد في الكنية الكامنة.

يا سَعْدُ، حَدَّثَنِي حَدِيثًا^(١) عَنْهُمْ
يا سَعْدُ، طَارِخِيهِ وَاِمْلَأْ بِسَمْعِي
أَنَا فِي الْغَرَامِ أَخُوكَ حَقًّا وَالْفَتَى
قُلْ كَيْفَ وَاْدِي وَدَّ^(٢) سَكَّانَ الْحَمَى
هَلْ قَلَصَتْ أَيْدِي الثَّوَى مِنْ ظِلِّهِ؟
وَهَلِ الرَّبُوعُ أَوَاهِلُ بِحِمَى لَهُمْ^(٣)
وَهَلِ التَّقَى بَانَ عَلَى عَهْدِ الثَّوَى^(٤)
فَبِرَوْضٍ أَنْسِهِمْ عَهْدَتْ^(٥) نَضَارَةٌ
وَأَرَى هَجِيرَ الْهَجْرِ أَذْبَلَ يَانَعًا
وَأَحَالَ حَالَ الْأَنْسِ فِيهِ وَخَشَةً
آهًا وَوَالْهَفَى وَوَنَحَى أَنْ مَضَى
وَبَأْجَرُعَ الْعَلَمَيْنِ مِنْ شَرْقِيهِ
حَازَ الْمُحَاسِنَ كُلَّهَا فَجَمَعَنَ لِي
وَزَهَا عَلَيَّ بَعْرَةً^(٦) فَبَوَاجِبِ
وَقَضَى بَانَ أَقْضَى وَلَيْتَ بِمَا قَضَى
وَاخْتَارَ لِي أَنْ لَا أَمِيلَ لَسَلْوَةٍ
يَا عَاذِلِي أَوْ نَاصِحِي أَوْ لَائِمِي
غَلَبَ الْغَرَامُ وَعَزَّ سُلْطَانُ الْهَوَى

وَيَجْلُ قَدْرُ الْحُبِّ عَنْ نِسْيَانِهِ
مِنْ سِرِّهِ إِنْ شِئْتَ أَوْ إِعْلَانِهِ
لَا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ عَنْ^(٧) إِخْوَانِهِ
وَمُنَى أَمَانِيهِ وَرَوْضُ لِسَانِهِ؟^(٨)
أَوْ مَا جَرَى هَلْ عَاثَ فِي جَرْيَانِهِ؟
فَسَقَى^(٩) الرَّبُوعَ الْوَدْقَ^(١٠) مِنْ مَتْنَانِهِ؟
وَهَلِ اللَّوَى يَلْوِي بِعَوْدِ زَمَانِهِ؟
نَزَّهَتْ مِنْهَا الطَّرْفَ^(١١) فِي بُسْتَانِهِ
مِنْهُ وَأَذْوَى الْعَفْصِ مِنْ رِيحَانِهِ
وَطَوَى بِسَاطِ الْأَنْسِ فِي هَجْرَانِهِ
عَهْدٌ عَرَفْتُ الْأَنْسَ فِي أَزْمَانِهِ
حُبُّ غِذَائِي حُبُّهُ بَلْبَانِهِ
كُلُّ الْهَوَى فَحَمَلْتُ^(١٢) كُلُّ هَوَانِهِ
أَزْهَوُ^(١٣) بِذَلِّي فِي يَدَيَّ سُلْطَانِهِ
يَرْضَى فَطِيبُ الْعَيْشِ فِي رِضْوَانِهِ
عَنْ حُبِّهِ فَسَلَوْتُ عَنْ سُلْوَانِهِ
تَبْغِي السُّلُوَ وَلَاتِ حِينَ أَوَانِهِ
فَالْكُلُّ فِيهِ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَانِهِ

(١) في الأصل: «...» حَدَّثَنِي فَكُلَّ حَدِيثٍ عَنْهُمْ وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «من» والتصويب من الكتيبة. (٣) في الكتيبة الكامنة. «وادي».

(٤) في المصدر نفسه: «أمانه».

(٥) في الأصل: «بجمالهم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «فَسَقَى لِلرَّبُوعِ...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) الودق: المطر. (٨) في الكتيبة «الهوى».

(٩) في الأصل: «غمدت» والتصويب من الكتيبة. (١٠) في الكتيبة «القلب».

(١١) في الكتيبة الكامنة: «وحملت».

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «أزهي».

فعلامَ تَغْتِيبُ مُسْتَهَامًا، كلُّ ما^(١)
دَغَ عَنْكَ لَوْمِي إِنِّي لَكَ ناصح
وإذا الفتى قام الجمالُ بعُذْرِهِ
من سامِ قلبي في هواه سَلْوَةٌ

وقال في الغرض المذكور^(٢): [البسيط]

يا للرجال، ألا حِبُّ يساعدي
غُلَيْتُ فيه وما أَجَدْتُ مُغَالِبَتِي
رَكِبْتُ لُجَّتَهُ وَخَدِي فَأَذْهَشَنِي
واضِيعَةُ العُمرِ والبَلَوِ مضاعِفَةٌ
والهَفَ نَفْسِي إِنْ أَوَدْتُ وما ظَفِرْتُ
فليت^(٨) شِعْري وعُمْري ينْقُضي طَمَعًا
هل الألى^(١٠) مَلَكُوا رِقِيَّ وقد علموا
فكم أَكْفَكفَ دَمْعِي بَعْدَهُمْ وأرى
وكم أَمْرٌ على الأطلال أَلْدَبَهَا
وفي الفؤاد لَهُمْ ما ليس يَغْلُمُهُ
أَهْمِي المدامِ كَنِي أَزْوَى فَتَغْطِشُنِي
وكلُّ مَنْ لَمَحَتْ عَيْنِي أَسْأَلُهُ
يا أَهْلَ نَجْدٍ وَفَخْرِي^(١٢) أَنْ أَحْبَبُّكُمْ
هل للهوى^(١٣) من سَبِيلٍ لِلْمُنَى فلقد

في الكون عاذِرُهُ على هَيْمَانِهِ^(٢)
أبدى الجمالُ العُذْرَ عن هَيْمَانِهِ
في الحُبِّ فاتركهُ وَثْنِي عِنَانِهِ
قد سامه ما لَيْسَ في إمكانِهِ

في ذا الغرام فأبكيه وَيُبْكِينِي؟^(٤)
وهنَّتْ والصُّبُّ أُولَى الناسِ بالهونِ
ومِتُّ^(٥) في يده فردًا فدلُّوني^(٦)
ما بين يأسٍ وآمالٍ تُرَجِّجُنِي^(٧)
في ذا الهوى بتمنٍّ أو بتأمين
في ذا الهوى^(٩) بين مغلوبٍ ومغبون
بذلتي^(١١) وافتقاري أَنْ يُواسونِي؟
مُجَدِّدًا نَارَ يَأْسِي وهي تُبْلِينِي
وبالمنازلِ من خَيْفٍ ودارينِ
هُمَّ، عِلْمُهُمَّ بالحال يكفيني
والزُّمُّ الذِّكْرَ لِلسُّلْوِ فيُشْجِينِي
عنهم فيُغْري بهم قَلْبِي ويُغْرِينِي
لا أطلبُ الوضْلَ عِزُّ الحُبِّ يُغْنِينِي
عَزَّتْ أَمَانِيهِ في الدُّنْيَا وفي الدِّينِ

(١) في الأصل: «كلما» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «شيمانه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤٣).

(٤) في الأصل: «ويبكين» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «وتت».

(٦) في الأصل: «فدلُّون» بدون ياء.

(٨) في الكتيبة الكامنة: «وليت».

(٧) في الأصل: «ترجين» بدون ياء.

(٩) في الكتيبة: «في الحب ما بين...».

(١٠) في الأصل: «الأولى» والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «بذلتي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «ومجدي».

(١٣) في الكتيبة الكامنة: «في الهوى».

محمد بن يوسف بن خلصون

يكنى أبا القاسم، روطي^(١) الأصل، لوشيه^(٢)، سكن لوشة وغرناطة ومالقة.

حاله: كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلاً، مُنقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحراً في الإلهيات، إماماً في طريقة الصوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة والطلاوة، قائماً على القرآن، فقيهاً أصولياً، عظيم التخلق، جميل العشرة. انتقل من حصن روضة إلى الخطابة والإمامة بلوشة، كثير الدؤوب على النظر والخلوة، مقصوداً من مُنتجلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفة ممن شأنها الغض من مثله، فانزعج من لوشة إلى مالقة، فتحرّف بها بصناعة الطب، إلى حين وفاته.

حدّثني والدي، وكان خبيراً بأحواله، وهو من أصحاب أبيه، قال: أصابني الناس شدة قحط، وكانت طائفة من أصداده تقول كلاماً مُسجّجاً، معناه: إنكم إن أخرجتم ابن خلصون من بينكم، مُطّرتم. قال: فانزعج عنها، ولما كان على أميال نزل الغيث الرغد، قال: فسجد بموضعه ذلك، وهو معروف، وقال: سيدي، وأساوي عندك هذا المقدار، وأوجب شكرًا. وقدم غرناطة، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرُّقُوطي، وله استيلاء على الحُظوة السلطانية، وشأنه اختبار من يرد على الحضرة ممن يحمل قُتًا، وللسلطان على ابن خلصون موجدة، لمدحه في حديثه أحد الثوار عليه بقمارش^(٣)، بقصيدة شهيرة. فلما حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال: التصوف، فالتفت إلى السلطان وقال: هذا رجل ضعيف لا شيء لديه، بحيث لا يُفرّق بين الصناعة وغيرها، فصرفه رحمه الله.

توالياه: وتوالياه كثيرة، تدل على جلالة وأصالة معرفته، تنطق علماً وحكمة، وتروق أدباً وظرفاً. فمن ذلك كتابه في «المحبة»، وقفت عليه بخط جدي الأقرب سعيد، وهو نهاية. وكتاب «وصف السلوك»، إلى ملك الملوك، عارض به مغراج

(١) نسبة إلى روضة: Rueda، وهي حصن يقع شمال مدينة شريش. وهي غير روضة أحد حصون سرقسطة.

(٢) نسبة إلى لوشة Loja، وهي مدينة بالأندلس، بينها وبين البيرة ثلاثون ميلاً. الروض المعطار (ص ٥١٣).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

الحاتمي، فبان له الفضل، ووجبت المزيّة، ورسالة «الفَتْق والرُّتق»، في أسرار حكمة الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العُشّاق
والْبَيْنُ يَكْتُبُ مِنْ نَجِيعِ دِمَائِهِمْ
لو كنتَ شاهدَ حالِهِمْ يومَ النُّوى
منهم كَيْبٌ لا يَمَلُّ بِكَأُوهِ
ومُحَرِّقُ الْأَحْشَاءِ أَشْعَلَ نَارَهُ
ومُؤَلَّةٌ لا يَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ
خَرَسَ اللِّسَانُ فَمَا يُطِيقُ عِبَارَةً
ما للمُحِبِّ مِنَ المَثُونِ وَقَايَةً
مولاي، عَيْدُكَ ذَاهِبٌ بِغَرَامِهِ
إني إليك بِذِلَّتِي مَتَوَسِّلُ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

أَعِدِ الحَدِيثَ إِذَا وَصَفْتَ جَمَالَهُ
يا وَاصفِ المَحْبُوبَ كَرَّرَ ذِكْرَهُ
فِيذكر من أَهْوَى وشرح صفاته
طَابَ السَّمَاعُ بِوصفه لِمَسَامِعِي
قلبي يَلْدُ مَلَامَةً فِي حَبِّهِ
يا عاذِلِي أو ما تُرِقُّ لِسَامِرِ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبَّنَا وَهَوَانَا
فاسْجُرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا

عند الوداع بلوعة الأشواق؟
إِنَّ الشَّهِيدَ لَمَنْ يَمِتُ بِفِرَاقِ
لرَأَيْتَ ما يَلْقَوْنَ غَيْرَ مُطَاقِ
قد أَغْرَقَتْهُ مَدَامُغُ الْأَمَاقِ
طَوْلُ الوَجِيبِ بِقَلْبِهِ الخَفَاقِ
مما يُقَاسِي فِي الهَوَى وَيُلَاقِي^(١)
أَلِمْ المَرُورُ وما له من راق؟
إِنْ لَمْ يُغِثْهُ حَبِيبُهُ بِثَلَاقِ
فَاذْرِكْ^(٢) بَرَضْلِكَ مِنْ دِمَائِهِ البَاقِي^(٣)
فَاعْطِفْ بِلَطْفِ مَنْكَ أو إِشْفَاقِ

فبه تُهَيِّجُ لِلْمُحِبِّ خِيَالَهُ
وَأِدِرْ عَلَى عَشَّاقِهِ جِرْيَالَهُ
لِذِ الحَدِيثِ لِمَسْمَعِي وَخِلَالَهُ
وَقَرَزْتُ عَيْنًا مَذْ لَمَحَتْ هِلَالَهُ
وِيرى رِشَادًا فِي هَوَاهُ ضِلَالَهُ
سَمِعَ الظُّلَامُ أَنِينَهُ فَرِثَالَهُ؟

فَلْتَحْمِلَنَّ مَذَلَّةً وَهَوَانَا
وَاعْضَبْ عَلَيْهَا إِنْ طَلَبْتَ رِضَانَا

(١) في الأصل: «ويلاق» بدون ياء.

(٢) أصل القول: «فأدرك»؛ لأن الفعل رباعي، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا همزة القطع وجعلناها همزة وصل.

(٣) في الأصل: «الباق» بدون ياء.

واخلع فؤادك في طلاب وِدادنا
 فإذا قنيت عن الوجود حقيقةً
 أو ما عَلِمْتَ الحب فيه عِبرةً
 وابذل لبابك إن وقفت ببابنا
 ما لعل ما حاجر ما رامةً
 إن الجمال مخيم بقبابنا
 نحن الأجيّة من يلد بفنائنا
 نحن الموالى فاخضعن لعزنا^(١)
 إن التذلّل للتذلّل سخر
 واصبر على ذلّ المحبة والهوى
 تون الهوان من الهوى مسروقةً

ومن لطيف كلامه ورقيق شعره: [الرمل]

لو خيال من حبيبي طرّقا
 ونسيم الريح منه لو سرى
 ومتى هبت غيلات الضبا
 عجباً يشكو فؤادي في الهوى
 يا أهيل^(٢) الحى، لي فيكم رشا
 بدر تم طالع أثمره
 راق حسنا وجمالا مثلما
 أنسى^(٣) الشمس ضياء ذهباً
 خلّل الحُسن عليه خلعت

ومن شعره: [البسيط]

دعوت من شفتي رفقا على كبدي
 قلت الخيال ولو في الثوم يقنعني

فقال لي: خُلق الإنسان في كبد
 فقال: قد كُحلت عيناك بالشهد

(١) في الأصل: «لعز نالنا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) في الأصل: «فهن»، وكذا ينكر الوزن. (٣) في الأصل: «يا أهل»، وكذا ينكر الوزن.

(٤) في الأصل: «أنسى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فقلت: حَسْبِي بقلبي في تذكُّره
قلت الوصال حياتي منك يا أُملي
فقلت: أَهْلًا بما يَرْضَى الحبيبُ به

ومن أقواله الصوفية، وكلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]

رَكِبْنَا مطايا شوقنا نَبْتَغِي السُّرى
وعَيْنُ الدُّجَى قد نامَ لم يَذِرْ ما بنا
إلى أن رأينا اللَّيْلَ شابَ قَدَّالَه
لَمَخْنَا برأس البُعْدِ نارًا منيرة
وأَفْضَى بنا السِرُّ الحِيثُ بِسُخْرَةٍ
فلَمَّا حلَّلْنَا حَبْوَةَ السَّيرِ عنده
وَحَرَّكَ ناقوسًا له أَعْجَمَ الصُّدَا
وقال لنا: خُطُّوا حَمْدُكُمْ مَسِيرَكُمْ
نَعِمْتُمْ صَبَاحًا ما الذي قد أَتَى بكم
وراحَتُنَا في الرِّاحِ إن كنت بائعًا
فقال لكم: عندي مُدَامَ عَتِيقَةٍ
مُشْغِشَةٌ كالشَّمْسِ لكن تَرَوُحَنْتِ
وحلُّ لنا في الحين خَتْمُ فِدَائِهَا
وقلنا: مَنْ السَّاقِي فلاح بوجهه
وأشَقَلْنَا عن خَمْرِهِ بِجَمَالِه

ومن شعره في المعنى: [البسيط]

يا نائمًا يطلب الأَسْرارَ إِسْرارًا
أرجع إليك ففِيكَ المُلْكُ مُجْتَمِعُ
أنت المِثَالُ وكُرْسِي الصِّفَاتِ فَتَّةُ
والطُّورِ والدُّرِّ منشورًا وقد كَتَبَتْ

فِيكَ العِيَانِ وَتَبْغِي بَعْدَ آثَارَا
وَالْقُلُوكَ وَالْقُلُوكَ العُلُويَ قد دارَا
على العوالمِ إِعْلَانًا وإِسْرارَا
أَقْلَامُ قُدْرَتِهِ فِي اللُّوحِ آثَارَا

(١) عجز البيت مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة، ويضرب أيضًا في الحث على مزاولة الأمر والصبر. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣).

والبيت يغمره سر الملائك في
ورفع الله سقفا أنت تسكنه
وبخر فكرك مسجور بجوهره
فإن رأيت بوادي القدس نار هدى
واخلع لسمع الندا نعليك مفتقرا
وغب عن الكون بالاسماء متصفا

مشكاة قلبك قد أسرجن أنوارا
سماؤه أطلعت شهبأ وأقمارا
فغض به مخرج الدُر أسرارا
فأثبت فتورك فيها مازج النارا
إلى المنادي ثل عزأ وإكبارا
واطلب من الكل رب الدار لا الدارا

ومن ذلك في هذا المعنى : [الطويل]

أطالب ما في الروح من غامض السر
عرضت لعلم أبهم الشزع بابه
ولكن خبيراً قد سألت محققا
وبين يدي نجواك قدم وسيلة
ولا تلتفت جسما ولا ما يخصه
وخذ صورة كلية جوهرية
ولكن بمرآة اليقين تولدت
كذلك لم تحدث وليست قديمة
ولكن بذات الذات كان ظهورها

وقارع باب العلم من عالم الأمر
لكل جهول للحقائق لا يذري
فدونك فانظم ما نثرت من الدُر
تقى الله واكنتم ما فهمت من السر
من الحس والتخييل والوهم والفكر
تجل عن التمييز بالعكس والسبر
وليست بذاتي إن سألت ولا غير
وما وصفت يوما بشفع ولا وثر
إذا ما تبدت في الدجى غرة الفجر

ومن هذا الغرض قوله : [الطويل]

مشاهدتي مغناك، يا غايتي، وقت
مقامي بقائي عاكفا بجمالكم
لئن حالت الأحوال دون لقائكم
وإن كان غيري في الهوى خان هذه
وما لي رجاء غير نيل وصالكم
نعم إن بدا من جانب الأنس بارق
ومهما تذكرت العتاب يهزني
تواجدت حتى صار لي الوجد مشربا
فها أنا بين الصخو والمخو دائر

فما اشتكي بغدا وحبك لي نعت
فكل مقام في الحقيقة لي تحت
فلاني على حكم المحبة ما خلعت
فلاني وأيم الله عهدي ما خنت
ولا خوف إلا أن يكون له قوت
يحركني بسط به نحوكم طرت
لهيبتيكم قبض يغيب به النعت
ولاح وجود للحقيقة إذ غبت
أقول: فلا حرف هناك ولا صوت

قُصُودي إليكم والورودُ عليكم
وفي غَيْبَتِي عَنِّي حضوري لَدَيْكُمْ
وفي فُرْقَتِي الباني بحقِّ جَمَعَتْنِي
تَجَلَّيْتُ^(٢) لي حتى دَهَشْتُ مهابة
مواردُ حقِّ بل مواهبُ غاية
لوائح أشوار تلوح وتختفي
ومهما بدت تلك الطُّوالع أدهَشْتُ
وهيهات هيبات الجلال تردُّني
نَسْفَنَ جبالي فهي قاعٌ وصَفَصَفَ^(٣)
ولي أدمع أجْجَنَ نار جَوَانِحِي
ألا فانظروا قَلْبَ العيان حقيقةً
مراتبُ في الثلويْنِ نِلْتُ جميعَها
وعند قيامي عن قَنائِي وجدتكم
ورودٌ وشربٌ ثم لا رَيَّ بعده
شربْتُ كُنَّاسَ^(٥) الوجودِ مُدَامَةً
وكيف وأقْداحِ العَوَالِمِ كُلِّها
تَغَلَّقَ قومٌ بالأواني وإِنْسِي
وأَرْضَعْتُ كَأْسًا لم تُدْنَسْ بمزجها
شرابٌ بها الأبرارُ طاب مزاجُهم
بها آدمُ نال الخِلافةَ عندما
وَنَجَتْ لنوحٍ حين فرَّ لِقُلُوبِهِ

ومنكم سُهودي والوجودُ إذا عُدْتُ^(١)
وعند امتحان الرُّسمِ والمنحور أثْبَتُ
وفي جَمْعِ جَمْعِي في الحقيقة فَرَّقْتُ
ولما رَدَدْتُ اللَّحْظَ بالسُّرِّ لي عِشْتُ
إذا ما بَدَتْ تلك البداءة لي تُهْتُ
ولكنْ وميضُ البَرْقِ ليس له ثَبْتُ
وإنْ غُيِّبْتُ تلك اللُّوامعِ أَظْلَمْتُ
وعند التجلِّي لا محالة دَكَّدْتُ
وليس يُرى فيهنَّ زِيغٌ ولا أَمْتُ
ولي نَفْسٌ لولاه من حُبِّكم ذَبْتُ
فنائِي وجُودي^(٤) والحياة إذا مَتَّ
وفي عالم التَّمَكُّينِ عن كُلِّها بَثْتُ
فلا رُتْبَةً عُلوِيَّةَ فوق ما نِلْتُ
لئن كنت أزوِي من شَرابِكَ لا كنت
فلسْتُ أَجَلِّي عن وُزُودٍ متى شئتُ
ولكنني^(٦) من صاحب الدَّيرِ أَشْكِرْتُ
جَمال المعاني لا المغاني عُلِمْتُ
وقد نِلْتُها صِرْفًا لِعَمْرِي^(٧) ما ضِغْتُ
وأَرْضَعْتُها صِرْفًا لَأَنِّي قُربْتُ
تَبَدُّثُ له شمسًا لها نحوه سَمْتُ
ومن بان عن أسرارها لي^(٨) عَمَد الموت

(١) في الأصل: «عُدْتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تجلَّيْتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «صفصف» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «وجودي» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل: «أكواس»، وكذا ينكسر الوزن، ثم إن كأس تجمع على أكؤس وكؤوس وكئاس. لسان العرب (كأس).

(٦) في الأصل: «ولكني» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «... صِرْفًا فِيا لِعَمْرِي...» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٨) كلمة «لي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

وقد أخمَدَتْ نَارَ الْخَلِيلِ بنورها وكان لِمُوسَى عن أشِعَّتْهَا بُهْتٌ
وَهَبَّتْ لِرُوحِ اللَّهِ رُوحُ نَسِيمِهَا فأَبْصَرَهُ الْأَعْمَى وكَلَّمَهُ الْمَيْتُ
وسار بها الْمُخْتَارُ سِيرِي لَرَبِّهِ إلى حيثُ لا فَوْقَ هُنَاكَ ولا تَحْتُ
هَنِيئًا لِمَن قَدْ أَشْكَرْتُهُ بِعَرْفِهَا لقد نال ما يَنْبَغِي وساعده الْبَحْثُ
ومن نشر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خلصون المترجم به، قوله من رسالة:

وصلني أيها الابن الثَّجِيبُ، المُخْلِصُ الحَبِيبُ، كتابُك الناطقُ بِخُلُوصِ وَدُكْ،
وَرُسُوحِ عَهْدِكَ، وتلك سَجِيَّةٌ لائِقَةٌ بِمَجْدِكَ، وَشَيْئَانَةٌ تُعَرِّفُ مِنَ الْوَالِدِ وَجَدَّكَ، وَصَلَّ
اللَّهُ أسبابَ سَعْدِكَ، وَأَنْهَضَ عِزَمَ جَدِّكَ، بِتَوْفِيقِ جَدِّكَ، وَبَلَّغَكَ مِنْ مَأْمُولِكَ أَقْصَى
قَضْدِكَ. فَلَتَعْلَمَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ أَنَّ جَنَانِي، يَنْطَوِي لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْشُرُهُ لِسَانِي، فَإِنِّي
مُغْرَى بِشُكْرِكُمْ وَإِنْ أَعْجَمْتُ، وَمُقْصِحٌ بِجَمِيلِ ذِكْرِكُمْ وَإِنْ جَمَعَجَمْتُ، لَا جَرَمَ أَنَّ
الرَّوْقَ حَكَمَ بِمَا حَكَمَ، وَاسْتَوْلَى الْهَرَجُ فَاسْتَحْكَمَ، حَتَّى انْقَطَعَتِ الْمَسَالِكُ، وَعَدِمَ
الْوَارِدُ وَالسَّالِكُ، وَذَلِكَ تَمَحِيصٌ مِنَ اللَّهِ جَارٍ عَلَى قَضِيَّةٍ قَسِطَةٍ، وَتَقْلِيْبٌ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ
بَيْنَ إصْبَعِي قَبْضِهِ وَبَسِطِهِ، حِينَ مَدَّ عَلَى الْخَلِيقَةِ ظِلُّ التَّلْوِينِ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا،
ثُمَّ جَعَلَ شَمْسَ الْمَعْرِفَةِ لِأَهْلِ التَّمَكِينِ، عَلَيْهِ دَلِيلًا بَاطِنًا، ثُمَّ قَبَضَ كُلَّ الْفِرْقِ عَنْ
خَاصِيَّتِهِ قَبْضًا يَسِيرًا، حَتَّى أَطْلَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْسِ بَدْرًا مُنِيرًا. وَإِلَى ذَلِكَ يَا بُنَيَّ، فَإِنِّي
أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى إِلَيْكَ عَلَى تَشْوِيقِهِ إِيَّاكَ إِلَى مُطَالَعَةِ كُتُبِ الْمَعَارِفِ، وَتَعْطِيشِكَ لِلرُّزُودِ
عَلَى بَحْرِ اللَّطَائِفِ. وَإِنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَنْ أَحْرَزَ خَصْلَهَا، وَأَخْكَمَ
فِرْعَهَا وَأَصْلَهَا، لَا يُنْكَرُ ذَلِكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَلَا يَأْبَاهُ إِلَّا مُتَعَسِّفٌ جَاوِدٌ. هَذَا وَضْفُهُ،
رَحِمَهُ اللَّهُ، فِيمَا يُخْصُهُ فِي ذَاتِهِ. وَأَمَّا تَعْلِيمُهُ فِي تَوَالِيْفِهِ، وَطَرِيقُهُ الَّتِي سَلَكَهَا فِي كَافَّةِ
تَصَانِيْفِهِ؛ فَمِنْ عُلَمَائِنَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَنْ قَالَ: إِنَّهُ خَلَطَ النِّهَايَةَ بِالْبِدَايَةِ، فَصَارَتْ
كُتُبُهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّضَلُّيلِ مِنْهَا إِلَى الْهَدَايَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَقْصُدْ فِيهَا إِلَّا النُّفْعَ فِيمَا أَمَّهُ مِنْ
الْغَرَضِ، فَوُجِدَ فِي كُتُبِهِ الضَّرَرُ بِالْعَرَضِ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْفَقِيهَ الْحَكِيمَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
الطُّفَيْلِ^(٢)، قَالَ: وَأَمَّا أَبُو حَامِدٍ، فَإِنَّهُ مَضْطَرَبُ التَّأْلِيفِ، يَرْبُطُ فِي مَوْضِعٍ، وَيَجِلُّ فِي
آخَرٍ، وَيَتَمَذَّهَبُ بِأَشْيَاءَ، وَيَكْفُرُ بِهَا، مِثْلَ أَنَّهُ كَفَرَ الْفَلَّاسِفَةَ بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْمَعَادَ

(١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفيلسوف الصوفي، ولد بطوس
بخراسان سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ. وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٥٨) والوفيات
بالوفيات (ج ١ ص ٢٧٤).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، المتوفى سنة
٥٨١ هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

روحاني، وإنكارهم حشر الأجساد. وقد لوح هو بأن ذلك مذهب في آخر كتاب «الجواهر والأربعين»، وخرج بأنه معتقد كبار الصوفية، في كتاب آخر، وقال: إن معتقده كمعتقدهم، وأنه وقع على ذلك بعد بحث طويل وعناء شديد. قال: وإنما كلامه في كتبه على نحو تعليم الجمهور. وقد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب «ميزان العمل»، على أغلب ظني، فإن لي من مطالعة الكتب مدة. قال: ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، يغني التقليد، فإنه من لم يشك لم ينتظر، ومن لم ينتظر لم يتبصر، ومن لم يتبصر ففي العمى والخيرة. ثم تمثل بقول الشاعر: [البسيط]

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن رُحل

وذلك أنه قسم آراءه إلى ثلاثة: رأي يُجاب به كل مُسترشد سائل بحسب سؤاله وعلى مقدار فهمه. ورأي يُجاب به الخاصة ولا يُصرّح به للعامّة. ورأي بين الإنسان وبين نفسه، لا يطلع عليه إلا من شريكه في اعتقاده. وأما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رشد، رحمه الله، فإنه بالغ في ذلك مبالغ عظيمة، وذلك في كتابه الذي وصف فيه مناهج أدلة المتكلمين، فإنه لما تكلم على طرق الأشعرية والمعتزلة والفلاسفة والصوفية والحشوية وما أحدثه المتكلمون من الضرر في الشريعة بثوابهم، انعطف فقال: وأما أبو حامد، فإنه طم الوادي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعرياً، ومع المعتزلة معتزلياً، ومع الفلاسفة فيلسوفاً، ومع الصوفية صوفياً، حتى كاني به: [البسيط]

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعذنان

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه، فإن الضرر فيها بالذات، والمنفعة بالعرض. قال: وإنما ذلك لأنه صرح في كتبه بنتائج الحكمة دون مقدماتها، وأفصح بالتأويلات التي لا يطلع عليها إلا العلماء الراسخون في العلم، وهي التي لا يجوز أن تؤول للجمهور، ولا أن تذكر في غير كتب البرهان. وأنا أقول: إن كتبه في الأصول، أعني أصول الدين وأصول الفقه، في غاية النبل والتباهة، وبسط اللفظ، وحسن الترتيب والتقسيم، وقرب المسائل. وكذلك كتبه الفقهية والخلافية والمذهبية، التي ألفها على مذهب الشافعي، فإنه كان شافعي المذهب في الفروع. وأما كتبه التي ذهب فيها مذهب التصوف، فهي التي يوجد فيها ما ذكر من الضرر بالعرض. وذلك أنه بنى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما نأدى إلى فهمه من مذاهب الفلاسفة، ونسبها إلى المتصوفة. وقد نبه على

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي^(١) في كتابه الذي سماه بـ «مراقي العارفين». قال: وقد دخل على السالكين ضرر عظيم من كُتُب هذا الرجل الطوسي^(٢)، فإنه تشبه بالصوفية ولم يَلْحَق بمذاهبهم، وخلط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غلط الناس فيها. على أنني أقول: إن باعه في الفلسفة كان قصيرا، وإنه خذا حذو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد، ومنطقه الذي نقله في معيار العلم، لكن قُصِر عنه. وتلك الاعتقادات، منها حق ومنها باطل، وتلخيصه لا يتأتى إلا لصنفين من الناس، أعني أهل البرهان وأهل المُكاشفة، فبحسب ذلك تحتاج كُتبه إلى تَقْدِمة علوم البرهان، أو رياضة أهل المُكاشفة. ولذلك صنف هو معيار العلم؛ ليكون الناظر في كُتبه يتَقَدَّم، فيتَعَلَّم منه أصناف البراهين، فيلْحَق بأهل البرهان. وقَدَّم أيضًا تَصْنِيف «ميزان العمل» ليكون المُرتاض فيه، وبه يَلْحَق بأهل المُكاشفة، وحيث يُنظر في سائر كتبه. وهذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كُتُب أبي حامد الغزالي، رحمه الله، بما يدل على تفننه، وعلى اضطلاعه، رحمه الله.

ومن الغُرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل
ابن يوسف العراقي

ثم الخلاطي، ثم الأتشي الفارسي، ويُنعَت من الثعوت المشرقية بجلال الدين، من بلاد فارس.

حاله: كان من الصوفية المتجردين من المال والعيال، ذا وقار وثؤدة، وسكون ومحافظة على ظاهره. أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشيوخ المحدثين والمتصوفين، ثم قديم المغرب، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعمائة، وأخذ عَمَّن بها من الشيوخ، ودخل غرناطة. وكان شافعي المذهب، يُشارك في قَرْض الشعر.

(١) هو الزاهد محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، من أشهر مؤلفاته «سراج الملوك» و«بِر الوالدين». وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٩٢) والمغرب (ج ٢ ص ٤٢٤) والصلة (ص ٨٣٨) وبغية الملتبس (ص ١٣٥) وخريدة القصر - قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢١١).

(٢) المراد بالرجل الطوسي أبا حامد الغزالي الطوسي المتقدم ذكره قبل قليل.

مشيخته: أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشي بفاس، وعن أبي بكر محمد بن محمد بن قسي المومياي، وليس الخزقة الصوفية من جماعة بالمشرق وبالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم المجري، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين.

توالياقه: أخذ عنه تأليفه في نحو اللغة الفارسية وشرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدي ببابه، وقد أحسن بغض من الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس، عميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المتقارب]

عَبِيدُ بَابِ الْعُلَى واقف أَيَقْبَلُهُ الْمَجْدُ أم يَنْصَرِفُ؟
فإن قَبْلَ الْمَجْدِ نِلْتُ الْمُنَى ولَا فَمَذْرِي مَا أَغْرِفُ

ثم كتب على لفظه: ما من، وصححه، قال: فأذن له، واستظرف مئزعه.

محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي^(١)

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن شاطر.

حاله: فقير متجرد، يلبس أحسن أطوار الخرقه، ويؤثر الاضطلاح، مليح الشية، جميل الصورة، مُسْتَظَرَفُ الشُّكْلِ، ملازم للمسجد، ساكن بالمدارس، محبب إلى الخواص، كثير الذكر، متردد التأوه، شارد اللسان، كثير الفلتات، مُطْرَحُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلْسُّمْتِ، ينزع إلى هدف تائه، تُشِمُّ عَلَيْهِ الْقِحَّةُ وَالْمَجَانَةُ، مُقْتَحِمُ جَمَى الْجِشْمَةِ فِي بَابِ إِيْهَامِ التَّلْبِيسِ، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، وإن قارب الانهماك، وغير مبالي بناقد، ولا حافل بِذَامٍ، ولا حامدٍ. كلما اتبع انفراد، ومهمى استقام شرد، تطيب النفس به على غيرة، ويُحْسِنُ الظَّنَّ بِبَاطِنِهِ عَلَى سُوءِ ظَاهِرِهِ، مليح الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع والاستغفار، فعال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن، مع عدم الجفظ، مُسْتَشْهَدٌ بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ. قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقرئ: لقيت فيمن لقيت بتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدنيا، والآخر نادرتهما. أما العالم، فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد القندري الأيلي، وأما النادرة، فأبو عبد الله بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزميري كثيرا، وأبا عبد الله بن تجلات، وأبا العباس بن البنا^(٢) وإخوانهم من

(١) ترجمة محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي في نيل الابتهاج (ص ٢٤٨) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤): «البناء وأضرابه من...».

المراكشين ومن جاورهم، واختص بأبي زيد الهزميري، وآثره وتبناه، وكان يقول له: وألقيت عليك محبة مني، فيظهر أثر ذلك عليه، من منثر الهنات، ووضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس، وقدم على غرناطة، وتلوم بها أياماً.

نُبد من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا ولي مفسود، وفي هذا من النصفة، وخفة الروح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا^(١): قلت له يوماً: كيف أنت؟ فقال^(٢): كيف أنا محبوس في الدّم. ومن حكمه: الليل والنهار حرسيان^(٣)، أحدهما أسود، والآخر أبيض، وقد أخذ^(٤) بمجامع الخلق إلى^(٥) يوم القيامة، وإن مرّنا^(٦) إلى الله. ومرّ يوماً بأبي العباس^(٧) بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة، وقد ذهبت به الفكرة، فصاح به، فلما رفع رأسه، قال، وله نعش^(٨) خاطر: انظر إلى مركب عزرائيل، قد رفع شراعه، والنّدا^(٩) عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ: وجدته يوماً في المسجد ذاكرًا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مهيم في روضة يجبرون، فهممت بالانصراف، فقال: أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا التاج؟ وأشار إلى المنار، مملوءاً بالله أكبر. قال: وأنشدني أبو العباس بن البنا، وكتبهما عنه^(١٠):

[الوافر]

قصدت إلى الوجازة^(١١) في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أخذز فهم^(١٢) ما دون فهمي ولكن خفت إزراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شاني وشأن البسط تعلیم الصغار

- (١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥).
- (٢) في النفح: «فقال: محبوس في الروح، وقال: الليل...».
- (٣) الحرسى: الحارس. لسان العرب (حرس). (٤) في النفح: «أخذ».
- (٥) في النفح: «يجرّانهم إلى القيامة». (٦) في الأصل: «مررنا» والتصويب من النفح.
- (٧) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥): «أبي العباس أحمد بن شعيب». وهو أحمد بن شعيب الجزنائي، تازي الدار، نزيل قاس. توفي بتونس عام ٧٥٠ هـ. ترجمته في نشر فرائد الجمان (ص ٣٣٥) ونيل الابتهاج (ص ٦٨) والتعريف بابن خلدون (ص ٤٨) وجذوة الاقتباس (ص ٤٧) ودرة العجبال (ج ١ ص ٢١).
- (٨) قوله: «وله نعش خاطر» غير وارد في النفح. (٩) في النفح: «وئودي عليه الطلوع يا غزي».
- (١٠) ورد في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٦) صدر البيت الأول فقط.
- (١١) الوجازة: الإيجار. لسان العرب (وجز).
- (١٢) في الأصل: «فهو» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

قال: وأخبار ابن شاطر تحتل كُرَاسَة، قلت: رأيتَه بفاس في أخريات عام خمسة وخمسين، وهو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السبعين.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ابن الحلقاوي

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله، نزيل غرناطة، ويعرف بالتونسي وبابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: وليُّ الله المُجَابُ الدعوة، الظاهرُ الكرامة، المشهودُ له بالولاية. وَرَدَ الأندلس في جملة من تُجَار بلده، ويده مالٌ كبيرٌ بذله في معاملة ربِّه، إلى أن استأصله بالصدقة، وأنفقَه في سبيل الله ابتغاءَ مَرْضَاتِهِ، وتجرَّد عن الدنيا، وأخذ نفسه بالصلاة والصوم والتلاوة وكثرة السجود والتطارح على ذلك، محفوظًا في ذلك كله جفظة الأولياء، مُذَكِّرًا بمن سلفه من الزهاد، عازبًا عن الدنيا، أخذ نفسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، وتمالًا للمساكين، يقصده الناس بصدقاتهم، فيبثها في ذوي الحاجات، فيتألف في باب مسجده آلاف من رجالهم ونسائهم وصبيانهم، حتى يعمهم الرِّفْد، وتسعهم الصدقة. وكان غريبَ الأحوال؛ إذا وصل وقت الصلاة يظهر عليه البشرُ والسرور، ويدخل مَسْجِدَهُ الذي ابتناه واحتفل فيه، فيخلو بنفسه آخذًا في تعبدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، ويزدحم الناس حول المسجد، وأكثرهم أهلُ الفاقة، فإذا تمكَّن الوقت أذن أذانًا مؤثرًا في القلوب، جَدَى وصدقًا ووقارًا، كان صدره يتصدع عند قول: لا إله إلا الله. ثم يعيدُ التَّعَبُّدَ والسُّجودَ في الصَّومعة وأذراجها، حتى يُفْتَحَ باب المسجد، وينتقل إلى صدر المحراب، فيصلِّي ركعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، ووقف عند المحراب، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرُّع والتَّمَلُّق والرغبة، ما لا تفي العبارة بوصفه، كأن موقفَه موقفَ أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة. فإذا أتم الصلاة على أتم هيئاتها، تَرى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه حُشِرَ من قَبْرِ، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النبي ﷺ، في كل دَعْوَةٍ، ويتوسَّل به، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمُراقبة، ويتجلى عن وجهه ما كان به. وكان يَخْتِم القرآن في شهر رمضان مائة خَتْمَةٍ، فما من ليلة إلا ويُحيي الليل كله فيها بمسجده. هذا ترتيبه، ولو تَتَبَّعنا ما شوهد من كراماته وأحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس في حدود الأربعين وستمائة.

وفاته: توفي شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعمائة. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، استؤعب الناس كافة، وحضر السلطان فمن دونه، وكانت تنم، زعموا، على نعشه وقبره رائحة المسك. وتبرك الناس بجنازته، وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات، وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة، وتصدق على قبره بجملة من مال، فقدي به طائفة من الأسرى. وقبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، معروف هنالك.

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي^(١)

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن بطوطة^(٢).

حاله: من خط شيخنا أبي البركات، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب، رَحَلَ من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وعراق العجم، وبلاد الهند والسند، والصين، وصين الصين، وبلاد اليمن. وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة. ولقي من الملوك والمشايخ عالمًا، وجاور بمكة. واستقر عند ملك الهند، فحظي لديه، وولاه القضاء، وأفاده مالا جسيمًا. وكانت رحلته على رَسَم الصوفية زيا وسجية، ثم قفل إلى بلاد المغرب، ودخل جزيرة الأندلس، فحكى بها أحوال المشرق، وما استفاد من أهله، فكذب. وقال: لقيته بفرنطة، وبثنا معه ببستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نبلة، وحدثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها، فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى، وهي على قدر مدينة مسقة كلها، وفيها اثنا^(٣) عشر ألف أسقف. قلت: وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا. وانتقل إلى العُدوة، فدخل بلاد السودان. ثم تُعَرَّف أن ملك المغرب استدعاه، فلحق ببابه، وأمر بتدوين رحلته.

(١) نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر.

(٢) يلقب ابن بطوطة بشمس الدين؛ ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ. ترجمته في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٨٠) وهدية العارفين (ج ٢ ص ١٦٩) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٩٩) والأعلام (ج ٦ ص ٢٣٥). وراجع أيضًا مقدمة كتابه المسمى بدولة ابن بطوطة بقلم كرم البستاني.

(٣) في الأصل: «اثني» وهو خطأ نحوي.

سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارية علينا أو غريب

مزدلي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن ترزقوت بن وزبابطن
ابن منصور بن نصاله بن أمية بن واباتن الصنهاجي اللثموني

حاله: كان الأمير مَزْدَلِي عَضْدَ القائم بالدولة اللمتونية يوسف بن تاشفين،
وقريبه لالتقائهما في تَرْزُقُوت، راش به وبرى، وجَزْ وفَرَى، فهو شيخ الدولة اللمتونية،
وكبير العصابة الصنهاجية، بطلاً ثَبَتًا، بُهْمَة من البُهْم، بعيد الصَّيْت، عظيم الجَلَد،
شهير الذِّكْر، أصيل الرَّأْي، مُسْتَحْكَم الحُنْكَة. طال عمره، وَخُمِدَت مواقعه، وَبَعْدَت
غاراته، وعظمت في العدو وقائعه، وشكرت عن سلطانه نيابته.

من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسنغيه، وردّه إلى مُلْكَة
الإسلام بحميد غنائه في مُنتصف رجب عام خمس وخمسمائة.

دخوله غرناطة: وُلِّي قرطبة وغرناطة وما إليهما من قِبَل يوسف بن تاشفين سنة
خمس وخمسمائة.

قال ابن الصِّيرفي: توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية
 وخمسمائة، غازيًا على مقربة من حِصْن قسطنطين، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم
الأربعاء ثاني يوم وفاته، وصلى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي بقرطبة أبو
القاسم بن حَمْدِين، ودفنه قرب أبيه، ويُنِيت عليه روضةً حسنة. وكان، نَصَرَ الله
وجهه، البقية الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهثثاني
السيد أبو عمران.

حاله: بَيِّثُه معروف. وكان أديبًا شاعرًا، جوادًا، واختصَّ بالعدل، فجلَّ قَدْرُه
في دولته، وأمله الناس بإشيبيلية في حوائجهم لمحله منهم. ولَمَّا انصرف عنها العادل
إلى طلب الخلافة، قَدَّمه عليها، فبلغ الغاية.

وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستمائة، كانت على جيشه الوقعة، أوقعها
به السيد أبو محمد البياسي، وأخباره شهيرة.

وفاته: وتوفي تَغْرِيقًا في البَحر بعد أن وُلِّي بجاية، رحمه الله وعفا عنه.

شعره: قال: وكان أبو المَطَرُف بن عَميرة، يَنْشِدُ له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن خَرِيق يَشْتَجُّهُ على نظم الشعر في عَرُوضِ الخَبَب: [المتدارك]

خُذْ في الأشعار على الخَبَبِ ففُضُّورِكَ عنه من العَجَبِ
هذا ويئسُّ الآداب قَضُّوا بعُلُوِّ مُجَدِّكَ في الرُّثَبِ

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخَبَب]

أُبْعَيْدُ الشَّيْبِ هَوَى وَصَبَا؟ كَلَّا لَا لَهْوًا وَلَا لَعِبَا
ذَرَّتِ السُّتُونُ بُرَادَتَهَا فِي مِسْكِ عِذَارِكَ فَاشْتَهَبَا
ومنها:

يا نَفْسُ أَخِي أَخِي تَصْلِي أَمَلَا عِشِي رَوْحِيَا تَرْوِي عَجَبَا
وُخْذِي فِي شُكْرِ الكَبِيرَةِ مَا لَاحِ الإِضْبَاحِ وَمَا ذَهَبَا
فِيهَا أَخْرَزْتُ مَعَارِفَ مَا أَبْلَيْتُ بِجِدَّتِهِ الْحَقَّابَا
وَالْخَمْرُ إِذَا أُغْتِثَتْ وَصَفَتْ أَعْلَى ثَمَنًا مِنْهَا عَنَبَا
وَبَقِيَّةُ عُمَرِ المَرءِ لَهُ إِنْ كَانَ بِهَا طَبَا دَرَبَا
هَبْنِي فِيهَا بِإِنَابَتِهِ مَا هَدَمَهُ أَيَّامَ صَبَا

دخل غرناطة، فوجِبَ ذكره مع مثله.

مَنْدِيل بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو الأمير أبو زِيَان

حاله: كان فاضلاً عاقلاً جواداً، عيَّنه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحق، للضرب على أحواز مالقة عند الفِتنَةِ، فاضطرب المحلة تجاه سُهَيْل^(١)، وضيَّق على تلك الأحواز، وبرز إليه الجيش لنظر موسى بن رَحُو من قرابته النَّازِعِينَ عن إيالة المغرب من بني رَحُو. وكان اللقاء، فوقعَت به الدَّيْرَةُ، وانهزم جيشه، وقُبِضَ عليه، وسيق إلى السلطان، فتلقاه بالبر، ورعى ما لَبِيَّتِهِ الكبير من الحق، وأسكنه مجاوراً لقصره بحمرائه^(٢)، مرفهاً عليه، مَخْجُورًا عن التصرف، إلى أن كان

(١) سُهَيْل: بالإسبانية Fuengirola، وهي بلدة تقع على شاطئ البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من مالقة.

(٢) أي قصر الحمراء، مقر سلاطين بني نصر بغرناطة.

ما تلاحق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء، وتصير الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف. وتجددت الألفة وتأكدت المودة، وارتفعت الإخنة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تغيثة إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرْبِلَة^(١)، وصرف الأمير أبو زيان مَحْبُوءًا بما يليق به.

حدثني شيخنا أبو زكريا بن هذيل، رحمه الله، قال: نُصِبَ للسلطان أبي يعقوب خِباء احتفل في اتخاذه له أمير سَبْتَة، فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سُمُو عماد، وامتداد ظل، وانفساح ساحة، إلى إحكام الصُّنعة، والإعلاء في الزُخرف. وقعد فيه السلطان ملك المغرب، وأجلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن الغالب بالله، عن يمينه، وأخاه الأمير أبا زيان عن يساره، وقرأ عِشاره المعروف بالوقاد، آية الله في حُسن الصُّوت، وبعد مدى السَّمع، وطيب النُّعمة، قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهَالِكَا الْفُرُّ وَحِشْنَا يَبْضَعُهُ مَرْجَحُهُ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُمْ مَن يَتَّقَ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ بِغَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾^(٢). فكان مقامًا مُبْهِتًا. كان السلطان، رحمه الله، يقول: لَشَدُّ مَا جَنَى عَلَيَّ عَدُوَّ اللَّهِ بِقِحَّتِهِ، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله: أنا يوسف وهذا أخي. ثم أجاز للعُدوة، فطاح بها لعهد غير بعيد.

وكان الإيقاع بجيش الأمير أبي زيان في أخريات ذي الحجة عام أربعة وثمانين وستمائة، فاتصل بذلك موثٌ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده، وكان لقاء السُّلْطَانَيْنِ بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه، وكان اللُّقاء، كما ذُكر، في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

(١) مَرْبِلَة: بالإسبانية Marbella، وهي مدينة صغيرة مسورة، تبعد ستين كيلومترًا إلى الغرب من مالقة. الروض المعطار (ص ٥٣٤).

(٢) سورة يوسف ١٢، الآيات ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

ومن الطارئين

المُطَرَّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية^(١)

حاله : كان المطرف، ولد الخليفة^(٢) عبد الله أمير المسلمين بالأندلس، شجاعاً مقداماً، جريئاً، صرّفه والده الخليفة في الغزوات وقود العساكر، وهو الذي بنى حصن لوشة، ووقم كثيراً من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة : قال ابن حيان^(٣) : غزا المطرف ببشتر^(٤) بسبب ابن حفصون، إذ كان صالح الأمير عبد الله، ودفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطفل وجد غير ابنه، فنهض إليه المطرف، وكان القائد على العسكر قبله عبد الملك بن أمية، فنهض أصحابه، ونازل المطرف ابن حفصون، فهتك حوزته، وتقدم إلى بنية كان ابنتها بموضع يعرف باللويّات^(٥)، فشرع في خرابها، وخرج ابن حفصون ومن معه من النصرانية يدافع عنها، وعن كنيسة كانت بقربها، فغلب ابن حفصون، وهدمت الكنيسة، وقتل في هذه الحرب حفص بن المرأة، قائده ووجوه رجاله، وعند الفراغ من ذلك انصرف المطرف، فدخل كورة البيرة، وبنا لوشة، وتقدم منها إلى البيرة ودخلها، ثم طاف بتلك الجهات والحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب الإحنة بينه وبين أبيه.

قال^(٦) : وفي هذه الحركة أوقع بعبد الملك بن أمية؛ لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له وتمزيق العهد في خبر يطول. وكان والده قد أخذ عليه

(١) ترجمة المطرف وأخباره في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٠٢ - ١٠٥، ١٣١ - ١٣٧) والمغرب (ج ١ ص ١٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال (ص ٢٨ - ٢٩) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٠).

(٢) لم يكن عبد الله بن محمد خليفة، بل كان أميراً، وقد حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٣٠ - ١٣١) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف.

(٤) ببشتر: بالإسبانية Bobastro، وهي حصن منيع بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) في المقتبس: «المعروف بالعرمات».

(٦) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف. ومقتل عبد الملك بن أمية كان في سنة ٢٨٢ هـ.

الميثاق عند خروجه إلى شَذونة^(١) ألا يَغْرِضَ إليه بمكروه، وأقسم له بالأيمان، لئن نال منه شيئاً ليعاقبته بمثله، فلما قتله، عقد الوثائق عليه، وأخذ الشَّهادات فيها بالظلم والشُّوم خوفاً من أبيه، وكتب إليه يَغْتَذِرُ له، ويُحْكِمُه في نفسه.

مقتل المطرّف: قال^(٢): وظهرت عليه فعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكد غائلة أبيه عليه، وأعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أن المطرّف كان قد خلا به، فذكروا أنه نزل يوماً عنده بمنزله، وأخذوا في حديث الأبناء، وكان المطرّف عقيماً، فدعا معاوية بِصَبِيٍّ يَكْلَفُ به، فجات وبرأسه دُؤَابَتَانِ، فلما نظر إليه المطرّف حَسَدَه، وقال: يا معاوية، أتشبهه بأبناء الخلفاء في بينهم؟ وتناول السِّيفَ فحزَّ به الذُّؤَابَةَ، وكان معاوية حيّة قريش دهاء ومكرًا، فأظهر الاستِخسان لَصُنعِه واثبسط معه في الأُتس، وهو مضطغن، فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتّصاله إليه، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرّف بما أزعجه، وأقام على ذلك ليلاً أَخَكَمَ أمره عند الخليفة بلُطْفِ جيلته، فأصاب مَقْتَلَه سَهْمُ سِيعَايْتِه. قال ابن الفَيَّاض: بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرّف عَسْكَرًا للقبض عليه، مع ابن مُضَرٍّ، فقَوِّلَ في داره حتى أُخِذَ، وجيء به إليه، فَتَشَاوَرَ الوزراءُ في قَتْلِه، فأشار عليه بعضهم أن لا يَقْتُلَه، وقال بعضهم: إن لم تَقْتُلْه قَتَلَك، فأمر ابن مُضَرٍّ بِصَرْفِه إلى داره، وَقَتْلِه فيها، وأن يَدْفِنَه تحت الرِّيحانة التي كان يشربُ الخمر تحتها، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وذلك في يوم الأحد ضُحَى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

مُنذر بن يحيى التَّجِيبِي^(٣)

أمير الثُّغر، المُنتَزِي بعد الجماعة بقاعدة سَرْقُسطَة، يكنى أبا الحكم، ويُلقَّب بالحاجب المنصور، وذو الرِّياستين.

حاله: قال أبو مروان^(٤): وكان أبو الحكم رجلاً من عُرض الجُند، وترقى إلى القيادة آخِرَ دولة ابن أبي عامر، وتناهى أمرُه في الفِتنة إلى

(١) شَذونة: بالإسبانية Sidona وهي كورة متصلة بكورة مورور، نزلها جند فلسطين من العرب بعيد الفتح. الروض المعطار (ص ٣٣٩).

(٢) القول لابن حيان، والنص في المقتبس بتحقيق إسماعيل العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصريف.

(٣) ترجمة منذر بن يحيى التجيبي في المغرب (ج ٢ ص ٤٣٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال) (ص ١٩٦) والذخيرة (ق ١ ص ١٨٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥).

(٤) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨٠ - ١٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦) وأعمال =

الإمارة^(١). وكان أبوه من الفرسان غير الثَّبَاهِ. فأما ابْنُهُ منْدِر، فكان فارساً نقيَّ
 الفُروسَةِ^(٢)، خارجاً عن مدى الجهل، يتمسك بطَرْفٍ من الكتابة السَّاذجة. وكان على
 غَدْرِهِ، كريماً، وهَبَ قُصَادَهُ مَالاً عَظِيماً، فَوَقَدُوا عَلَيْهِ، وَعَمَرَتْ لَدَيْكَ حَضْرَتُهُ
 سَرَقُطَةُ، فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ، وَهَتَفَ الْمُدَاخُ بِذِكْرِهِ.

وفيه يقول أبو عمرو بن دراج القُسْطَلِي قصيدته المشهورة، حين صَرَفَ إليه
 وجهه، وقَدِمَ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة^(٣): [الكامل]

بُشْرَاكَ مِنْ طُولِ التَّرْحُلِ وَالشُّرَى
 مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَى
 نَادَى^(٥) بِحَيٍّ عَلَى النَّدَى ثُمَّ اعْتَلَى
 لَبِيكَ أَسْمَعْنَا بِذَاكَ وَدُونَنَا
 مِنْ كُلِّ طَارِقٍ لَيْلٍ هَمٌّ^(٧) يَنْتَحِي
 سَارٍ لِيَعْدِلَ عَنْ سَمَانِكَ أَنْجُمِي
 فَكَأَنَّمَا أَعْدَتْهُ^(٨) أَسْبَابُ الثُّوَى
 أَوْ غَارَ مِنْ هَمَمِي فَأَنْحِي شَأُوهَا
 حَتَّى عَاقِلْتُ النُّيُورِينَ فَأَغْلَقَا
 فَسَرِنْتُ فِي حَرَمِ الْأَهْلَةِ مُظْلِمًا
 وَشَعَبْتُ أَفْلَاذَ الْفَوَادِ وَلَمْ أَكْذُ
 سِتٌّ تَسْرَاهَا^(١٠) الْجَلَاءُ مَغْرَبًا
 لَا يَسْتَفِيقُ الصُّبْحُ مِنْهَا مَا بَدَا
 صُبْحَ بِرُوحِ السُّفْرِ لَاحَ فَأَسْفَرَا
 فَجَرًّا بِأَنْهَارِ الدُّرَى^(٤) مُتَفَجَّرَا
 سُبُلَ^(٦) الْعُفَاةِ مُهَلَّلًا وَمُكَبَّرَا
 نَوْءَ الْكَوَاكِبِ مُخَوِيًا أَوْ مُنْطَرَا
 وَجْهِي بِوَجْهِهِ مِنْ لِقَائِكَ أَزْهَرَا
 وَقَدْ أَرَذَهَا مِنْ سَنَّاكَ مُحِيرَا
 قَدَرًا لِيُعْغِدِي عَنْ يَدَيْكَ مُقَدَّرَا^(٩)
 فَلَكَ الْبُرُوجُ مَغْرَبًا وَمُنْشُورَا
 مَثْنَى يَدِي مَلِكِ الْمُلُوكِ النُّيُورَا
 وَرَقَلْتُ فِي خَلْعِ السُّمُومِ مُهَجَّرَا
 فَحَذَوْتُ مِنْ حَذْرِ الثُّرَيَّا مَنْظَرَا
 وَحَدَا بِهَا حَادِي النُّجَا^(١١) مُشْمَرَا
 قَلَقًا وَلَا جَذِي الْفَرَاقِدِ مَا سَرَى

= الأعلام (ص ١٩٦).

- (١) في الذخيرة: «إلى نيل الإمارة».
- (٢) في الذخيرة وأعمال الأعلام: «لَبِيَّ الفُروسَةِ».
- (٣) القصيدة في ديوان ابن دراج القسطلبي (ص ١٢٤ - ١٣١) وفي أعمال الأعلام (ص ١٩٨ - ٢٠٠) ٥١ بيتاً. وقد أورد منها ابن بسام في الذخيرة (ص ١٨٠ - ١٨١) ٢٤ بيتاً لم ترد هنا.
- (٤) في الديوان وأعمال الأعلام: «النَّدَى». (٥) في أعمال الأعلام: «ناديت حَيٍّ».
- (٦) في أعمال الأعلام: «سبل».
- (٧) في الديوان: «هَمِّي».
- (٨) في الديوان: «أغرته».
- (٩) رواية عجز البيت في الأصل هي:
 نور الهدى عن يدك منشورا
 وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من الديوان.
- (١٠) في أعمال الأعلام: «تسراها».
- (١١) في المصدر نفسه: «النواء».

ظُفُنْ أَلْفَنَ الْقَفَرِ فِي غَوْلِ الدُّجَى
يَطْلُبُنْ لُجَّ الْبَحْرِ حَيْثُ تَقَادَفَتْ
هَيْسَمٌ وَمَا يَبْغِيْنَ دُونَكَ مَوْرِدًا
مِنْ كُلِّ نِضْوٍ آلٍ مَحْبُوكِ الْمُنَى
بُذُنْ قَدَتْ مِثْلًا دِمَاءُ تُحُورِهَا
تَحَرَّتْ بِنَا صَدْرَ الدُّبُورِ فَأَنْبَطَتْ
وَصَبَتْ إِلَى نُحُورِ^(٣) الصُّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ
خُوصَ نَفْخِنَ بِنَا الْبُرَى حَتَّى انْتَثَتْ
تَسَدَّرَتْ لَنَا أَنْ لَا تُتْلَقِي رَاخَةً
وَتَقَاسَمَتْ أَنْ لَا تُسِيغَ حَيَاتُهَا
لِلَّهِ أَيُّ أَهْلَةٍ بَلَّفَتْ بِنَا
بَلْ أَيُّ غَضَنِ فِي ذَرَاكَ هَضْرَتُهُ
فَلْتَنْ صَفَا مَاءَ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي
وَلْتَنْ خَلَفَتْ عَلَيَّ بُرْدًا أَخْضَرَا
وَلْتَنْ مَدَدَتْ عَلَيَّ ظِلًّا بَارِدًا
وَكَفَى لِمَنْ^(٩) جَعَلَ الْحَيَاةَ بَضَاعَةً
فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ
لَهْفَانٍ لَا يَزِيدُ طَرَفُ جَفْوَنِهِ^(١٠)
أَبْنِي، لَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ خَسِرَةً
فَلْتَنْ تَرَكْتَ اللَّيْلَ قَوْفِي دَاجِيَا
وَلَقَدْ وَرَدَتْ مِيَاةَ مَأْرَبٍ حُفْلًا
وَنَظَّمْتُ لِلنَّيْدِ الْحَسَانِ قَلَائِدًا

وَتَرَكْنَ مَأْلُوفَ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرَا
أَمَوَاجُهُ وَالْبَرُّ حَيْثُ تَنْكُرَا
أَبَدًا وَلَا عَنْ بَحْرِ جُودِكَ مَضْدَرَا
يُزْجِيهِ نَحْوُكَ كُلُّ مَحْبُوكِ الْقَرَا^(١)
بِغْنَائِهَا^(٢) فِي كُلِّ أَفْقٍ مَنَحَرَا
قَلَقَ الْمَضَاجِعِ تَحْتَ جَوْ أَكْدَرَا
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ الْمُبْصِرَا
أَشْلَاؤُهُنَ كَمِثْلِ أَنْصَافِ الْبُرَا
مِمَّا تُتْلَقِي أَوْ تُتْلَقِي مُنْذِرَا^(٤)
دُونَ ابْنِ يَحْيَى^(٥) أَوْ تَمُوتُ فَتُغْدَرَا
يُمْنَاكَ يَا بَذْرَ السَّمَاءِ الْمُقْفِرَا
فَجَرَى^(٦) فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْكَ وَأَثْمَرَا
فَبِمَا شَرِئْتُ إِلَيْكَ بِالمَاءِ الصُّرَى^(٧)
فَلَقَدْ لَبِثْتُ إِلَيْكَ غَيْشًا أَغْبَرَا
فَلَكُمْ صَلِيْتُ إِلَيْكَ جَوًّا^(٨) مُسْقَرَا
وَرَأَى رِضَاكَ بِهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى
قَلْبًا يَكَادُ عَلَيَّ أَنْ يَتَفَطَّرَا
إِلَّا تَذْكُرَ غَبْرَتِي فَاسْتَغْبَرَا
عَنْ غَوْلٍ رَخْلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغْوِرَا
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا
وَأَسَمْتُ خَيْلِي وَشَطَّ جَنَّةٍ غَبَقَرَا
مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا

(١) القرا: الظهر.

(٢) في أعمال الأعلام: «بيقاتها». واليغاء: الطلب.

(٣) في المصدر نفسه: «نُحْر».

(٤) هو منذر بن يحيى، ممدوح ابن دراج.

(٥) ابن يحيى: هو منذر بن يحيى، المقدم ذكره.

(٦) في الديوان: (نُحْر).

(٨) في أعمال الأعلام: «جوا».

(١٠) في أعمال الأعلام: «لا يرتد في أجفانه».

(٧) الماء الصرى: الذي طال استقاعه.

(٩) في الديوان: «وكفاك من».

وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَضْبًا وَهَاجًا
وَلَيْغَلَمٌ^(٢) الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهُمْ
وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي
مَنْ فَكُّ طَرْفِي مِنْ تَكَالَيْفِ الْفَلَا
وَكَفَى عِتَابِي مِنْ أَلَامٍ مُعَذَّرَا
وَمُسَائِلِي عُنِي الرِّفَاقُ وَوُدُّهُ
وَبَقِيْتُ فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلَا
كَلَّا وَقَدْ آنَسْتُ مِنْ هَوْدٍ هَدَى
وَأَصْبَبْتُ فِي سَبِيلِ مُورِثٍ مُلْكِهِ
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تُبْعَ رَافِعَا
وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ مَمْنُوعُ الْجَمَى
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي خَاتِمٍ
وَلَقِيْتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ
وَعَقَّدْتُ فِي يَمَنِ مَوَاقِفَ ذِمَّةٍ
وَأَتَيْتُ بِخَدَلٍ^(٧) وَهُوَ يَرْفَعُ مِثْبَرَا
وَحَطَّطْتُ^(٨) بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا
تِلْكَ الْبُحُورُ^(٩) تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا
وَلَقَدْ نَمَّوْكَ وِلَادَةً وَسِيَادَةً

دَهَبًا يَرِفُ^(١) لِنَظَرِي وَجَوْهَرَا
أَلْقَيْتُ كُلَّ الصُّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٣)
مَلِكٌ تُخَيَّرَ لِلْعُلَا فَتَخَيَّرَا
مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَى أَجْدَرَا
وَأَجَارَ طَرْفِي مِنْ تَبَارِيحِ الشُّرَى
وَتَذَمُّمِي بِمَنْ تَجَمَّلَ^(٤) مُعَذَّرَا
لَوْ تَنَبَّذَ السَّاحَاتُ^(٥) رَحْلِي بِالْعَرَا
وَعَدَلْتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُتَحَيَّرَا
وَلَقِيْتُ يَغْرُبُ فِي الْقُبُولِ وَجَمِيرَا
يَنْسَبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الضَّرَا
أَعْلَامُهُ مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى
بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْدُولُ الْقِرَى
أَيَّامَ يَقْرِي مُوسِرًا أَوْ مُفْسِرَا
تَكْسُو^(٦) غِلَاطُهَا الْجِيَادَ الضُّمَرَا
مَشْدُودَةُ الْأَسْبَابِ مُوَثَّقَةُ الْعُرَى
لِلدَّيْنِ وَالْذُّنْيَا وَيَخْفِضُ مِثْبَرَا
خَرَمًا أَبَتْ حُرْمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا
سَغِيًّا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا
وَكَسَوْتُكَ عِزًّا وَابْتَنَوْنَا لَكَ مَفْخَرَا

(١) في أعمال الأعلام: «يَرُوقُ». (٢) في أعمال الأعلام: «وَلَتَغَلَمٌ».

(٣) أخذه من المثل: «كُلُّ الصُّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا». يضرب لمن يُفَضِّلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه فراء. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

(٤) في الأصل: «تَحْتَلُّ» بالخاء المهملة، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الأصل: «السَّانِحَاتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من أعمال الأعلام. وفي الديوان: «السَّادَاتُ».

(٦) في الأصل: «يَكْسُو»، وكذا في الديوان، والتصويب من أعمال الأعلام.

(٧) هو بخدل بن أنيف الكلبي، الذي تزوج معاوية بن أبي سفيان من بنته ميسون والدة ابنه يزيد، وقد كان لقبيلة كلب اليمنية التي يتب إليها بحدل أعظم البلاء في نصرة الدعوة الأموية.

(٨) في أعمال الأعلام: «وَحَطَّطْتُ» بالخاء المعجمة.

(٩) في المصدر نفسه: «البدور».

فَمَمَرْتُ بِالْأَمَالِ^(١) أَكْرَمَ أَكْرَمٍ
وَشَمَائِلٍ عِبَقَتْ بِهَا سَبُلُ الْهُدَى
أَهْدَى إِلَى شَغَفِ الْقُلُوبِ مِنْ الْهَوَى
وَمَشَاهِدٍ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَيَّامُهَا
لَاقِيَتْ فِيهَا الْمَوْتَ أَسْوَدَ أَذْهَمًا
وَلَوْ اجْتَلَى فِي زِيِّ قِرْنِكَ مُغْلَمًا
يَا مَنْ تَكَبَّرَ بِالتَّكْرُمِ^(٢) قَذَرُهُ
وَالْمُنْذِرُ الْأَعْدَاءَ بِالْبُشْرَى لَنَا
مَا صُوِّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ
فَارْقَعَ لَهَا عَلَمَ الْهُدَى فَلِيْمَثِلِهَا
وَانْصُرْ تُصِرْتَ مِنَ السَّمَاءِ فَإِنَّمَا
وَأَسْلَمَ وَلَا وَجَدُوا لِحُجُوكَ مَنَقَسًا

مُلْكًا وَرِثَتْ عُلَاهُ أَكْبَرَ أَكْبَرًا
وَذَرَتْ عَلَى الْآفَاقِ مِسْكًا أَذْفَرًا
وَالَّذِي فِي الْأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الْكَرَى
ظَنًّا يَرِيبُ وَلَا حَدِيثًا يُفْتَرَى
فَذَعَرَتْهُ بِالسَّيْفِ أَبْيَضَ أَخْمَرًا
لَتَرَكَّتْهُ تَحْتَ الْعَجَاجِ مُعَفَّرًا
حَتَّى تَكْرُمَ أَنْ يُرَى مُتَّكِبَرًا
صَدَقْتَ صِفَاتِكَ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرًا
حَتَّى يَرَاكَ اللَّهُ فِيهِ مُصَوِّرًا
رَفَعَتْكَ أَعْلَامُ السِّيَادَةِ فِي الذَّرَى
نَاسَبَتْ أَنْصَارَ النَّبِيِّ لِتُنْصَرَا
فِي النَّائِبَاتِ وَلَا لِيَبْخُرِكَ مَغْبَرًا

سيرته: قال^(٣): وساسَ لأول ولايته عظيمَ الفِرَاحَةِ^(٤)، فحفظت أطرافه، وبلغ من استمالته طوائفَ النصرانية، أن جرى على يديه بحضرته عقد مصاهرة بعضهم^(٥)، ففرقته الألسنة لسعيه في نظام سلكِ النصارى. وعمر به الثغر إلى أن ألوت به المنيّة. وقد اعترف له الناس بالرأي والسياسة.

كُتَّابُهُ: واستكتب عدة كتب كابن مَدُور، وابن أَرْزَق، وابن واجب، وغيرهم.

وصوله إلى غرناطة: وصل غرناطة صُحْبَةَ الأمير المُرْتَضَى الآتي ذكره، وكان ممن انهزم بانهزامة. وذكروا أنه مرَّ بسليمان بن هُود، وهو مُثَبَّتٌ للإفرنج الذين كانوا في المحلّة لا يريم موقفه^(٦)، فصاح به النجاة: يا ابن الفاعلة، فلستُ أقف عليك، فقال له سليمان: جئت والله بها صلعا، وقصصحت أهل الأندلس، ثم انقلع وراءه.

(١) في الديوان: «فَمَمَرْتُ بِالْإِقْبَالِ». (٢) في أعمال الأعلام: «يا من تَكْرُمُ بالتَّكْبَرِ».

(٣) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨١) وأعمال الأعلام (ص ١٩٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٤) في الذخيرة والبيان المغرب: «عظماء الإفرنج»، وفي أعمال الأعلام: «عظماء الفرنجة».

(٥) أجرى منلر مصاهرة بين ريموند الجليقي وشانجه القشتالي، حيث تزوج شانجه بابنة ريموند، حسبما جاء في الذخيرة.

(٦) لا يريم موقفه: لا يبرحه.

وفاته: وكانت^(١) على يدني رجل من أبناء عمه يدعى عبد الله بن حَكَم، كان مُقَدِّمًا في قَوَّاده، أضمر غَدْرَهُ، فدخل عليه، وهو غافل في غِلالة، ليس عنده إلا نفرٌ من خواصِّ خَدَمِهِ الصُّقْلُب، قد أكبَّ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسِكِّين أجهز به عليه. وأجفل الخدم إلا شَهْمٌ منهم أكبَّ عليه فمات معه. ومَلِك سَرَقُسطة، وتمسك بها أيامًا، ثم قرَّ عنها، ومَلِكها ابن هُود. وكان الإيقاع به غرة ذي حجة سنة ثلاثين وأربعمئة، رحمة الله عليه.

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يَغْمَراسين بن زَيَّان^(٢)

الأمير بَيْلمسان، يكنى أبا حَمُو.

أوليته: أوليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مُجمِع على حَزْمِهِ، وضَمُّهُ لأطراف مُلكِهِ، واضطِلاعه بأعباء مُلكِ وطنِهِ، وضَبْرُهُ لدولة قومه، وطلُّوعُهُ بسعادة قَبِيلِهِ. عاقلٌ، حازمٌ، حَصيفٌ، ثابتُ الجَأَش، وقورٌ مَهيبٌ، جماعةٌ للمال، مباشرٌ للأمور، هاجر للذات، يَقِظٌ، مُتَشَمِّرٌ. قام بالأمر غُرَّة ربيع الأول في عام ستين^(٣)، مُرتاش الجَنَاح بالأخلاف من عَرَبِ القِبْلَةِ، معوِّلاً عليهم عند قُضْدِ غَدُوِّهِ، وحَلَبِ ضِرْعِ الجَبَايَةِ، فأثرى بيتُ مالِهِ، ونَبَّهَتْ دولَتُهُ، وثَقَّتْهُ جِيرَتُهُ، فهو اليوم ممن يُشار إليه بالسُّداد.

أدبه وشعره: ووجَّه لهذا العهد في جُمْلَةِ هدايا وُدِّيَّة، ومقاصِدَ سِنِّيَّة، نسخة من كتابه المسمى بـ«واسيطَةُ السُّلوك»، في سياسة الملوك^(٤)، افتتحه بقوله:

«الحمد لله الذي جعل نِعْمَتَهُ على الخَلْق، بما أَلْفَهم عليه من الحقِّ، شاملةً شائعةً، ويُسِّر طوائِفَ من عِبَادِهِ لِلْيُسْرَى فَأَتَتْ إليها مُسَاعِدَةٌ مُسَارِعَةٌ، وحَضُّهُمْ على الأخذِ بِالْحُسْنَى ولا أَحْسَنُ من نفوس أُرْشِدَتْ فَأَقْبَلَتْ لِإِزْثِهَا طالِبَةٌ ولِرَبِّهَا طائِعَةٌ، ولا أَسْمَى من هِمَمٍ نَظَرَتْ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ في تدبير الرِّياسَةِ التي هي لأَشْتَاتِ المَلِكِ

(١) قارن بالذخيرة (ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٨).

(٢) ترجمة أبي حَمُو موسى بن يوسف الزياتي في التعريف بابن خلدون (ص ٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣٨، ٢٤٤) ونفع الطيب (ج ٩ ص ٢١٤، ٣٤٢) وهدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٣٢٨) والأعلام (ج ٧ ص ٣٣١).

(٣) أي سنة سبعمئة وستين.

(٤) هذا الكتاب مطبوع، وجاء في هدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) أن له كتابًا اسمه «فلائد الدرر في سياسة الملك».

جامعة، ولأسباب الملك مانعة، وأظهرت من معادنها دُرر الحكَم وغُرر الكَلِم لائحة لامعة، فاجتلت أثمارها طالعة، واجتثت أزهارها يانعة. وصلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البينات ساطية ساطعة، والمُعجزات المُعجَمات قاصِمة لظهور الجاحدين قاطعة، الذي رُوِيَتْ له الأرض فتدانت أفكارها وهي نايبة شاسعة، واشتافت له المياه فبرزت بين أصابعه يانعة، وامتلأ السحاب أمره فسح باستسقائه دُرراً هامية هامة، وحن الجذع له وكان حينه لهذه الآيات الثلاث آية رابعة، إلى ما لا يحصى مما أثبت به متواترات الأخبار وصيحات الآثار ناصرةً لنبوته ساطعة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعترته التي أجابت داعي الله خاشية خاشعة، وأذعنت لأوامر رسول الله ﷺ فكانت من الاستياد خالية وللأنداد خالعة، صلاة ديمتها دائمة متتابعة، وسلم كثيرًا.

جَمَعَ فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخص به ولده ووليَّ عهده، فجاء مجموعاً يُستظرف من مثله، ويدل على مكانه من الأدب ومحلّه.

وثبت فيه الكثير من شعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبائل، وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سلك جماعته، وهي:

[الطويل]

وما قد مضى من عهدها المُتَقادم
بصبر مُنافٍ أو بشوق مُلَازم
وأي فؤاد بغدهم غير هائم؟
وما حب سلمي للفتى بمُسالِم
ولا ثقل في تذكّار تلك المعالم
ولا يستبى إلا الضعيف الغرائم
قريب من الثقوى بعيد المائم
يساق بخلق الشهد مرّ العَلاقم
بحار الردى في لجها المُتلاحم
وتنثر دُرّاً^(٢) من دموع سَواجِم؟
مقاله باك أو ملامه لائم
لنجتنب اللوم اجتناب المحارم؟

تذكرت أطلال الربوع الطواسم
وقفت بها من بغد بغد أنيسها^(١)
تهيم بمغناهم وتندب ربيعهم
تجن إلى سلمى ومن سكن الجمى
فلا تندب الأطلال واسل عن الهوى
فإن الهوى لا يستفز ذوي النهى
صبور على البلوى طهور من الهوى
ومن ينبغ ذرك المغلّوات وتيلها
ولائمة لما ركبنا إلى العلا
تقول بإشفاق: أتسى هوى الدما
إليك فإننا لا يرد اعتزامنا
ألم تذر أن اللوم لوم وأننا

(١) في الأصل: «أنسها» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «دُرّاً»، وكذا ينكسر الوزن.

فما بسوى العَلْيَاء^(١) هَمُّنا جلالَةً
 بروق السُّيُوفِ المَشْرِفِيَّاتِ والقَنَا
 وأما صَمِيلُ السَّابِحَاتِ لذي الوَغَى
 وأحسنُ من قَدْ السَّفَتَاةِ وخَذَّهَا
 إذا نحن جَرُّدُنَا الصَّوَارِمَ لم تَعُدْ
 نواصل بين الهندواني الطَّلَاءِ^(٢)
 فيرغب مِنَّا السَّلَمُ كُلُّ مُحَارِبٍ
 نقود إلى الهيجاء كُلُّ مُضْمَرٍ
 وما كُلُّ مَنْ قَادَ الجيوشِ إلى العدا
 وننصر مظلومًا ونمنع ظالمًا
 ويأوي إلينا المُسْتَجِيرَ ويلتجئ
 ألم تَرَ إذ جاءَ السَّبْيِيُّ قاصداً
 وذلك لَمَّا أن جَفَاءَ صِحَابُهُ
 وأزْمَعَ إرسالاً إلينا رسالَةً
 وكان رَأَى أن المَهَامَةَ بيننا
 وقال ألا سَلِّ من عَلِيمٍ مجرَّبٍ
 فيبلغُ عنه الآن خَيْرَ رسالَةٍ
 على ناقةٍ وَجَنَاءَ كالحَرْفِ ضامرٍ
 من اللائي يُظْلِمُنَ الظِّلِيمَ إذا عَدَى
 إذا أثْلَعَتْ فوق السُّحَابِ جوابُهَا
 وإن هَمَلَجَتْ بالسَّيْرِ في وَسْطِ مَهْمَةٍ
 ولم يَأْمَنَ الخُلَانُ بعد اختلالهم

إذا هام قوم بالحسان الشواعم
 أحب إلينا من بروق المباسم
 فاشجى لدينا من غناء^(٣) الحمام
 قدود العوالي أو خدود الصوارم
 إلى غمدها إلا بجر الغلاصم^(٤)
 بتفريق ما بين الطلى والجماجم
 ويذهب منا الحرب كلُّ مُسَالِمٍ
 ونُقْدِمُ إقدام الأسود الضراغم
 يعود إلى أوطانه بالفنائم
 إذا شيك مظلوم بشوكة ظالم
 ويحميه منا كلُّ لَيْتِ ضَبَّارِمٍ^(٥)
 إلى بابنا يَنْبَغِي التماس المكارم؟
 وكلُّ خليل ودَّه غير دائم
 بإخلاص ودَّ واجب غير واجم
 فخلق لذات الخُفِّ ذات المَنَامِ
 أبث له ما تحت طي الحيازم
 تُؤدِّي إلى خير الملوك الأعظم
 تَحْيُرُهَا بين القِلاصِ الرُّواسِمِ
 ويُشَبِّهُهُ في جِيدِهِ والقوائِمِ
 تَحْيِلُتُهَا بعض^(٦) السحابِ الرُّواكِمِ
 نَزَلْتُ كَمِثْلِ البَرْقِ لاحٍ لَشَائِمِ
 فأَمْسَى وفي أكبادها أي جاحم

(١) في الأصل: «العَلْيَاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «غناء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) رواية عجز البيت في الأصل هي:

إلا غمادها الأبحر الغلاصم

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والغمْد: جفن السيف. والغلاصم: جمع غُلصمة وهو اللحم ما بين الرأس والعنق، والمراد قطع الرقاب.

(٤) في الأصل: «الطَّلَاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «ضبارم»، وكذا لا معنى له. والأسد الضبارم: المجتمع الخلق مؤتقة.

(٦) في الأصل: «تعض»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فَقَالُوا فَحَمَلْهَا السَّحْمَائِمَ قَالَ لَا
وَمَا الْقَضْدُ إِلَّا فِي الْوَصُولِ بِسُرْعَةٍ
فَقَالَ: لِنَعْمِ الْمُرْسَلَاتِ وَإِنَّمَا
فَلَمْ يَلَفَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعًا
فَحِينَتُهُ وَافَى إِلَيْنَا بِنَفْسِهِ
يَجُوبُ إِلَى^(١) الْبَيْدَاءِ قَضْدًا وَيُشْرُنَا
طِلَابُ الْعَلَا تَسْرِي مَعَ الْوَحْشِ فِي الْفَلَا
عَلَى سَلَهَبٍ^(٢) ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعِمٍ^(٣)
إِذَا شَاءَ أَيُّ الْوَحْشِ أَذْرَكُهُ بِهِ
وَيُقَدِّمُهُ طَوْعًا إِلَيْنَا رَجَاؤُهُ
أَلَا أَيُّهَا الْآتِي لِظِلِّ خَنَانِنَا
وَقُوبِلْتَ مِنَّا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
كَذَا دَأْبُنَا لِلْقَادِمِينَ مَحَلَّنَا
وَهَذَا جَوَابٌ عَنْ نِظَامِكَ إِنَّا
وَنَحْنُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ آلِ جَمِيرٍ
بِهَمَّتِنَا الْعُلْيَا سَمَوْنَا إِلَى الْعُلَا
شَدَدْنَا لَهَا أَزْرًا وَشِدْنَا بِنَاءَهَا
نَظَّمْنَا شَتِيتَ الْمَجْدِ بَعْدَ افْتِرَاقِهِ
وَرَضْنَا جِيَادَ الْمُلْكِ بَعْدَ جِمَاحِهَا
مِنَاقِبُ زَيْنَانِيَّةٍ^(٤) مُوسَوِيَّةٍ^(٥)
يُقْصَرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ مُبْتَغٍ
فَلِلَّهِ مِنَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ دَائِمًا
وَنَخْتَصُّكُمْ مِنَّا السَّلَامُ الْآثِيرَ مَا

لِبُعْدِ الْمَدَى أَوْ خَوْفِ صَيْدِ الْحَمَائِمِ
فَقَالُوا: فَحَمَلْهَا أَكْفُ النُّوَاسِمِ
لَهَا السُّنُّ مَشْهُورَةٌ بِالسُّمَائِمِ
وَكُلُّ أَمْرٍ لِّلْسُرِّ لَيْسَ بِكَاتِمٍ
فَكَانَ لَدَيْنَا خَيْرٌ وَافٍ وَقَادِمٍ
يُضِيءُ لَهُ الظُّلُمَاءُ فِي كُلِّ عَاتِمٍ
وَيَضْحَبُ مِنْهَا كُلُّ بَاغٍ وَبَاغِمٍ
مِنَ الْمُغْرِبَاتِ الصَّافِنَاتِ الصَّلَادِمِ^(٤)
فَتَحْسِبُهُ فِي الْبَيْدِ بَعْضَ الثُّعَائِمِ
حَمَايَتُنَا إِيَّاهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ
نَزَلَتْ بِرَخْبٍ فِي عِرَاصِ الْمَكَارِمِ
وَقَاضٍ عَلَيْكَ الْجُودُ فَيُضِضَ الْعَمَائِمِ
جَمَى وَنَدَى يُنْسَى بِهِ جُودُ حَاتِمٍ
بُعِثْنَا بِهِ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَاظِمِ
لَعَمْرُكَ مِنَ التَّيْجَانِ غَيْرِ الْعَمَائِمِ
وَكَمْ دُونَ إِدْرَاكِ الْعُلَا مِنْ مَلَا حِمٍ
وَكَمْ مَكْنَثٌ دَهْرًا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ
وَكَمْ بَاتَ نَهَبًا شَمْلُهُ دُونَ نَازِمٍ
فَذَلَّتْ وَقَدْ كَانَتْ صِعَابَ الشُّكَايِمِ
يُذَلُّ لَهَا عِزُّ الْمُلُوكِ الْقِمَاقِمِ
وَيَعْبِزُ عَنْ إِخْصَائِهَا كُلُّ نَازِمٍ
وَصَلَّى^(٦) عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
تَضَاحَكَ رَوْضٌ عَنْ بُكَاءِ الْعَمَائِمِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «إِلَيْنَا»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) الْقَرْسُ السَّلَهَبُ: الطَّوِيلُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعِمٍ» وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٤) الصَّافِنَاتُ: الْخَيْلُ الْقَائِمَةُ عَلَى ثَلَاثٍ. وَالصَّلَادِمُ: جَمْعُ صِلْدِيمٍ وَهُوَ الصُّلْبُ الشَّدِيدُ.

(٥) نِسْبَةٌ إِلَى زَيْنَانَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو حَتْمٍ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ زَيْنَانَ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى...»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

قلت: ولما تعرّفتُ كَلَفَهُ بالأدب والإمام بمُجَاوَرَتِهِ، عَزَمْتُ عَلَى لِقَائِهِ،
وتَشَوَّقْتُ عِنْدَ الْعَزْمِ عَلَى الرُّحْلَةِ الْحِجَازِيَّةِ، إِلَى زِيَارَتِهِ، وَلِذَلِكَ كُنْتُ أَخَاطِبُهُ بِكَلِمَةٍ
مِنْهَا: [الطويل]

عَلَى قَدَرٍ قَدْ جِشْتَ قَوْمَكَ يَا مُوسَى فَجَلَّتْ بِكَ التُّغْمَى وَزَالَتْ بِكَ الْبُوسَى
فَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ، وَفَقَهُ اللَّهَ،
وَسَائِرَ مَنْ تَوَلَّى أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ.

وجرى ذكره في رجز الدول^(١) من نظمي: [الرجز]

بَادَرَهَا الْمُقْدِي الْهَمَامُ مُوسَى فَأَذَقَبَ الرَّحْمَنُ عَنْهَا الْبُوسَى
جَدَّدَ فِيهَا الْمُلْكَ لَمَّا أَخْلَقَا وَبَعَثَ السُّعْدَ وَقَدْ كَانَ لِقَا
وَرُتِبَ الرُّتَبَ وَالرُّسُومَا وَأُطْلِعَ الشُّمُوسَ وَالنُّجُومَا
وَاخْتَجَنَ الْمَالَ بِهَا وَالْعُدَّة وَهُوَ بِهَا بَاقٍ لِهَذَا الْمُدَّة

ولادته: ولد بمدينة غرناطة حسبما وَقَعْتُ عَلَيْهِ بِخَطِ الثُّقَّةِ مِنْ نَاسِهِ، فِي أَوَّلِ
عَامِ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٢).

مُبَارَكٌ وَمُظَفَّرُ الْأَمِيرَانِ مَوْلِيَا الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي حَامِرٍ^(٣)

حَالَهُمَا: قَالَ أَبُو مَرْوَانَ^(٤): تَرَقُّيَا إِلَى تَمَلُّكَ بَلَنَسِيَّةٍ مِنْ وَكَالَةِ السَّاقِيَّةِ، وَظَهَرَ مِنْ
سِيَاسَتِهِمَا وَتَعَاوُضِهِمَا^(٥) صَحَّةُ الْأَلْفَةِ طَوْلَ حَيَاتِهِمَا، مَا فَاتَا بِهِ فِي مَعْنَاهُمَا^(٦) أَشِقَاءُ
الْأُخُوَّةِ وَعُشَّاقُ الْأَحِبَّةِ، إِذْ نَزَلَا مَعًا بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ مُخْتَلِطَيْنِ، تَجَمَّعُهُمَا مَائِدَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ
غَيْرِ تَمْيِيزٍ فِي شَيْءٍ، إِلَّا الْحُرْمَ خَاصَّةً. وَكَانَ التَّقَدُّمُ لِمُبَارَكٍ فِي الْمُخَاطَبَةِ، وَحِفْظُ
رِسُومِ الْإِمَارَةِ، أَفْضَلُ صِرَامَةً وَذِكْرًا، قَصَرَ عَنْهُمَا مُظَفَّرٌ، لِدِمَائَةِ خُلُقِهِ، وَانْجِطَاطِهِ

(١) رجز الدول: هو نفسه كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٢) قُتِلَ أَبُو حَمْرٍ فِي مَعْرَكَةِ دَبْرَهَا ابْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالْإِتِّفَاقِ مَعَ بَنِي مَرِينٍ، وَذَلِكَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ
«الْفِرَان» يَبْعُدُ نِصْفَ يَوْمٍ عَنْ تَلَمْسَانَ، فِي ٤ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٧٩١ هـ.

(٣) أَخْبَارُ مُبَارَكٍ وَمُظَفَّرٍ فِي أَعْمَالِ الْأَعْمَالِ الْقِسْمِ الثَّانِي ص ٢٢٢) وَالذَّخِيرَةُ (ق ٣ ص ١٤)
وَالْمَغْرِبُ (ج ٢ ص ٢٩٩) وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبُ (ج ٣ ص ١٥٨).

(٤) قَارَنَ بِالذَّخِيرَةِ (ق ٣ ص ١٤ - ١٥، ١٨) وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبُ (ج ٣ ص ١٥٨ - ١٥٩) وَأَعْمَالُ
الْأَعْلَامِ (القسم الثاني ص ٢٢٢).

(٥) فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «وَتَقَارُضُهُمَا».

(٦) فِي الْأَصْلِ: «مَعْنَاهَا» وَالتَّصَوُّبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

لصاحبه في سائر أمره، على نخلته^(١) بكتابة ساذجة وفروسة^(٢)، فَبَلَّغَا الغاية من اقتناء الأسلحة والآلات الملوكية، والخيل المغربيات، ونفيس الحلي والحلل، وإشادة البناء للقصور. واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، ومن تعلق بهما من وزرائهما وكتّابهما، ولم يعرض لهما عارض إنفاق^(٣) بتلك الآفاق، فأنغمسا في النعيم إلى قَمَم رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال^(٤): وكان موث مبارك أنه ركب يوماً من قصر بلثسية، وقد تعرض أهلها مُسْتَغِيثِينَ من مالٍ افترضه عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه فلا تؤخر عقوبتي يومي هذا. وركب إثر ذلك، فلما أتى القنطرة، وكانت من خشب، خرجت رجلٌ قَرِيبه من حذها فرمى به أسفلها، واعترضته خَشَبَةً نَابِتَةً^(٥) شَرَخَتْ وجهه، وسقط الفرس عليه، ففاضت نفسه، وكفاهم الله أمره يومئذ.

وفي مبارك ومظفر يقول أبو عمرو بن دراج القسطلّي، رحمه الله^(٦): [الطويل]

أثورك أم أوقدت بالليل نارك
لباغ قراك أو لباغ جوارك؟
ورّيك أم عرفت المجرأ أشعلت
بعود الكبراء والألوة^(٧) نارك؟
ومبسمك الوضاح أم ضوء بارق
خداه دعائي أن يجود ديارك؟
وخلخالك استنضيت أم قمر بدا؟
وشمس تبذت أم ألخت سوارك؟

(١) في أعمال الأعلام: «على تحليه». (٢) في المصادر: «وفروسة».

(٣) في أعمال الأعلام: «إنفاق».

(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ٢٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٣) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٥).

(٥) في الذخيرة: «نابية شدخت». وفي أعمال الأعلام: «ثانية شدخت».

(٦) ديوان ابن دراج القسطلّي (ص ١٠١ - ١٠٨). وورد منها في الذخيرة (ق ٣ ص ١١ - ١٢) فقط خمسة أبيات. وفي المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) بيت واحد. وورد معظمها في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٣ - ٢٢٥) ولكن بروي مختلف، فجاء بكاف مفتوحة تتبعها ألف، أي باستعمال ضمير المخاطب المذكور، هكذا: (جواركا).

(٧) الكبراء: ضرب من العود يتبخر به. وكذلك الألوة.

وَطُرَّةٌ صُبَّحَ امْ جَبِيئُكَ سَافِرًا
 أَغْرَبَ الصَّبَاحُ نُورَهُ امْ أَعَارَكَ؟
 وَأَنْتِ هَجَرْتِ^(١) اللَّيْلَ إِذْ هَزَمَ الضُّحَى
 كَتَائِبَهُ وَالصُّبْحُ لَمَّا اشْتَجَارَكَ
 فَلِلصُّبْحِ فِيمَا بَيْنَ قَرْطَنِكَ مَطْلَعٌ
 وَقَدْ سَكَنَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ خِمَارَكَ
 فَيَا لِنَهَارٍ لَا يَغِيضُ^(٢) ظِلَامُهُ
 وَيَا لَظِلَامٍ لَا يُغِيضُ^(٣) نَهَارَكَ
 وَتَجَسَّمُ الثُّرَيَّا امْ لَّالِ تَقَشَّصَتْ
 بِمِيزَانِكَ إِذْ ضَمُّخَتْهَا امْ يَسَارَكَ؟
 لِسُلْطَانِ^(٤) حُشْنٍ فِي بَدِيعِ مُحَامِيْنِ
 يَصِيدُ الْقُلُوبَ التَّافِرَاتِ نِفَارَكَ
 وَجُنْدٍ غَرَامٍ فِي دُرُوعٍ^(٥) صَبَابَةٍ
 تَقْلُدُنَّ أَقْدَارَ الْهَوَى وَاقْتِدَارَكَ
 هُوَ الْمُلْكُ لَا بَلْقَيْسُ أَذْرَكَ شَأْوَهَا
 مَدَاكِ وَلَا الرُّتَاءُ شَقَّتْ غُيَارَكَ
 وَقَادِحَةُ^(٦) الْجَوَازِ رَاغِيَتْ مَوْهِئًا
 بِسَحَرٍ هَوَاكَ امْ تَرَشَّصَتْ^(٧) دَارَكَ؟
 وَطَنُفُكَ أَشْرَى فَاسْتَشَارَ شَوْقِي
 إِلَى الْعَهْدِ امْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتَشَارَكَ؟
 وَمُوقِدُ^(٨) أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتَطَارَنِي
 امْ الرُّوحُ لَمَّا رُدُّ فِي اسْتَطَارَكَ؟
 فَكَمْ جُرَّتْ مِنْ بَخْرِ إِلَيَّ وَمَهْمَةٍ
 بِكَادُ يُنْسِي الْمُسْتَهَامَ أَذْكَارَكَ

(١) في الديوان وأعمال الأعلام: «أَجْرَبَتْ». (٢) في أعمال الأعلام: «لا يغيظ».
 (٣) في أعمال الأعلام: «بسلطان». (٤) في أعمال الأعلام: «ضلوع».
 (٥) في الديوان وأعمال الأعلام: (وقادحة). (٦) في أعمال الأعلام: «توشفت».
 (٧) في الديوان وأعمال الأعلام: «ومرئد».

أَذُو^(١) الْحَظُّ مَنْ عِلْمُ الْكِتَابِ حَدَاكَ^(٢) لِي؟
 أَمْ الْفَلَكُ الدُّوَارُ نَحْوِي أَدَارَكَ^(٣)؟
 وَكَيْفَ كُنْتِ اللَّيْلَ وَجْهَكَ مُظْلِمًا
 أَشْغَرَكَ أَغْشَيْتِ^(٤) السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ؟
 وَكَيْفَ اعْتَسَفْتِ^(٥) إِلَيْدَ لَا فِي ظَعَائِنِ
 وَلَا شَجَرُ الْخَطِيءِ خَفَّ شِجَارَكَ^(٦)؟
 وَلَا أَذَنَ الْحَيِّ الْجَمِيعُ بِرِخْلَةٍ
 أَرَاخَ لَهَا رَاعِي الْمَخَاضِ عِشَارَكَ^(٧)؟
 وَلَا أَرْزَمَتْ^(٨) خَوْصُ الْمَهَارِي مُجِيبَةً
 صَهِيلَ جِيَادٍ يَكْتَنِفْنَ قِطَارَكَ^(٩)؟
 وَلَا أَذْكَتِ الرُّكْبَانُ عَنْكَ عِيُونَهَا^(١٠)
 جِدَارَ عِيُونٍ لَا يَتَمَنَّ حِذَارَكَ
 وَكَيْفَ رَضِيتِ اللَّيْلَ مَلْبَسَ طَارِقِ
 وَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إِلَّا اسْتِنَارَكَ؟
 وَكَمْ دُونَ رَخْلِي مِنْ بَرُوجِ^(١١) مَشِيدَةٍ
 تُحْصِرُ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ مِزَارَكَ
 وَقَدْ زَارَتْ حَوْلِي أَسْوَدُ تَهَامَسَتْ
 لَهَا الْأَسَدُ أَنْ كُفِّي عَنِ السَّمْعِ زَارَكَ
 وَأَرْضِي سَيُولُ مِنْ خِيُولٍ مُظْفَرِ
 وَلَيْلِي^(١٢) تُجُومُ مِنْ سَمَاءِ^(١٣) مُبَارَكَ

(١) في أعمال الأعلام: «إذا».

(٢) في الذخيرة: «هداك».

(٣) في أعمال الأعلام: «يحمي أذكارك».

(٤) في الديوان وأعمال الأعلام «أغشيت» بالغين المعجمة.

(٥) في أعمال الأعلام: «عسفت».

(٦) الشجار، بفتح الشين وكسرهما: هو خشب هودج النساء.

(٧) العشار من الإبل: الحوامل التي مضت عليها عشرة أشهر.

(٨) في أعمال الأعلام: «أزحت».

(٩) القطار: هو أن تشد الإبل على نسقٍ واحدًا خلف واحد.

(١٠) إذكاء العيون: هو إرسال الطلائع.

(١١) في الديوان: «تصور».

(١٢) في أعمال الأعلام: «وليل».

(١٣) في الذخيرة: «رماح». وفي أعمال الأعلام: «سيوف».

بحيث وَجَدْتُ الْأَمْنَ يَهْتِفُ بِالْمُنَى
 هَلُمِّي إِلَى غَيْثَيْنِ^(١) جَادَا سَرَارَكَ^(٢)
 هَلُمِّي إِلَى بَخْرَيْنِ قَدْ مَرَجَ التُّدَى
 غُبَابَيْهِمَا لَا يَسْأَمَانِ انْتَظَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى سَيْفَيْنِ وَالْحَدُّ وَاجِدُ
 يُجِيرَانِ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ جَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى طَرْفَيْنِ رِهَانِ تَقْدَمَا
 إِلَى الْأَمَدِ الْجَالِي عَلَيْكَ اخْتِيَارَكَ
 هَلُمِّي إِلَى قُطْبِي نَجُومِ كِتَائِبِ
 تَنَادِي نَجُومَ الشَّمْسِ غُورِي مَغَارَكَ^(٣)
 وَخَيْي عَلَى دَوْخَيْنِ جَادَا^(٤) نَدَاهُمَا
 ظِلَالُكَ وَاشْتَدْنِي إِلَيْكَ^(٥) ثِمَارَكَ
 وَبُشْرَاكَ قَدْ فَازَتْ قِدَاحُكَ بِالْعُلَا^(٦)
 وَأَعْطَيْتِ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ خِيَارَكَ
 شَرِيكَانِ فِي صِدْقِ الْمُئْتَى وَكِلَاهُمَا
 إِذَا قَارَنَ^(٧) الْأَقْرَانُ غَيْرُ مُشَارَكَ
 هَمَا سَمِعَا دَغْوَاكَ يَا دَعْوَةَ الْهَدَى
 وَقَدْ أَوْثَقَ الدَّهْرُ الْخَوْوُنَ إِسَارَكَ
 وَسَلَا سَيُوقًا لَمْ تَزَلْ تَلْتَظِي أَمْسَى^(٨)
 بِثَارَكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ لَكَ ثَارَكَ
 وَيَهْنِيكَ يَا دَارَ الْخِلَافَةِ مِنْهُمَا
 هَلَالَانِ لَاحَا يَرْفَعَانِ مَسْنَارَكَ
 كِلَا الْقَمَرَيْنِ بَيْنَ غَيْثِيهِ غُرَّةُ
 أَنْارَتِ^(٩) كُسُوفَيْنِكَ وَجَلَّتْ مِرَارَكَ

-
- (١) في أعمال الأعلام: «غَيْثَيْنِ».
 (٢) سَرَارِ الْأَرْضِ: أَوْسَطُهَا وَأَكْرَمُهَا.
 (٣) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ فِي الدِّيَوَانِ.
 (٤) فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «مَدَّ».
 (٥) فِي الدِّيَوَانِ «إِلَيَّ».
 (٦) فِي الدِّيَوَانِ وَأَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «بِالْمُنَى».
 (٧) فِي الدِّيَوَانِ «بَارَزًا» وَفِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «بَارِزًا».
 (٨) فِي أَعْمَالِ الْأَعْلَامِ: «أَذَى فَتَارَكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ فَتَارَكَ».
 (٩) فِي الْأَصْلِ: «أَثَارَتِ» وَالتَّصْرِيحُ مِنَ الدِّيَوَانِ.

فَقَادَ إِلَيْكَ الْخَيْلَ شُغْفًا شَوَازِيَا
يُلَبِّسِينَ بِالسُّنْصُرِ الْعَزِيزِ انْتِصَارَكَ
سَوَابِقَ هَيْجَاءٍ كَأَنَّ صَهِيلَهَا
يُجَاوِبُ تَحْتَ الْخَافِقَاتِ شِعَارَكَ
بِكُلِّ سَرِيٍّ الْعِشْقِ سَرَى عَنْ الْهُدَى
وَكُلِّ خَمِيٍّ الْأَنْفِ أَخْمَى ذِمَارَكَ
تَحَلُّوا مِنَ الْمَنْصُورِ نَضْرًا وَعِزَّةً
فَأَبْلَوْكَ فِي يَوْمِ الْبَلَاءِ اخْتِيَارَكَ
إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمَ الطَّعَانِ لِمَامِرٍ
فَعُمُرَكَ يَا هَامَ الْعِدَى لَا عَمَارَكَ!
يَقْرُدُهُمْ مِنْهُمْ سِرَاجًا كَتَائِبُ
يَقُولَانِ لِلدُّنْيَا: أَجْذَى افْتِخَارَكَ
إِذَا افْتُرَّتِ الرَّايَاتُ عَنْ غُرَّتَيْهِمَا
فِيَا لِلْعِدَى أَضَلَّتْ مِنْهُمْ فِرَارَكَ
وَإِنْ أَشْرَقَ النَّادِي بِنُورِ سَنَاهُمَا
فَبُشِّرِ الْأَمَانِي: عَيْنَكَ^(١) لَا ضِمَارَكَ^(٢)
وَكَمْ كَشَفَا^(٣) مِنْ كُزْبَةٍ بَعْدَ كُزْبَةٍ
تَقُولُ لَهَا النِّيرَانُ: كُفِّي أَوَارَكَ
وَكَمْ لَبَّيَا مِنْ دَعْوَةٍ وَتَدَارَكَا
شَفَى زَمَقٍ مَا كَانَ بِالْمُتَّذَارَكَ
وَيَا نَفْسَ غَاوٍ، كَمْ أَقْرَا نَفَارَكَ
وَيَا رَجُلَ هَاوٍ، كَمْ أَقَالَا عَثَارَكَ
وَلَسْتُ بِبِذْعٍ حِينَ قُلْتُ لِهَيْمَتِي
أَقْلِي لِإِغْتَابِ الزُّمَانِ انْتِظَارَكَ

(١) كذا في الأصل وفي الديوان، ولكي يستقيم الوزن ينبغي أن ننطق هذه الكلمة بإشباع كسرة الكاف هكذا: «عَيْنِيكَ».

(٢) الضمار: خلاف العيان.

(٣) في الأصل: «كشفتنا» ونعتقد أنه خطأ في الطبع.

فَلله صِدْقُ الْعَزْمِ آيَةً^(١) غِرَّةٌ
 إِذَا لَمْ تُطِيعِي فِي «لَعْل» اغْتِرَارَكَ
 فَإِنْ غَالَتِ الْبَيْدُ اصْطَبَارَكَ وَالسُّرَى
 فَمَا غَالَ ضَمِيمُ الْكَاشِحِينَ اصْطَبَارَكَ
 وَيَا خُلَّةَ التُّسْوِيفِ، قُومِي فَأَغْدِفِي^(٢)
 قِنَاعَكَ مِنْ دُونِي وَشُدِّي إِزَارَكَ
 وَحَسْبُكَ بِي يَا خُلَّةَ النَّايِ خَاطِرِي
 بِتَنْفِيسِي إِلَى الْحِظِّ التُّفَيْسِ حِطَارَكَ
 فَقَدْ آنَ إعْطَاءُ الثُّوَى صَفْقَةُ الْهُوَى
 وَقَوْلُكَ لِلْأَيَّامِ: جُورِي مَجَارَكَ^(٣)
 وَيَا سُتْرَ الْبَيْضِ الثُّوَاعِمِ، أَغْلِنِي^(٤)
 إِلَى الْيَغْمَلَاتِ وَالرُّحَالِ بِدَارَكَ^(٥)
 نَوَاجِي وَاسْتَوْدَعْتُهِنَّ نَوَاجِيَا
 حِفَاظَكَ يَا هَذِي بِذِي وَازْدِمَارَكَ^(٦)
 وَدُونُكَ أَفْلَاذَ الْبَفْؤَادِ قَشْمُورِي
 وَدُونُكَ يَا عَيْنَ اللَّيْلِ اعْتِبَارَكَ
 صَرَفْتُ الْكُرَى عَنْهَا بِمُقْتَبَقِ السُّرَى
 وَقُلْتُ: أَدِيرِي وَالنَّجْمَ عَقَارَكَ
 فَإِنْ وَجَبَتْ لِلْمُقَرَّبِينَ جُئُوبُهَا^(٧)
 فِدَاوِي بِرُقْرَاقِ السُّرَابِ خُمَارَكَ
 فَأُورِي^(٨) بِزُنْدِي سُدْقَةَ وَدُجْنَةِ
 إِذَا كَانَتْ لِي مَرْخُكُ وَعَفَارَكَ^(٩)

(١) في أعمال الأعلام: «آية».

(٢) في الأصل: «فأغدقي» والتصويب من المصدرين. وأغْدَفَ القناع: أرسله.

(٣) في الديوان: «حوري محارك» بالحاء المهملة.

(٤) في أعمال الأعلام: «اعلمي».

(٥) في الديوان: «ميرارك».

(٦) الازدمار بالشيء: الاحتفاظ به.

(٧) في أعمال الأعلام: «وجوبها».

(٨) في الديوان: «وأوري».

(٩) المَرْخُ والغفار: ضربان من الشجر، ذكرهما الشاعر؛ لأن النار تقدح من أغصانهما، ولهذا قالعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. ونلاحظ هنا أن «مرخك» ينبغي أن تنطق بإشباع كسرة الكاف حتى يستقيم الوزن.

وإن خَلَعَ السَّيْلُ الأصَائِلَ فاخْلُعي
إلى المَلِكَيْنِ الأَكْرَمَيْنِ عِذارَكَ
بَلْثَسِيَّةً مَثْوًى الأمانِي فاطْلُبي
كُتُورَكَ في أَقْطَارِهَا^(١) واَدْخَارَكَ
سَيْثِيكَ رَجْرِي عن بلاءِ نَسِيثُهُ
إذا أَضْبَحْتَ تلكَ القُصُورُ قُصَارَكَ
وأظْفِرَ سَغْيَ الرُّضَا مِن مُظْفَرٍ
ويُورِكَ لي في حُسْنِ رَأْيٍ مُبَارَكَ^(٢)
قَصِي^(٣) المني قد شامَ بَارِقَةُ الحَيَا
وَأَنْشِثَتْ يا ظِلُّ الرُّجَاءِ حُورَكَ^(٤)
وَحَمْدًا يَمِينِي قد تَمَلَّاتِ بِالمُنَى
وَشُكْرًا يَسَارِي قد خَوَّيْتَ يَسَارَكَ
وَقُلْ لِسَمَاءِ المُرْنِ: إن شئتِ أَقْلُعي
ويا أَرْضِهَا^(٥) إن شئتِ غِيْضِي بِحَارَكَ
ولا تُوجِشِي يا دَوْلَةَ المِرِّ والمُنَى^(٦)
مَسَاءَكَ مِن نُورِنِهما وابْتِكَارَكَ

وصولهما إلى غرناطة: وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المرتضى،
وكان من انهزام الجميع بظواهرها، وإيقاع الصناهجة^(٧) بهم ما هو معلوم حسبما مرَّ
ويأتي بحول الله.

(١) في أعمال الأعلام: «أعطانها».

(٢) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد في المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) وجاءت فيه رواية صدر البيت
هكذا:

وأظْفَرْتُ آمَالِي بِقَضْدِ مُظْفَرٍ

(٣) في الديوان: «قُظْمٌ».

(٤) الظُّر: المرضعة، والحُور: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم. وأنشَق الدابة ولذها: قرَّبه
إليها حتى تشمه.

(٥) في الديوان وأعمال الأعلام: الندى.

(٦) في الديوان: «ويا أَرْضًا».

(٧) أي الإيقاع بجند صنهاجة.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء

بل ومن ترجمة الطارئین والغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
يكنى أبا علي.

أوليته: معروفة، قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه.

حاله: كان، رحمه الله، فتى القوم، لسيّنا، مَفْوَهَا، مُذْرَكًا، متعاطيًا للأدب والتاريخ، مُخَالَطًا لِلثُّبْلَاءِ، مُتَسَوِّرًا خُلُقَ الْعُلَمَاءِ، غَزَلًا، كَلَفًا بِالْدُّعَابَةِ، طُرْفَةً مِنْ طُرْفِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَوِيَّ الشُّكِيمَةِ، جَوَادًا بِمَا فِي وَسْعِهِ، مُتَنَاهِيًا فِي الْبِدَانَةِ. دخل غرناطة في الجُمْلَةِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَبَنِي عَمِّهِ، مُغْرِبِينَ عَنْ مَقَرِّ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى شَهْرِ ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وَرَكِبَ الْبَحْرَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، عِنْدَمَا لَحِقَ أَخُوهُ عَبْدِ الْحَكِيمِ بِالْمَغْرِبِ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَلاَحَتْ لَهُ بَارَقَةٌ لَمْ تَكُ تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ، فَبَادَرَ إِلَى مُظَاهَرَتِهِ فِي جَفْنٍ غَزَوِيٍّ^(١) مِنْ أَسْطُولِ الْأَنْدَلُسِ، وَصَحِبَهُ قَوْمٌ مِمَّنْ يَخْطُبُ الْخُطُوطَ، وَيَبْتَدِرُ رَمَقَ الدُّوَلِ، وَهَالِ عَلَيْهِمُ الْبَحْرَ، فَطَرَحَ الْجَفْنَ بِأَخْوَازِ غَسَّاسَةٍ، وَقَدْ عَادَتْهَا مُلْكَةٌ عَدُوُّهُمْ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ، وَأَدْخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ فِي الثَّانِي لِرَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ الْعَامِ، مَشْهُورَ الْمَرْكَبِ عَلَى الظُّهْرِ، يُضْرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبْلٌ لِلشُّهْرَةِ، وَنَاقُورُ الْمُثَلَّةِ، وَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ، فَأَبْلَى بِمَا رَاقَ الْحَاضِرِينَ مِنْ بَيَانِهِ مِنَ الْعُدْرِ لِلخُرُوجِ بِالِاسْتِمَالَةِ حَتَّى لَرُجِي خِلَاصُهُ، وَاسْتَقَرَّ مُثَقَّفًا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَرَاغِيفُ، وَيُحُومُ حَوْلَ مَطْرَحَةِ الْإِخْتِبَارِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

شعره: أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطَيْبَةَ مِنْ شِعْرِهِ، وَكَانَ صَاحِبَهُ فِي الرِّحْلَةِ، وَمُزَامِلُهُ فِي أَسْطُولِ الْمُنْحَسَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: [مخلع البسيط]

سوف ننالُ المُنَى ونَرْقَى	مَراقِي العِزِّ والمَعَالِي
إِذَا حَطَّطْنَا بِأَرْضِ فَاسَ	وَحُكِّمَتْ فِي الْعِدَى الْعَوَالِي
فَأَنْتَ عِنْدِي بِهَا حَقِيقٌ	يَا حَائِزَ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ

(١) الْجَفْنُ وَالْجَفْنَةُ: وَاحِدَةُ الْأَجْفَانِ، وَهُوَ سَفِينَةٌ حَرْبِيَّةٌ دَائِرِيَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالْقَصْعَةِ، مِنْ سَفْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، اِهْتَمَّ بِهَا الْمَغْرِبُ الْإِسْلَامِيُّ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ لَهَا. وَإِذَا أُضِيفَتْ لَفْظَةُ «جَفْنٍ» هُنَا إِلَى صِفَةِ «غَزَوِيٍّ» فَإِنَّهَا تَصَافُ أَيْضًا إِلَى «بَحْرِيٍّ» وَ«حَرْبِيٍّ»، فَيَقَالُ: جَفْنٌ بَحْرِيٌّ، وَجَفْنٌ حَرْبِيٌّ. كَذَلِكَ اسْتَعْمِلَ الْجَفْنَ إِلَى جَانِبِ الْحُرُوبِ، فِي نَقْلِ الْمَتَاجِرِ. رَاجِعِ السَّفْنَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ (ص ٢٣ - ٢٧) وَتَكْمِلَةِ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ (ج ٢ ص ٢٣١).

وفاته: في وسط جمادى الأولى من العام^(١)، دُخل عليه في بيت مُعْتَقَلِه فُقُتِل، ودُفِن ببعض مدافنهم، رحمة الله عليه.

مُقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب، وقال فيه أبو القاسم الغافقي: من أهل غرناطة، ويُلقَّب بذي الوزارتين، ويعرف بالرُّيَّة^(٢) لِحُمْرَةِ كانت في وجهه.

حاله: كان من الفُرسان الشجعان، لا يُضْطَلَى بناره، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال. وولاه الأمير عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس مدينة أَلْيُسَانَة^(٣)، والتقى به ابن عباد وأخذ بِمُخَنَّقِهَا، وكان عبد الله يَحْذَرُه. وعندما تحقَّق حركة اللمتونيين^(٤) إليه، صَرَفَه عن جهته، فقلَّ لذلك ناصِرُه، وأسرع ذهابُ أمره.

شجاعته: قال: وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلْقَيْن، أمير غرناطة، وقيعة النّيبِل في صدر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وجُرح وجهه، ومزق دِزَعُه بالطّغْن والضُّرب. وذكر من حضرها ونجا منها، قال: كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر، وحملتُ التُّرس ولم أعلم به، وحملني الله إلى طريق مَنجاة فركبتُها، مرّة أقع ومرّة أقوم، فأدركتُ فارسًا على فرس أذهم ورُمَحُه على عاتقه، ودَرَقتُه على فخذِه، ودرعه مُهتَكة بالطّعن، وبه جُرح في وجهه يُثَعِب دَمًا تحت مِغْفَرِه، وهو مع ذلك ينهض على رَسله، فرجعت إلى نفسي فوجدتُ ثِقَلًا، فتذكرت التُّرس، فأخرجتُ جِمَالته عن عاتقي، وألقيته عني، فوجدتُ خِفَّةً، وعدتُ إلى العَدُو، فصاح ذلك الفارس: خُذ التُّرس، قلت: لا حاجة لي به، فقال: خُذْهُ، فتركته ووليتُ مسرعًا، فهمز فرسه ووضع سِنان رُمَحِه بين كتفَيَّ، وقال: خذ الترس، وإلا أخرجته بين كتفك في صدرك، فرأيت الموت الذي قررت منه، ورجعت إلى الترس فأخذته، وأنا أدعو عليه، وأسرعت عَدُوًا، فقال لي: «على ما كنتُ فليكن عدوك»، فاستعذتُ

(١) أي عام ٧٦٣ هـ.

(٢) هذه الكلمة إسبانية El Rojo، ومعناها الأحمر.

(٣) أَلْيُسَانَة أو اللُّسَانَة: بالإسبانية Lucena، وهي إحدى مدن غرناطة، وتسمى مدينة اليهود؛ لأن اليهود كانوا يسكنون بجوفها ولا يداخلهم فيها مسلم البتة، وكان لها رِبط يسكنه المسلمون وبعض اليهود. راجع مملكة غرناطة (ص ٦٣).

(٤) اللمتونيون: هم المرابطون، إذ تحرّكوا إلى غرناطة سنة ٤٨٣ هـ لمقاتلة أميرها عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس بن حبوس الزيري. راجع مملكة غرناطة (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

وقلت: ما بعثه الله إلا لهلاكى، وإذا قطعة من خيل الروم قد بصرت به، فوقع في نفسه أنه يُسرع الجري فيسلم وأقتل، فلما ضاق الطلق ما بينه وبين أقربهم منه، غطف عليه كالعقاب، وطعنه ففطره، وتخلص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، ومال على الثالث فانهزم منه، فرجع إليّ، وقد بهت من فعله، ورشاش دم الجرح يتطاير من قناع المغفر لشدة نفسه، وقال لي: يا فاعل، يا صانع، أثلقي الرمح ومعك مقاتل الرّيه؟

انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة

ومن السفر التاسع من ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي

من البيرة.

حاله: كان شيخاً مضعوباً يغلب عليه البله، من أهل الثعينة والحسب والأصالة، عريقاً في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. ولي قضاء البيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رفعت إليه امرأة كتاب صداقها، فقال: الصداق مفسوخ، وأنتم على حرام، فافترقا، فترق الله بينكما. ثم رمى بالصداق إلى من حوله، وقال: عجبا لمن يدعي فقها ولا يعلمه، أو يزعم أنه يوثق ولا يثقنه، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصداق، وهو مفسوخ، ما أحقه أن يُغرّم ما فيه. فدار الصداق على يدي كل من حضر، وكل يقول: ما أرى موضع فسخ، فقال: أنتم أجهل من كاتبه، لكنني أغدركم؛ لأن كل واحد منكم يستر على صاحبه خطأه، انظروا وأمنحكم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئا يوجب فسخا. فدنا منه محمد بن قطيس الفقيه، فقال: أصلح الله القاضي، إن الله منحك من العلم والفهم ما نحن مقرّون بالعجز عنه، فأفدنا هذه الفائدة، فقال: اذن، فدنا منه، فقال: أوليس في الصداق: «ولا يمنعها زيارة ذوي محارمها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ ولولا معرفتي بمحبّتك ما أعلمتُك. فشكره الشيخ، وأخذ بطرف لحيته يجره إليه حتى قبلها، وكان عظيم اللحية طويلا، شيمة أهل هذه الطبقة. قال ابن قطيس: أنا المخصوص بالفائدة، ولا أعرف بها إلا من تاذن بتعريفه إياها، فتبسّم القاضي معجبا بما رأى،

وَشَفَعُوا إِلَيْهِ أَنْ لَا يَفْسخَ الصُّدَاقُ، وَقِيلَ لِلزَّوْجَيْنِ: لَا تَطْلُبَا بِهِ عِنْدَهُ شَيْئًا. وَوُلِّيَ قَضَاءَ جَيَّانَ.

ومن الطارئين والغرباء

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل المربة، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس وأفصحهم، ومن أهل التّعِين والعناية التامة، واستُفْضي بالمربة.

مُشِيخته: سمع من أبي محمد الإصبهاني، ورحل وروى عن أبي ذرّ الهَرَوِي.

توَالِيْفُه: ألف كتابًا في «شرح البخاري»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وقيل سنة...^(١).

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون

مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرّج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرّج^(٢)

المُنْزَل بُوَادِي الْحِجَارَةِ بِمَدِينَةِ الْفَرَجِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ الْآنَ.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لي بخطه بسبّته، وهو مصمودي ثم شَضَادِي مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ، مَالِقِي، سَكَنَ سَبْتَةَ طَوِيلًا ثُمَّ مَدِينَةَ فَاسٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى سَبْتَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَبِأَخْرَةِ فَاسٍ، يَكْنَى أَبَا الْحَكَمِ وَأَبَا الْمَجْدِ، وَالْأَوَّلَى أَشْهَرُ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ الْمُرْحَلِ، وَصَفَّ جَرَى عَلَى جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَمَّا رَحَلَ مِنْ شَتْمَرِيَّة^(٣)، حِينَ إِسْلَامِهَا لِلرُّومِ عَامَ خَمْسَةِ وَسْتِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ.

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة مالك بن عبد الرحمن بن الفرّج، المعروف بابن المرحّل، في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨٤) وجلوة الاقتباس (ص ٢٢٣) وهدية العارفين (ج ١ ص ١).

(٣) شتّمريّة: بالإسبانية Santa María de Algarve، وتسمى أيضًا: شتّمريّة الشرق، وهي من مدن أكشونية، ومن حصون بنبلونة، على ضفة نهر أرغون. الروض المعطار (ص ٣٤٧).

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعر رقيق مطبوع، متقدم، سريع البديهة، رقيق الأغراض، ذاكر للأدب واللغة. تحرف مدة بصناعة التوثيق ببلده، وولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعر أغلب عليه. وذكره ابن خلد، وابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يستوف له ما استوفى لغيره، وأما ابن خلد، فقصر به، إذ قال: كانت نشأته بمالقة بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميز بحسب، ولم يتقدم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوضه بالظهور من الخمول نظمته ونثره، فطلع في جبين زمانه غرة منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه ذرة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيه بإدراك كل معنى وسيم. والإنصاف فيه ما ثبت لي في بعض التقييدات، وهو الشيخ الميسن المغمر الفقيه، شاعر المغرب، وأديب ضفّعه، وحامل الزاية، المعلم بالشهرة، المثل في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وإثبات القريحة، وإسترسال الطبع، والتفاد في الأغراض. استعان على ذلك بالعلم، بالمقاصد اللسانية لغة وبياناً وعربيةً وعروضاً، وحفظاً واضطلاحاً، إلى نفوذ الذهن، وشدة الإدراك، وقوة العارضة، والتبريز في ميدان اللوذية، والقحة والمجانة، المؤيد ذلك بخفة الروح، وذكاء الطبع، وحرارة النادرة، وحلاوة الدعابة، يقوم على الأعرية والأخبار، ويشارك في الفقه، ويتقدم في حفظ اللغة، ويقوم على الفرائض. وتولى القضاء. وكتب عن الأمراء، وخدم واسترقد، وكان مقصوداً من رواة العلم والشعر، وطلاب الملح، وملمسي الفوائد، لِسعة الذرع وانفساح المعرفة، وعلو السن، وطيب المجالسة، مهيأ مخطوب السلامة، مرهوباً على الأغراض، في شذقه شفرته وناره، فلا يتعرض إليه أحد ينقد، أو أشار إلى قناته بغمز، إلا وناط به آبد، تركته في المثلثات، ولذلك يخس وزنه، واقتحم جماء، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسبع على أبي جعفر بن علي الفخار^(١)، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره. وصحب وجالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الإستعجي، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد^(٢)، وانتفع بهم في الطريقة، وبفاس أبا زيد اليرناسني الفقيه. ولقي بإشبيلية أبا

(١) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): المقرئ أبو جعفر الفحام.

(٢) رضوان بن خالد المخزومي من مالقة، كان أديباً شاعراً مجيداً، توفي سنة ٦٤٢ هـ. ترجمته في التكملة (ج ١ ص ٢٥٩) واختصار القدر المعلى (ص ١٨٥).

الحسن بن الدِّبَاغ، وأبا علي الشُّلُوبِين، وأبا القاسم بن بَقِي، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك، وجماعة.

دخوله غرناطة: قال ابن الزبير^(١): تكرر قدومه علينا بغرناطة، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمئة. وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا: أنشد السلطان الغالب بالله، بمجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. وقال غيره: أقام بغرناطة، وعقد بها الشروط مدة. وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيّاب: ولي القضاء بجهات من البشارات^(٢)، وشكى للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر^(٣)، يا مَشُور^(٤)، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكّل، فقال أبو الحكم، رحمه الله، عند وقوفه عليه: قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» وهي من المقاصد النبيلة.

توالياً: وهي كثيرة متعددة، منها شعره، والذي دُون منه أنواع، فمنه مختاره، وسمّاه بالَجُولات، ومنه الصدور والمطالع. وله العَشْرِيَّات والتَّبَوِيَّات على حروف المُعْجَم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الرّوي، وسمّاه، «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى». وعَشْرِيَّاته الزُّهْدِيَّة، وأرجوزته المسماة «سلك المُنْخَل»، لمالك بن المُرْخَل، نظم فيها مُنْخَل أبي القاسم بن المَغْرِبِي، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة، والأرجوزة المسماة «اللؤلؤ والمرجان» والمُوطَأة لمالك. والأرجوزة في العروض. وكتابه في كان ماذا، المسمّى «بالرّمي بالحصا»، إلى ما يَشُقُّ إحصاءه، من الأغراض النبيلة، والمقاصد الأدبية.

شعره: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: كان مُكثراً من النُّظْم، مُجيداً، سريع البديهة، مُسْتَغْرِق الفكرة في قَرْضه، لا يَفْتَر عنه حيناً من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، وأخبرني أنه دأبه، وأنه لا يَقْدِر على صَرْفه من خاطره، وإخلاءً بآله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المُزمنة. واشتهر نظمه، وذاع شعره، فَكَلِفَتْ به السنة الخاصّة والعامة، وصار رأس مال المُسْتَمْعِينَ

(١) قارن بالذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧).

(٢) في الذيل والتكملة: «ولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها». والبشارات أو البشارة أو البُشَرَات، Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفع الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

(٣) أشكر، بالإسبانية Huescar، وهو حصن يقع شمال شرقي غرناطة.

(٤) في الأصل: «تشر» وهو تحريف. ومَشُور: كلمة إسبانية: Macho وتعني: التيس.

والمُعْتَنِينَ، وهَجِيرَ الصَّادِرِينَ والوَارِدِينَ، ووسيلة المُكَيِّدِينَ، وطرَّازَ أُوْرَادِ المؤْذَنِينَ وبطائقة البَطَالِينَ، ونحن نجتزئ منه بنبد من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء الله. فمن ذلك في غرض النسيب: [الكامل]

دَيْفَ تَسْتُرَ بِالْغَرَامِ طَوِيلَا
بُسِطَ الْوِصَالِ فَمَا تَمَكَّنَ جَالِسَا
يَا سَادَتِي، مَاذَا الْجَزَاءُ^(١) قَدِيتُكُمْ
قَالُوا تَعَاظَى الصُّبْرَ عَنْ أَحِبَابِهِ
مَا ذَاقَ إِلَّا شَرْبَةً مِنْ هَجْرِنَا
أَيَقُولُ: عِشْتُ وَقَدْ تَمَلَّكَ الْهَوَى؟
خَلَفَ الْغَرَامُ بِحُبِّنَا وَجَمَالِنَا
إِنَّ الْجُفُونَ هِيَ السُّيُوفُ وَإِنَّمَا
قُلْ لِلْحَبِيبِ وَلَا أَصْرُحْ بِاسْمِهِ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ
وَلَكُمْ شَرِبْتُ صَفَاءً^(٢) وَذَكَ خَالِصًا
يَا^(٣) غُضُنْ بَانَ بَانَ عَنِّي ظِلُّهُ
اغْطِفْ عَلَى الْمُضْنَى الَّذِي أَخْرَقْتَهُ
فَارَقْتَهُ فَتَقَطَّعَتْ أَفْلَادُهُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ التَّغْيِيرُ لَمْ يَسَلْ
يَا رَاحِلًا عَنِّي بِقَلْبٍ مُغْضَبٍ
قُلْ لِلصُّبَا: هَيَّجَتْ أَشْجَانُ الصُّبَا
هَلْ لِي رَسُولٌ فِي الرِّيَّاحِ؟ فَإِذَا^(٤) مَنْ
يَا لَيْتَ شِغْرِي، أَيْنَ قَرُّ قَرَارِهِ؟
إِنْ لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الْوِصَالُ كَعَهْدِنَا

وَقَالَ نَسِيًّا وَمَدَحًا: [الكامل]

أَعْدَى عَلَيَّ هَوَاءُ خَضَمَ جَفُونَهُ
مَا لِي بِهِ قَبْلَ وَلَا بِفَنُونِهِ

(١) في الأصل: «الجزاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «صفا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «فيا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «فاز» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

إِنْ لَمْ تُجِرْنِي مِنْهُ رَحْمَةً قَلْبِهِ
صَابَ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَصْبَى مُهْجَتِي
مُتَمَكِّنٌ فِي الْحُسْنِ نُونٌ صِدْغُهُ
تُسَابُ عَقْرَبُ صِدْغِهِ فِي جَنَّةٍ
وَلَوْ ضَفِيرَتُهُ فَوَلَّى مُذْبِرًا
قَدْ أَظْمَعَتْنِي فِيهِ رَقَّةٌ خَذَهُ
وَرَجَوْتُ لَيْنَ قِوَامِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ
شَاكِي السَّلَاحِ وَمَا الَّذِي فِي جَفْنِهِ
نَادِيَتُهُ لَمَّا نَدَّتْ لِي بِسِيْنَتِهِ
رُحْمَاكَ فِي دَنْفٍ غَدَا وَحَيَاتُهُ
إِنْ لَمْ تَمُنْ عَلَيَّ مِثْلَ رَاحِمٍ
وَلِذَا أَبَيْتُ سِوَى سِمَاتِ عَدُوِّهِ
مَسْنِيخُهَا فِي بَابِ أَرُوعِ مَا جِدِ
حَيْثُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالْعَلَا
بَذَرٌ وَفِي الْحُسْنِ بَنُ أَحْمَدِ التَّقَاتِ
تَبَغِي مُنَاهَا فِي مِנَاهَا عِنْدَهُ
فَرَعٌ مِنَ الْأَصْلِ الْيَمَانِيِّ طَيِّبٌ
يُبْدِي الْبَشَاشَةَ فِي أَسِيرَةٍ وَجْهَهُ
بَسَطَتْ شَمَائِلُهُ الزَّمَانُ^(١) كَمَثَلِ مَا
يُثْنِي عَلَيْهِ كُلُّ فِعْلٍ سَائِرِ

ومن النسيب قوله: [البسيط]

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلاً
تالله ما قصر العذال في عدلي
أما السُّلُو فشيء لست أعرفه
جُفُونٌ غَيْرِي أَصَحَّتْ بَعْدَ مَا قَطَرَتْ
وَعُضُنْ بَانَ تَقْنَى مِنْ مَعَاظِفِهِ

مَنْ ذَا يُجِيرُ عَلَيْهِ مِلْكَ يَمِينِهِ؟
فَعَبَدْتُ نَوْرَ الْحُسْنِ فَوْقَ جَبِينِهِ
فَتَبَيَّنَ التَّمَكُّينُ فِي تَتْوِينِهِ
لَمْ يَجْنِ مِنْهَا الصُّبُّ غَيْرَ مُنُونِهِ
فِعْلَ الْكَلِيمِ اِزْتَاغٌ مِنْ تَبْيِينِهِ
لَوْ أَمَكَّنْتَنِي فِيهِ رَقَّةٌ دِينِهِ
كَالرُّمَحِ شِدَّةٌ طَلَعْنَاهُ فِي لِينِهِ
أَعْدَى عَلَيَّ مِنَ الَّذِي بِجُفُونِهِ
وَشَعَرْتُ مِنْ لَفْظِ السَّلَامِ بِسِينِهِ
مَمَائِهِ وَجِرَاكِهِ كَسُكُونِهِ
فَمُنَاهُ أَنْ يَلْقَاهُ رَبُّ مُنُونِهِ
فَأَمَائِهِ مِنْ ذَاكَ ظَهَرُ أَمُونِهِ
فِيرَى مَحَلَّ الْفَضْلِ حَقُّ يَقِينِهِ
فِي حَدِّ مَجْدِ جَامِعِ لَفُونِهِ
تُجِبُّ مَرَزْنَ عَلَى الْعَطَا بِرُكُوبِهِ
وَتَطُوفُ بِالْحَاجَاتِ عِنْدَ حَاجُونِهِ
وَرِثَ الْبَيَانَ وَزَادَ فِي تَبْيِينِهِ
طَوْرًا وَيَحْمِي الْعِزَّ فِي عِزْنِينِهِ
بَسَطَ الْغِنَاءُ^(٢) نَفُوسَنَا بِلُحُونِهِ
كَالْمِسْكِ إِذْ يَثْنِي عَلَى دَارِينِهِ

لَبَّى الْخِيَارِ وَأَمَّا فِي هَوَاهُ فَلَا
لَكُنْ أَبَتْ أَدْنَى أَنْ تَسْمَعَ الْعَدْلَا
كَفَى بِخَلِّكَ عَذْرًا أَنْ يُقَالَ سَلَا
وَقَلْبُ غَيْرِي صَحَا مِنْ بَعْدِ مَا ثَمَلَا
سَقَيْنَهُ الدَّمْعَ حَتَّى الثَّمَرِ الْعَدْلَا

(١) في الأصل: «الزمان»، وكلما ينعكس الوزن. (٢) في الأصل: «الغناء».

آثَرْتُهُ^(١) ونَسِيمَ الشَّغَرِ آوَنَةً
 أَمَلْتُ وَالْهَيْمَةَ الْعَلِيَاءَ طَامِحَةً
 وَقَالَ: إِيهَا طُفَيْلِي وَمُقْتَرَحُ
 يَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي
 نَيْطَتْ خَذَيَّ خَوْفَ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ
 تُقْبِلُ الْأَرْضَ أَعْضَائِي وَتَخْدُمُهُ
 يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ
 فَكَلَّمَا مَالٍ مِنْ أَغْطَافِهِ اغْتَدَلَا
 وَلَيْسَ فِي النَّاسِ إِلَّا آمَلٌ أَمَلَا
 أَلَسْتُ عَبْدِي وَمَمْلُوكِي؟ فَقُلْتُ: بَلَى
 بِحُسْنِهِ وَبِحَبْتِي فَاضْرِبِ الْمَثَلَا
 إِذَا أَشَارَ بِأَدْنَى لَحْظِهِ قَتَلَا
 إِذَا تَجَلَّى بِظَهْرِ الْغَيْبِ وَاتَّصَلَا
 مِثْلِي وَمِثْلُ فَوَادِي يَخْدُمُ الدُّوَلَا

ومن نظمه في غروض يخرج من دوبيتي مجزوا، مُقْصِرًا قوله ومُلْحَحه في اختراع
 الأعاريض كثيرة:

الصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَائِلٌ
 وَالذَّمْعُ لِسَائِلِي جَوَابُ
 وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالِ
 لَوْ سَاعَدَ مَنْ أَجِبْتُ مَعْدُ
 يَا عَاذِلِي، إِلَيْكَ عَنِّي لَا
 مَا نَاذِلْنِي كَمِثْلِ ظَنِّي
 مَا بَيْنَ دَفُونِهِ حُسَامُ
 وَالسِّيفُ يَبِيتُ ثُمَّ يَنْبُو
 وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطِي
 مَهْلًا قَدِمِي لَهُ حَلَالُ
 إِنَّ صَدْنِي فَذَاكَ قُضْدِي
 يَا حُسْنَ طُلُوعِهِ عَلَيْنَا
 ظِمَانٌ مُخَفَّفُ الْأَعَالِي
 قَدْ نَمَّ بِهِ شَذَا الْغَوَالِي
 وَالطَّيِّبُ مَنْبُةٌ عَلَيْهِ
 وَالْفَنَجُ مُحْرَكُ إِلَيْهِ
 وَالسُّخْرُ رَسُولُ مُقْلَتِيهِ
 وَالسَّحْبُ لَصَدَقِهِ دَلَائِلُ
 إِنَّ رُوجَ سَائِلٍ بِسَائِلِ
 وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ
 مَا حَالَ مِنْ الْحَبِيبِ حَائِلُ
 تُقَرَّبُ سَاحَتِي الْعَوَاذِلُ
 يَشْفِي بِلَحْظَةِ الْمُنَازِلِ
 مَخَارِقُهُ لَهُ حِمَائِلُ
 وَاللَّحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلُ
 وَاللَّحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ
 مَا أَقْبَلَ فِيهِ قَوْلَ قَائِلِ
 أَوْ جَدَّلْنِي فَلَا أَجَادِلُ
 وَالسُّكْرُ بِمَعْطَفِيهِ مَائِلُ
 رِيَانٌ مُشْقَلُ الْأَسَافِلِ
 إِذْ هَبَّ وَنَمَّتِ الْعَلَائِلُ
 مَنْ كَانَ عَنِ الْبَيَانِ غَافِلُ
 مَنْ كَانَ مُسَكِّنُ الْبِلَابِلِ
 مَا أَقْرَبَ عَهْدِهِ بِبَابِلِ!

(١) في الأصل: «آثَرَهُ نَسِيم»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

والروض يعير وَجَنَّتِيهِ
واللين يَهْزُ مِغْطَفِيهِ
والكأس تلوح في يديه
يُسْقِيكَ بِرِيقِهِ مُدَامَا
يُسْبِيكَ بِرُقَّةِ الْحَوَاشِي
ما أحسن ما وَجَدْتُ خُذَا

ومن مستحسن نزعاته: [البسيط]

يا راحلين وبى مِنْ قُرْبِهِمْ أَمَلُ
سِرْتُمْ وسار اشتياقي بَعْدَكُمْ مَثَلًا
وظلَّ يَغْدِلُنِي فِي حَبِّكُمْ نَفْرُ
عَطْفًا عَلَيْنَا وَلَا تَبْغُوا بِنَا بَدَلًا
قد دُقْتُ فَضْلَكُمْ دَفْرًا فَلَا وَابِي
وقد هَرِمْتُ أَسَى مِنْ هَجْرِكُمْ وَجَوَى
عَذْرَتُمْ أَوْ مَلَلْتُمْ يَا ذَوِي ثِقَتِي
قالوا: كَبِرْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ كَذَا غَزَلًا
لم أَنَسَ يَوْمَ تَنَادَوْا^(٣) لِلرَّحِيلِ ضُحَى
وَأَشْرَقَتْ بِهَوَادِيهِمْ هَوَادِجُهُمْ
وودَّعُونِي بِأَجْفَانٍ مُمَرَّضَةٍ
كم عَفَرُوا بَيْنَ أَيْدِي الْعَيْسِ مِنْ بَطْلٍ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْحُبِّ مُثْرَعَةً
وآخرين اشْتَفَوْا مِنْهُمْ بِضَمِّهِمْ
كَأَنَّمَا الرُّوضُ مِنْهُمْ رَوْضَةٌ أَثْفَ
مَنْ مُسْتَرْقٍ^(٥) الرُّوَابِي وَالْوِهَادِ بِهِمْ

وَزَدَا كَهَوَايَ غَيْرَ حَائِلٍ
كَالْغُضَنِ تَهْزُهُ الشُّمَائِلُ
كَالنَّجْمِ بِأَسْعَدِ الْمَنَازِلِ
مَا أَمْلَحَ سَاقِيًا مُوَاصِلِ
عِشْقًا وَلِكَافَةِ الشُّمَائِلِ
إِذْ نَجَمُ صِبَايَ غَيْرُ آفِلِ

لَوْ أَغْنَيْتِ الْجَلِيَّتَانِ الْقَوْلُ^(١) وَالْعَمَلُ
مِنْ دُونِهِ السَّامِرَانِ الشُّغْرُ وَالْمَثَلُ
لَا كَانَتْ الْمِخْجَتَانِ الْحُبُّ وَالْعَذَلُ
فَمَا اسْتَوَى الثَّابِعَانِ الْعُطْفُ وَالْعَمَلُ
مَا طَابَ لِي الْأَحْمَرَانِ الْخَمْرُ وَالْعَسَلُ
وَشَبَّ مِنِّي اثْنَتَانِ الْجِرْصُ وَالْأَمَلُ
لَبِثْتُكُمْ^(٢) الْخَضَلَتَانِ الْعَذْرُ وَالْمَلَلُ
أَزْرَى بِكَ الْفَاضِحَانِ الشَّيْبُ وَالْعَزَلُ
وَقَرُبَ الْمَرْكَبَانِ الطَّرْفُ وَالْجَمَلُ
وَلَا حَتَّ الزَّيْنَتَانِ الْحَلِي وَالْحُلَلُ
تَغْضُّهَا الرُّقَبَتَانِ الْخَوْفُ وَالْخَجَلُ
أَصَابَهُ الْمُضْضِيَانِ الْغَنَجُ وَالْكَسَلُ
وَمَا أَبَى^(٤) الْمُسْكَرَانِ الْخَمْرُ وَالْمُقَلُ
يَا حَبَّذَا الشَّافِيَانِ الضَّمُّ وَالْقُبَلُ
يُزْهِى بِهَا الْمُثْبِتَانِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
مَا رَاقَهُ الْمُفْجَبَانِ الْخَضِرُ وَالْكَفَلُ

(١) في الأصل: «لي القول...» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «ليست» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «مانادوا»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٤) في الأصل: «وأبى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «المسترق» وكذا ينكسر الوزن.

يا حادي العيس خذني مأخذًا حسنا
لم يبق لي غير ذكر أو بكاء طلل
يا ليت شعري ولا أنس ولا جدل

لا يستوي الضاديان^(١) الريث^(٢) والعجل
لو ينفع الباقيان الذكر والطلل
هل يزفع الطيبان الأنس والجدل؟

ومن قوله على لسان الثغ ينطق بالسین ثاء ويقرأ بالرويين: [مخلع البسيط]

عَمَزْتُ رَبْعَ الْهَوَى بِقَلْبٍ
لَبِثْتُ فِيهِ أَجْرُ ذَيْلِ الثُّ
إِنْ مِثُّ شَوْقًا فَلِي غَرَامُ
أَمَّا حَدِيثُ الْهَوَى فَحَقُّ
تَعَبْتُ بِالشُّوقِ فِي حَبِيبٍ
يَخْتَالُ كَالْفُضْنِ مَاسٍ فِيهِ
دُنْيَا تَبَدُّثٌ لِكُلِّ وَأَيُّ
يَلْمِبُ بِالْمَاشَقِينَ طُرًّا

لِقُوَّةِ الْحُبِّ غَيْرَ نَاكِسٍ ث
حَوْلِ أَخْبِثٍ بِهِ لِلَابِسِ ث
نَبَاتُهُ بِالسُّقَامِ وَادِسِ ث
يَصْرِفُ بَلَوَاهُ كُلَّ حَادِسِ ث
أَنَا بِهِ مَا حُيِّنْتُ يَائِسِ ث
طَرَفٌ فَأَزْرَى بِكُلِّ^(٣) مَائِسِ ث
فَهُوَ لِدُنْيَاهُ أَيُّ حَارِسِ ث
وَالْكُلُّ رَاضُونَ وَهُوَ عَابِسِ ث

ومن شعره في الزهد يصف الدنيا بالغرور والكذب^(٤) والزور: [الكامل]

يا خاطب الدنيا، طَلَبْتَ غُرُورًا
دُنْيَاكَ إِمَّا فِتْنَةً أَوْ مِخْنَةً
وَأَرَى السَّنِينَ تَمُرُّ عَنْكَ سَرِيعَةً
بَيْنَا تُرِيكَ أَهْلَةً فِي أَفْقِهَا
كَانَتْ قِسِيًّا ثُمَّ صِرْنَ دَوَائِرًا
يَأْتِي الظَّلَامُ فَمَا يُسَوِّدُ رُقْعَةً
فَإِذَا الصَّبَاحُ أَتَى وَمَدَّ رِدَاءَهُ
يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكَ، هَذَا نَاشِرٌ
مَا الْمِسْكُ وَالْكَافُورُ إِلَّا أَنْ تَرَى
أَمْسَى عَلَى قَوْدَيْكَ مِنْ لَوْنَيْهِمَا

وَقَبِلْتَ مِنْ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ زُورًا
وَأَرَاكَ فِي كِلْتَابِهِمَا مَقْهُورًا
حَتَّى لِأَخْسَبُهُنَّ صِرْنَ شُهُورًا
أَبْصُرَتْهَا فِي إِثْرِ ذَاكَ بُدُورًا
لَا بَدْءَ أَنْ تَرْمِي الْوَرَى وَتَدُورًا
حَتَّى تَرَى مَسْطُورَهَا مَنَشُورًا
تَقْضُ الْمَسَاءَ رِدَاءَهُ الْمَنَشُورًا
مِنْكَ وَهَذَا نَاشِرٌ كَافُورًا
مَنْ فَعَلَكَ الْإِمْسَاكُ وَالتَّكْبِيرُ
بِسْمَةِ تَسُومِ كَابَةِ وَبُسُورًا

(١) في الأصل: «الضدان» وكذا لا يستقيم الوزن، والضادي: اسم فاعل ضادي؛ يقال ضاده أي ضاده.

(٢) الريث: الإبطاء، وهو ضد العجل.

(٣) في الأصل: «كل» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «والحذايح» وهو ما لا معنى له.

حتى متى لا تزعوي وإلى متى؟
أخشى عليك من الذنوب فربما
فانظر لنفسك إنني لك ناصح
من قبل ضجعتك التي تلقى لها
والهول ثم الهول في اليوم الذي

أو ما لقيت من المشيب نذيرا؟
تلقى الصغير من الذنوب كبيرا
واستغفر المولى تجده غفورا
خذ الصغار على التراب حقيرا
تجد الذي قدمنته مسطورا

وقال في المعنى^(١) المذكور: [الوافر]

واشفي^(٢) الوجد ما أبكى العيون
فيا ابن الأربعين اركب سفينا
وئخ إن كنت من أصحاب نوح
بدا للشيب^(٣) في فؤدك رقم
لأنتم أهل كهف قد ضربنا
رأيت الشيب يجري في سواد
وقد يجري السواد على بياض
فهذا العكس يؤذن بانعكاس
نبات حاج ثم يرى خطأ
نذير جاءكم عريان يعدو
أخي، فإلى^(٤) متى هذا التصابي؟
هي الدنيا وإن وصلت وبرت
فلا تخذعك^(٥) أيام تليها
فذاك إذا نظرت سلاح دنيا
وبين يديك يوم أي يوم
فإما دار عز ليس يفنى
فطوبى في غد للمتقين

واشفي الدمع ما نكأ الجفونا
من الثقوى فقد عمزت جينا
لكي تنجو نجاة الأربعينا
فيا أهل الرقيم، اتسمعوننا؟
على آذانهم فيه سنيينا
بياضا لا كعقل الكاتيبينا
فكان^(٦) الحسن فيه مستبيننا
وقد أشعرتكم لو تشعرونا
وهذا اللحظ قد شمل العيوننا
وأنتم تضحكون وتلعبونا
جئنت بهذه الدنيا جنونا
فكم قطعتم وكم تركتم بنينا!
ليالٍ واخشها بيضا وجونا
تعيد حراك ساكنها سكونا
يديك فيه رب الناس ديننا
وإما دار هون لن يهونا
وويل في غد للمجرميننا

(١) في الأصل: «المنى» وكذا لا معنى له. (٢) في الأصل: «إشف» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «الشيب»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «فكان»، وكذا لا يستقيم الوزن.

(٥) في الأصل: «إلى»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «تخذعك»، وكذا ينكسر الوزن.

وَأِهْ ثَمَّ أَهْ ثَمَّ أَهْ
أَخِي، سَمِعْتُ هَذَا الْوَعْظَ أَمْ لَا؟
إِذَا مَا الْوَعْظُ لَمْ يُورَدْ بِصَدَقْ
عَلَى نَفْسِي أَكْرَرَهَا مِثْلَيْنَا
أَلَا يَا^(١) لَيْتَنِي فِي السَّامِعِينَ
فَلَا خُسْرَ كَخُسْرِ الْوَاعِظِينَ

وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام، ويمدح رسول الله ﷺ: [البسيط]

شوق كما رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عِلْمِ
إِلَهِه بِضُلُوعِي وَهُوَ يُخْرِقُهَا
مَنْ يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى وَيَمْلِكُنِي
دَغٌ لِلْحَبِيبِ ذِمَامِي وَاحْتَمَلْ رَمَقِي
يَا أَهْلَ طَيْبَةٍ، طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ
عَايَنْتُمْ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِنْ كَثَبِ
لِنَشْرُكُنَّ بِهَا الْأَوْطَانَ خَالِيَةً
رِكَابُنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مُثْقَلَةً
ذُنُوبَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَثُرَتْ
ذَنْبٌ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّارِهِ نَدَمٌ
نَبْكِي فَتُشْغِلُنَا الدُّنْيَا فَتُضْجِكُنَا
يَا رُكْبَ مِضْرَى، رُويْدَا يَلْتَحِقْ بِكُمْ
فِيهِمْ عُبَيْدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زُفْرَتَهُ
يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعًا لَا تُظِيرُ لَهُ
ذَاكَ الْحَبِيبَ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، وهي نقطة من قطر، وبِلالة من
بَخر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، وقد كَلِفَ بذلك غيره من الشعراء بِسَبْتَةٍ،
فلَمَّا رَأَاهَا أَخْفَى كُلَّ مَنْظُومَةٍ، وزعم أنه لم يَأْتْ بشيء، وهو المَخْتَرَعُ الْمُرْقِصُ:
[البسيط]

جماله كرياض جاورث نهرًا
كحياة الماءِ عامت فيه وانصرفت
فأنبتت شجرًا راقثًا أزاهرها
فغاب أولها فيه وآخرها

(١) كلمة: «يا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

وقوله، وقد تناول الرئيس ابن خلاص^(١) بيده مِقْصُصًا فأدْمى يده فأنشده:
[الوافر]

عداوة لا لكفك من قَدْ نَمَّ^(٢) فلا تَغْجَبْ لِقَرَّاضٍ لثيم
لئن أذماك فهو لها شبيهة وقد يسطو اللثيم على الكريم
وقوله في الخضاب: [الطويل]

سَتَرْتُ مَشِيبِي بِالْخِضَابِ تَعَلَّلًا فلم يَحْظَ شَيْبِي^(٣) وراب خضابي
كأنني وقد زُوِّزْتُ لَوْنًا على الصُّبَا أَغْثُونَ طِرْسًا ليس فيه كتابي
غَرَابُ خِضَابٍ لم يقف من جذاره وَأَغْرَبُ شَيْءٍ فِي الْجِدَارِ غُرَابِي
وقوله وهو من البديع المخترع: [الكامل]

لا بُدَّ من مَيْلٍ إِلَى جِهَةٍ فلا تُنْكِزُ عَلَى الرَّجُلِ الْكَرِيمِ مَمِيلًا
إِنَّ الْفَوَادَ وَإِنْ تَوَسَّطَ فِي الْحِشَا لِيَمِيلَ فِي جِهَةِ الشُّمَالِ قَلِيلًا
وقوله وهو معنى قد قيل فيه: [الكامل]

لا تَعْجِبُوا لِلْمَرْءِ يَجْهَلُ قَذَرَهُ أَبَدًا وَيَعْرِفُ غَيْرَهُ فَيَضْمِرُ
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ غَيْرَهَا مَعَ بُغْدِهِ لَكِنْ بُوَيَّوْا نَفْسَهَا لَا تُبْصِرُ^(٤)
وقوله: [الوافر]

أرى المتعلمين عليك أَعْدَاءُ^(٥) إِذَا أَعْلَمْتَهُمْ مِنْ كُلِّ عَادٍ
فما عند الصَّغِيرِ سِوَى عُقُوقٍ وَلَا عِنْدَ الْكَبِيرِ سِوَى عِغَادٍ
وقوله في وصفه ذي الجاه: [الخفيف]

يضع الناس صاحب الجاه فيهم كل يوم في كُفَّةِ الْمِيزَانِ

(١) هو أبو علي الحسن بن أبي جعفر بن خلاص، تولى سنة ٦٣٧ هـ، ثم ثار فيها في عهد السعيد أبي الحسن المعتضد بالله الموحد سنة ٦٤١ هـ، وبايع للأمير أبي زكريا الحفصي، صاحب تونس. توفي سنة ٦٤٦ هـ. البيان المغرب، قسم الموحدين (ص ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٨).

(٢) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فشيبت» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) رواية عجز البيت في الأصل هي: «ولكن نفسها لا تبصر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) أصل القول: «أعداء»، وكذا ينكسر الوزن.

إن رأوه يوماً تَرْجُحَ وَزْنًا ضاعفوا البرُّ فهو ذو رُجْحَانِ
أو رأوا منه نَقْصَ حَبَّةِ وَزْنِ ما كسوه في حَبَّةِ الْجُلْجُلَانِ

وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين: [السريع]

يا أيها الشيخ الذي عُمِرُهُ قد زاد عَشْرًا بعد سَبْعِينَا
سَكِرَتْ من أَكْوَسِ خَمْرِ الصُّبَا فَحَذَّكَ الدُّهْرُ ثَمَانِينَا

وقال: هيهات! ما أظنه يَكمُلُها، وقال في الكَبَرَةِ: [الكامل]

يا من لشيخ قد أَسَنُ وقد عفا مذ جاوز السَّبْعِينَ أضْحَى مُذْنَفَا
خَانَتْهُ بعد وفائِها أَعْضَاؤُهُ فغدا قَعِيدًا لا يُطِيقُ تَصْرُفَا
هَرِمًا غَرِيبًا ما لديه مُؤَانِسِ إلا حديث محمد والمصطفى

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعة: [السريع]

يا سيدي، شَاكِرُكُمْ مَالِكُ قد صَيَّرَتْ مَيِّمَ اسْمِهِ هَاءُ
ومن يَعِشْ خَمْسًا وتسعين قد أَتَهَتْ^(١) التَّعْمِيرَ إِنْهَاءُ

ومن نظمه في عَزَسٍ صَنَعَهَا بِسَبْتَةٍ على طريقه في المَجَانَةِ: [الكامل]

الله أَكْبَرُ في منار الجامع مِنْ سَبْتَةٍ تَأْذِينُ عَبْدٍ خَاشِعِ
الله أكبر للصَّلَاةِ أَقِيمُهَا بين الصُّفُوفِ من البلاط الواسعِ
الله أكبر مُخْرِمًا وَمُورِجُهَا دُبْرِي^(٢) إلى رَبِّي بِقَلْبٍ خَاضِعِ
الحمد لله السلامُ عَلَيْكُمْ آمِينَ لا تَفْتَحْ لِكُلِّ مَخَادِعِ
إن النِّسَاءَ خَذَعْنِي وَمَكَّنَنِي بِي وَمَلَأَنَ من ذكر النساءِ مَسَامِعِي
حتى وَقَعْتُ وما وَقَعْتُ بِجَانِبِ لَكِنْ على رأسِ لَأْمَرٍ واقعِ
والله ما كانت إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ لَكِنْ أَمَرَ الله دون مُدَافِعِ
فَخَطَبَنِي لي في بيت حُسْنٍ قُلْنِ لي وَكَذَّبَنِي لي في بَيْتٍ قُبْحٍ شَانِعِ
يَكْرًا زَعَمَنَ صَغِيرَةً في مَنِّهَا حَسَنَاءُ تُسْفِرُ عن جمالِ بارِعِ
خودًا لها شَغَرٌ أَثِيثٌ حَالِكِ كالليل تُجْلَى عن صَبَاحِ ساطِعِ

(١) في الأصل: «قد أنهى في التعمير» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ودبيرة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

خَوْرَاء يَرْتَاعُ الْغَزَالُ إِذَا رَنَتْ
تَتَلُو الْكِتَابَ بَغْنَةً وَفَصَاحَةً
بَسَامَةً عَنْ لَوْلُوٍ مُتَنَاسِقٍ
أَنْفَاسُهَا كَالرَّاحِ فَضُّ خَتَامُهَا
شُمَاءٌ دُونَ تَفَاوُتِ عَرَبِيَّةِ
غَيْدَاءٍ كَالْغَصَنِ الرُّطِيبِ إِذَا مَشَتْ
تَخْطُو عَلَى رِجْلَيْ خَمَامَةٍ أَيْكَةٍ
وَوَصَفْنَ لِي مِنْ حَسْنِهَا وَجَمَالِهَا
فَدَنَوْتُ وَاسْتَأْمَنْتُ بَعْدَ تَوْحُشِي
فَحَمَلَنِي نَحْوَ الْوَلِيِّ وَجِثْنِي
وَبَعْرِفِهِ مِنْ نَافِعٍ لَتَعَادِلِ
فَشَرَطْنِ أَشْرَاطًا عَلَيَّ كَثِيرَةً
ثُمَّ انْفَصَلْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ^(٢) بَأَنِّي
وَتَرَكْتَنِي يَوْمًا وَعُذْنُ وَقَلْنُ لِي
وَاصْنَعْ لَهَا عُرْسًا وَلَا تَحْوِجْ إِلَى
وَقَرَعْتُ سِنِّي عِنْدَ ذَاكَ نَدَامَةً
وَلِزِمْتَنِي حَتَّى انْفَصَلْتُ بِمَوْعِدِ
فَلَوْ أَنِّي طَلَقْتُ كُنْتُ مَوْفِقًا
لَكِنْ طَمَعْتُ بِأَنْ أَرَى الْحُسْنَ الَّذِي
فَنظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ مُعْجَلًا
وَطَمَعْتُ أَنْ^(٣) تُجَلِّيَ وَيُبَصِّرَ وَجْهَهَا
وَوَظَنْتُ ذَاكَ كَمَا ذُكِرَ وَلَمْ يَكُنْ
وَحَمَلَنِي لَيْلًا إِلَى دَارِ لَهَا
دَارٌ خَرَابٌ فِي مَكَانٍ تَوْحُشٍ
فَقَعَدْتُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مَظْلَمٍ

بُجْفُونَ خَشْفٍ^(١) فِي الْخُمَائِلِ رَافِعٍ
فِيْمِيلُ نَحْوَ الذُّكْرِ قَلْبُ السَّامِعِ
فِي ثَغْرِهَا فِي نَظْمِهِ مُتَتَابِعِ
مِنْ بَعْدِ مَا خُتِمَتْ بِمَسْكِ رَائِعِ
بِبَسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَمَنَازِعِ
نَاءَتْ بِرِذْفٍ لِلتَّعْجُلِ مَانِعِ
مَخْضُوبَةٍ تُسَبِّي فَوَادِ السَّامِعِ
مَا الْبَعْضُ مِنْهُ يُقِيمُ عُذْرَ الْخَالِعِ
وَأَطَاعَ قَلْبٌ لَمْ يَكُنْ بِمَطَاوِعِ
بِالشَّاهِدِينَ وَجِلْدٌ كَبِشٍ وَاسِعِ
وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِنَافِعِ
مَا كُنْتُ فِي حَمْلِي لَهَا بِمَطَاوِعِ
أَوْثِقْتُ فِي عُنْقِي لَهَا بِجَوَامِعِ
خُذْ فِي الْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِمِرَافِعِ
قَاضٍ عَلَيْكَ وَلَا وَكِيلٍ رَافِعِ
مَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْ^(٣) خُدِغْتُ بِقَارِعِ
بَعْدَ الْيَمِينِ إِلَى النَّهَارِ الرَّابِعِ
وَنَقَضْتُ مِنْ ذَاكَ النِّكَاحَ أَصَابِعِي
زَوَّزْنِي لِي فَذَمَّمْتُ سَوْءَ مَطَامِعِي
وَصَنَعْتُ عُرْسًا يَا لَهَا مِنْ صَانِعِ!
وَيَقَرُّ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّالِعِ
وَحَصَلْتُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَازِعِ
فِي مَوْضِعٍ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ سَامِعِ
مَا بَيْنَ آثَارِ هُنَاكَ بِبَلَاقِعِ
وَلَا شَيْءٍ فِيهِ سِوَى حَصِيرِ الْجَامِعِ

(١) الخشف: ولد الظبي.

(٢) في الأصل: «وعلمت»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «بأن»، وكذا ينكسر الوزن.

فسمعتُ جِسا عن شمالي مُنْكَرًا
فأردتُ أن أنجو بنفسي هاربًا
فَلَقِيَتْهُنَّ وَقَدْ أَتَيْنَ بِجَدْوَةٍ
ودخلن بي في البيت واستجلسنني
وأشرن لي نحو السَّماء^(١) وقلن لي
هذي خَلِيلُكَ التي رَوَّجَتْهَا
بِثْنَا مِنْ^(٢) النُّعْمَى التي خُولَتْهَا
فنظرتُ نحو خَلِيلَتِي متأملًا
وَأَتَيْتُهَا وَأَرَدْتُ نَزْعَ جِمَارِهَا
فَوَجَلَّتْهَا فِي صَدْرِهَا وَحَذَوْتَهُ
فوجدتها قَزَعَاءَ تحسب أنها
حَوْلَاءَ تنظر فوقها في ساقها
قَطَسَاءَ تحسب أن رَوْثَةً أنفها
صَمَاءَ تُدْعَى بالبريح وتارة
بَكَمَاءَ إن رَامَتْ كَلَامًا صَوَّتَتْ
فَقَمَاءَ إن مَا^(٣) تَلْتَقِي أَسْنَانُهَا
عَرَجَاءَ إن قَامَتْ تَعَالَجَ مَشْيِهَا
فَلَقِيَتْهَا وَجَعَلْتُ أَنْصُقُ نَحْوَهَا
حَيْرَانُ أَغْدُو فِي الزُّقَاقِ كَأَنِّي
حتى إذا لاح الصبح وفتحوا
والله ما لي بعد ذاك بأمرها

وتنخنخنا يحكي نقيق ضفادع
ووثبت عند الباب وثبة جازع
فرددنني وحبسنني بمجامع
فجلست كالمضروب يوم زعازع
هذي زوبيعة وبنث زوابع
فاجلس هنا معها ليوم سابع
فلقد حصلت على رياض يانع
فوجدتها محجوبة ببراقع
فعدت تدافعني بجذ وازع
وكشفت هامتها بغيط صارع
مقروعة في رأسها بمقارع
فتخالها مبهوتة في الشارع
قطعت فلا شلت يمين القاطع
بالطبل أو يؤتى لها بمقامع
تصويت مغزى نحو جذي راضع
تفسو إذا نطقت فساء الشابع
أبصرت مشية ضالع أو خامع
وأفر نحو دجى وغيث هامع
لص أجس بطالب أو تابع
باب المدينة كنت أول كاسع
علم ولا بأمر بيتي الضائع

نثره: وفضل الناس نظمه على نثره، ونحن نسلم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. وهذه الرسالة مُعلّمة بالشهادة بحول الله.

كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر بن يوسف بن الفخار، وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري:

(١) في الأصل: «السما».

(٢) في الأصل: «وبتا النعمى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

«لله دُرُكُما خَلِيفي صفاء، وألِيفي وفاء، يتنازعان كأس المودة تنازع الأكفاء،
 ويتهاديان رِيحان النحية نهادي الطرفاء. قَسِيمِي نَسَب، وقَرِيعِي حَسَب، يتجاوزان
 بمطبوع من الأدب ومُكْتَسَب، ويتواردان على عِلْم من الظرف ونسب، رَضِيعِي لِبَان،
 دَرِيعِي لِبَان، يَخْرُزان ميراث قُسِّ وسَخْبَان، ويُبْرِزان من الذكاء ما بان على أَبَان،
 قَسِيمِي مَجَال، قَصِيحِي رُوِيَّة وارْتِجَال، يَثْرَعَان في أَشْطَان البلاغة سَجَالاً بعد سَجَال،
 وَيَضْرَعَان في مِيدَان الفصاحة رَجَالاً على رَجَال. ما بالكما؟ لا حُرِمْتَ حِبَالُكُما ولا
 قُصِمْتَ نِبَالُكُما، لم تَسْمَحْ لي من عُقُودِكُما بِدُرَّة، ولم تُرْشِحْني من نُقُودِكُما بِدُرَّة،
 ولم تَفْسَحْ لي بِخُلُوة ولا مُرَّة. لَقَدْ ابْتَلَيْتُ من أدبِكُما بِنَهْر أَقْرَبِهِ ولا أَشْرَبِهِ، وما أُرَدِّهِ
 ولا أَتَبَرِّدُهُ. ولو كُنت من أَصْحَاب طَالُوت لا قُصِحت لي غُرْفَةٌ، وَأُتِيخت لي ثُرْفَةٌ. بل
 لو كُنت من الإِبِل ذوات الأَظْمَاءِ، ما جُلِيت بعد الظُّمإِ على الماء، ولا دَخَلْتُ
 بالإِشْفَاق مَدخل العِجْمَاءِ. كَيْفَ وَأَنَا ولا فخر في صورة إنسان، ناطق بلسان، أَفَرَّقَ
 بين الإِسَاءَةِ والإِحْسَان. وإن قلت إنَّ باعِي في النُّظْم قصير، وما لي على النُّثْر وليُّ
 ولا نصير، وَصَنَعَةُ النُّحُو عني بِمَغْزِل، وَمَنْزِلُ الفقيه ليس لي بِمَنْزِل، ولم أَقْدِم على
 العِلْم القديم، ولا اسْتَأْثَرْتُ من أَهْلِهِ بِنَدِيم. فَأَنَا وَالْحَمْدُ لله غَنِيٌّ بِصَنَعَةِ الجَفْرِ، وَأَقْتَنِي
 البِرَاعُ كَأَنَّهَا شَبَابِيكَ التَّبَرُّ، وَأُبْرِي البَرِيَّةَ الَّتِي^(١) تَنِيْفُ على الشُّبْرِ، وَأُزِينُ خُدُودَ
 الأَسْطَارِ المُسْتَوِيَّة، بِعَقَارِبِ اللَّامَاتِ المُتَوِيَّة، ولا أَقُولُ كَأَنَّهَا، فلا يَنْكُرُ السَّيْدَانِ
 أَعْزَهُمَا الله أَنَّهُما نَعَمَ بِعُودِ أَزَاعِم، وَيُمَثِّلُ شَكْسِي تُخَضَّرُ المَلاحِم. فما هذا الازدراء
 والاجتراء في هذا الأمر مَرَّ المَوَاقِير. تَالله لَقَدْ ظَلَمْتُمَاني على عِلْم، واسْتَدْتُمَا إلى غير
 جِلْم، أَمَا زَهَبْتُمَا شَبَابِي، أَمَا رَغَبْتُمَا في حَسَابِي، أَمَا رَفَعْتُمَا بَيْنَ نَفْحِ صَبَابِي، وَلَفَّحَ
 صَبَابِي. لَعَمْرِي لَقَدْ رَكِبْتُمَا خَطَرًا، وَهَجَرْتُمَا الأَسَدَ بَطَرًا، وَأَبَحْتُمَا جَمِيَّ مُخْتَضَرًا، ولم
 تَمَعْنَا في هذا الأمر نَظَرًا: [الطويل]

أَعِذْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسَ لَعَلَّما أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الحِمَارَ المَقِيدَا

ونفسي عينُ الحمار، في هذا المضمار، لا أعرف قبيلًا من دبِير، ولا أَفَرِّقُ
 بِجَسِيٍّ بين صغير وكبير، ولا أعهد أن حصاة الرُّمِي أخفُّ من ثَبِير، أليس في ذوي
 كِبِد رُطْبَةٌ أَجْر، وفي معاملة أهل الثَّقْوَى والمَغْفِرَةِ تَجَرُّ؟ وَإِذَا خَوَّلْتُمَاني نِعْمَةً أَوْ
 نَقَلْتُمَاني ثَقْلًا، فَالْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وما نَقَصَ مالٌ من صَدَقَةٍ، ولا
 جَمَالٌ من لَمَحَ حَدَقَةٍ، والعِلْمُ يَزِيدُ بالإِنْفَاق، وَكُتْمُهُ حَرَامٌ بِاتِّفَاقٍ، فَإِنْ قَلْتُمَا لي إِنَّ
 فَهْمَكَ سَقِيمٌ، وَعِرْوَجُكَ على الرِّيَاضَةِ لا يَسْتَقِيمُ، فَلَعَلَّ الَّذِي نَصَبَ قَامَتِي، يَمُنُّ

(١) في الأصل: «المغاة».

بانتقامتي، وعسى الذي يشق سمعي وبصري، أن يزيل عيني وحصري، فأعي ما تقصان، وأجتلي ما تنصان، وأجني ثمار تلك الأغصان، فقد شاهدتما كثيرا من الحيوان، يتاغى فيتعلم، ويلقن فيتكلم. هذا والجنس غير الجنس، فكيف المشارك في نوعية الإنس؟ فإن قلنا إن ذلك يشق، فأين الحق الذي يحق، والمشقة أخت المروءة، وينعكس مساق هذه الأخوة، فيقال المروءة أخت المشقة، والحجيج يصبر على بغد الشقة، ولولا المشقة كثر السادة، وقلت الحسادة، فما ضركما أيها السيدان أن تحسبا تحويجي، وتكتسبا الأجر في تدرجي؟ فإنكما إن فعلتما ذلك نُسبت إلى ولائكما، كما حُسبت على علائكما، وأضيفت إلى نديكما، كما عُرِفَت بمشداكما. ألم تعلمَا أن المرة يُعرف بخيله، ويُقاس به في كثيره وقليله؟ ولعلي أمتحن في مرام، وينجم عودي رام، فيقول هذا العود من تلك الأغواد، وما في الخلبة من جواد، فأكسوكما عازا، وأكون عليكما شِعَارًا. على أي إذا دُعيت باسمكما استرَبْتُ من الادعاء، فلا أستجيب لهذا الدعاء، ولكن أقول كما قال ابن أبي سفيان حين عرف الإدارة، وأنكر الإمارة، نعم أخوتي أصح، وأنها بها أشخ، إلا أن غيري نُظم في السلك، وأنهم في الملك، وأنا بينكما كالمحجوب بين طلاب، يشاركهم في البُكا لا في الثراب^(١)، إن حضرت فكنتم في الإقحام، أو لمقعدي في زحام، وإن غُبت فيُقضى الأمر، وقد سَطَرَ زيد وعمرو. ناشدْتُكما الله في الإنصاف أن تزيعا بوادٍ من أودية الشجر، في نادٍ من أندية الشجر بل الشجر، حيث تَندرج الأنهار، وتتأرجح الأزهار، ويتبرج الليل والنهار، ويقرأ الطير صُحُفاً مُنتشرة، ويجلو النور ثُغورا مؤشرة، ويُغازل عيون الترجس الوجَل، خُدود الورد الخجل، وتمايل أعطاف البان، على أزداف الكُثبان، فيرقد النسيم العليل، في جِعر الرُوض وهو بَليل، وتبرز هودج الرّاح، على الرّاح، وقد هُديت بأقمار، وحُدِيت بأزهار ومِزمار، وركبتها الصُّبا والكميت في ذلك المِضمار، ولم تزالا في طيب، وعيش رطيب، من قباب وخدور، وشموس ويدور، تَصِلان الليالي والأيام أعجازًا بصدور، وأنا الطريدُ منبوء بالعراء، موقود في جهة الوراء، لا يُدني محلي، ولا يُعَتني بعقدي ولا حلي، ولا أدرج من الحرور إلى الظل، ولا أخرج من الحرام إلى الجِل، ولا يُبعث إلي مع النسيم هبة، ولا يُتاح لي من الآتي عبة. قد هلكت لغوا، ولم تُقيما لي صفوا، ومث كَمَدًا، ولم تَبعثا لبغتي أمدًا. أنراه خَلَفْتُماني جَرَضًا، وألَقَيْتُماني حَرَضًا؟ كم أَسْتسقي فلا أُنقى، وأَسْتَرْقي فلا أَرْقى، لا ماء أشربُه، ولا عمل في وِضليكما

(١) في الأصل: «التراب».

أَدْرَبُهُ . لم يبق لي حيلة إلا الدُّعاء المجاب، فعسى الكرب أن يَنجِبَ . اللهم كما أَمَدَدْتَ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ جَمَالٌ، وَسَدَّدْتَهُمَا إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ كَمَالٌ، وَجَمَعْتَ فِيهِمَا الْفَضَائِلَ وَالْمَكَارِمَ، وَخَتَمْتَ بِهِمَا الْأَفْضَلَ وَالْمَكَارِمَ، وَجَعَلْتَ الْأَدَبَ الصَّرِيحَ أَقْلَ خِصَالِهِمَا، وَالنُّظَرَ الصَّحِيحَ أَقْلَ نِصَالِهِمَا، فَاجْعَلْ اللَّهُمَّ لِي فِي قُلُوبِهِمَا رَحْمَةً وَحَنَانًا، وَابْسُطْ لِي مِنْهُمَا وَجْهًا وَاشْرَحْ لِي بَحْنَانًا، واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِمَّنْ اقْتَدَى بِهِمَا، وَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِمَا، وَكَانَ دَأْبُهُ فِي الصَّالِحَاتِ كَدَّأِبِهِمَا، حَتَّى أَكُونَ بِهِمَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ فِي الْآيَاتِ، وَثَالِثَ الْعُمَرَيْنِ فِي عَمَلِ الْبِرِّ وَطَوْلِ الْحَيَاةِ، اللَّهُمَّ آمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَيِّدَيَّ عَزَّهِمَا اللَّهُ إِذَا وَقَفَا عَلَى هَذَا الْخُطَابِ، وَنَظَرَا إِلَى هَذَا الْإِحْتِطَابِ، كَيْفَ يُدِيرَانِ زَمْرًا، وَيَسِيرَانِ غَمْرًا؟ وَيَقَالُ: اسْتَتَبَ الْفِصَالُ، وَتَعَاطَى الْبَيْدُ مَا تَفْعَلُ النَّصَالُ، وَحَنُّ جِذْعٍ لَيْسَ مِنْهَا^(١)، وَخُذْ عَجْفَاءَكَ وَسَمْنَهَا، فَأَقُولُ وَطَرْفِي غَضِيبُضْ، وَمَحَلِّي الْحَضِيبُضْ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي الْبُرُوجِ، وَمَا تَقَاسُ الْأَكْفُ بِالْشُرُوجِ، فَأَضْرِبَا عَنِّي أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ، مَا أَنَا مِمَّنْ تُنَاضِلَانِ، وَالسَّلَامُ.

مولده: قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله ابن القاضي الْمُتَبَخَّرِ الْعَالِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ فَأَنْشَدَنِي: [الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْلَدِي كَيْ أذْكُرَهُ وَلِذْتُ يَوْمَ سَبْعَةٍ وَعَشْرَةٍ
مِنْ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحُ أَزْبَعٍ مِنْ بَعْدِ سِتْمَائَةِ مُفَسَّرَةٍ

وفاته: في التاسع^(٢) عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستمائة، ودفن بمقبرة فاس، وأمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

رُزَّ غَرِيبًا بِمَقَرِهِ نَازَحًا مَا لَهُ وَلِي^(٣)
تَرَكَوهُ مُوَسَّدًا بَيْنَ تُرْبٍ وَجَسَدٍ
وَلْتَقُلْ عِنْدَ قَبْرِهِ بِلِسَانِ التُّذُلِ
يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ مَالِكُ بْنُ الْمُرْخَلِ

(١) في الأصل: «منهما».

(٢) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): «كانت وفاته بمدينة فاس في الثامن عشر لرجب الفرد من سنة تسع وتسعين وستمائة». وفي هدية العارفين: توفي سنة ٦٧٢ هـ.

(٣) في الأصل: «ول» بدون ياء.

ومن طارئي المقرئين والعلماء منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا، يكنى أبا علي.

حاله: هذا الرجل طُرِفَ في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصُّون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثّر للاقتصاد، مُنْقِض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مُشْتَغِل بِشأنه، عاكف على ما يَغْنِيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، مُنْصِف في المذاكرة، مُوجِبٌ لِحَقِّ الْخَصْم، حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلُّم العلم وتعليمه، غير أنفٍ عن حَمْلِهِ عَمَّنْ دُونَهُ، جُمْلَةٌ من جُمَلِ السَّذَاجَةِ والرُّجُولَةِ وحسن المعاملة، صَدُرَ من صدور الطُّلَبَةِ، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والثقلية، وإطلاَعٌ وتقْيِيدٌ، ونظر في الأصول والمنطق وعِلْمُ الْكَلَامِ، ودَعْوَى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشُّعْرَ فلا يعدو الإِجَادَةَ والسَّدَادَ.

قَدِمَ الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمئة، فلقى رَحْبًا، وعُرف قَدْرُهُ، فتقدم مُقرِّناً بالمدرسة^(١) تحت جِراية نبيهة، وخلق للناس متكلِّماً على الفروع الفقهية والتفسير، وتصدُرُ للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جَرَّبَتْهُ وَصَحْبَتْهُ، فَبَلَوْتُ مِنْهُ دِينًا وَنَصَفَةً، وحسن عشرة.

محنته: امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية، لِمُتَوَقَّفٍ صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والثبوة، وشك في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولطخه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم، فأجَلَّتْ الحال عن صَرْفِهِ عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعمئة.

مشيخته: طلبتُ منه تقْيِيدَ مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه:

«يَتَفَضَّلُ سَيِّدِي الْأَعْلَى الَّذِي أَهْتَدِي بِمُضْبَاحِهِ، وَأَعْتَشُو إِلَى غُرَرِهِ وَأَوْضَاحِهِ، جَامِعُ أَشْثَاتِ الْعُلُومِ، وَفَاتِقُ رَثَقِ الْفُهُومِ، حَامِلُ رَايَةِ الْبَدِيعِ، وَصَاحِبُ آيَاتِ التَّوْرَةِ فِيهِ

(١) هي المدرسة المعجبية التي بُنِيَتْ في عهد سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، الذي حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ، وقد عَدَّهَا ابن الخطيب بكر المدارس في حضرته غرناطة. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

والتزصيع، نُخبة البلغاء، وفخر الجهابذة العلماء، قائد جِياد البلاغة من نواصبيها، وسائق شوارد الحكَم من أقاصيها، أبو عبد الله بن الخطيب أبقاه الله للقريض يقطف زهره، ويَجْتَنِي عُزْره، وللبديع يُطْلِع قَمْره، وينظم دُرره، وللأدب يَحْكُ حُلله، ويجمع تفاصيله وجُمْلَه، وللمعاني يَجْوس بجيوش البراعة خِلالها، ويفتتح بعوامل البراعة أقفالها، وللأنجاء يُقَرِّطُ الأسماع بفرائدها، ويَحْلِي النحور بقلائدها، وللنظم يُورد جِياده أخلى الموارد، ويُجِيلها في مِضمار البلاغة من غير مُعاند، وللنثر يَفْتَرع أبكاره، ويودعها أسرارَه، ولسائر العلوم يَصوغها في مَفْرَق الآداب تاجًا، ويَضَعُها في أسطر الطُروس سراجًا، ولا زال ذا القلم الأعلى، وبذر الوزارة الأوضح الأجل، ببقاء هذه الدولة المولوية والإمامة المحمدية كعبةً لملوك الإسلام، ومَقْصِدًا للعلماء الأعلام، ورضى عنهم خَلْقًا وسَلَفًا، وبُورِكَ لنا فيهم وَسَطًا وطَرَفًا، ولا زالت آمالنا بعلائهم منوطة، وفي جاههم العريض مبسوطة، بقبول ما نَبّه عليه، من كُتُب شيوخ المشاهير إليه، فها أنا أذكر ما تيسر لي من ذلك بالاختصار، إذ لا تفي بذكرهم وتحلاهم المجلدات الكبار.

فمنهم مولاي الوالد علي بن عبد الله لقاءه الله الروح والريحان، وأوسع الرضا والغفران. قرأت عليه القرآن وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط. ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام عَلَم العلماء، وقُطِب الفقهاء، قُدوة النُظار، وإمام الأنصار، منصور بن أحمد المشدالي، رحمه الله وقُدُس روحه، فوجدته قد بلغ السَّنُ به غاية أوجبت جلوسه في داره، إلّا أنه يُفيد بفوائده بعض زُواره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب^(١) عليه لإشارة والدي بذلك إليه، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين وسبعمائة. واشتدّ الحصار ببجاية لسماعنا أنّ السلطان العبد الوادي^(٢) ينزل علينا بنفسه، فأمرني بالخروج، رحمه الله، فعاقني عائق عن الرجوع إليه؛ لأتمم قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه الله، عام أحد وثلاثين وسبعمائة، فخصّ مصابه البلاد وعمّ، ولفّ سائر الطلبة وضّمّ، إلّا أنه ملأ ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم النقلية والعقلية فصار من طلبته شيخنا المعظم، ومفيدنا المُقَدِّم، أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمُقَسِّر، رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، والكتابة الشرعية والأدبية، مع فضل السَّنِ وتقرير حَسَن، إلى معارف تحلاها،

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن يونس المصري، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ. له مختصر في الفقه المالكي يستقى المختصر الفقهي، والفرعي، والجامع بين الأمهات. حن المحاضرة (ج ١ ص

٢١٥) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٩) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٢٦).

(٢) نسبة إلى بني عبد الواد، أصحاب تلمسان بالمغرب الأوسط.

ومحاسن اشتمل حلاها. واستمر في ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام الشجع، وتقرير الحلي، فأجاد، وتجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأفردته بقراءة الإرشاد؛ والأستاذ أبا علي بن حسن البجلي، وقرأ عليه جملة من الحاصل، وجملة من المعالم الدينية والفقهية، والكتب المنطقية، كالخونجي، والآيات البيّنات؛ والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف، قاضي الجماعة ببجاية؛ وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي البانيولي. قال: ثم ثنيت العنان بتوجيهي إلى تلمسان، راغبًا في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية، فأول من لقيت شيخنا الذي علمت في الدنيا جلالته وإمامته، وعرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته، وذكر رئيس الكتاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي، والمحدث البقية أبا العباس بن يربوع، والقاضي أبا إسحاق بن أبي يحيى، وقرأ شيئًا من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرندي. ولقي بالأندلس جلة؛ فممن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخار الشهير بالبيري، ولازمه إلى حين وفاته، وكتب له بالإجازة والإذن له في التحليق بموضع قعوده من المدرسة بعده. وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، نسيج وحده، ولازمه، وأخذ عنه تواليفه، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك، وقيد عليه، وروى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات ابن الحاج، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، وهو الآن بالحال الموصوفة. أعانه الله وأمتع به.

شعره: زُرنا معًا والشيخ القاضي المتفّن أبو عبد الله المُقرىء، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب^(١). واستشذت القاضي، وكتب لي يومئذ بخطه: استشذني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب، أطال الله بقاءه كما أطال ثناه، وحفظ مَهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسي: [البسيط]

لَمَّا رَأَيْناكَ بَعْدَ الشُّبِّ يا رَجُلٌ لا تَسْتَقِيمُ وأمر النفس تمتثلُ
زَدْنَا يَقِينًا بما كُنَّا نُصَدِّقُه عِنْدَ المَشِيبِ يَشِبُّ الجِرْصُ والأَمَلُ

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول: منصور بن علي الزواوي، في رابطة العقاب في كذا، أجزت صاحبنا

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب كانت تخصص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٢٩) حاشية رقم ١، من تعليق المحقق محمد عبد الله عنان.

الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمداً، وعلياً، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعني روايته، وأنشدته قولي أخاطب بعض أصحابنا: [الطويل]

يُخَيِّك عن بعض المنازل صاحبٌ صديقٌ غَدَتْ تُهْدِي إليك رسائلُهُ
مُقَدِّمَةٌ حِفْظَ الوداد وسيلةٌ ولا وُدٌّ أَنْ تُصِحَّ وسائلُهُ
يُسَائِلُ عَنْكَ الدارسين^(١) ولم يكن تَغِيبُ لِبُعْدِ الدار عَنْكَ مسائلُهُ

وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة: [المجثث]

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظًا حقيقةً في المعالي
مُقَدِّمَاتٌ غُلَاكُم أَتَنَجِّنُ كُلَّ كَمَالٍ
وَكُلُّ نَظْمٍ قِيَامٌ خَلَوْتَ مِنْهُ فَخَال

وهو من لَدُنْ أَرْعَجَ عن الأندلس، كما تقدّم ذكره، مقيمٌ بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء والتدريس.

مسلم بن سعيد التَّمْلِي^(٢)

حاله: كان غَيْرَ نَبِيهِ الأَبَوَّة. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر^(٣)، بمزيد كفاية، فقلّده خُطَّةَ الحِفَاظَةِ، وهي تعميم النظر في المجابي، وضَمُّ الأموال، وإيقاع التّكثير في محلّ التّقصير، ومظانّ الريب، فنَمَت حاله، وعَظُم جاهه، ورُهِبَتْ سَطْوَتُهُ، وَخِيفَ إيقاعه، وَقَرُبَتْ من السلطان وسيلته، فتقدّم الخُدّام، واستوعب أطراف الحُظُوة، واكتسب العقار، وصاهر في نَبِيهِ البيوتات، وأورث عنه أخبارًا تشهد له بالجود وعلوّ الهمة، وشرف النفس، إلى أن قَضَى على هذه الوتيرة.

ذكروا أن شخصًا جلب سِلعة نفيسة مما يُطْمَع في إخفائها، جِيْدَةً عن وظيفة المَغْرَمِ البَاهِظَةِ في مثل جنسه، فبينما هو يروم المحاولة، إِذْ بَصُرَ بِنَبِيهِ المَرْكَبِ والبِزَةِ،

(١) في الأصل: «الدارسين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) نسبة إلى تَيْن مَلَل، سرير ملك بني عبد المؤمن الموحد، بها كان أول خروج المهدي محمد بن تُوْمَرْت، الذي أقام بالدولة، ومات فصارت لعبد المؤمن ثم لولده. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

يَنْقَضُ في زوايا الفَخَص عن مثل مُضْطَبِنه، فظنّه رئيسًا من رؤساء الجند، فقصده ورغب منه إجازة خبيثته بباب المدينة، وقرّر لتخوّفه من ظلم الحافز الكذا مُسلم، فأخذها منه وخبأها تحت ثيابه، ووكل به. ولم يذهب المسكين إلّا يسيرًا، حتى سأل عن الرجل، فأخبر أنّه الذي فرّ عنه، فسقط في يده. ثم تحامل، فألفاه ينظره في داخل السور، فدفع إليه أمانته، وقال: سرّ في حفظ الله، فقد عصمها الله من ذلك الرجل الظالم. فخجل الرجل، وانصرف متعجبًا. وأخبره في السراوة ونجح الوسيلة كثيرة.

وفاته: توفي في عام ثمانية وتسعين وستمئة، وشهد أميره دفنه، وكان قد أسفّ ولي العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده، فكان يتلمّظ لنكبته، ونصب لثاته لأكله، فعاجله الحمام قبل إيقاع نغمته به. ولما تصيّر إليه الأمر، نبش قبره، وأخرج شلوه، فأحرق بالنار، إغراقًا في شهوة التّشفي، رحمة الله عليه.

ومن العمال الأثراء

مؤمل، مولى باديس بن حَبُوس

حاله ومحتته: قال ابن الصّيرفي: وقد ذكر عبد الله بن بُلقين، حفيد باديس، واستشارته عن أمره، لما بلغه حركة يوسف بن تاشفين إلى خلعه. وكان في الجملة من أحبائه، رجل من عبيد جدّه اسمه مؤمل، وله سنّ، وعنده دهاء وفطنة، ورأي ونظر. وقال في موضع آخر: ولم يكن في وزراء مملكته وأخبار دولته، أصيل الرأي، جزل الكلمة، إلّا ابن أبي خيثمة^(١) من كتّبه، ومؤمل من عبيد جدّه، وجعفر من فتيانه. رجع، قال: فألطف له مؤمل في القول، وأعلمه برفق، وحسن أدب، أن ذلك غير صواب، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قُرب، والتّطارح عليه، فإنه لا تُمكنه مُدافعتة، ولا تُطاق حربه، والاستجداء له أحمد عاقبة وأيمن مغبة. وتابعه على ذلك نظراؤه من أهل السنّ والحكمة، ودافع في صدّ رأيه الغلّة والأعمار، فاستشاز غيظًا على مؤمل ومن نحا نحوه، وهمّ بهم، فخرجوا،

(١) أغلب الظن أنه أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، المعروف بابن أبي خيثمة، الذي ذكره ابن خير مُصنّفًا لكتاب تاريخ هام. فهرسة ابن خير (ص ٢٥١ - ٢٥٢). راجع أيضًا مذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٨) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٢٢).

وقد سلّ بهم فرقا منه. فلما جنّهم الليل فرّوا إلى لوشة، وبها من أبناء عبّيد باديس قائدها، فملكوها وثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. ويادر مؤمل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور وقد كان سَفَر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلا ونُبلا، فاهتزّ إليه، وكان أقوى الأسباب على حركته. ويادر حفيد باديس الأمر، فأشخص الجيش لنظر صهره، فتغلب عليهم، وسيق مؤمل ومن كان معه شرّ سوق في الحديد، وأزكّبوا على دواب هجن، وكشفت رؤوسهم، وأزيف وراء كل رجل من يصفعه. وتقدّم الأمر في نضب الجذوع وإحضار الرّماة. وتلطّف جعفر في أمرهم، وقال للأمير عبد الله: إن قتلّهم الآن، أطفأت غضبك، وأذهبت ملكك، فاستخرج المال، وأنت من وراء الانتقام، فتقفهم، وأطمعوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، وأنفذ إليه يوسف بن تاشفين في حلّ اعتقالهم، فلم تسعه مخالفته وأطلقهم. ولما ملك غرناطة على تقيّة تلك الحال، قدّم مؤملا على مُستخلصه^(١) وجعل بيده مفاتيح قصره، فنال ما شاء من مال وحظوة، واقتنى ما أراد من صامت وذخيرة. ونُسبت إليه بغرناطة آثار، منها السّقاية بباب الفخارين، والحوز المعروف بحوز مؤمل^(٢)، أذركتها وهي بحالها.

وفاته: قال ابن الصّيرفي: وفي ربيع الأول من هذا العام، وهو عام اثنين وتسعين وأربعمائة، توفي بغرناطة مؤمل مولى باديس بن حبّوس، عبد أمير المسلمين، وجابي مُستخلصه، وكان له دهاء وصبر، ولم يكن بقارىء ولا كاتب. رزقه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلة لطيفة ودرجة رفيعة. ولما أشرف على المنيّة، أحضر ما كان عنده من مال المُستخلص، وأشهد الحاضرين على دفعه إلى من استوثقه على حمله، ثم أبرأ جميع عماله وكتّابه. وأنفذ رجلا من صنائعه إلى أمير المسلمين بجُملة من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكتسبه في دولته، أيام خدمته، وأن يّنت المال أولى به، ورغب في ستر أهله وولده، فلما وصل إليه، أظهر الأسف عليه، وأمضى تقديم صنيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من محتججه، وشقاء من خلفه بسببه، وعدّد مالا وذخيرة.

(١) المستخلص: أملاك السلطان وأمواله.

(٢) حوز مؤمل أو حوز مؤمل: كان من أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها، سمي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خدام ملك غرناطة باديس بن حبّوس، ولاحتوائه على سطر من شجر الحوز. مملكة غرناطة (ص ٣٥).

حرف التون الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد
ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري^(١)

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجدّه وأخيه، يُكنى أبا الجيوش، وقد تقدم من أوليّة هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طُرُقَة العصر في أخبار الملوك من بني نصر» من تصنيفنا، قال: كان فتى يملأ^(٢) العيون حُسْنًا وتَمَام صورة، دَمِث الأخلاق، لَيِّن العريكة، عَفِيقًا، مَجْبُولًا على طلب الهدنة وحبّ الخير، مُعَمَد السَّيف، قَلِيل الشر، نَافِرًا لِلْبَطَر وإِراقة الدماء، مُحِبًّا في العلم وأهله، آخِذًا من صناعة التَّعْدِيل^(٣) بِحَظٍّ رَغِيب، يَخْطُ التقاويم^(٤) الصُّحُوح، ويصنع الآلات الطَّرِيفَة^(٥) بيده، اختَصَّ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرُّقَام، وحيدَ عصره، فجاء واحد دهره ظَرْفًا وإِحْكَامًا. وكان حَسَن العهد، كثير الوفاء. حَمَلَه الوفاء على اللُّجَاج في أمر^(٦) وزيره المطلوب بِعَزْلِهِ، على الاستهداف لِلخَلْع.

تَقَدَّمَ يوم خلع أخيه، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وسُتِّهِ ثلاث وعشرون سنة، فكان من تمام الخُلُق، وجمال الصُّورة، والثَّانِق في^(٧) ملوكي اللِّباس، آية من آيات الله خَالِقِهِ. واقتدى^(٨) بِرِسُوم أبيه وأخيه، وأَجْرَى الألقاب والعَوَائِد لأول دولته. وكانت أيامه، كما شاء الله، أيام نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ، شملت المسلمين فيها الأَزمَة، وأحاط بهم الدُّعْر، وكَلَبَ العدو. وسيمرّ من ذلك ما فيه كفاية^(٩). وكان فتى أي فتى، لو ساعده الجَدُّ، والأمرُ لله من قَبْلُ ومن بَعْدُ.

(١) هذه الترجمة الكاملة لأبي الجيوش نصر وردت في اللمحة البدرية (ص ٧٠ - ٧٧) كما هنا.

(٢) في اللمحة البدرية (ص ٧٠): «ملا». (٣) صناعة التعديل: علم الفلك.

(٤) في اللمحة: «التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الظرفية، ويصنع...».

(٥) في اللمحة: «العجبية».

(٦) كلمة «أمر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية، (ص ٧٠).

(٧) في اللمحة: «في رفيع اللباس وملوكي البزة آية...».

(٨) في اللمحة: «واحتذى مرسوم». (٩) في اللمحة: «الكفاية».

وزراء دولته: وزر له مُقيّم أمره ومُحكّم التدبير على أخيه، أبو^(١) بكر عتيق بن محمد بن المؤل. وبيت بني مؤل بقرطبة بيت^(٢) له ذكر وأصالة. ولما تغلب عليها^(٣) ابن هود اختفى بها أبوه أياماً عدة^(٤). ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة، خرج إليه وصحبه إلى غرناطة، فاتصلت قرياه بعقده على بشت للرئيس أبي جعفر المعروف^(٥) بالعُجلب ابن عم السلطان. واشتدَّ عُضْدُهُ، ثم تأكدت القزى بعقد مؤل أخي هذا الوزير على بشت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد، مُنجب هؤلاء الملوك الكرام، فقام^(٦) بأمره، واضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلب أهل الدولة عليه، وإخافة سلطانه منه، ما أوجب صرّفه إلى المغرب في غرض الرسالة، وأشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صرّفاً حسناً. وتولّى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج، المُسَيّر^(٧) لخلّعه، واجتثاث أصله وقزعه، وكان خبّاً داهية، أعلم الناس بأخبار الروم وسيرهم وآثارهم. فحدثت بين السلطان وبين أهل^(٨) حضرته الوحشة بسببه.

قضائته: أقرّ على خطة القضاء بحضرته قاضي أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشي المُنبز بابن فركون، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله^(٩).

كتّابه: شيخنا^(١٠) الصدر الوجيه، نسيج وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته.

من كان على عهده من الملوك: بالمغرب^(١١)، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تصيّر الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأخواز طنججة، في صفر عام ثمانية وسبعمائة. وكان^(١٢) مشكوراً، مُنخت الولاية. وفي دولته عادت سبّنة إلى الإيالة المرينية. ثم توفي بتازى^(١٣) في مستهل رجب^(١٤) من عام عشرة وسبعمائة. وتولّى الملك بعده عم

(١) في اللّمة: «الوزير القائد أبو...».

(٢) في اللّمة: «عليها» ساقطة في اللّمة.

(٣) كلمة «عليها» ساقطة في اللّمة.

(٤) كلمة «عدة» ساقطة في اللّمة.

(٥) في اللّمة: «المنز بالعُجلب».

(٦) في اللّمة: «قام».

(٧) في اللّمة: «المُسَيّر».

(٨) في اللّمة: «وأهل».

(٩) في اللّمة: «وقد تقدّم ذكره».

(١٠) في اللّمة البدرية: «شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب نسيج وحده إلى آخر مدته».

(١١) في اللّمة البدرية (ص ٧٢): «بالمغرب من ذلك: كان على عهده بالمغرب السلطان...».

(١٢) في اللّمة: «وكان مشكور الولاية».

(١٣) في اللّمة: «بتازا».

(١٤) في اللّمة: «شهر رجب».

أبيه السلطان الجليل الكبير، خذُن العافية، ووليُ السلامة، وممهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثيراً^(١) من أيام مَنْ بعده. وقد تقدّم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم مَنْ تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

وبتلمسان، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغْمِرَاسِن، [سلطان بني عبد الواد، مذلّ الصُّقْع]^(٢)، والمثل^(٣) السائر في الحزم والتيقظ، وصلابة الوجه، زعموا، وإحكام القِصَّة، والإغراب في خُبث^(٤) السيرة. واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين.

وبتونس، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواصل^(٥) يحيى بن المستنصر محمد^(٦) بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص^(٧). ثم تُوفي في ربيع^(٨) الآخر عام تسعة^(٩) وسبعمائة. فولي الأمر قريبه الأمير أبو بكر^(١٠) عبد الرحمن بن الأمير أبي يحيى^(١١) زكريا ابن الأمير [أبي إسحق بن الأمير]^(١٢) أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص. ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا يحيى^(١٣) بن عبد الواحد بن أبي حفص، فالتقى^(١٤) بأرض تونس، فهزم أبو بكر^(١٥)، ونجا بنفسه، فدخل بُسْتَانًا لبعض أهل الخدمة، مُخْتَفِيًا فيه، فسُعي به إلى أبي البقاء، فجيء به إليه، فأمر بعض القرابة بقتله صبرًا، نفعه الله^(١٦). وتمّ الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد^(١٧) الشيخ المعظم^(١٨) أبو يحيى زكريا الشهير^(١٩)

(١) في اللوحة: «وكثير».

(٢) في اللوحة: «المثل».

(٣) كلمة «الواصل» ساقطة في اللوحة.

(٤) في اللوحة: «حفص بن عبد الواحد».

(٥) في اللوحة: «شهر ربيع الآخر من عام...».

(٦) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي.

(٧) في الأصل: «أبو بكر بن عبد الرحمن» والتصويب من اللوحة.

(٨) كلمة «يحيى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللوحة البدرية.

(٩) في اللوحة: «والتقى».

(١٠) جملة «نفعه الله» ساقطة في اللوحة (ص ٧٣).

(١١) في اللوحة: «وصل».

(١٢) كلمة «المعظم» ساقطة في اللوحة.

(١٣) في اللوحة: «المعروف بالليثاني من المشرق».

باللخنياني، قافلاً من بلاد المشرق، وهو كبير آل أبي حفص نسباً^(١) وقدرًا، فأقام بإطرابلس، وأنفذ إلى تونس خاصته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المزدوري^(٢) محارباً لأبي البقاء، وطالباً للأمر. فتم الأمر^(٣)، وخلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة. وتم الأمير للشيخ أبي يحيى. واعتقل أبو البقاء، فلم يزل معتقلاً إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ودفن بالجبانة المعروفة لهم^(٤) بالزلّاج، فضريحه^(٥) فيما نعرفنا بإزاء ضريح قتيله^(٦) المظلوم أبي بكر، لا فاصل بينهما. وعند الله تجتمع الخصوم.

وأتصلت أيام الأمير أبي يحيى، إلى أن انقرضت مدة الأمير أبي الجيوش. وقد تضمن الإلماع بذلك^(٧) الرجز المسمى بـ«قطع السلوك»^(٨) من نظمي. فمن^(٩) ذلك فيما يختص بملوك^(١٠) المغرب قولي في ذكر السلطان أبي يعقوب: [الرجز]

ثم تقضى مُعْظَمُ الزمانِ	مواصلاً حُضِرَ بنى زيانِ
حتى أتى أهلَ تِلْمْسانَ الفَرْجَ	وتَشَقُّوا من جانب اللُّطفِ الأَرَجَ
لما ترقى دَرَجُ السُّعدِ دَرَجَ	فانفضَّ ضيقُ الحِصرِ عنها وانفَرَجَ
وابنُ ابنه وهو المسمى عامراً	أصبحَ بَعْدُ ناهيَا وآمراً
وكانَ لَيْثًا داميَ المَخالِبِ	تَغْلِبُ ^(١١) الأمرَ بجدِّ غالِبِ
أباحَ بالسَّيفِ نفوسًا عِدَّةَ	فلم تَطُلْ في المُلْكِ منه المُدَّةُ
ومات حَتَفَ أنفه واخْثُرَما	ثم سليمانُ عليها قُدُما
أبو الربيعِ دَهْرُهُ ربيعُ	يُثْنِي على سِيرته الجميعُ
حتى إذا المَلِكُ سليمانُ قَضَى	تصيرَ المَلِكِ ^(١٢) لعثمانَ الرُّضا
فلاح نور السُّعدِ فيها وأضا	ونسي ^(١٣) العَهْدَ الذي كان مضى

(١) في اللوحة: «حفص إذ ذاك سناً وقدرًا».

(٢) في اللوحة: «المزدوري».

(٣) في اللوحة: «له الأمر».

(٤) في اللوحة: «بضريحه».

(٥) في اللوحة: «بعض ذلك الرجز من نظمنا».

(٦) هو كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٧) في اللوحة: «فمنه».

(٨) في اللوحة: «بذكر ملوك في ذكر السلطان...».

(٩) في اللوحة: «يَقْلِبُ».

(١٠) في اللوحة: «الأمْر».

(١١) في الأصل: «وسنى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللوحة البدرية (ص ٧٤).

(١٢) الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٣ / م ١٧

وفيما يختص بني زيان، بعد ذكر أبي زيان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمان سغديه قام أبو حَمو بها من بَغديه
وهو الذي سطا عليه ولده حتى انتهى على يديه أَمده^(١)

وفيما يختص بآل أبي حفص بعد ذكر جملة^(٢) منهم: [الرجز]

ثم الشهيد^(٣) والأمير^(٤) خالد هيهات ما في الدهر حي خالد
وزكرياء^(٥) بها بَغد ثوى ثم نوى الرُحلة عنها والنوى
وَحَلَّ^(٦) بالشرق وبالشرق ثوى وربما فاز امرؤ بما ثوى

ومن ملوك النصاري بقشتاله: هرانده بن شانجه بن ألهنشه^(٧) بن هرانده بن شانجه. ونازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم ألقع عنها عن ضريبة^(٨) وشروط، ثم نازل في أخريات أمره^(٩) حصن القَبْدَاق، وأدركه أَلَم الموت بظاهره، فاختمل من المحلة^(١٠) إلى جيان، وبقيت المحلة مُمِخخة على الحصن، إلى أن تَمَلَّك بعد موت الطاغية بأيام^(١١) ثلاثة، كتموا فيها موته. ولسبب^(١٢) هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طرفة العصر، في تاريخ دولة بني نصر». وقام بعده بأمر النصرانية ولده ألهنشه، واستمرت أيامه إلى^(١٣) عام خمسين وسبعمائة.

بعض الأحداث في أيامه: نازل على أول أمره طاغية قشتالة الجزيرة الخضراء في الحادي والعشرين من^(١٤) عام تسعة وسبعمائة، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، وألقع^(١٥) عنها بعد ظهوره على الجبل^(١٦) وفوز قداحه به. ونازل

(١) بعد هذا البيت جاء في اللمحة البدرية البيت الآتي:

وأخذ الله له بالشار وكل نظم فللى انتشار

(٢) في اللمحة: «جملة في نسق». (٣) في اللمحة: «ثم الأمير والشهيد».

(٤) في الأصل: «الأمير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.

(٥) في الأصل: «وزكرياء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.

(٦) في الأصل: «رحل» والتصويب من اللمحة. (٧) في اللمحة: «ألفونشة».

(٨) في اللمحة: «عن شروط وضريبة». (٩) في اللمحة: «أيامه».

(١٠) المحلة هنا بمعنى: المعسكر. (١١) في اللمحة: «بعد أيام ثلاثة إذ كتم موته».

(١٢) في اللمحة: «ولموته حكاية غريبة تضمنها كتاب طرفة العصر من تأليفنا».

(١٣) في اللمحة: «إلى عاشوراء من عام...».

(١٤) في اللمحة البدرية (ص ٧٥): «الصفر من...».

(١٥) في اللمحة: «ثم ألقع».

(١٦) في اللمحة: «على جبل الفتح»، وهو جبل طارق.

صاحبُ بَرْجلونة مدينةَ المريّة غرةَ ربيع الأول من هذا العام، وأخذ بمُخَنَقِها، وتفرّقت
الظبا على الخِراش^(١)، ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقِيعَة^(٢) كبيرة،
واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونَفَسَ الله الحَضْرَ، وفرّج الكرب. وما كاد
أهل الأندلس يستَنَشِقون^(٣) ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة^(٤)، ونشأت ريحُ
الخلاف، واستَفْسَد وزيرُ الدولة ضمائر أهلها، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصارى
والصاغية إلى العدو، وأظهر الرئيس^(٥) ابن عم الأب صاحب مألقة أبو سعيد
فرج^(٦) بن إسماعيل، صيّرَ الغالب بالله^(٧) ابن نصر، الأمتسك بما كان بيده، والدعاء
لنفسه، وقَدَّم ولده الدّائل إلى طلب المُلْك. وثار أهل غرناطة، يوم الخامس والعشرين
لرمضان^(٨) من العام، وأعلن منهم مَنْ أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، وخَبَطُوا
العِشواء^(٩)، ونزل الحَشَم، فلاذ الناس منهم بديارهم، وبرز السلطان إلى باب القلعة،
متقدِّماً بالعِقة عن الناس، وفرّ الحاسرون عن القِناع، فلاحقوا بالسلطان أبي الوليد
بمألقة، فاستَنَهضوه^(١٠) إلى الحركة، وقصد الحَضْرَة، فأجابهم وتحرك، فأطاعته
الحصون بطريقه، واحتلّ خارج^(١١) غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين
لشوال منه^(١٢)، فابتدره الناس من صائح ومُشير بثوبه، ومُتطارح بنفسه، فدخل البلد
من ناحية رَبَض البيازين، واستقرّ بالقَصبة^(١٣)، كما تقدم في اسمه. وفي ظهر يوم
السبت التاسع والعشرين من الشهر، نزل^(١٤) الحمراء دار الملك، وانفصل السلطان
المُترجم به، موَفَّى له شرط عَقْدِه من انتقاله إلى وادي آش، مستبداً بها، وتغيين مالٍ
مخصوص، وغير ذلك. ورَحَلَ ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. واستمرت
الحال، بين حرب ومُهادنة^(١٥)، وجَرَتْ بسبب ذلك أمور صَغْبَة إلى حين وفاته.
رحمه الله.

-
- (١) في اللمحة: «خداش».
(٢) في اللمحة: «ينتشفون».
(٣) في الأصل: «الرئيس» والتصويب من اللمحة.
(٤) في اللمحة: «ساقطة في اللمحة».
(٥) في اللمحة: «بالله تعالى الامتسك بما في يده...».
(٦) في اللمحة: «من رمضان هذا العام».
(٧) في اللمحة: «عشواء».
(٨) في اللمحة: «واستنهضوه».
(٩) في اللمحة: «من العام».
(١٠) في اللمحة (ص ٧٦): «بالقصة القُذما تجاء الحمراء. وفي ظهر...».
(١١) في اللمحة: «كان دخوله دار...».
(١٢) في اللمحة: «ومهادنة إلى حين وفاته».
(١٣) في اللمحة: «في اللمحة: «وقعة».
(١٤) في اللمحة: «نجم شهاب الفتنة».
(١٥) في اللمحة: «الحمراء».

مولده: وُلِدَ^(١) في رمضان عام ستة وثمانين وستمائة. وكانت سنُهُ سَنًا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهرًا واحدًا، ومُقامه بوادي آش تسعة أعوام وثلاثة أيام.

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة بوادي آش، ودفن بجامع القصبة منها، ثم نقل في أوائل^(٢) ذي الحجة منه إلى الحَضْرَةِ، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، وبرز إليه السلطان، والجمع الكثير من الناس، ووُضِعَ^(٣) سريره بالمصلّى العيدي، وصُلّي عليه إثر صلاة العصر، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة، وكان يومًا من الأيام المشهودة، وعلى قبره مكتوب في الرُخام:

«هذا قبر السلطان المُرَقَّع^(٤) المقدار، الكريم البيت العظيم النجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصريح النسب في صميم الانصار^(٥)، الملك الأُوحد الذي له السلف العالي المنار، في الملُك المنيع الذمار، رابع ملوك بني نصر أنصار دين المصطفى^(٦) المختار، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرائم الأموال ونفائس الأعمار، المعظم المقدس المرحوم أبي الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمر، المجاهد الأخفى، الملك العادل، الطاهر الشّمانل، ناصر دين الإسلام، ومُبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدس، المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله ابن السلطان الجليل^(٧)، الملك الشهير، مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان، وحافظ كلمة الإسلام وناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل الله، المقدس المرحوم، أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر، تغمده الله برحمته وغفرانه، وبوأه منازل إحسانه، وكتبه في أهل رضوانه، وكان^(٨) مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين وستمائة. وبويع يوم الجمعة غُرّة شوال عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي، رحمه الله^(٩)، ليلة يوم الأربعاء

(١) هذا النص عن مولده ساقط في اللوحة البدرية.

(٢) في اللوحة: «في أول ذي حجة».

(٣) في اللوحة: «وصُلّي على سريره بالمصلّى العيدي إثر صلاة العصر من يوم الخميس السادس من الشهر، ووري بترية جدّه من مقبرة السبيكة، وكان يومه من الأيام المشهودة وعلى قبره...».

(٤) في اللوحة: «الرفيع».

(٥) في اللوحة: «الأمصار».

(٦) في اللوحة: «المدني».

(٧) في اللوحة البدرية (ص ٧٧): «السلطان الملك الجليل الشهير».

(٨) في اللوحة: «كان».

(٩) جملة «رحمه الله» ساقطة في اللوحة البدرية.

السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فسبحان المَلِكِ الحقِّ المبين،
وارث الأرض وَمَنْ عليها، وهو خير الوارثين. وفي جهة^(١): [الكامل]

يا قبر، جاد ثراك ^(٢) صَوْبُ غمام	يَهْمِي عليك برحمة وسلام
بُورِكَتْ لَحْدًا فيه أي ودبعة	ملك كريم من نجار كرام
ما شئت من حلم ومن خلق رضى	وزكاء أعراق ومَجْدِ سام
فاسعد بنصر رابع الأملاك من	أبناء نصر ناصري الإسلام
من خَزَزَجِ الفخر الذين مقامهم	في نضر خير الخلق خير مقام
يا أيها المولى المؤسس بيته	في معدن الأحساب والأحلام
ما للمنيّة والشباب مساعد	قد أقصدتك بصائب سهام
عَجَلْتُ على ذاك الجمال فغادرت	ربيع المحاسن طامس الأعلام
فمحي الردى من حُسن وجهك آية	نحو ^(٣) النهار لسدفة الإظلام
ما كنت إلا بذر يَم باهرا	أختى الخسوف عليك عند تمام
فعلى ضريح أبي الجيوش تحية	كالمسك عرقا عند فُض ختام
وتغمّدته رحمة الله التي	ترضيه من عذّب بدار مقام

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حصن أزيول من عمل مرسية، ولهم في الدولة
النصرية مزية خُصُوا لها بأعظم رُتب القيادة، واستعمل بعضهم في ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شبرين، قال: وفي السادس عشر لذي
قعدة منه، يعني عام عشرة وسبعمائة، توفي بغرناطة القائد المبارك أبو الفتح، أحد
الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى، أولي النزاهة والوفاء.

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهري

يكنى أبا الفتح، خفيد المذكور معه في هذا الباب.

(١) قوله: «وفي جهة» ساقط في اللمعة البدرية.

(٢) في اللمعة: «ثراك جاد» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في اللمعة: «محو».

حاله: من كتاب «طرفة العصور»: نسيجٌ وحده في الخير والعفاف، ولين العريكة، ودماثة الأخلاق، إلى بُغد الهمة، وجمال الأبهة، وضخامة التَّجُنُّد، واستجادة المَرْكَب والعُدَّة، وارتباط العبادة. استعان على ذلك بالثَّعْمَة العريضة بين مُنادية إليه بميراث، ومُكْتَسَبٍ من جزاء المُتَغَلَّب على الدولة صِهْرِهِ ابن المحروق معياشة لُبْنَتِهِ. وَنَمَت حال هذا الشَّهْم التَّجْد، وشَمَخَت رُثْبَتُهُ حتى خُطِب للوزارة في أخريات أيامه، وعاق عن تمام المُراد به إلحاح السُّقْم على بدنه وملازمة الضَّنا لجُثمانه، فمضى لسبيله، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة، ذائع الثَّناء، نقي العِرْض، صدرًا في الوُلاة، وعَلَمًا في القَوَاد المُحَمَّاة.

وفاته: توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال، رَكِب إليها السلطان، ووقف بإزاء لَحْدِهِ، إلى أن وُورِي، تنوِيهاً بِقُدْرِهِ، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه. وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته.

ومن الكتاب والشعراء

نزهون بنت القليعي^(١)

قال ابن الأثير^(٢): وهو فيما أَحَسَّبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، غرناطية^(٣).

حالتها: كانت^(٤) أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودُعاة. وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزْمان^(٥)، والمخزومي الأعمى^(٦)، وأبي بكر بن سعيد^(٧).

(١) ترجمة نزهون في المغرب (ج ٢ ص ١٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣) والتكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) ويغية الملتمس (ص ٥٤٦) ورايات المبرزين (ص ١٥٩) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٢) التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨). وانظر أيضًا: الذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٣) في التكملة: «من أهل غرناطة».

(٤) النص في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٥) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٦) هو أبو بكر المخزومي الموروري، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

(٧) أغلب الظن أنه أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد، وقد ترجم له ابن الخطيب في هذا الجزء.

شعرها: دخل^(١) الأديب أبو بكر الكتندي^(٢) الشاعر، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى، فلما نظر إليها، قال: أجز يا أستاذ: [الكامل]

لو كنت تُبَصِّرُ من تكلُّمه^(٣)

فأفحم المخزومي زامعاً، فقالت: [الكامل]

لَعَدَوْتُ أَخْرَسَ مِنْ خَلَاخِلِهِ

ثم زادت:

السِّدْرُ يَطْلُعُ مِنْ أَرْزَتِهِ وَالْقُضْنُ يَسْمُرُ فِي غَلَائِلِهِ

ولا خفاء ببراعة هذه الإجازة ورفاعة هذا الأدب.

وكتب إليها أبو بكر بن سعيد، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من الأدباء الأعيان^(٤):

[المجتث]

يا مَنْ لَهُ أَلْفُ خَلٍّ^(٥) مِنْ عَاشِقٍ وَعَشِيقٍ^(٦)

أَرَاكِ خَلَّيْتَ لَنَا سِ سَدُّ ذَاكَ الطَّرِيقِ^(٧)

فأجابته بقولها: [الطويل]

خَلَّلْتُ أبا بكرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سَوَاكَ، وَهَلْ غَيْرُ الرِّفِيعِ^(٨) لَهُ صَدْرِي؟

وإن كان لي كم من حبيب فلانما يُقَدِّمُ أَهْلُ الْحَقِّ فَضْلَ^(٩) أَبِي بَكْرٍ

وهذه غاية في الحُسن بعيدة. ومحاسنها شهيرة، وكانت من غُرر المفاجير

الغرناطية.

(١) الحكاية والشعر في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ورايات المبرزين (ص ١٥٩ - ١٦٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٢١) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٧١ - ٧٢) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الكتندي، وله ترجمة في رايات المبرزين (ص ١٥٧).

(٣) في التكملة: «من نجالسه». وفي الذيل والتكملة والنفع: «من تجالسه».

(٤) شعر أبي بكر بن سعيد وجواب نزهون في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٥) في المقتضب ورايات المبرزين: «شخص». (٦) في النفع: «وصديق».

(٧) في المصدر نفسه: «... للناس منزلاً في الطريق».

(٨) في المصادر الثلاثة: «الحبيب». (٩) في النفع: «حُب».

حرف الصاد من الأعيان والوزراء

الصُمَيْل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذِي الجوشن
الضَّبَائِي الكَلْبِي^(١)

وهو من أشرف عَرَب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخزائني»: جَدُّهُ^(٢) أَحَدُ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
وَالَّذِي قَدِمَ بِرَأْسِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، فَلَمَّا قَامَ الْمُخْتَارُ^(٣) نَائِرًا بِالْحُسَيْنِ قَرَأَ عَنْهُ
شَمِرٌ وَلَحِقَ بِالشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا فِي عَزٍّ وَمَنَعَةٍ. وَلَمَّا خَرَجَ كُلثُومُ بْنُ عِيَّاضٍ غَازِيًا إِلَى
الْمَغْرِبِ، كَانَ الصُّمَيْلُ مِمَّنْ ضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ. وَدَخَلَ
الْأَنْدَلُسَ فِي طَائِفَةِ بَلْجِ بْنِ بَشْرِ الْقُشَيْرِيِّ، فَشُرِفَ بِبَدَنِهِ إِلَى شَرَفٍ تَقَدَّمَ لَهُ، وَرَدَّ ابْنُ
حَيَّانٍ هَذَا. وَقَالَ فِي كِتَابِ «بَهْجَةِ الْأَنْفُسِ»، وَرَوُضَةِ الْأَنْسِ: كَانَ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ
هَذَا جَدُّهُ شَمِرٌ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَتَلَهُ، تَمَكَّنَ مِنْهُ
الْمُخْتَارُ فَقَتَلَهُ، وَهَدَمَ دَارَهُ، فَارْتَحَلَ وَلَدُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَرَأَسَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَفَاقَ أَقْرَانَهُ
بِالنَّجْدَةِ وَالسُّخَاءِ.

حاله: قال^(٤): كَانَ شَجَاعًا، نَجْدًا، جَوَادًا، كَرِيمًا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا أُمِّيًّا لَا
يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَكَانَ^(٥) لَهُ فِي قَلْبِ الدُّوَلِ وَتَدْبِيرِ الْحُرُوبِ، أَخْبَارٌ مَشْهُورَةٌ.

من أخباره: حَكَى ابْنُ الْقُوطَيْبَةِ، قَالَ^(٦): مَرَّ الصُّمَيْلُ بِمَعْلَمٍ يَتْلُو: ﴿وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٧)، فَوَقَّفَ يَسْمَعُ، وَنَادَى بِالْمَعْلَمِ: يَا هُنَا، كَذَا نَزَلَتْ

(١) توفي الصُمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ سَنَةَ ١٤٢ هـ، وَتُرْجِمَتْهُ فِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (ج ١ ص ٦٧) وَتَارِيخِ افْتِتَاحِ
الْأَنْدَلُسِ (ص ٤٤ - ٤٦، ٥١، ٥٩ - ٦١).

(٢) النِّصُّ فِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (ج ١ ص ٦٧) بِتَنْصَرُفٍ، وَجَاءَ فِيهِ أَنَّ جَدَّهُ هُوَ: شَمِرُ بْنُ ذِي
الْجَوْشَنِ.

(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٧ هـ؛ مِنْ زَعَمَاءِ الثَّائِرِينَ عَلَى بَنِي
أُمِيَّةٍ، كَانَ هَمُّهُ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ قَاتَلُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. الْأَعْلَامُ (ج ٧ ص ١٩٢)
وَفِيهِ ثَبَتَ بِأَسْمَاءِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تُرْجِمَتْ لَهُ.

(٤) قَارَنَ بِالْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (ج ١ ص ٦٨). (٥) فِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ: «وَكَانَتْ».

(٦) النِّصُّ فِي تَارِيخِ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ (ص ٦٠) وَالْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (ج ١ ص ٦٨) بِتَنْصَرُفٍ.

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣، آيَةُ ١٤٠.

هذه الآية؟ فقال: نعم، فقال: أرى والله أن سيُشركنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة.

خبره في الجود: قال: كان أبو الأجرى الشاعر^(١) وقفًا على أمداح الصُميل، وهو القائل: [الوافر]

بئى لك حاتمٌ بئيتنا ربيعًا رأيتناه على عُمْدٍ طوالٍ
وقد كان ابنتى شمرٌ وعمرو بيوتنا غيرَ صاحبةِ الظلالِ
فأنت ابنُ الأكارم من معدٍّ تغلجُ للأباطح^(٢) والرُمالِ

وقارضه بإجزاله لعطائه وانتمائه في ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه بأن لا يراه إلا أعطاه ما حضره، فكان أبو الأجرى قد اعتمد اجتنابه في اللقاء حياةً منه وإبقاءً على ماله، فكان لا يزوره إلا في العيدين قاضيًا لحقه. وقد لقيه يومًا مواجهةً ببعض الطريق، والصُميل راكبٌ، ومعه ابنه، فلم يحضره ما يعطيه، فأزجل أحد ابنتيه، وأعطاه دابته، فضرب في صنعه، وفيه يقول من قصيدة: [الكامل]

دون الصُميل شريعةٌ موزودةٌ لا يستطيع لها العدوُّ ورودا
فُت الورى وجمعت أشتات العلا وحويت مجدا لا يُنال وجودا
فإذا هلكت فلا تحمل فارس سيفًا ولا حمل النساء وليدا

وكان صاحب أمره ولأه الأندلس قبل الأمويين؛ لهم الأسماء وله معنى الإمرة، وكان مظفر الحروب، سديد الرأي، شهير الموقف، عظيم الصبر. وأوقع باليمانية وقائع كثيرة، منها وقعة شقندة، ولم يكن بالأندلس مثلها، أثخن فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: وكان أبيًا للضيم، مُحاميًا عن العشيرة، كَلِم أبا الخطار الأمير في رجل من قومه انتصر به، فأفجمه، وردَّ عليه، فأمر به، فتغشع ومالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من علي باب الأمير: يا أبا الجوشن، ما باب عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لي قومٌ فسَيُقيمونها، وخرج من ليلته، فأفسد ملكه.

(١) أبو الأجرى هو جفونة بن الصمة الكلابي، من قدماء شعراء الأندلس، وترجمته في جنوة المقتبس (ص ١٨٩) وبنية الملتبس (ص ٢٦١) والمغرب (ج ١ ص ١٣١).

(٢) في الأصل: «تغلج الأباطح...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. وتغلج الرجل: يشتد.

وفاؤه: وخبر وفاته مشهور، فيما كان من جوابه لرَسُولِي عبد الرحمن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره يوسف بن عبد الرحمن الفهري، والتسّر مع ذلك عليهما، فليُنظر في كتاب «المقتبس».

دخوله غرناطة: ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية، صقر بني أمية، وقهر الأمير يوسف الفهري ووزيره الصميل، إذ عزّله الناس، ورجع معه يوسف الفهري والصميل إلى قرطبة، ولم يلبثا أن نكثا، ولحقا فحضر غرناطة، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خبر طويل، واستنزلهما عن عهد، وعاد الجميع إلى قرطبة، وكان يوسف والصميل يزكبان إلى القصر كل جمعة إلى أن مضيا لسبيلهما. وكان عبد الرحمن بن معاوية يسترجع ويقول: ما رأيت مثله رجلاً. لقد صجّبتني من البيرة إلى قرطبة، فما مسّت ركبتي ركبته، ولا خرجت دابّته عن دابّتي.

ومن الكتاب والشعراء

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى
ابن إدريس الثجبي^(١)

من أهل مرسية، يكنى أبا بجر^(٢).

حاله: كان^(٣) أديباً، حبيباً جليلاً، أصيلاً، مُنتعاً من الطّرف، ريان من الأدب، حافظاً، حسن الخطّ، سريع البديهة، ترفّ النّشأة، على تصاؤن وعفاف، جميلاً سرّياً، سَمَحاً ذكياً، مليح العشرة، طيّب النفس، ممّن تساوى حفظه في النظم والنثر، على تباين الناس في ذلك.

مشيخته: روى عن أبيه وخاله، ابن عمّ أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس، وأبي بكر بن مغاور، وأبي الحسن بن القاسم، وأبي رجال بن غلبون، وأبي عبد الله بن حميد، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمد الحنجري، وابن حوط الله، وأبي الوليد بن رُشد، وأجاز له أبو القاسم بن بشكّوال.

(١) ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة (ج ٢ ص ٢٢٤) والمغرب (ج ٢ ص ٢٦٠) ورايات المبرزين (ص ٢٠١) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١١٧) والوافي بالوفيات (ج ١٦ ص ٣٢١) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٥٥، ٢٠٦) والذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٥٧).

(٢) في النفع: «أبو بجر».

(٣) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) والنفع (ج ٧ ص ٥٧ - ٥٨).

مَنْ روى عنه: أبو إسحق اليائري، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن أبي البقاء، وأبو عمرو بن سالم، ومحمد بن محمد بن عيشون.

توالياً له: له توالياً أدبية منها، «زاد المسافر»، وكتاب «الرحلة»، وكتاب «العجالة» سفران يتضمنان من نظمه ونثره أدباً لا كفاء له. وانفرد من تأبين الحسين، رضي الله عنه، وبكاء أهل البيت، بما ظهرت عليه بركته في^(١) حكايات كثيرة.

شعره: ثبت من ذلك في العجالة قوله^(٢): [الكامل]

جَادَ الزَّمَانُ بِأَتَةِ الْجَزَعَاءِ تَوْقَانٍ مِنْ دَمْعِي وَغَيْثِ سَمَاءِ^(٣)
فَالدَّمْعُ يَقْضِي عِنْدَهَا حَقَّ الْهَوَى وَالْغَيْمُ حَقَّ الْبَانَةِ الْغَيْنَاءِ^(٤)
خَلَّتِ الصُّدُورُ مِنَ الْقُلُوبِ كَمَا خَلَّتْ تِلْكَ الْمَقَاصِرُ مِنْ مَهَا وَظَبَاءِ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِسَاحِبِي وَإِنَّمَا دُخِرَ الصُّدُوقُ لِأَمَجْدِ^(٥) الْأَشْيَاءِ
يَا سَاحِبِي، وَلَا أَقُلُّ إِذَا أَنَا نَادَيْتُ مَنْ أَنْ تُصْغِيَا لِنَدَائِي^(٦)
عُوجًا بِحَارِ^(٧) الْغَيْمِ فِي سَقْيِ الْجَمَا حَتَّى تَرَى^(٨) كَيْفَ انْسَكَبَ الْمَاءُ
وَتَسُنَّ فِي سَقْيِ الْمَنَازِلِ سُنَّةٌ تُنْضِي بِهَا حُكْمًا عَلَى الظُّرْفَاءِ
يَا مَنْزِلًا تَشْطُطُ إِلَيْهِ غَيْبَرَتِي حَتَّى تَبَسُّمَ زَهْرُهُ لِبِكَائِي^(٩)
مَا كُنْتُ قَبْلَ مَزَارِ رَبِّكَ عَالِمًا أَنَّ الْمَدَامِغَ أَصْدَقُ الْأَنْوَاءِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالزَّمَانُ تَنْقُلُ وَالذُّفْرُ نَاسِخُ شِدَّةِ بِرَخَاءِ
هَلْ نَلْتَقِي فِي رَوْضَةِ مَوْشِيَةٍ خَفَاقَةِ الْأَغْصَانِ وَالْأَقْيَاءِ؟
وَنَنَالُ فِيهَا مِنْ تَأْلِفِنَا وَلَوْ مَا فِيهِ سُخْمَةٌ^(١٠) أَعْيُنَ الرُّقْبَاءِ؟
فِي حَيْثُ أَتَلَقَّتِ الْقُصُوفُ سَوَالِفًا قَدْ قُلِدَتْ بِسَالَى الْأَنْدَاءِ
وَجَرَتْ^(١١) ثُغُورُ الْيَاسْمِينِ فَقَبَّلَتْ عَنِّي^(١٢) عِذَارَ الْآسَةِ الْمَيْسَاءِ

(١) في النفع: «من».

(٢) القصيدة في نفع الطب (ج ٨ ص ٣٩٠ - ٣٩١).

(٣) رواية البيت في النفع هي:

جَادَ الرُّبَا مِنْ بَانَةِ الْجَزَعَاءِ

(٤) في النفع: «الغناء».

(٦) في الأصل: «النداء» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «يرى».

(١٠) في النفع: «سحنة».

(١٢) في الأصل: «عيني» والتصويب من النفع.

تَوْقَانٍ مِنْ دَمْعِي وَغَيْمِ سَمَاءِ

(٥) في النفع: «لأكد».

(٧) في النفع: «تجاري».

(٩) في الأصل: «لبكاء» والتصويب من النفع.

(١١) في النفع: «ويدت».

رَمَدَ أَلَمٌ بِمُسْقَلَةٍ زَرْقَاءِ
زُهْرُ النَجُومِ تَلُوحُ بِالْخَضِرَاءِ
لِلرَّوْضِ يُخْبِرُهُ بِطُولِ بَقَاءِ
بِدْرَاهِمِ الْأَزْهَارِ رَمَى سَخَاءِ
بِالْعُذْرِ^(٢) عَنْهُ نَغْمَةُ الْوَزْقَاءِ
كَالْخُودِ فِي مَوْشِيَةِ خَضِرَاءِ
طَرِبَا وَقَهْقَهةً مِنْهُ جَزِيَّ الْمَاءِ
فَكَأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الْإِغْفَاءِ
وَكِلَاهُمَا سَبَبٌ لَطُولِ عَنَاءِ
إِنَّ الرُّقَاعَ لَشُخْفَةُ الشُّبُهَاءِ
إِنَّ الْكِتَابَ تَحِيَّةُ الظُّرْفَاءِ^(٤)

والوردُ في شَطِّ الْخَلِيجِ كَأَنَّهُ
وَكَاكَ غَصْنُ^(١) الزُّهْرِ فِي خُضْرِ الرَّبِيِّ
وَكَاكَ مَا جَاءَ التُّسَيْمُ مُبَشِّرًا
فَكَسَاهُ خِلْعَةً طَيِّبَةً وَرَمَى لَهُ
وَكَاكَ مَا احْتَقَرَ الصَّنِيعَ فَبَادَرَتْ
وَالْغُضْنَ يَرْقِصُ فِي حُلَى أَوْرَاقِهِ
وَأَفْتَرُ ثَغْرِ الْأَقْحُوَانِ بِمَا رَأَى
أَفْدِيَهُ مِنْ أَنْسٍ تَصَرَّمٍ فَاَنْقَضَى
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ذِكْرٍ أَوْ مَنَى
أَوْ رُقْعَةٍ مِنْ صَاحِبٍ هِيَ تُخْفَةُ
كِبْطَاقَةِ الْوَسْمِيِّ^(٣) إِذْ حَيَا بِهَا

وهي طويلة^(٥). وقال مراجعًا عن كتاب أيضًا: [الوافر]

ذرى بوروده أُنْسِي قَبَابَا
دَعَا بِهِمَا لِيُرْنِي فَاسْتَجَابَا؟
فَلَيْتَ الدَّهْرَ سَنَى لِي إِيَابَا
قَبِيعَتْ بِمِثْلِهِ عِلْقًا لُبَابَا
قَدَّعَنِي أَقْطَعُ الْعُمَرَ اغْتِرَابَا
فَهَلْ وَجَّهْتُ طَرَسًا أَمْ شِهَابَا؟
يُذَكِّرُنِي شَمَائِلُكَ الْعِذَابَا
وَلَكِنْ خِلْتُ قَوْلَهُمْ تَصَابَا
فَتَخْتُ بِقَضُّهِ لِلرَّوْضِ بَابَا
لَكِي اسْتَوْدَعَ الزُّهْرَ السُّحَابَا
خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْنَى التَّهَابَا
لَكثْتُ عَلَى كِتَابِكُمُ الْجَوَابَا

أَلَا سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ كِتَابَا
فَلَا أَذْرِي أَكَاثَا تَحْتَ وَغْدِ
وَقَدْ ظَفِرَتْ يَدِي بِالْعُثْمِ مِنْهُ
فَلَوْ لَمْ أَسْتَفِذْ شَيْئًا سِوَاهُ
إِذَا أَخْرَزْتُ هَذَا فِي اغْتِرَابِي
رَجَمْتُ بِأَنْسِهِ شَيْطَانُ هَمِّي
رَشَفْتُ بِهِ رُضَابَ الْوُدِّ عَذْبَا
وَكِذْتُ أَجْرُ أَدْيَالِي نَشَاطَا
فَقَضَضْتُ خَتَامَهُ عَنِّي كَانِي
فَكَذْتُ أَبْثُهُ فِي جَفْنِ عَيْنِي
وَكُنْتُ أَصُونُهُ فِي الْقَلْبِ لَكِنْ
وَلَوْ أَنَّ اللَّيَالِي سَامَحَتْنِي

(١) في النسخ: «غَضْ».

(٢) في النسخ: «الْعُذْرِي».

(٣) في النسخ: «الوشقي».

(٤) في النسخ: «الخلطاء».

(٥) في النسخ: «إِلِلْعُذْرِي».

(٦) في النسخ: «الوشقي».

فأبلي عندكم بالشكر عذراً
ولكن الليالي قيّدتنني
فما تلقائي الأحباب إلا
لأمر ما يقصّ الدهر ريشي
وعاذلة تقول ولست أضغي
تخوفني الدواهي وهي عندي
إذا طرقت أعد لها قراها
وما مثلي يخوف بالدواهي
تعاتبني فلا يرتد طرقي
ولو أن العتاب يفيد شيئاً
وقد وصيئتها بالصمت عني
تغنّيني على تركي بلاداً
تقول: وهل يفلّ السيف إلا
فقلت: وهل يضرّ السيف قلّ
بخوض الهول تكتسب المعالي
فلئث الغاب يفترس الأناسي
ولو كان انقضاض الطير سهلاً
دعيني والنهار أسير فيه
أغازل من غزالته فتاة
إذا شاءت مواصلي تجلث
وأشري الليل لا ألوي عنانا
أطارج من كواكبه كماما
وأزكّب أشهباً^(٣) غبراً كباعي
وأخذ من بنات الدهر حقي
ولست أذيل بالمدح القوافي

وأجزل من ثنائكم الثوابا
وقيّد عذتي^(١) إلا الخطابا
سلاماً أو مناماً أو كتابا
لأن السهم مهما ريش صابا
ولو أضغيت لم أرفع جوابا
أقل من أن أضيق بها جنابا
وقاراً واحتساباً واضطبارا
عرين الليث لا يخشى الذبابا
وهل تستزقيص الرياح الهضابا؟
ملأث مسامع الدنيا عتابا
فما صمئت ولا قالت صوابا
عهذت بها القرارة والشبابا
إذا ما فارق السيف القرابا
إذا قطّ الجماجم والرقابا؟
يجلّ السهل من ركب الصعابا
وليث البئيت يفترس الذبابا
لكانت كل طائفة عقابا
أسير عزائم تفري الصلابا
تبئض فودها هزماً وشابا
وإن ملث توارث لي احتجابا
ولو نيل الأمانى ما^(٢) أصابا
وأزجر من دجئيه غرابا
وخضراً مثل خاطري أنسيابا
جهاز البيت استلب استلابا
ولا أرضى بخطيتها اكتسابا

(١) في الأصل: «وقيدت عرضي»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «لما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «شهباً»، وكذا لا يستقيم الوزن.

أمدح من به أهجو مديحي
 ساخزنها عن الأسماع حتى
 فليست بمادح ما عشت إلا
 أبا موسى، وإني ذو^(١) وداد
 ولكن دون ذلك مهممة لو
 أخي، بر المودة كل بر
 بعشت إليك من نظمي بدر
 عداني الدهر أن يلقاك شخصي
 إذا طيبت بالمسك الكلاما
 أرد الضمت بينهما ججبا
 سيوقا أو جيادا أو صحابا
 أناجي لو سمعت إذا أجابا
 طوته الريح لم تزج الإيابا
 إذا بر الأشقا^(٢) الانتسابا
 شقت عليه من فكري عبابا
 فأغنى الشجر عن شخصي ونابا

وقال في الغرض الذي نظم فيه الرصافي^(٣) من وصف بلده، وذكر إخوانه
 ومعاهده، مساجلا في العروض والرؤي، عقب رسالة سماها «رسالة طراد الجياد في
 الميدان، وتنازع اللدان والإخوان، في تنفيق مرسية على غيرها من البلدان»^(٤) :
 [الطويل]

لعل^(٥) رسول البرق يفتنم الأجرا
 معاملة أزيو^(٦) بها غير مذنب
 ليسقي^(٨) من تدمير قطرا محببا
 ويفرضه ذوب اللجين وإنما
 وما ذاك تقصيرا بها غير أنه
 خليلي، قوما فأخيسا طروق الصبا
 فإن الصبا ريح علي كريمة
 فينشتر^(٦) عني ماء غبرته نثرا
 فأقضيه دمع العين من نقطة بخرا
 يقر بعين القطر أن تشرب القطرا
 ثوقيه عيني من مدامعها تبرا
 سجيئة ماء البخر أن يذوي الزفرا
 مخافة أن تخمي^(٩) بزفرتي الحري
 بآية ما تشري من الجنة الصغرى

(١) في الأصل: «أخي»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «الأشقة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تقدمت قصيدة الرصافي الرائية في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة محمد بن غالب الرصافي
 ومطلعها: [الطويل]

خليلي، ما للبيد قد عبت نثرا وما لرؤوس الركب قد رجحت سكرًا

(٤) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٥٨ - ٦١).

(٥) في الأصل: «هل رسول...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «فينشتر»، والتصويب من النفع. (٧) في النفع: «أزي».

(٨) في الأصل: «ليسقي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «يحمي».

خليلتي، أغني أرض مرسية المني
محلي بل جوي الذي عبث به
ووكري الذي منه درجت فليتنى
وما روضة الخضراء قد مثلت بها
بأبهج منها والخليج مجرة
وقد أشكرت أزهار^(١) أغصانها الصبا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا
إذا نظم الغصن الحيا قال خاطري
وإن نثرت ريح الصبا زهر الربى
فوائد أشجار هناك اقتبسها
كان هزير الريح يمدح روضها
أيا رنقات^(٢) الحسن، هل فيك نظرة
فأنظر من هذي لتلك كأنما
هي الكاعب الحسناء ثم حشوها
إذا خطبت أعطت دراهم زهرها
وقامت بغرس الأنس قينة أيكه^(٣)
فقل في خليج يلبس الحوت دزعه
إذا ما بدا فيها الهلال رأيت
وإن لاح فيها البدر شبهت مثته
وفي جرفي روض هناك تجافيا
كأنهما خلا صفاء تعاتبا
وكم لي بالباب الجديد^(٤) عشيئة

ولولا توخي الصدق سميتها الكبرى
نواسم أدابي مغطر نشرا
فجغت بريش العزم كي ألزم الوكرا
مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
وقد قضحت أزهار ساحتها الزهرا
وما كنت اعتد الصبا قبلها خمرا
وزهر الربى ولذت أدابي الغرا
تعلم نظام النثر من ههنا شغرا
تعلمت حل الشجر أسبك نثرا
ولم أر روضا غيره يُقري السخرا
فتملا فاه من أزهارها ذرا^(٥)
من الجرف الأعلى إلى السكة الغرا؟
أعير إذ غازلتها أخشها الأخرى
وقدت لها أوراقها خللا خضرا
وما عادة الحسناء أن تنقد المهر
أغاريدها تشترقص الغصن النضرا
ولكنه لا يستطيع بها قصرا^(٦)
كصفحة سيف وشمها قبة صفرا
بسطر^(٧) لجين ضم من ذهب عسرا
لنهر^(٨) يود الأفق لو زاره فسجرا
وقد بكيا من رقة ذلك النهار
من الأنس ما فيه سوى أنه مزا

(١) في النفع: «أعطاف».

(٢) رواية عجز البيت في النفع هي:

فَمَلَأَ فَاها من أزهاره ذرا

(٣) في الأصل: «رنقات» بالراء غير المعجمة، والتصويب من النفع. ورنقات الحسن: من متزهات مرسية.

(٤) في المصدر نفسه: «أيكها».

(٥) في المصدر نفسه: «بسط».

(٦) في النفع: «بنهر».

(٧) في النفع: «وكم لي بأبيات الحديد...».

عَشَايَا^(١) كَانَ الدُّهْرَ غَضُ^(٢) بِحَسْنِهَا
 عَلَيْهِنَّ أَجْرِي خَيْلَ دَمْعِي بَوَجَّهْتِي
 أَعْهَدِي بِالْفَرْسِ الْمُتَّعِمِ دَوْخَهُ
 فَكَمْ فَيْكٍ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ
 عَلَى مُدَّئِبٍ كَالنَّحْرِ^(٣) مِنْ قَرْطٍ حُسْنِهِ
 سَقَتِ أَدْمَعِي وَالْقَطْرُ أَيُّهُمَا انْتَبَرَى
 وَإِخْوَانُ صِدْقٍ لَوْ قَضَيْتِ حَقُّوْقَهُمْ
 وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي وَلَمْ أَكُنْ
 وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبُعْدَ إِلَّا ضَرُورَةً
 قَضَى اللَّهُ أَنْ يَنْتَأَى^(٤) بِي الدَّهْرُ عَنْهُمْ
 وَوَاللَّهِ لَوْ نِلْتُ الْمُنَى مَا حَمِدْتُهَا
 أَيَّانَسُ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونَهُمْ
 وَيَصْحَبُ هَادِي اللَّيْلِ رَاءَ وَحُرْفَةٍ
 فَذَيْتُهُمْ بَانُوا وَضُتُّوا بِكَثِيرِهِمْ
 وَلَوْلَا غُلَا هِمَاتِهِمْ لَعَتَبْتُهُمْ
 ضَرِبْتُ غُبَارَ الْبَيْدِ فِي مَهْرَقِ الشَّرَى
 وَحَقَّقْتُ ذَاكَ الضَّرْبَ جَمْعًا وَعُدَّةً
 كَانَ زَمَانِي حَاسِبٌ مُتَعَسِّفٌ
 فَكَمْ عَارِفٍ بِي وَهُوَ يَخْشَبُ^(٥) رُتْبَتِي

فَأَجَلْتُ سِيَاطَ^(٦) الْبَرْقِ أَفْرَاسَهَا الشُّقْرَا^(٧)
 إِذَا رَكِبَتْ حُمْرًا مِيَادِيْنُهَا الصُّفْرَا
 سَقَّتْكَ دَمُوعِي إِنَّهَا مُزْنَةٌ شَكْرَى^(٨)
 تَقَضَّتْ أَمَانِيَه فَخَلَّدَتْهَا ذِكْرًا
 تَوَدُّ الثَّرِيًّا أَنْ تَكُونَ^(٩) لَهُ نَخْرًا
 نَقَا الرُّمْلَةَ الْبِيضَاءُ فَالْتَهَرَ فَالْجِسْرَا
 لَمَّا فَارَقْتُ عَيْنِي وَجُوهَهُمُ الزُّهْرَا
 لَمَّا بَتَّ أَسْتَحْلِي فِرَاقَهُمُ الْمُرَا
 وَهَلْ تَسْتَجِيرُ الْعَيْنُ أَنْ تَفْقِدَ الشُّفْرَا^(١٠)؟
 أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أَغْتَسِبَ الدَّهْرَا
 وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يَخْمَدَ الْهَجْرَا
 مَرَامٌ يَجِدُ الرُّكْبَ^(١١) فِي طَيْهَا شَهْرَا؟
 وَصَادَا وَنُونَا قَدْ تَقْوَسَ^(١٢) وَاصْفَرَا
 فَلَا خَبْرًا مِنْهُمْ لَقِيْتُ وَلَا خُبْرَا
 وَلَكِنْ عِرَابُ الْخَيْلِ لَا تَحْمِلُ الزُّجْرَا
 بِحَيْثُ جَعَلْتُ اللَّيْلَ فِي ضَرْبِهِ جَبْرَا
 وَطَرَحَا وَتَجْمِيلًا فَأَخْرَجَ لِي صَفْرَا
 يُطَارِحُنِي كَسْرًا، أَمَا يُخَيِّنُ الْجَبْرَا؟
 فَيَمْدَحُنِي سِرًّا وَيَشْتِمُنِي جَهْرَا

(١) في الأصل: «عشيات» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «غَضُ».

(٣) في النفع: «شُقْرَا».

(٤) يقال: عَيْنُ شَكْرَى: أَي مَلَأَى مِنَ الدَّمْعِ، وَيُقَالُ: دُرَّةٌ شَكْرَى: أَي مَلَأَى مِنَ اللَّيْنِ؛ وَالْمُزْنَةُ الشُّكْرَى: الْكَثِيرَةُ الْمَطْرُ. مُحِيطُ الْمُحِيطِ (شَكَر).

(٥) في النفع: «كَالْبَحْرِ».

(٦) الشُّفْرَا: بَضْمُ الشَّيْنِ وَسُكُونُ الْفَاءِ: أَصْلُ مَبْنِي الشَّعْرِ فِي طَرَفِ الْعَيْنِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (شَفَر).

(٧) في النفع: «أَنْ تَنْتَأَى بِي الدَّارَ...».

(٨) في النفع: «الْكُور».

(٩) في النفع: «يَكُونُ».

(١٠) في النفع: «يَحْسَنُ».

(١١) في النفع: «تَقْدَسُ».

لذلك ما أَعْطَيْتُ نَفْسِي حَقَّهَا
فَمَا بَرَحْتُ فِكْرِي عَذَارَى قِصَائِدِي
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِأَيْسٍ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ^(٤): [السريع]

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ أَضْلَعِي
وَرَبِّمَا اسْتَوْقَدَ نَارَ الْهَوَى
مَلَكْتَنِي فِي^(٦) دَوْلَةٍ مِنْ صِبَا
عِنْدِي مِنْ حُبِّكَ^(٨) مَا لَوْ مَرَّتْ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا^(٩): [الكامل]

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ فَلَمَّا فَارَقُوا
وَجَرَتْ سَحَابٌ بِالْدموعِ^(١٠) فَاوْقَدَتْ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ فَيْضَ مَدَامِي
سَوَى جَنَاحًا لِلْفَرَامِ وَطَارَا
بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَوْعَةً وَأَوَارَا
مَاءً وَيُثْمِرُ^(١١) فِي ضُلُوعِي نَارَا

وَشَعْرَهُ الرُّمْلُ وَالْقَطْرُ كَثْرَةً، فَلَنخْتَمِ لَهُ الْمَقْطُوعَاتِ بِقَوْلِهِ^(١٢): [المنسرح]
قَالُوا وَقَدْ طَالَ بِي مَدَى خَطَنِي
وَلَمْ أَزَلْ فِي تَجْرُمِي سَاهِي^(١٣)
أَعْدَدْتُ شَيْئًا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ؟
فَقُلْتُ: أَعْدَدْتُ رَحْمَةً اللَّهِ

نَثَرَهُ: كَتَبَ يَهْتِيءُ^(١٤) قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبَا الْقَاسِمِ بْنِ بَقِيٍّ مِنْ رِسَالَةٍ^(١٥): لَأَنْ^(١٦)
قَدْرَهُ^(١٧) دَامَ عُمرُهُ، وَامْتِثِلْ نَهْيَهُ الشَّرْعِيَّ وَأَمْرَهُ، أَعْلَى رَتْبَةً وَأَكْرَمَ مَحَلًّا، مِنْ أَنْ

(١) في الأصل: «لا تهْم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «الذكر». (٣) في النفع: «العسر».

(٤) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).

(٥) في المصدرين: «فيها». (٦) في معجم الأدباء: «بدولة».

(٧) في معجم الأدباء: «يشرك».

(٨) في الأصل: «تحييك»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٩) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).

(١٠) في المصدرين: «للمدوع». (١١) في المعجم: «ماء يمر وفي...».

(١٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢ - ٦٣). (١٣) في الأصل: «سَاه» والتصويب من النفع.

(١٤) النص في الدليل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٣ - ٦٤).

(١٥) في النفع: «برسالة منها».

(١٦) في الأصل: «لأن» والتصويب من النفع والدليل والتكملة.

(١٧) في النفع: «محله».

يَتَحَلَّى بِخُطَّةٍ هِيَ بِهِ تَتَحَلَّى. كَيْفَ يَهْنَأُ بِالْقَعُودِ لِسَمَاعِ دَعْوَةٍ^(١) الْبَاطِلِ، وَلِمَعَانَاةٍ^(٢) الْإِنْصَافِ الْمَنْطُولِ مِنَ الْمَاطِلِ، وَالتَّعَبِ فِي الْمَعَادِلَةِ، بَيْنَ ذَوِي الْمَجَادِلَةِ. أَمَّا لَوْ عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ^(٣) إِلَى خُطَّةِ الْأَحْكَامِ، الْمُسْتَشْرِفُونَ إِلَى مَا لَهَا مِنَ التَّبَسُّطِ وَالْإِحْتِكَامِ، مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ اللُّوْازِمِ، وَالشُّرُوطِ الْجَوَازِمِ، كَبَسْطِ الْكَتْفِ، وَرَفْعِ الْجَنْفِ، وَالْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَذِي الذَّنْبِ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ، وَتَقْدِيمِ ابْنِ السَّبِيلِ، عَلَى ذِي الرُّحْمِ وَالْقَبِيلِ، وَإِثَارِ الْقَرِيبِ، عَلَى الْقَرِيبِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْأَخْلَاقِ، حَتَّى لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَلْقٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَلِمَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَحْصَاهُ، وَاسْتَعْمَلَ لَخْلُقِهِ^(٤) الْفَاضِلِ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ، لَجَعَلُوا خُمُولَهُمْ مَأْمُولَهُمْ، وَأَضْرَبُوا عَنْ ظُهُورِهِمْ^(٥)، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ^(٦)، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ أُوْتِيَ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَرَسَا طَوْدًا فِي سَاحَةِ الْجِلْمِ، وَتَسَاوَى مِيزَانُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ، وَكَانَ كَقَاضِي الْجَمَاعَةِ^(٧)، فِي الْمِمَاثِلَةِ بَيْنَ أَجْنَاسِ النَّاسِ، فَقُصَّارَاهُ أَنْ يَتَقَلَّدَ الْأَحْكَامَ لِلْأَجْرِ، لَا لِلتَّعَسُّفِ^(٨) وَالزُّجْرِ، وَيَتَوَلَّاهَا لِلثَّوَابِ، لَا لِلْغِلْظَةِ فِي رَدِّ الْجَوَابِ، وَيَأْخُذْهَا لِحُسْنِ الْجَزَاءِ، لَا لِقُبْحِ^(٩) الْإِسْتِهْزَاءِ، وَيَلْتَزِمُهَا لِحَزِيلِ الدُّخْرِ، لَا لِلْإِزْرَاءِ وَالشُّخْرِ. فَلِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَسَلَكَ الْمُتَوَلَّى هَذَا السَّالِكَ^(١٠)، وَكَانَ كَقَاضِي^(١١) الْجَمَاعَةِ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَنَفَعَ الْحَقَّ بِهِ عِلْمُهُ، وَنَقَّعَ عُلْمُهُ، فَيَوْمئِذٍ تَهْنَأُ^(١٢) بِهِ خُطَّةُ الْقَضَاءِ، وَيَعْرِفُ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِ^(١٣) مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ.

ومحاسنه في النثر أيضًا جمّة.

وَمِنْ أَخْبَارِهِ^(١٤) أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَرَآكُشٍ مُتَسَبِّيًا^(١٥) فِي جِهَازٍ بِشْتٍ بَلَغَتْ التَّزْوِيجَ، وَقَصَدَ دَارَ الْإِمَارَةِ مَادِحًا، فَمَا تَيَسَّرَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ أَمَلِهِ، فَفَكَّرَ فِي خِيْبَةِ قَصْدِهِ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ تَأَمَّلْتُ^(١٦) جِهَةَ اللَّهِ، وَمَدَحْتُ الْمُصْطَفَى^(١٧) ﷺ، وَآلَ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، لَبَلَّغْتُ أَمَلِي بِمَحْمُودِ عَمَلِي. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ^(١٨) فِي تَوَجُّهِهِ الْأَوَّلِ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ عَلَى غَيْرِ

(٢) في المصدرين: «والمعانة لإنصاف».

(٤) في المصدرين: «خُلُقِهِ».

(٦) الظهور: جمع ظهر.

(٨) في المصدرين: «لا للتعسف».

(١٠) في المصدرين: «هذه المسالك».

(١١) في المصدرين: «مثل قاضي».

(١٢) في المصدرين: «تَهْنَأُ».

(١٣) في المصدرين: «وتعرف بما لله عليه...» وفي النسخ: «وتعرف ما لله تعالى عليه...».

(١٤) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٦٤). (١٥) كلمة «متسببًا» ساقطة في النسخ.

(١٦) في النسخ: «أملت الله سبحانه».

(١٧) في النسخ: «نبيّه».

(١٨) في النسخ: «الله من اعتماده في...».

الثاني من ^(١) مَعْوَل، فلم يكن إلّا أن صَوَّب نحو هذا القصد سَهْمَهُ، وأمضى فيه عَزْمَهُ، وإذا به قد رُجَّه عنه، وأدخل ^(٢) على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصَّحًا به، فأنقذه وزاده عليه، وأخبره أنّ ذلك لرؤيا رسول الله ﷺ، في النوم يأمره ^(٣) بقضاء حاجته. فانفصل مُوقَى الأغراض، واستمرّ في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك ^(٤).

وفاته: سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسنه دون الأربعين سنة، وصلى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدّين ^(٥) والفضل، رحمة الله عليه، وتلقيت من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيان، حسبما يظهر من عُجالاته، من غير تحقيق لذلك.

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النّفزي ^(٦)

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا الطيّب.

حاله: قال ابن الزُّبَيْر: شاعر مُجِيدٌ في المدح والغزل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرائض. نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصائد زُهدية، وجزء على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدودًا في أهل الخير، وذوي الفضل والدّين. تكرر لقائي إياه، وقد أقام بمالقة أشهرًا، أيام إقرائي. وكان لا يفارق مجالس إقرائي، وأنشدني كثيرًا من شعره.

وقال ابن عبد الملك ^(٧): كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف في منظوم الكلام ومثوره، فقيها حافظًا، فرضيًّا، متفنيًا في معارف شتى ^(٨)، نبيل المقاصد ^(٩)، متواضعًا، مقتصدًا في أحواله. وله مقامات بديعة في أغراض شتى، وكلامه، نظمًا ونثرًا، مُدَوَّن.

(٢) في النفع: «فأدخل».

(٤) في النفع: «بذلك».

(١) كلمة «من» ساقطة من النفع.

(٣) في النفع: «يأمر».

(٥) في النفع: «من الفضل والدّين».

(٦) ترجمة صالح بن يزيد النّفزي في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٦) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٤٣).

(٨) في الذيل والتكملة: «جيلة».

(٧) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧).

(٩) في المصدر نفسه: «المنازع».

مشيخته: روى^(١) عن آباء الحسن: أبيه، والدباج، وابن الفخار الشريشي، وابن قطرال، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي القاسم ابن الجد^(٢).

توالياقه: ألف جزءا على حديث جبريل، وتضمنيا في الفرائض وأعمالها، وآخر في العروض، وآخر في صنعة الشعر سماه «الوافي»^(٣)، في علم القوافي. وله كتاب كبير سماه «روضة الأئس، ونزهة النفس».

دخوله غرناطة: وكان كثير الوفادة على غرناطة، والتردد إليها، يسترفد ملوكها، وينشد أمراءها، والقصيدة التي أولها: «أواصليتي يوما وهاجرتي ألفا»^(٤)، أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللوشي أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه الله، وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين الملك حتى يكملها في معارضة محمد بن هاني الإلبيري.

شعره: وهو كثير، سهل المأخذ، عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه الله، في غرض المدح من السلطانيات^(٥): [الوافر]

سرى والحب أمر لا يرام	وقد أغرى به الشوق الغرام ^(٦)
وأغفى أهلها إلا وشاة	إذا نام الحوادث لا تنام
وما أخفاه ^(٧) بين القوم إلا	ضنى ولربما ^(٨) نفع السقام
فنال بها على قدر مناه	وبين القبض والبسط القوام
وأشهى الوضل ما كان اختلاسا	وخير الحب ما فيه اختتام
وما أخلى الوصال لو أن شيئا	من الدنيا لالدته دوام
بكيث من الفراق بغير أرضي	وقد يبكي الغريب المستهام
أعاذلتي، وقد فارقت إلفي	أمثلي في صبابته يلام؟
أأفقه فلا أبكي عليه؟	يكون أرق من قلبي الحمام
أنساه فأخسبه كصبري	وهل ينسى لمحسوب ذمام؟

(١) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧). (٢) في الذيل والتكملة: «ابن الجد التونسي».

(٣) في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧): «الكافي».

(٤) سيرد من هذه القصيدة بعد قليل ستة أبيات.

(٥) بعض أبيات هذه القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٦) في الأصل: «والغرام»، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «أخفا» وكذا ينكسر الوزن. (٨) في الأصل: «وربما»، وكذا ينكسر الوزن.

رَوَيْدًا، إِنَّ بَعْضَ الْيَوْمِ لَوْمٌ
 وَيَوْمَ نَوَى وَضَعْتُ الْكَفَّ فِيهِ
 وَلَوْلَا أَنْ سَفَخْتُ بِهِ جَفُونَا
 وَلَيْلٍ بَثَّةٌ^(٢) كَالذَّهْرِ طَوَلَا
 كَأَنَّ سَمَاءَهُ^(٣) زَهْرٌ^(٤) تَجَلَّى
 كَأَنَّ الْبَذَرَ تَحْتَ الْغَنِيمِ وَجْهٌ
 كَأَنَّ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ كَأْسٌ
 كَأَنَّ سُطُورَ أَفْلَاكِ الدَّرَارِي
 كَأَنَّ مَدَارَ قُطْبٍ بَنَاتٍ نَفْسٍ
 كَأَنَّ بَنَاتِهِ الْكُبْرَى جَوَارٍ
 كَأَنَّ بَنَاتِهِ الصُّغْرَى جُحَانٌ
 كَوَاكِبُ بِثْ أَزْعَامُنْ حَتَّى
 إِلَى أَنْ مَزَّقَتْ كَفَّ الثُّرَيَّا
 فَمَا جِلَّتْ أَنْصِدَاعُ الْفَجْرِ إِلَّا
 وَمَا شَبَّهْتُ وَجْهَ الشَّمْسِ إِلَّا
 وَإِنْ شَبَّهْتُ بِالْبَذْرِ يَوْمًا
 تَهْلَلْ مِنْهُ حُسْنُ الدَّهْرِ حَتَّى
 وَعَرَفَ مَا تَنَكَّرَ مِنْ مَعَالٍ
 وَمَلَأَ الْعَيْنَ مِنْكَ جَلَالُ مَوْلَى
 إِذَا مَا قِيلَ فِي يَدِهِ غَمَامٌ
 وَخَشَوُ الدُّرْعَ أَزْوَعُ غَالِيٍّ
 إِذَا مَا سَلَّ سَيْفُ الْعِزِّ يَوْمًا
 وَمِثْلِي لَا يُتَّهِنُهُ الْمَلَامُ
 عَلَى قَلْبٍ يَطِيرُ بِهِ الْهِيَامُ
 تَفِيضُ دَمًا لِأَخْرَقَهَا الضُّرَامُ^(١)
 تَنَكَّرَ لِي وَعَرَفَهُ الثُّمَامُ
 بِزَهْرِ الزُّهْرِ وَالشُّرْقِ^(٥) الْكِمَامُ
 عَلَيْهِ مِنْ مَلَاَحَتِهِ لِثَامُ
 وَقَدْ رَقَّ الزُّجَاجَةُ وَالْمُدَامُ
 قِيسِي وَالرُّجُومُ لَهَا سِيَهَامُ
 نَدِيٍّ وَالنَّسْجُومُ بِهِ نِدَامُ
 جَوَارٍ وَالشُّهَى فِيهَا غَلَامُ
 عَلَى لَبَاتِهَا مِنْهَا^(٦) نِظَامُ
 كَأَنِّي عَاشِقٌ وَهِيَ الذُّمَامُ
 جِيُوبَ الْأَفْقِ وَانْجَابَ الظَّلَامُ
 قِرَابًا يُنْتَضَى مِنْهُ حُسَامُ
 لَوْجَهَكَ^(٧) أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ
 فَلِلْبَذْرِ الْمَلَاَحَةُ وَالثُّمَامُ
 كَأَنَّكَ فِي مُحْيَاةِ ابْتِسَامُ
 كَأَنَّكَ لَا سَمِيحًا أَلْفَ وَلامُ
 صَنَائِعُهُ كَغُرَّتِهِ وَسَامُ
 فَقَدْ بَخُسَتْ وَقَدْ خُدِعَ الْغَمَامُ
 يُرَاعُ بِذِكْرِهِ الْجَيْشُ الْلُهَامُ
 عَلَى أَمْرِ فَسَلَّمْ يَا سَلَامُ

(١) الأبيات التي تلي هذا البيت وعددها ثلاثة عشر، في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٢) في الذيل والتكملة: «صباية».

(٣) في الأصل: «سماء»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.

(٤) في الذيل والتكملة: «روض».

(٥) في الأصل: «والشوق» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) في الذيل والتكملة: «منه».

(٧) في الأصل: «بوجهك» والتصويب من الذيل والتكملة.

تَنَاهَى مَجْدُهُ كَرَمًا وَيَأْسًا
تَمَثُّهُ لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
هُمْ الْأَنْصَارُ هُمْ تَصَرُّوا وَأَوَّاءُ
وَهُمْ قَادُوا الْجِيُوشَ لِكُلِّ قَتْحٍ
وَهُمْ مَنَحُوا الْجَزِيرَةَ مِنْ جِمَاهِمُ
فَمَنْ حَزَبٍ تَشِيبُ لَهُ الثَّوَاصِي
يَسْغُدُكَ، يَا مُحَمَّدُ، عَزُّ دِينٍ
وَيَاسْمُكَ تَمَّ لِلْإِسْلَامِ سَلَمٌ
وَكَانَ مَرَامُهُ صَغْبًا وَلَكِنْ
أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَكَ مِنْ أَمِيرٍ
وَأَنْتَ الْعُزْوَةُ الْوُثْقَى تَمَامًا
وَرُوحُ أَنْتَ وَالْجِسْمُ الْمَعَالِي
إِذَا مَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِحُرٍّ

ومن شعره أيضًا: [الطويل]

أَوَاصِلَتِي يَوْمًا وَهَاجِرَتِي أَلْفًا
وَمَنْ عَجِبَ لِلطَّيْفِ أَنْ جَاءَ وَاهْتَدَى
فِيَا سَائِرًا، لَوْلَا التَّخِيلُ مَا سَرَى
أَلَمْ فَأَحْيَانِي وَوَلَّى فِرَاعَنِي
بَعَيْنِي شَكْوَايَ لِلْفَرَامِ وَتَبِيهِهِ
فَعَانَقْتُهُ شَوْقًا وَقَبَّلْتُهُ هَوًى

ومن نزعاته العجيبة قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره: [البسيط]

يَا طَلْعَةُ الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهُ قَمَرٌ
كَيْفَ التَّخْلُصُ مِنْ عَيْنِكَ لِي وَمَتَى
وَكَيْفَ يُسَلِّي فُرَادِي عَنْ صَبَابَتِهِ
أَنْتَ الْمُنَى وَالْمَنَايَا فَيْكَ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَّا هَوَاكَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَنْذُرُ
وَفِيهِمَا الْقَاتِلَانِ الْغَنَجُ وَالْحَوَزُ
وَلَوْ نَهَى النَّاهِيَانِ الشُّنْبُ وَالْكِبَرُ
وَعِنْدَكَ الْحَالَتَانِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ

(١) في الأصل: «بعده»، وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٢) في الأصل: «وللفظ»، وكذا لا يستقيم الوزن، ولا معنى له.

ولي من الشوق ما لا دواء له
وفي وصالك ما أبقي به رَمَقِي
وكان طَيْفُ خيالٍ منك يُقْنَعُنِي
يا نَابِيَا، لم يكن إلا ليملكُنِي
ما غِثَّ إلا وغاب الجِشُّ أَجْمَعُهُ
بما تُكِنُّ ضلوعي في هواك بمن
أدرك بقيَّةَ نفسٍ لست مُدْرِكُهَا
وَدُلَّ حَبِيرةً مهجور بلا سبب
وإنَّ أَبَيَّتْ فلي من ليس يُسَلِّمُنِي
مؤَيِّدًا لَمَلِكٍ بالآراءِ يُخَكِّمُهَا
من كالأمير أبي عبد الإله إذا ما
الواهب الخيل آفا وفارسها
والمُشَبِّه الليث في بأس وفي خَطَرٍ
تأمن الناس في أيامه ومشوا
وزال ما كان من خوفٍ ومن حذرٍ
رأيتُ منه الذي كنتُ أسمعُه
ما شئت من شيمٍ عليا ومن شيمٍ
وما أرذت من إحسانٍ ومن كرمٍ
وغرَّةٍ يتلألأ من سماحتها
إِيَّاهُ، فلولا دواعٍ من محبَّته
نأيتُ عنه اضطرارًا ثم عُذْتُ له
فإن قضى الله أن يَقْضِي به أَمَلِي
ولست أَبْعُدُ إذْ والحال مُتَشَعِّعٌ

ومنك لي الشافيانِ القُرْبُ والنُّظَرُ
لو ساعد المُسْعِدَانِ الذُّكْرُ والقَدَرُ
لو يذهب المانعانِ الدَّمْعُ والسَّهَرُ
من بعده المهلكانِ الغَمُّ والغَيْرُ
واستوحش المؤمنانِ السَّمْعُ والبَصَرُ
يعنو له السَّاجِدَانِ التَّجَمُّ والشَّجَرُ
إذا مضى الهاديانِ العَيْنُ والآثَرُ
يبكي له القاسيانِ الدُّهْرُ والحَجَرُ
إذا نبا المذهبانِ الورْدُ والصُّدْرُ
في ضمنها المُبْهَجَانِ اليُمْنُ والظَّفَرُ
خانتِ القدمانِ البيضُ والسُّمَرُ
إذا استوى المُهْطِعَانِ الصُّرُ والصَّبَرُ
ونِعَمَتِ الحليتانِ البأسُ والخَفَرُ
كما مَشَى الصَّاحِبَانِ الشَّاةُ والثَّمَرُ
فما يُرى الدَّايِلَانِ الخوفُ والحَذَرُ
وحبُّذا الطَّيِّبَانِ الخَبَرُ والخُبَرُ
كأنها الرَّاغِبَانِ الظِّلُّ والزُّهْرُ
يُنْسَى به الأَجُودَانِ البَحْرُ والمَطَرُ
كأنها الثُّهْرَانِ الشَّمْسُ والقَمَرُ
لم يَسْهَلِ الأَضْعَبَانِ البَيِّنُ والخَطَرُ
كما اقتضى المُبْرَمَانِ الجِلُّ والسَّفَرُ
فحسبي المُخْصِبَانِ الظِّلُّ والثَّمَرُ
أن يُبْلَغَ الغائبانِ السُّؤْلُ والوَطَرُ

ومن شعره في أغراض متعددة، قال في الليل والشَّهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلى الكَمَدُ
ومما أَظُنُّ أَنَّهُ
يا نائماً عن لُوعَتِي
أزُقُّدُ هَنيئاً إِنَّنِي
لوعَجٍ ما تُطْفِئِي

فالدهر عندي سَرَمَدُ
ليلَةَ الهَجَرِ غَدُ
عُوفِيَّتْ مِمَّا أَجِدُ
لا أَسْتَطِيعُ أَزُقُّدُ
وأذْمَعُ تَضْطَرِدُ

وكبدي كَبِدَ السَّهْوَى وأين مَنَى الكَبِد؟
ولا تَسَلْ عَنْ جَلْدِي والله مَا لِي جَلْد

ومن شعره أيضًا في المقطوعات: [السريع]

وليلة قُصِرَ مِنْ طَوْلِهَا بِزُورَةٍ مِنْ رَشَا نَافِرِ
استوفر الدهرُ بِهَا غَالِطًا فَأَذْغَمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ

وقال من قصيدة مُغَرَّبَةٍ فِي الْإِحْسَانِ^(١): [السريع]

وليلة تَبْهَتْ أَجْفَانُهَا وَالْفَجْرُ قَدْ فَجَرَ نَهْرَ النَّهَارِ
والليلُ كَالْمَهْزُومِ يَوْمٌ^(٢) الْوَعَا وَالشُّهْبُ مِثْلُ الشُّهْبِ^(٣) عِنْدَ الْفَرَازِ
كَأَنَّمَا اسْتَخْفَى الشُّهْبُ خِيفَةً وَطُولِبَ الشُّجَمُ بِثَارِ فَنَارِ
لِذَاكَ مَا شَابَتْ نَوَاصِي الدُّجَى وَطَارَحَ النَّسْرُ أَخَاهُ فَطَارَ
وَفِي الثُّرَيَّا قَمَرٌ سَافِرٌ عَنْ غُرَّةٍ غَيْرَ مِنْهَا الشَّفَارِ^(٤)
كَأَنَّ عَنُقُودًا بِهَا مَائِلٌ^(٥) إِذْ صَارَ كَالْعُرْجُونِ عِنْدَ السَّرَارِ
كَأَنَّمَا تَسْبِكُ دِينَارَهُ وَكَفُّهَا تَفْتَلُ مِنْهُ سَوَارِ^(٦)
كَأَنَّمَا الظُّلُمَاءُ مَظْلُومَةٌ تَحْكُمُ الْفَجْرُ عَلَيْهَا فَجَارِ
كَأَنَّمَا الصُّبْحُ لِمَشْتَاقِهِ إِقْبَالُ دُنْيَا^(٧) بَعْدَ ذُلِّ افْتِقَارِ
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ وَقَدْ أَشْرَقَتْ وَجْهَ أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ اسْتِنَارِ

وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك: [البسيط]

البحر أعظمُ مما أنتَ تُخَسِّبُهُ من لم ير البحر يوماً ما رأى عجباً
طامٍ له حَبَلٌ طَافَ عَلَى زُورِقِ مِثْلُ السَّمَاءِ إِذَا مَا مِلَتْ شُهْباً
وقال في وصف نهر: [الطويل]

وَأَزْرَقَ مَحْفُوفٍ بِزَهْرِ كَأَنَّهُ نَجُومٌ بِأَكْنَافِ الْمَجْرَةِ تَزْهَرُ
يسيل على مِثْلِ الْجُمَانِ مُسَلْسَلًا كَمَا سُلَّ عَنْ غَمْدِ حُسَامٍ مُجَوَّهَرُ

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٤٦).

(٢) في الأصل: «في يوم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) الشهب: جمع أشهب وهو الجواد الذي يخالط بياضه سواد. لسان العرب (شهب).

(٤) في النفع: «السفار».

(٥) في النفع: «... عَنُقُودًا تَتَّى بِهِ».

(٦) في النفع: «السوار».

(٧) في النفع: «عِزُّ غَنَى مِنْ بَعْدِ...».

وقد صافح الأدواح من صفحاته
فما كان في غطف الخليج قلامة
وفي العقل والتغرب: [السريع]

ما أحسن العقل وأثاره
يضون بالعقل الفتى نفسه
لا سيما إن كان في غربة

ومن وصفه الجيش والسلاح: [الكامل]

وكتيبة بالدارعين كثيفة
روض المنايا بينها القصب التي
فيها الكماة بنو الكماة كأنهم
متهللين لدى اللقاء كأنهم
من كل ليث فوق بزق خاطف
من كل ماض قد تقلد مثله
لبسوا القلوب على الدروع وأسرعوا
وتقدموا ولهم على أعدائهم
فارتاع ناقوس بخلع لسانه
ثم انثنوا عنه وعن عباده و

وفي السيف: [البسيط]

وأبيض صيغ من ماء ومن لهب
ماضي الغرار يهاب الغمر صولته
أبهى من الوصل بعد الهجر منظره
وأسمر ظن أن^(٣) ما كل سايفة
هام الكماة به حبا ولا عجب
إذا الطعين تلقاه وأزعفه

على اعتدال فلم يخمد ولم يسيل
كأنما هو مطبوع من الأجل
حسنا وأقطع من دين على ملل^(٢)
فخاض كالأيام يستشفى من الهل
من لوعة بمليح القد معتدل
حسبته عاشقا يبكي على طلل

(١) في الأصل: «حتى»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «مال».

(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

ومن ذلك قوله في وصف قوس: [الوافر]

تَنكَّبُهَا كحاجبه وسوى بأهداب الجُفون لها نبالا
فلم أر قبلةً بسدراً منيرا تحمّل فوق عاتقه هلالا

ومن ذلك في وصف قلم: [المقارب]

وأضفر كالصَّب في زونق تظنُّ به الحُب ممن نحل
بديع الصفات حديد السَّبات يطول الرِّمَّاح وإن لم يطل
يَعْبُرُ عَمَّا وراء الضمير ويفعل فِعْل^(١) الظُّبا والذُّبَل

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السَّيفُ فيما قيل والقَلَمُ والفضلُ بينهما لا شك مُنْقَهُم
كلاهما شَرَفٌ لله^(٢) دَرُهُمَا وحبَّذَ الخطَّانِ الحُكْمُ والحَكْمُ

ومن ذلك قوله في سكِّين الدواة: [الخفيف]

أنا صَنَمُ الكُتَّابة ما لي من شبيه في المُرَهَفات الرُّقاي
فكأنِّي في الحُسن يوم وصال وكأنِّي في القَطْع يوم فراق

ومن ذلك قوله في المِقْصَص: [الوافر]

ومُغْتَنِقِينَ ما اشتَهرَا بعِشْقِي وإن وُصِفَا بِضَمٍّ واعتناق
لَعَمْرُ أبيك ما اعتنقا لمعنى سوى معنى القَطِيعَةِ والفِرَاق

ومن ذلك قوله في الوزد: [مخلع البسيط]

الوزدُ سلطان كل زَهرٍ لوأثمه دائم السُّورود
بعد حدود المِلاح شيء ما أشبه الورد بالخُودود

ومن ذلك قوله في الخَيْرِي: [السريع]

وأزرق كمثل السماءِ فيه لمن ينظر سرَّ عجيب
شخ مع الضُّبْح بأنفاسه كأنما الضُّبْح عليه رقيب
رياح بالليل بأَسْراره لما رأى الليل نهار الأريب

(١) في الأصل: «ما قَتَلَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «شَرَفَ الله»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن ذلك قوله في الرِّيحان: [الوافر]

وأخضرَ فُسْتُقِيَّ اللونِ غَضُّ
أغار على الثُّرُنَجِ وقد حكَاه

وقال من جملة قصائده المَطَوَّلَات التي تفنن فيها، رحمه الله: [الطويل]

وغانية يُغني عن العود صوتها
بحيث يجزُّ النهر ذيل مجرة
وقد هزَّت الأرواح خضر كتائب
رمى قُرْح نَبَلًا إليها فَجُرْدَتْ
وهبَّت صبا نَجِد فَجُرَّت غلائلا
كَأَنَّ بَصْفَح الرُّوضِ وَشَيَّ صحيفة
كَأَنَّ به الأَقْحُوَان خَوَاتِمًا
كَأَنَّ به الثُّرَجِس الغَضُّ أغيا
كَأَنَّ شَذَا الحَخيرِي زُورَةُ عاشق

وقال في وصف الرُّمان: [البسيط]

لله رُمانةٌ قد راق مَنظَرُها
القِشْرُ حَقٌّ لها قد ضَمَّ داخله

ومن ذلك قوله في الجزر: [البسيط]

انظر إلى جَزَرٍ^(٢) في اللون مختلف
إن قلت: قَضَبٌ فَقُلْ: قَضَبٌ بلا زهر

وفي الاغتراب وما يتعلق به مما يقرب من المَطَوَّلَات: [الوافر]

غريبٌ كُلِّمَا يَلْقَى غريبٌ
تَذَكَّرَ أَضْلَهُ فبكى اشتياقا
ومما هاج أشواقِي حديثٌ
فلا وطنٌ لديه ولا حبيبٌ
وليس غريبًا أن يبكي غريبٌ
جَرَى فجَرى له الدَّمْعُ السُّكُوبُ

(١) كلمة «لها» ماقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٢) في الأصل: «جَذَر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ذَكَرْتُ بِهِ الشَّبَابَ فَشَقُّ قَلْبِي
عَلَى زَمَنِ الصُّبَا فَلَيْبِكَ مِثْلِي
جَهِلْتُ شَيْبَتِي حَتَّى تَوَلَّيْتُ
أَلَا ذَكَرَ الْإِلَهَ بِكُلِّ خَيْرٍ
بِلَادَ مَاؤَهَا عَذْبٌ زُلَالٍ
بِهَا قَلْبِي الَّذِي قَلْبِي الْمُعْنَى
رَزَقْتُ الصُّبْرَ بِلَيْنِ أَبِي وَأُمِّي
أَلَا فَتَوَخَّ بَعْدِي مَنْ أَوَاخِي
وَلَا تَحْكُمَ بِأَوَّلِ مَا تَرَاهُ
أَلَا إِنَّا خُلِقْنَا فِي زَمَانٍ
وَقَدْ لَدَّ الْحِمَامُ وَطَابَ عِنْدِي
لَحَى اللَّهِ الضَّرُورَةَ فَهِيَ بَلَوَى
رَأَيْتَ الْمَالَ يَسْتُرُ كُلَّ غَيْبٍ
وَفَقَدُ الْمَالَ فِي التَّحْقِيقِ عِنْدِي
وَقَدْ أَجْهَذْتُ نَفْسِي فِي اجْتِهَادٍ
وَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قِيَاسٍ
كَأَنَّ الْعَقْلَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ
إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْإِنْسَانُ بِخَيْرٍ

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمام: [الكامل]

بَرَزْتُ مِنَ الْحَمَامِ تَمْسَحُ وَجْهَهَا
وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرَهَا
فَكَانَهَا الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ فِي الضُّحَى
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَمُسْتَيْمٌ لَوْ كَانَ صَوْرَ نَفْسِهِ
مَا كَانَ يَرْضَى بِالصُّدُودِ وَإِنَّمَا

وَقَالَ: [مخلع البسيط]

وَاقِىَ وَقَدْ زَانَهُ جَمَالُ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ تَنْشَقُّ الْقُلُوبُ؟
فَمَا زَمَنِ الصُّبَا إِلَّا عَجِيبُ
وَقَدَّرُ الشَّيْءِ يُغْرِفُ إِذْ يَغِيبُ
بِلَادًا لَا يَضْمِيعُ بِهَا أَدِيبُ
وَرِيحُ هَوَانِهَا مِنْكَ رَطِيبُ
يَكَادُ مِنَ الْحَنِينِ لَهُ يَذُوبُ
كَلَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ كَثِيبُ
وَدَغُ مَا لَا يُرِيبُ لِمَا يُرِيبُ
فَلِإِنَّ الْفَجْرَ أَوَّلَهُ كَذُوبُ
يَشِيبُ بِهَوْلِهِ مَنْ لَا يَشِيبُ
وَعَيْشِي لَا يَلْدُ وَلَا يَطِيبُ
تَهِينُ الْحَرِّ وَالْبَلَوَى ضُرُوبُ
وَلَا تَخْفَى مَعَ الْفَقْرِ الْغُيُوبُ
كَفَقَدِ الرُّوحَ ذَا مِنْ ذَا قَرِيبُ
وَمَا أَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبُ
وَلَوْ تَجَرَّى لِعَاشَ بِهَا اللَّيْبُ
فَمَا يَقْضِي بِهَا أَرْبَا أَرِيبُ
فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلَّا ذُنُوبُ

عن مثل ماء الورد بالعُثَابِ
كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابٍ
طَلَعْتُ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابٍ

مَا زَادَهَا شَيْئًا سِوَى الْإِشْفَاقِ
كَثُرَتْ عَلَيْهِ مَسَائِلُ الْعُشَاقِ

فِيهِ لِعُشَاقِهِ اعْتِذَارُ

ثلاثة ما لها مثال: الوجع والسخذ والعذار
فمن رآه رأى رياضاً: السورد والآس والبهار

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء: [الكامل]

ليس الأخوة^(١) باللسان أخوة فإذا تُراد أخوتي لا تُنفَع
لا أنت في الدنيا تُفرج كربتي عني ولا يوم القيامة تُشفع

وقال كذلك: [الكامل]

ولقد عرفت الدهر حين خبرته وإذا الأخوة باللسان كثيرة
وبلوت بالحاجات أهل زمان وإذا الدراهم مئلق الإخوان

ومن ذلك قوله في ثقل: [المتقارب]

تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها: ما لها؟
فخرجت الأرض أثقالها فقالوا: آتانا أبو عامر

ومن ذلك قوله في الصبر: [السريع]

الدهر لا يُبقي على حالة لكنه يُقبل أو يُذير
فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإن الدهر لا يصبر

ومن ذلك قوله في الموت: [السريع]

الموت سر الله في خلقه وجكمة دلت على قهره
ما أضعب الموت وما بَعْدَهُ لو فُكّر الإنسان في أمره
أيام طاعات الفتى وحدها هي التي تُخسب من عُمره
لا تُلهك الدنيا ولذاتها عن نهي مولاك ولا أمره
وانظر إلى من ملك الأرض هل صَحَّ له منها سوى قبره؟

نثره: قال في كتاب «روضة الأنس» ما نصه:

«ويتعلق بهذا الباب ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرذعي، من أهل بلدنا، أعزه الله: أخبرك بعُجاب، إذ لا سرّ دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدم إليك أن لا تعجل باللوم إليّ، قبل علم ما لديّ، فإن الدهر أخدع من كفة الحابل،

(١) في الأصل: «الإخوة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَقَلْبُ الْإِنْسَانِ لِلآفَاتِ قَابِلٌ . مَشَيْتُ يَوْمًا إِلَى سَوْقِ الرَّقِيقِ ، لَأَخْذِ حَقٍّ فَوَادِ عَتِيقٍ ،
 فَرَأَيْتُ بِهَا جَارِيَةً عَسْجَدِيَّةَ اللَّوْنِ ، حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِالصُّوْنِ ، مَتَمَايِلَةَ الْقَدِّ ، قَائِمَةَ النَّهْدِ ،
 بَلَخَظَ قَدْ أَوْتِي مِنَ السُّخْرِ أَوْفَرَ حَظٍّ ، وَقَمَّ كَشْرَطَةَ رُشَحَتِ بِدَمٍ ، دَاخِلَهُ سِمَاطَانِ
 لَوْلَاهُمَا مَا عُرِفَ النَّظَمُ ، وَلَا حُكْمَ عَلَى الدَّرِّ لِلْعَظَمِ ، فِي صَدْعِهَا لَامَانٍ مَا خَطُّ
 شَكْلَهُمَا قَلَمٍ ، وَلَا قَصْرٌ مِثْلَهُمَا حِلْمٍ . لَهَا جَيْدٌ تَتَمَنَّاهُ الْغَيْدُ ، وَخَضِرٌ هُوَ قَبْضَةُ الْكَفِّ
 فِي الْحَضَرِ ، وَرِدْفٌ يَظْلِمُهُ مَنْ يُشْبِهُهُ بِالْحِقْفِ ، وَيدَانِ خُلِقَا لِلْوَشْيِ ، وَقَدَمَانِ أَهْلَتَا
 لِلثَّمِّ لَا لِلْمَشْيِ ، فَتَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ ، وَبَذَلَتْ فِيهَا الْأَعْلَاقُ ، وَالْمِيَاسِيرُ عَلَيْهَا مُغْرَمٌ
 فِي الْقَوْمِ ، وَتَسْوَمُ أَهْلُ السُّومِ ، وَكُلٌّ فِيهَا يَزِيدُ ، لِيَبْلُغَ مَا يَرِيدُ ، إِلَى أَنْ جَاءَ فَتَى صَادِقٌ
 فِي حَبِّهِ ، لَا يِبَالِي بِفَسَادِ مَالِهِ فِي صَلَاحِ قَلْبِهِ ، فَعَدَّ الْمَالَ عَدًّا ، وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ مِنْ
 التَّسْلِيمِ بُدًّا . فَلَمَّا فَاتَتْني ، تَرَكْتُ الْأَشْوَاقَ وَأَتَّيْتُ ، وَانْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِي فَمَا أَتَّيْتُ ،
 فَاللَّهُ اللَّهُ ، تَدَارَكَ أَخَاكَ سَرِيعًا ، قَبْلَ أَنْ تُلْفِيَهُ مِنَ الْوَجْدِ صَرِيعًا ، وَاسْتَنْزَلَهُ خَادِمًا ، قَبْلَ
 أَنْ تُصْبِحَ عَلَيْهِ نَادِمًا ، وَلَنْ أَحْتَاجَ أَنْ أَصِفَهَا إِلَيْكَ ، مَعَ مَا قَصَصْتَهُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَهْدَيْتَهَا
 دُرَرًا ، فَخُذْهَا عَلَى جِهَةِ الْفِكَاهَةِ وَالِدُعَابَةِ : [الوافر]

وَلَا تُطْلِعْ أَخَا جَهْلٍ عَلَيْهَا فَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ

فَأَجَبْتُهُ : نَعَمْ نَعَمْ ، أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْكَ ، وَسَنَى آمَالَكَ ، أَنَا بِحَوْلِ اللَّهِ أُرْتَادُ لَكَ مِنْ
 نَحْوِ هَاتِيكَ ، مَا يُسْلِيكَ وَيُؤَاتِيكَ ، وَإِلَّا فَيِضًا كَاللُّجَيْنِ ، هَلِ الْقَلْبُ وَالْعَيْنُ ، زَهْرَةٌ
 غُضُنْ فِي رَوْضَةِ حُسْنٍ ، ذَاتَ ذَوَائِبٍ ، كَأَنَّهَا اللَّيْلُ عَلَى نَهَارٍ ، أَوْ بِنَفْسِجٍ فِي بَهَارٍ .
 لَهَا وَجْهٌ أَبْهَى مِنَ الْغِنَاءِ ، وَأَشْهَى مِنْ نَيْلِ الْمَنَى ، فِيهِ حَاجِبَانِ كَأَنَّهُمَا قَوْسٌ صُنِعَتْ
 مِنَ السُّبْحِ ، وَرُصِّعَتْ بِعَاجٍ مِنَ الْبَلَحِ ، عَلَى عَيْنَيْنِ سَاحِرَتَيْنِ ، بِالْعَقْلِ سَاخِرَتَيْنِ ، بِهِمَا
 تُصَابُ الْكُبُودُ ، وَتُشَقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ ، إِلَى فَمٍ كَأَنَّهُ خِتَامُ مِسْكَ ، عَلَى نِظَامِ
 مِيلِكٍ ، سَقَاهُ الْحُسْنُ رَجِيقَهُ ، فَأَتَّبَتْ دُرَّرَهُ وَعَقِيقَهُ ، وَجِيدٌ فِي الْحُسْنِ وَحِيدٌ عَلَى
 صَدْرٍ كَأَنَّهُ مِنْ مَرْمَرٍ ، فِيهِ حَقَّتَا عَاجٍ طَوْقَتَا بَعْبَرٍ ، قَدْ خُلِقَتَا لِلْعَضِّ ، فِي جِسْمِ غَضٍّ ،
 لَهُ خَضِرٌ مُذْمَجٌ ، وَرِدْفُهُ يَتَمَوَّجُ ، وَأَطْرَافُ كَالْعَنَمِ ، رُقِمَتْ رَقَمَ الْقَلَمِ ، مِنَ اللَّائِي
 شَهْدَنِ ابْنِ الْمُؤَمِّلِ ، وَقَالَ فِي مِثْلِهَا الْأَوَّلِ ، إِنَّ هِيَ تَاهَتْ فَمِثْلُهَا تَاهَا ، أَوْ هِيَ بَاهَتْ
 فَمِثْلُهَا بَاهَا ، مِنْ أَيْنَ لِلْغُضْنِ مِثْلُ قَامَتِهَا أَوْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ مِثْلُ مَرَّآهَا ، مَا فَعَلْتَ فِي
 الْعُقُولِ صَابِيَةً مَا فَعَلْتَ فِي الْعُقُولِ عَيْنَاهَا ، تَمْلِكُنِي بِالْهَوَى وَأَمْلِكُهَا ، فَهَآنَا عَبْدُهَا
 وَمَوْلَاهَا ، فَأَيُّهُمَا لَسْتُ بِذَلِكُ فِيهِ الْجُهْدُ ، وَأَرْقَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالْوُدِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
 وَأَنَا فِيمَا عَرَضَ لِسَيْدِي ، حَفِظَهُ اللَّهُ ، عَلَى مَا يُحِبُّ ، أَعْدِرُهُ وَلَا أَعْدِلُهُ ، وَأَنْصُرُهُ وَلَا
 أَخْذِلُهُ ، لَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَلْبُهُ رَقِيقٌ ، أَنْ يَدْخُلَ
 سَوْقَ الرَّقِيقِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَالِ ، وَالْجَمَالِ يَتَنَافَسُ فِي الْعَالِي ،

ويسترخص بالثمن الغالي، ولا يُبالي بما قال الأئمة، إذا وجد من يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاع المُحبِّ بالمال إذ^(١) لم يتوصل به لوصولِ الحبيبِ
إنما ينبغي بحكم الهوى أن يُثَقَّ المالُ في صلاحِ القلوبِ
والسلام على سيدي، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، والمداعبة من شيم
الظُرفاء، ورحمة الله وبركاته.

مولده: ولد في محرم سنة إحدى وستمئة.

وفاته: توفي في عام أربعة وثمانين وستمئة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال: أنشدني
الشيخ الراوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان
المنتشافي، قال: أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن
الحقالة، قال: أنشدني الأديب أبو الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن
شريف الرندي لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليلي، بالود الذي بيننا اجعلا إذا مت قبري عُرْضَةً لِلرَّحْمِ
عسى مسلم يدنو فيدعو برحمة فلاني محتاج لدعوة مسلم

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي

الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة

أوليته: قد مرَّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه.

حاله: كان أميراً شهماً، مضطجعاً بالقضية، شهير المواقف، أبي النفس، عالي
العمة. انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله^(٢)، وكان أملاك لما بيده من مدينة
وادي آش وما إليها، مُعزَّزاً بأخيه الرئيس أبي الحسن مظاهره في الأمر، ومُشاركه في

(١) في الأصل: «إذا» وكذا يتكرر الوزن.

(٢) الغالب بالله: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة؛ حكم غرناطة
من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٤٢).

السلطان. واستمرت الحال مدة حياة خاله السلطان، ولما صار الأمر إلى تخيفه ولي العهد^(١)، استشرى الداء، وأغضل الأمر، وعمت الفتنة، وزاحمه السلطان بالمنكب؛ انفجّم، واعتوره بالحيلة، حتى تحيّف أطرافه، وكان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(٢) البحر إلى الجهاد، ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى التقاطع، وتصيّرت مألقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

وفي أخريات هذه الأحوال، أحكّم السلطان مع طاغية الروم السّلم، وصرف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد، صاحب وادي آش، فالتجأ الحال إلى أن صرف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شعاره، فأقعد عنه. ووقعت مراسلات أجّلت عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى المغرب، معوضًا عن مدينة وادي آش بقصر كتامة^(٣)، وذلك في عام تسعة وثمانين وستمائة.

وفاته: دخلت قصر كتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي قعدة عام خمسة وخمسين وسبعمائة في غرض الرسالة، ورُزّت مقبرة الرؤساء بني إشقيلولة بظاهرها، وفي قبة ضخمة البناء رَحِيبة الفناء، نسيجة وحدها بذلك البلد بين منازل البلى وديار الفناء، وبها قبر الرئيس أبي محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه وبين جدار القبلة قبر، وسنام رخام مكتوب عليه: [المجث]

قَبْرُ عَزِيزٍ عَلَيْنَا	لَوْ أَنَّ مَنْ فِيهِ يُفْدَى
أَمْكَنْتُ قُرَّةَ عَيْنِي	وَقُطْعَةَ الْقَلْبِ لَخَدَا
مَا زَالَ حُكْمًا عَلَيْهِ	وَمَا الْقَضَاءُ تَعْدَى
فَالصَّبْرُ ^(٤) أَحْسَنُ ثَوْبٍ	بِهِ الْعَزِيزُ تَرْدَى

وعند رأس السّنام الرخامي، مهّد مائل من الرخام فيه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، وسلم تسليمًا. هذا قبر الرئيس الجليل، الأغلى الهمام، الأوحد،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثاني سلاطين غرناطة، وقد حكم من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

(٢) هو المنصور يعقوب بن عبد الحق المريني، سيد بني مرين بالمغرب، توفي سنة ٦٨٥ هـ. الأعلام (ج ٨ ص ١٩٩) وفيه ثبت بأسماء مصادر ترجمته.

(٣) قصر كتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٦٢).

(٤) في الأصل: «فللصبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الأشعد، المبارك، الأسنى، الأسمى، الأخفل، الأكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبي محمد عبد الله، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحد، الأشعد، المبارك، الأفضى، الأسنى، الأسمى، المعظم، المرفع، المجاهد، الأفضى، المقدس، المرحوم أبي إسحاق إبراهيم بن إشقيلولة، رحمه الله وعفا عنه وأسكنه جنته. ظهر، عفا الله عنه، بوادي آش، أمناها الله، قاعدة من قواعد الأندلس، وتسلطن، ونشرت علامات سلطنته، وضربت الطبول. وجاهد منها العدو، قصمه الله، وظهر على خاله سلطان الأندلس، وأقام في سلطنته نحوًا من ثلاث وعشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله أبي يعقوب، أيده الله بنصره، وأمدّه بمعونته ويُسره، وأمره، أيده الله، أن يتخلى عن وادي آش المذكورة، ويصل للمغرب، فتنحى عن الأندلس للمغرب، آنس الله، في جمادى الأولى من عام ستة وثمانين وستمئة، فأعطاه، أيده الله، قصر عبد الكريم، أمنا الله، وأنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، وجاز منه إلى الأندلس، أمناها الله، وجاهد بها مرتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، وتوفي، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة، عشى يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستمئة.

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصنهاجي^(١)

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرّ من ذلك في اسم جدّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المظفر بالله، الناصر لدين الله. ولي بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، وصحبه سِماجة الصنهاجي تسع سنين. قال الغافقي: وكان قد حاز حظًا وافراً من البلاغة والمعرفة، شاعراً جيّد الشعر، مطبوعه، حسن الخط. كانت بغرناطة رُبعة مُصحف بخطه في نهاية الصنعة والإتقان. ووصفه ابن الصيرفي

(١) ترجمة عبد الله بن بلقين في الأنيس المطرب (ص ٩٩) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) وتتمّة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢٣، ١٢٨) والحلل الموشية (ص ٣٤) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(م ٦ ص ٣٧٠) وصيحه الأعشى (ج ٥ ص ٢٤٢) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٢٠٥). وهناك دراسة مستفيضة عنه للدكتورة مريم قاسم طويل في كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٧١ - ٢٣٩).

فقال^(١): كان جبانًا مُعتمدًا^(٢) السيف، قلقًا، لا يَثْبُتُ على الظهر، عِزْهَاءَ^(٣) لا أَرَبَ له في النساء^(٤)، هَيَّابَةً، مُفرط الجزع، يَخْلَدُ إلى الرَّاحات، وَيَسْتَوِزِرُ الأَغمار.

خلعه: قال: ^(٥) وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، تحرَّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، ويَمَمَ قرطبة، وتواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يُغَيِّظُهُ ويُحَقِّدُهُ، حسبما تقدم في اسم مؤمِّل مولى باديس. وقَدَّم إلى غرناطة أربع محلات، فنزلت بمقربة منها، ولم تمتدَّ يدُ إلى شيء يوجد، فسُرَّ الناس واستبشروا، وأمنت البادية، وتمايل أهل الحاضرة إلى القوي. وأسرع حفيد باديس في المال، وألحق السُّوقَ والحاكَّةَ^(٦)، واستكثر من اللِّيف، وألح بالكُتُبِ على أذفونش بما يُطْمِئِنُّهُ. وتحقَّق يوسف بن تاشفين استيْشَراف الحاضرة إلى مَقْدَمِهِ، فتحرك. وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوَّفوه من عاقبة التريُّص، وحمَلوه على الخروج إليه، فركب وركبت أمُّه وتركوا القصر على حاله، ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجَّل، وسأله العفو، فعفا عنه، ووقف عليه، وأمره بالركوب، فركب، وأقبل حتى نَزَلَ بـ«المشايع» من خارج الحاضرة. واضطربت المحلات، وأمر مؤمِّلًا بثقافه في القصر، فتولَّى ذلك، وخرج الجُمُ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقِيَهُم، وأنسَهُم، وسكَنَ جاشَهُم، فاطمأنوا. وسهَّل مؤمِّل إليه دخول الأعيان، فأمر بكُتُبِ الصُّكوك، ورَفَعَ أنواع القَبالات والخراج، إلَّا زكاة العين، وصَدَقَةَ الماشية، وعُشْر الزُّرع. واستقصي ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، ويروِّع الخاطر، من الأغلاق والذخيرة، والحلى، ونفيس الجواهر، وأحجار الياقوت، وقَصَب الزُّمرد، وآنية الذهب والفضة، وأطباق البلور المُحكَّم، والجرداذنات، والعراقيات، والثياب الرُّفِيعَة، والأنماط، والكِلَل، والسُّتائر، وأوطية الدُّيباج، مما كان في ادِّخار باديس واكتِسابه. وأقبلت دوابُّ الظهر من المُنْكَبِ

(١) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٥).

(٢) في أعمال الأعلام: «مُعتمد».

(٣) عِزْهَاءَ: عازف عن اللهو والنساء. محيط المحيط (عزه).

(٤) في أعمال الأعلام: «زاهدًا في النساء».

(٥) قارن بمذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٤ وما بعدها) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٦) الحاكَّة: أصحاب الشر. وهذا الجمع لم نلاحظه في كتب اللغة؛ فقد جاء فيها أن «الحُكَّك» جمع «حاك»، وهو صاحب الشر.

بأحمال السبيك والمُسبوك، واختلفت أم عبد الله لاستخراج ما أودع بطن الأرض، حتى لم يبق إلا الخزنى والثقل والسَّقْط. وزَّع ذلك الأمير على قواده، ولم يستأثر منه بشيء. قال^(١): ورَّغب إليه مؤمل في دخول القصر، فركب إليه، وكثر استحسانه إياه، وأمر بحفظه. وتفقد أوضاعه وأفنيته. ونقل عبد الله إلى مراكش، وسنه يوم خلع، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، فاستقر بها هو وأخوه تميم، وحلَّ اعتقالهما، ورَّفه عنهما، وأجري المرتب والمُساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، وأسعفت رغباته، وخفَّ على الدولة، واستراح واشترى منه، ورزق الولد في الخُمول، فعاش له ابنان وبِنت، جَمَعَ لهم المال. فلما توفي ترك مالا جَمًا.

مولده: ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

عبد الله بن علي بن محمد الثَّجِيبِي، الرئيس أبو محمد ابن إشْقِيلُولَة

حاله: كان رئيسًا شجاعًا، بُهْمَةً، حازمًا، أيَّدًا، جَلِداً. تولَّى مدينة مالقة عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر، صيَّروا أمير المسلمين، الغالب بالله، في أوائل عام خمسة وخمسين وستمائة. وكان صهر السلطان على إحدى بناته، وله منه محلٌّ كبير، ومكان قريب، وله من مُلكه حظٌ رَغِيب. واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين وستمائة، وقُسد ما بينه وبين ولي العهد، الأمير أبي عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله، إذ وُغِر له صدره، ولابني أخيه الرئيسين، أبي محمد وأبي الحسن، ابني الرئيس أبي إسحاق بن إشْقِيلُولَة المتأمرين بوادي آش، فضايقهم وأخافهم بما أذاهم إلى الامتناع والدُّعاء لأنفسهم والاستيفساك بما بأيديهم. وعمَّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة، وكان أملك لما بيده، واستعان بالنُصري، وشمر عن ساعد الجدِّ، فأباد الكثير من أعيان البلدة في باب تَوْسُم التهم وتطرق السعيات، واستولى على أموالهم. واستمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش النُصري، ونازل مالقة أربعين يومًا، وشعث الكثير بظاھرھا، وتسمَّى بعَلَم الأمير عند أهل مالقة، وما بين سلم ومُهادنة. وفي عام

(١) راجع المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) والأنيس المطرب (ص ١٠٠) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) والاستقصا (ج ٢ ص ٥٣).

ستين وستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرُهُ، وأغيا عليه أمرُ مالقة، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، وضبط مَنْ لِنظره، واستمسাকে بغُرُوة حَزْمه.

وفي بعض الأيام ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفياً، كاتماً غرضه، وقعد بباب المدينة، فلَمَّا بَصُرَ به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، وأذهشتهم الهيبة، فأفرجوا له، مُوقِّرين لجلاله، آنسين لقلّة أتباعه، فدخل، وقصد القَصْبَة، وقد نُذِرَ به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجلاً، مُتَبَذِّلاً، مُهْزِوْلاً، حافياً. ولَمَّا دنا منه ترامى على رجليه يُقْبِلُهُمَا، إظهاراً لحقُّ أئوته، وتعظيماً لقَدْره، ودخل معه إلى بَيْتِهِ وَحَفْدَتِهِ، فترامى الجميع على أطرافه يَلْتُمُونَهَا، وَيَتَعَلَّقُونَ بِأذياله وأذرانه، وهو يكي إظهاراً لِلشَّفَقَةِ والمودّة وتكَلُّم الجميل. وأقام معهم بياض يومه، ثم انصرف إلى محلّته، وأتبعه الرئيس، فأمره بالاستمساك بِقَصْبَتِهِ وملازمة محلِّ إِمْرَتِهِ، وما لبث أن شرع في الارتحال عن ألطافٍ ومُهادات، وتقدير جِرايات، وإحكام هَدْيَةٍ، وتقرير إِمارة، إلى أن توفي السلطان، رحمه الله، فعادت الفتنة جَزَعَةً، ووالى ولده أمير المسلمين بعده الضرب على مالقة، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، واستقرّ بالأُمُور ولده المذكور في المحمّدين، وكان من الأمر ما يَنْظُرُهُ في مكانه مَنْ أراد استيفاءه، بحول الله.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرْفِي

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشَّهير، صاحب الأمر والرَّئاسة والإمارة بِسَبَبَتِهِ، نيابة عن أخيه الرئيس الصّالح أبي حاتم، بِحُكْم الاستقلال في ذلك، والاستبّداد الثّام، من غير مُطالعة لأخيه ولا رُجوع إليه في شيءٍ من الأُمُور، ولا تَشَوُّفٍ من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتّة عنه، وإيثاره العُزْلَة، واشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية. وكان من أهل الجلالة والصّيانة، وطهارة النُّشأة، حافظاً للحديث، ملازماً لِتِلَاوَةِ كتاب الله، عارفاً بالتاريخ، عظيم الهيبة، كبير القَدْر والصّيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظماً عند الملوك، جميل الشّارة، مُمْتَثِل الإشارة لديهم، عجيب السّكينة والوقار، بعيد المزمى، شديد الانقباض، مُطاع السُّلطان بموضعه، مَرْهُوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، ولا هُتْك حُرمة، محافظاً على إقامة الرُّسوم الجِسْبيّة والدينية.

مُشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره.

نكبته: تَغَلَّبَ على بلده أيام إمارته، وثار أهلُه إليه في السّلاح والعُدّة؛ لِيُحِيطُوا بِمَنْ فِي الْقَصْبَةِ، فخرج إليهم، وشكر مساعِيهم، وقال: قال رسول الله ﷺ: كُنْ

عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، فأنصرفوا، ودخل منزله مُلقياً بيده، ومُسَلِّماً لقضاء الله سبحانه في كشره، إلى أن قبض عليه وعلى سائر بنيهِ وقَوْمه، عند ارتفاع النهار وانتشار المُتَغَلِّبين على القسبة، فنَقَفُوا متحرّجين من دماء المسلمين، وصُرفوا إلى الأندلس، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة وسبعمائة، بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تملك بلدهم، فاستقرّ بغرناطة تحت سِتر واحترام وجِراية فيها كفاف. ثم لما خرجت مَبْنَةُ عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القَوْم إلى فاس، فتوفي بها.

وفاته: في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعمائة.

عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي^(١)

من أهل لَوْشَة، وهو مُحْسُوب من الغرناطيين. قال الأستاذ^(٢): من أعيانها ذوي الشرف والجلالة. قلت: يُنسب إليه بها معاهد تدلّ على قَدَم وأصالة.

حاله: قال أبو القاسم الملاحى^(٣): كان أديباً بارع الأدب، كاتباً، بليغاً، شاعراً مطبوعاً، لِسِنًا مَقْوَّهاً، عارفاً بالنحو والأدب واللغات، وقد مال في عُنفوان شبّيته إلى الجُنْدِيَّة لِشَهادته وعِزّة نفسه، فكان في عسكر المأمون بن عباد^(٤)، واشتمل عليه المأمون، وكان من أظرف الناس، وأملحهم شبيبة^(٥)، وأحسنهم شارةً، وأتمهم معرفة.

مشيخته: أخذ^(٦) عن أشياخ بلده غرناطة، وأخذ بمالقة عن غانم الأديب، وبقرطبة عن ابن سراج.

شعره: وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْب، فمن ذلك قوله^(٧):

[البسيط]

يا هاجرين، أضلّ الله سَعْيَكُمْ كم تهجرون مُجَبِّيكُمْ بلا سببٍ

(١) يكنى عبد الله بن الجبير أبا محمد، وكانت وفاته في سنة ٥١٨ هـ، وترجمته في بغية الملتبس (ص ٣٤٨) وفيه أنه عبد الله بن عثمان بن الجبير، والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٢) وبغية الوعاة (ص ٢٧٩) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩).

(٢) الأستاذ هو ابن الزبير، وقوله هنا ورد في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٣) قارن ببغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٤) هو المأمون بن المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية في عصر ملوك الطوائف.

(٥) في الأصل: «شبة» والتصويب من بغية الوعاة.

(٦) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩). (٧) الأبيات في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

ويا مُسِيرِينَ لِلْإِخْوَانِ غَائِلَةً وَمُظْهِرِينَ وَجْوهَ الْبِرِّ وَالرُّحْبِ
 مَا كَانَ ضَرْكُكُمْ الْإِخْلَاصُ لَوْ طُبِعَتْ تِلْكَ النُّفُوسُ عَلَى غَلِيَاءٍ أَوْ أَدَبِ
 أَشْبَهَتْهُمْ الدُّفْرَ لَمَّا كَانَ وَالذُّكْمَ فَانْتَمَ شَرُّ أَبْنَاءِ لَشَرٍّ^(١) أَبِ

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد
 ابن علي السلماني^(٢)

والد المؤلف، رضي الله عنه، يُكنى أبا محمد، غرناطي الولادة والاستيطان،
 لُوشِي الأصل، ثم طُلَيْطِلِيَّة، ثم قُرْطَبِيَّة.

أوليته: كان سَلَفُهُ يعرفون بقرطبة ببني وزير، وهم بها أهلُ نباهة، ويثُهم بيت
 فقهِ وَخَيْرِيَّة وَمَالِيَّة، وَنِجَارِهِمْ نِجَارُ فَرَسَانَ يَمَانِيَّة. وَلَمَّا حَدَّثَ عَلَى الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ
 الْوَقِيعَةِ الرَّبْضِيَّة، وَكَانَ لَهُ الْفَلَجُ، وَبِأَهْلِ الرَّبْضِ الدُّبْرَةُ، كَانَ أَعْلَامُ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ
 الْعَالِيَةِ أَمَامَ الْحَكَمِ، حَسْبَمَا امْتَحَنَ بِهِ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْلَامِ الْمَشِيخَةِ بِهَا، كَالْفَقِيهِ
 طَالُوتَ، وَيَحْيَى بْنَ يَحْيَى، وَغَيْرَهُمَا^(٣)، وَلِحَقُّوا بِطُلَيْطِلَّة، فَاسْتَقَرُّوا بِهَا، وَنَبَا بِهِمْ
 وَطَنُهُمْ، ثُمَّ حَوُّمُوا عَلَى سُكْنَى الْمُوسْطَةِ، وَأَبَّ إِلَى قُرْطَبَةٍ قَبْلَهُمْ بَعْدَ عَهْدِ مُتَقَادِمِ،
 وَمِنْهُمْ خَلَفَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ مَرَّ لَهُ ذِكْرٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَوُلِيَ الْقَضَاءَ
 بِالْكُورَةِ. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَتِهِمْ تَمَلَّكُوا مُنْتَفَرِيدَ^(٤)، الْحَصْنَ الْمَعْرُوفَ الْآنَ بِالْمَنْعَةِ
 وَالْخِضْبِ، وَتَمَدَّنَ فِيهِمْ، وَبُنِيَ بِهِ الْقَلْعَةُ السَّامِيَّةُ، وَنُسِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَجْدُ، فَهُمْ
 يُعْرِفُونَ بِبِلَدِنَا بِبَنِي الْمُنْتَفَرِيدِينَ. وَاسْتَقَرَّ مِنْهُمْ جَدُّنَا الْأَعْلَى بَلُوشَةُ خَطِيبًا وَقَاضِيًا
 بِالصُّقْعِ وَمُشَاوَرًا^(٥)، وَهُوَ الْمُضَافُ إِلَى اسْمِهِ التَّنَوِيدِ بَلُوشَةُ عُرْفًا كَأَنَّهُ اسْمُ مُرْكَبٍ،
 فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الْقَدِيمِ إِلَّا سَيِّدِي سَعِيدَ. كَذَا تَعَرَّفْنَا مِنَ الْمَشِيخَةِ، وَإِلَيْهِ
 النَّسَبَةُ الْيَوْمَ، وَبِهِ يُعْرِفُ خَلْفُهُ بِبَنِي الْخَطِيبِ، وَكَانَ صَالِحًا فَاضِلًا، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
 وَالْعَمَلِ. حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْمُسْنُ أَبُو الْحَكَمِ الْمُتَفَرِيدِي، وَقَدْ وَقَفَنِي عَلَى جِدَارِ بُرْجٍ
 بِبَعْضِ أَمْلَاكِنَا بِهَا، عَلَى الطَّرِيقِ الْآتِيَةِ مِنْ غَرْنَاطَةِ إِلَى لُوشَةِ، ثُمَّ إِلَى غَيْرِهَا،
 كَلِشِبِيلِيَّة وَسَوَاهَا، فَقَالَ: كَانَ جَدُّكَ يَسْكُنُ بِهَذَا الْبُرْجِ كَذَا مِنْ فُصُولِ الْعَامِ، وَيَتْلُو
 الْقُرْآنَ لَيْلًا، فَلَا يَتَمَالِكُ الْمَارُّونَ عَلَى الطَّرِيقِ، أَنْ يَقْرَبُوا إِضْغَاءً لِحُسْنِ تِلَاوَتِهِ

(١) في البغية: «كُشْر».

(٢) ترجمة عبد الله بن سعيد السلماني في تفح الطيب (ج ٧ ص ١٣).

(٣) في الأصل: «وغيرهم».

(٤) اسمه بالإسبانية: Montefrío، ويعني الجبل البارد.

(٥) المشاور: هو من كان يتقلد خطة الشورى، التابعة للقضاء.

وَحُشْوَعًا. وكان ولدُه عبد الله بعده، على وَتيرة حسنة من الخير والنباهة وطيب الطعمة، ثم جدُّه الأقرب سعيد على سُنَّته، مُرَبٍّ عليه بمزيد المعرفة، وحُسن الخطِّ. ولما وقع بلوشة بِلْدِهِ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطنجالي، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجمات من الشَّاجر، فرَّ عنهم خيفةً على نفسه، وعلى ذلك فناله اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عُذْرُه، وبُرِّئت ساحته، واستظهر به السلطان، وأقام بغرناطة، مُكْرَمًا، مُؤَثَّرًا، مُؤْتَمَنًا، وصاهر في أشراف بيوتاتها، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العلى أضْحى بن أضْحى الهمداني، وتوفيت تحته، فأنجز له بسببها الحظُّ في الحتام الأعظم المنسوب إلى جدِّها اليوم. ثم تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجعدالة السلمي، أم الأب المترجم به، ولها إلى السلطان ثاني ملوك بني نصر وعظيمهم^(١) مَنَاتٌ بيثوة الخؤولة من جهة القواد الأصلاء القرطبيين بني دحون، فوضَّح القصد، وتأكدت الحظوة. وقد وقَّعت الإشارة إلى ذلك كله في محله. ثم رَسَخَتْ لولده أبي، القِدَمُ في الخدمة والعناية، حسبما يتقرَّر في موضعه.

حاله: كان، رحمه الله، فذاً في حُسن الشكل والأُبْهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثقوب الفهم، مُشارًا إليه في الحلاوة وعُدوبة الفكاهة، واسترسال الانبساط، مُغْنِيًا في ميدان الدُّعابة، جَزَلًا، مَهِيًا، صارمًا، مُتَجَنِّدًا، رائق الخُصل رَكْضًا وثقافةً، وعَدْوًا وسباحةً وشَطْرُنَجًا، حافظًا للمثل واللغة، إخباريًا، مضطلعًا بالتاريخ، ناظمًا نائراً، جميل البِزَّة، فارِه المَرْكَب، مليح الشَّيْئَةِ. نشأ بغرناطة تحت تَرْفٍ وِنِعمَةٍ، من جهة أمه وأبيه، وقرأ على أبي إسحاق بن زُرْقَال، وأبي الحسن البلوطي، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، ظاهرة عليه مُخَيَّلَةُ التَّجَابَةِ والإدراك. ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّؤوب، وانتقل إلى بَلَد سَلَفِهِ، متحيفًا الكثير من الأصول في باب البَذل وقِرَى الضيوف، ومداومة الصَّيد، وإيثار الراحة، مُعْتَمِدًا بالتَّجِلَّة، مَقْصُود الحِلَّة، مخطوب المداخلة، من أبناء أشراف الدولة، مُتَّجِعًا لأولي الكُدِيَةِ. ولما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، وأمه بنت السلطان ثاني الملوك من بني نصر، جَزَمَ ما تقدَّم من المَنَات والوسيلة، اسْتَنَهَضَهُ للإعانة على أمرِهِ، وجعل طريقه على بِلْدِهِ، فَحَطَّبَ في حَبْلِهِ، وتمسَّكَ بدعوته، واغتمده بنزله وضيافته، وكان أعظم الأسباب في حُصول الأمر بيده، ودخوله

(١) الصواب ثاني سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

في حكمه، وانتقل إلى حضرة الملك بانتقاله، فنال ما شاء من اصطناعه وحظوته، وجرى له هذا الرسم في أيام من خلقه من ولده إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف تاريخ فقهه.

وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه^(١): إن طال الكلام، وجمحت الأقلام، كنت كما قيل: مَادُخُ نَفْسِهِ يُقَرُّكَ السَّلامُ، وإن أَحْجَمْتُ، فما أَسَدَيْتُ في الثَّنَاءِ وَلَا أَلْحَمْتُ، وَأَضَعْتُ الْحَقُوقَ، وَخَفْتُ وَمَعَاذَ اللَّهِ الْعُقُوقَ. هذا، ولو أَنِّي رَجَرْتُ طَيْرَ الْبَيَانِ مِنْ أَوْكَارِهِ، وَجِئْتُه^(٢) بَعْيُونَ الْإِحْسَانَ وَأَبْكَارِهِ، لَمَا قَضَيْتُ حَقَّهُ بَعْدَ، وَلَا قُلْتُ إِلَّا الَّتِي عَلِمْتُ سَعْدَ^(٣). فَقَدْ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، ذَمِيرَ^(٤) عَزَمَ، وَرَجُلَ رِخَاءٍ وَأَزَمَ، تَرُوقُ أَنْوَارُ خِلَالِهِ الْبَاهِرَةِ، وَتُضِيءُ مَجَالِسُ الْمُلُوكِ مِنْ صُورَتَيْهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، ذِكَاؤُهُ يَتَوَقَّدُ، وَطَلَاؤُهُ يَحْسُدُ نَوْرَهَا الْفَرَقْدُ. فَقَدْتُه^(٥) بِكَائِنَةِ طَرِيفِ^(٦)، جَبَّرَ اللَّهُ عِثَارَهَا، وَعَجَّلَ ثَارَهَا.

حدث خطيب المسجد الأعظم، وهو ما هو، من وفور العقل، وصحة الثقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكسرة، وخذلت تلك الأسرة، وقد كبا بأخيك الطُرف، وعرض عليه الحمام للضرف، والشيخ رحمه الله لم تزل قدمه، ولا راعه الموقف وعظمه. ولما آيس من الخلاص وطُلابه، صرقتني وقال: أنا أولى به، فقضى سعيداً شهيداً، لم يستقره الهول، ولم يثنه ولا رضي عار الفرار عن ابنه.

شعره: قال في «الإكليل»^(٧): وكان^(٨) له في الأدب فريضة، وفي النادرة العذبة منادح عريضة. تكلمت يوماً بين يديه، في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتاً من شعري^(٩)، وقرأت عليه رُقاعاً من إنشائي، فسُرَّ وتهلل، وعبر عما أمل، وما برح أن

(١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٤). (٢) في النفح: «وجئت بفون...».

(٣) أخذه من قول الحطينة [الطويل]:

وتعذّلني أفناء سعيدٍ عليهم
ولا قلت إلا بالتي علمت سعدُ
ديوان الحطينة (ص ٣٢٩).

(٤) الذمير، بفتح الذال وكسر الميم: الشجاع والداهية. لسان العرب (ذمر).

(٥) من هنا حتى قوله: «عار الفرار عن ابنه» ساقط في النفح.

(٦) كائنة طريف أو موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبنو مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٧) النص نثراً وشعراً في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٤ - ١٥).

(٨) في النفح: «وكانت».

(٩) في النفح: «شعري ورقاعاً من إنشائي فتהלّل وما برح أن ارتجل».

ارتجل قوله رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

الطَّبُّ وَالشُّعْرُ وَالكِتَابَةُ سِمَاتُنَا فِي بَنِي النُّجَابَةِ
هُنَّ ثَلَاثُ مُبْلَغَاتٍ مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابَةُ
وَوَقَعَ لِي يَوْمًا بِخَطِّهِ عَلَى ظَهْرِ آيَاتٍ، بَعْثُهَا إِلَيْهِ، أَعْرَضَ عَلَيْهِ نَمَطُهَا: [الكامل]
وَرَدَتْ كَمَا وَرَدَ النَّسِيمُ بِسَحْرِهِ^(١) عَنْ رَوْضَةٍ جَادَ الْغَمَامُ رُبَاهَا
فَكَأَنَّمَا^(٢) هَارُوثٌ أَوْدَعَ سِخْرَهُ فِيهَا وَأَثَرَهَا بِهِ وَحَبَاهَا
مَصْقُولَةُ الْأَلْفَاظِ يَبْهَرُ حُسْنُهَا فَبِمِثْلِهَا^(٣) افْتَخَرَ الْبَلِيغُ وَبَاهَى
فَقَرَرْتُ عَيْنًا عِنْدَ رُؤْيَا حُسْنِهَا إِنِّي أَبُوكَ وَكُنْتُ أَنْتَ أَبَاهَا
وَمِنْ شَعْرِهِ^(٤) قَوْلُهُ: [الوافر]

وَقَالُوا قَدْ نَأَوَّا^(٥): فَاضْبِرْ سُسْتُفَى فَيَرِيقُ الْهَوَى بُعْدُ الدِّيَارِ
فَقُلْتُ: هَبُوا بِأَنَّ الْحَقُّ هَذَا فَقَلْبِي يَمُومُوا فِيمَ اصْطِبَارِي^(٦)؟
وَمِنْ قَوْلِهِ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْحَكَمِ وَالْأَمْثَالِ^(٧): [السريع]

عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ فَكَمْ نَاطِقٍ كَلَامُهُ أَدَى إِلَى كَلِمِهِ^(٨)
إِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ أَهْدَى إِلَى غِرَّتِهِ وَاللَّهُ مِنْ خَضَمِهِ
يُرَى صَغِيرَ الْجَزْمِ مُسْتَضْعَفًا وَجُزْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ جِزْمِهِ
وَقَالَ وَهُوَ مِنَ الْمُسْتَحْسِنِ فِي التَّجْنِيسِ^(٩): [الخفيف]

أَنَا بِالذُّهْرِ، يَا بَنِي، خَبِيرٌ فَلِذَا شُئْتُ عِلْمُهُ فَتَعَالَى
كَمْ مَلِكٍ قَدْ ارْتَفَى^(١٠) مِنْهُ رَوْضَا لَمْ يَدَافِعْ عَنْهُ الرَّدَى^(١١) مَا ارْتَفَى لَا
كُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ يَفْنَى وَيَبْقَى رَبُّنَا اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ تَعَالَى
أَنشَدَنِي هَاتَيْنِ الْمَقْطُوعَتَيْنِ.

(١) في النفع: «... كما صدر النسيم بسحرة». (٢) في النفع: «وكانما». (٣) في الأصل: «بمثلا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع. (٤) في النفع: «ومن نظمه قوله». (٥) في النفع: «قد دنا». (٦) في النفع: «قلبي يمموا فيم اصطباري». (٧) اكتفى في النفع بقوله: «وقال». (٨) الكلّم، بفتح الكاف وسكون اللام: الجرح. القاموس المحيط (كلم). (٩) اكتفى المقرئ بالقول: «وقال». (١٠) في النفع: «ارتفى» بالعين غير المعجمة. (١١) في الأصل: «الرحمن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

مولده: ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستمائة.

وفاته: بعد^(١) يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة.

من رثاه: قلت في رثائه من قصيدة أولها^(٢): [الطويل]

وللدهر كف تسترد الذي تُغطي	سهاً المنايا لا تطيش ولا تُخطي
فلا بُد يوماً أن نحلّ على الشط	وإنّا وإن كنّا على تَبَجِ الدنا
ومن أسرع السير الحثيث ومن يُبْطِ	وسِيانِ ذلّ الفقر أو عِزّة الغنى
فلم يُغن ربّ السيف عن ربّة القُرْط	تساوى على وزد الردى كلّ وارد

وقال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها^(٣): [الطويل]

إذا قلت أبياناً حسناً من الشعر؟	إذا أنا لم أزلّ الصديق فما عذري
وأجريت دمعي لليراع ^(٤) عن الجبر	ولو كان شعري لم يكن غير نذبة
توخّيتها عوّناً على ثوب الدُهر	لما كنت أقضي حقّ صُخبته التي
بدهاية دُهياء ^(٥) قاصمة الظُهر	رمانيّ عبد الله يوم وداعه
فإن لم يوفّ دمعي فقد خانني صبري	قطعت رجائي حين ضحّ حديثه
أبث له همّي وأودعه سرّي؟	وهل مؤنس كابن الخطيب لو خشتي

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي^(٦)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، وقد مرّ ذكر أبيه شيخنا وأخويه، وتقرّرت نباهة بيتهم.

(١) في النفع: «وفقد يوم...».

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٥ - ١٦).

(٣) في الأصل: «يبط» بالكسر، والتصويب من النفع. وترتيب هذا البيت في النفع بعد البيت التالي.

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٦).

(٥) اليراع: القصب، والمراد القلم. محيط المحيط (برع).

(٦) الدهياء: الشديدة القاسية. لسان العرب (دها).

(٧) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونيل الابتهاج (ص ١٢٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

حاله: هذا^(١) الفاضل قَرِيحُ بيت نَبِيه، وسَلَفٍ شهير، وأبوّة خَيْرَة^(٢)، وأخوة بليغة، وخزولة تميّزت من السلطات بِحُظوة. أديب حافظ، قام على فنّ العربيّة، مشارك في فنون لِسَانِيّة سواه، طُرِفَ^(٣) في الإدراك، جيد النظم، مَطْوَاع القريحة، باطنه نُبْل، وظاهره غَفْلَة. قعد للإقراء ببلده غرناطة، مُعِيدًا ومُسْتَقْلًا، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة، وهو لهذا العهد مَخْطوب رُتبة، وجارٍ إلى غاية، وعينٌ من أعيان البلدة.

مُشِيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير^(٤) أبي القاسم حديث الرّحمة بِشَرْطه، وسمع عليه على صِغر السنّ، أبعاضًا من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للنسائي، وبعض سنن أبي داود، وبعض موطأ مالك بن أنس، وبعض الشفاء ليعياض، وبعض الشّمال للترمذي، وبعض الأعلام للثُميري، وبعض المَشْرَع السُّلس في الحديث المُسَلْسَل لابن أبي الأحوص، وبعض كتاب التيسير لأبي عمرو الدّاني، وبعض كتاب التّبصرة للمكي، وبعض الكافي لابن شريح، وبعض الهداية للمّهدي، وبعض التلخيص للطبري، وبعض كتاب الدّلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع، وبعض كتاب خَلبة الأسانيد وبُغية التلاميذ لابن الكُماد، وبعض كتاب وسيلة المُسلم في تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده، وبعض القوانين الفقهية، وبعض كتاب الدّعوات والأذكار، وبعض كتاب الثور المبين في قواعد عقائد الدين من تأليفه، وبعض تقريب الوصول إلى عِلْم الأصول، وبعض كتاب الصلاة، وبعض كتاب الأنوار السُّنية في الكلمات السُّنية، وبعض كتاب برنامج. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مَزَوِيّاته وتواليفه وتقييداته، إجازة عامة. ولقّنه في صغره جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية.

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بالمرية حديث الرحمة بِشَرْطه، وسمع عليه بها وبغرناطة عدّة من أبعاض كتب، وأجازه عامة، وأنشده من شعره، وشعر غيره. ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، واستفاد منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير من النّصف الثاني من كتاب سيبويه، وفي كثير من النّصف الثاني من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وفي

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

(٢) في النفح: «خير».

(٣) في النفح: «ظرف».

(٤) في النفح: «الشهير الشهيد».

كثير من كتاب التسهيل لابن مالك، وفي القصيدة الخزرجية في العروض، وسمع من لفظه الربع الواحد أو نحوه من تأليفه شرح مقصورة حازم، وتفقه عليه فيه، وأنشده كثيرًا من شعره وشعر غيره. ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البياني، لازمه مدة القراءة عليه، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التسهيل البديع في اختصار التفریع إلا سيرًا منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفریع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العمدة لابن دقيق العيد، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفراسي، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، كالمُدونة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب الثلقين، وكتاب الجمل، وكتاب التسهيل والتنقيح، والشاطبية، وكتاب العمدة في الحديث وغير ذلك. ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بيّش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد، جميع كتاب الموطأ، وكتاب الشفا إلا سيرًا منه، وأجازه روايتهما عنه، ورواية جميع مرويّاته، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. ومن أجازه عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري، والخطيب أبو علي القرشي، والأستاذ أبو محمد بن سلمون، والحاج الراوية أبو جعفر بن جابر، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عتيق الشاطبي الأزدي، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شبرين، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصايغ. ومن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحضرمي، وجماعة سوى من ذكر من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سنى الليلة الغراء^(١) وافئتك بالبشرى وأبدي بها^(٢) وجه القبول لك البشرى

(١) في الأصل: «الغراء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «منها»، وكذا ينكسر الوزن.

تَهْلَلَ وَجْهَ الكون من طرب بها
 لها المِثَّة العظمى بميلاد أحمد
 طوى ميرؤه في صدره الدُفْرُ مُدَّة
 حوى شهرة الفضل الشهير وفضله
 لقد كان ليلُ الكُفْرِ في الليل قد جفا
 وفي ليلة الميلاد لاحت شواهد
 لقد أخمَدَتْ أنوارها نارُ فارس
 له معجزات يُعْجِزُ القَلْبُ كُنْهَهَا
 معالٍ يكلُّ الشَّعْرُ عن ثيلٍ وُضِفَهَا
 به بَشَرُ الرُّسُلِ الكرام ولم تزل
 ففي الصُّحُفِ الأولى مناقِبُه العلى
 لقد خَصَّه مولاه بالقُرْب والرضى
 وردَّ عليه الشمس بعد غروبها
 وكان له في مائه وطعامه
 غدا الماء من بين الأصابع نابعا
 وكم نائل أولى وكم سائل حبا
 كفى شاهدا أن رَدَّ عَيْنٍ فتادة
 وحنَّ إليه الجِدْعُ عند فراقه
 وحقُّ له إذ بان عنه حبيبُه
 خليلي، والدنيا تُجَدُّ للفقير
 بعَيْشِكُما هل لي إلى أرض طيبة
 منى النفس^(٥) من تلك المعاهد زُورَة
 وتعفير خدي في عروق ثرابها

وأشرقَت الدنيا^(١) بغرَّتِها الغرَّاء
 لها الرُّتْبَةُ العُلْيَا لها العِزَّة الكُبرى
 فوافى ربيعًا ناشرًا ذلك السُّرَّاء
 فأخسِنَ به فضلًا وأعْظَمَ به شُهرًا
 فأطْلَعَ منه في سَمَةِ^(٢) الهدى فَجْرا
 قَضَتْ أن دينَ الكُفْرِ قد أَبْطَلَ الكُفْرا
 وَأَزْجَتْ^(٣) كما ازْتَجَّ إيوانه كِسْرى
 ويُخْصِرُ إنَّ رام اللسان لها خُصْرا
 وتَقْصُرُ عن إدراك مصعده الشُّعْرى
 شمائله تُثْلِي وآياته تُثْرى
 وفي الذكر آيات خَصَّتْ^(٤) له قَدْرًا
 وحَسْبُكَ ما قد نَصَّ في النُّجْم والإسْرا
 وشقَّ على رغم العُدَاة له البَدْرَا
 لطائفُ ربَّانِيَّة تَبْهَرُ الفِكْرا
 وعاد قليل الزَّاد من يُمنه كَثْرا
 وكم مُشْتَكٍ أَشْفَى وكم مُذْنِفٌ أَثْرى!
 فكان لها الفضلُ المَبِينُ على الأخرى
 ولا حَتَّتِ الخُنْساءُ إذ فارَقَتْ صَخْرا
 ومَن ذاق طعم الوَصْلِ لم يَحْمِلِ الهَنْجْرا
 ضروبًا من الأشواق لو تنفع الذِّكْرى
 سبيلٌ؟ فأما الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرا
 أبثُّ بها شَكْوَى وأشكو بها وِزْرا
 لِيَمْحُوَ لي ذَنْبًا وَيُثَبِّتَ لي أَجْرا

(١) في الأصل: «الدنا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) السَّمَةُ والسَّمَةُ: الأسْت.

(٣) أصل القول: «وأزجف»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «رخص»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «للنفس»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تَعَلَّلَنِي نَفْسِي بِإِدْرَاكِهَا الْمُنَى
وَمَنْ كَانَتْ الْأَمَالُ أَقْصَى اجْتِهَادِهِ
وَكَمْ زَجَرَتْهَا وَاعْظَاتُ زَمَانِهَا
وَكُنْتُ لَهَا غَضْرُ الشَّبِيبة عَازِرًا
وَأَمَّا وَقَدْ وَلْتُ ثَلَاثُونَ حِجَّةً
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ سِوَى النَّفْسِ طَائِعًا
وَلَمْ أَذْخِرْ إِلَّا شِفَاعَةَ أَحْمَدٍ
لَقَدْ عَلِقْتُ^(١) كَفَّ الرَّجَاءِ بِحَمَلِهِ
هُوَ الْمُرْتَضَى الدَّاعِي إِلَى مَنَهِجِ الرِّضَا
هُوَ الْحَاسِرُ الْمَاحِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
بِأَيِّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْمَرْءَ وَضَفَّ مَنْ
خِلَالَ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النُّجْمِ بِأَهْرِهَا سَنَى
سَقَى لَيْلَةً حَيْثُ بِهِ وَاكِفَ الْحَيَا
لَقَدْ خَصَّهَا سِنْدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ
أَقَمْتُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا
لَقَدْ سِرْتُ فِيهَا إِذْ أَتَشَكَّ بِسِرِّهِ
عَرَفْتُ بِهَا حَقُّ الَّذِي عُرِفْتُ بِهِ
وَأَضْحَيْتُهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَالتُّقَى
لَدَى مَصْنَعِ مَلَا^(٢) الْعَيُونَ مُحَاسِنًا
مِنْهَا بَعْدَ آيَاتٍ فِي الْمَدْحِ لِلْمُلْطَانِ:

رَوَى عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ عُرَّ شَمَائِلَ
وَمَنْ كَبِنِي نَصْرٍ جَلَالَةٍ مَنَصِبٍ
هُمْ مَا هُمْ إِنْ تَلَقَّوهُمْ فِي مَهْمَةٍ
سَلَالَةٍ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَمَا أَجْهَدْتُ عَيْنًا وَلَا مُلْكْتُ قَفْرًا
غَدْتُ كَفَّهُ مِمَّا تَأْمَلُهُ صِفْرًا
فَمَا سَمِعْتُ وَغَطًّا وَلَا قَبِلْتُ زَجْرًا
سَقَاهُ الْحَيَا مَا كَانَ أَقْصَرُهُ غَضْرًا
فَلَسْتُ أَرَى لِلنَّفْسِ مِنْ بَعْدِهَا عُذْرًا
فَلَا بُدَّ بَعْدَ الشُّيْبِ مَنْ تَرَكَهُ قَسْرًا
لِتَخْفِيفِ وَزْرِ شَدِّ مَا أَوْثَقَ الظُّهْرَا
لَعَلَّ كَسِيرَ الْقَلْبِ يَغْلِيهِ بِرًّا
هُوَ الْمَصْطَفَى الْهَادِي الْمَيَسَّرَ لِلْيُسْرَى
هُوَ الشَّافِعُ الْوَاقِي إِذَا شَهَرَ الْحَشْرَا
مَكَارِمُهُ تَسْتَغْرِقُ النُّظْمَ وَالنُّثْرَا
تَكَرَّرُ عَلَى الْأَعْقَابِ خَائِبَةٌ خَسْرَا
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّوضِ عَاطِرُهَا نَشْرَا
فَتَغْمَاؤُهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرَا
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسُكَّانُهَا طُرَا
بِأَفْعَالٍ بِرٍّ أَضْحَكْتُ لِلْهُدَى ثَغْرَا
أَقْرُتُ لَهَا عَيْنًا وَسُرْتُ لَهَا صَدْرَا
فَأَحْسَنْتُهَا شُكْرًا وَأَوَّلَيْتُهَا بِرًّا
وَأَغْمَبْتُهَا الْإِحْسَانَ وَالتَّنَائِلَ الْغَمْرَا
تَجَسَّمُ فِيهِ السُّخْرُ حَتَّى بَدَا قَضْرَا

أَعَادَ لَنَا ذَهَبَ اللَّيَالِي بِهَا غُرَا
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَضْرَا
لَقِيتُ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمَغْفَلَ الْوَعْرَا
فَسَلَّ أَحَدًا يُثْبِيكَ عَنْهُمْ وَسَلَّ بَذْرَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «عَاقْتُ»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مَلَا»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

ومن شعره في المقطوعات، قال في التورية العروضية^(١): [الوافر]

لقد قَطَعْتَ قَلْبِي يا خَلِيلِي بهَجَرٍ طَالَ مِنْكَ عَلَى الْعَلِيلِ
ولكن ما عَجِيبٌ مِنْكَ هَذَا إذ^(٢) التَّقْطِيعُ مِنْ شَأْنِ الْخَلِيلِ^(٣)

وقال في التورية النحوية^(٤): [الطويل]

لقد كُنْتُ مَوْصُولًا فَأَبْدِلْ وَضِلْكُمْ بهَجَرٍ وَمَا مِثْلِي عَلَى الْهَجَرِ يَضِيرُ
فَمَا بِالْكُمْ غَيْرُكُمْ عَبْدُكُمْ وَعَهْدِي بِالْمَحْبُوبِ لَيْسَ يُغَيِّرُ^(٥)

وقال في التورية مداعبًا بعض المقرئين للعدد وهو بديع^(٦): [الكامل]

يا ناصبًا عَلِمَ الْحَسَابِ جِبَالَهُ^(٦) لِقَنَاصٍ ظَنَنِي سَاحِرِ الْأَلْبَابِ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو^(٧) بِالْحَسَابِ وَصَالَهُ فَالْبَدْرِ^(٨) يَرْزُقُنَا بِغَيْرِ حَسَابِ

وقال في التورية العروضية^(٩): [المتقارب]

لقد كَمَلَ الْوُدُّ مَا^(٩) بَيْنَنَا وَذَمَّنَا عَلَى فَرْحٍ شَامِلِ
فَإِنْ دَخَلَ الْقَطْعُ فِي وَضْلِنَا فَقَدْ يَدْخُلُ الْقَطْعُ فِي الْكَامِلِ

وقال في تضمين مثل^(٤): [الوافر]

أَلَا أَكُتُّمْ حُبٌّ مَنْ أَخْبَيْتَ وَاضِرُ فَإِنَّ الْهَجَرَ يُخْدِثُهُ الْكَلَامُ
وَأِنْ أَبْدَاهُ ذَمُّعٌ أَوْ نَحْوُلُ فَمَنْ بَعْدَ اجْتِهَادِي^(١٠) لَا تُلَامُ

وقال^(٤): [السريع]

وَأَشْنَبِ الثُّغْرَ لَهُ وَجَنَّةُ تَعَدَّتِ الثُّخْلُ عَلَى وَزْدِهَا
مَا ذَاكَ إِلَّا حَسْدُ^(١١) إِذْ رَأَتْ رُضَابَهُ أَغْدَبَ مِنْ شَهْدِهَا

(١) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «إنه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) أراد من التقطيع تقطيع قلبه، وورى بالتقطيع الذي يختص بالشعر والذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٤) البيتان في الكتية الكامنة (ص ٩٧). (٥) في الكتية: «يتغير».

(٦) في الكتية: «جباله». (٧) في المصدر نفسه: «ترزق».

(٨) في المصدر نفسه: «فاله».

(٩) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتية.

(١٠) في الكتية: «اجتهادك». (١١) في الكتية: «حسدا».

وقال في الثورية بأسماء كُتِبَ فقهية جواباً غير مُعَمَّى^(١): [الطويل]

لك الله من خلّ حبانى برُقعة
رسالة رَمَزٍ في الجمال نهاية^(٢)
حَبَثْنِي من أبياتها^(٣) بالنوادر
وخيرة نظمٍ أُتِحِفَتْ بالجواهر

وقال في الثورية أيضاً^(٤): [الطويل]

إلى الله أشكو عُذْرَ آلِ تودّدي^(٥)
لقد خدعونى إذ أروني مودّة
إلّى فلما لاح سِرّي لهم حالوا
ولكنه لا غرّو أن يُخدَعَ الال

وقال يخاطب رجلاً من أصحابه^(٦): [الطويل]

أبا حَسَنِ^(٧) إِنْ شَتَّتَ الدُّهْرُ شَمْلَنَا
وإنْ حُلَّتْ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزل^(٨)
لِقَلْبِي على حفظِ العُهودِ ثَبَاتٌ
ألم تَتَقَدَّمْ قَبْلَهَا حَسَنَاتٌ؟

وقال في التّسبب^(٩): [الطويل]

لئن^(١٠) كان بابُ القُربِ قد سُدَّ بيننا
وأخْفَرْتَ^(١١) عهدي دونَ ذنْبِ جَنِيئَةٍ
ولم تَرِثْ لي عَمّا^(١٢) أَلَا قِي مِنَ الْأَسَى
وضاقتْ بي الأحوالُ عن كلِّ وَجْهَةٍ
ولم يَبْقَ لي في ثِيْلٍ وَضْلِكَ مَطْمَعُ
وأضْبَحَ وُدِّي فيكَ وهو مُضْيِعُ
وصِرْتُ أَنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ
فما^(١٣) أَرْتَجِي من رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْسَعُ

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٧). (٢) في الكتيبة: «أبائها».

(٣) في الكتيبة: «في الحجال مُهَابَةٌ ذَخِيرَةٌ نَظْمٌ...».

(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).

(٥) في الأصل: «...أشكو عُذْرًا تودّذا»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨)، ووردت في أزهار الرياض (٣ ص ١٩٥) منسوبة إلى

محمد بن جزري.

(٧) في الأصل: «أيا حَسَنُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة وأزهار الرياض.

(٨) في أزهار الرياض: «بالقواد». (٩) في أزهار الرياض: «أزل».

(١٠) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨).

(١١) في الأصل: «رَان» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «وأخْفَرَ». (١٣) في الكتيبة: «مما».

(١٤) في الكتيبة: «لما».

ومما نظمه في التّضمين مخاطبًا بعض المُتّحِلين للشّعر قوله^(١): [الطويل]

لقد صرّث في غَضْب القصائد ما هرا فما أَسْمُ جميع الشعرِ عندك غيرُ لي^(٢)
ولم تُبَقِ شعراً لامرئٍ متقدّم^(٣) ولم تُبَقِ شعراً يا ابنِ بَشْتٍ^(٤) لأول
فشِعْرَ جَرِيرٍ قد غَصَبَتْ ورؤية^(٥) وشعرَ ابنِ مَرْجِ الكُخْلِ وابنِ المُرْخَلِ
وإن دام هذا الأمرُ أصبَحْتَ تَدْعِي (قفا تَبْكُ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ ومنزل)^(٦)

ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدي الكوّاب^(٧)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرئ.

حاله: من «الصلة»: كان، رحمه الله، أثقن أهل زمانه في تجويد كتاب الله العزيز، وأبرعهم في ذلك، وأثقفهم للمتعلم، نفع الله به كل من قرأ عليه، وترك بعده جملةً يُرجع إليهم في ذلك، ويُعمل على ما عندهم. وكان مع ذلك ثيبه الأغراض، في جميع ما يحتاج إليه في علمه، ذاكراً للاختيارات التي تنسب للمقرئين، من يُرجح ويُعلّل، ويختار ويردّ، موفقاً في ذلك، صابراً على التعليم، دائباً عليه نهاره وليله، ذاكراً لخلاف الشبهة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاضتهم وعامتهم، وملاً ببلده تجويداً وإتقاناً، وكان مع هذا فاضلاً ورعاً جليلاً. خُطِبَ بجامعة غرناطة وأمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مُشِيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين^(٨) بن كوثر، وأبي خالد بن رفاعة، وأبي عبد الله بن عروس. ورحل إلى بياسة فأخذ بها القراءات عن أبي بكر بن حسون، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حَكَم، وأبي جعفر بن عبد الرحيم،

(١) الأبيات في الكتية الكامنة (ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) في الأصل: «غزل» والتصويب من الكتية الكامنة.

(٣) في الكتية: «متأخر». (٤) في الكتية: «فعل».

(٥) في الأصل: «ورؤية» والتصويب من الكتية.

(٦) هو صدر مطلع معلقة امرئ القيس، وعجزه:

بِسَيْفِ اللَّوْى بَيْنَ الدُّخُولِ وَخُومَلِ

ديوان امرئ القيس (ص ٨).

(٧) ترجمة عبد الله بن محمد العبدي الكوّاب في التكملة (ج ٤ ص ٢٩٦) وغاية النهاية (ج ١ ص

٤٤٧ رقم ١٨٦٦).

(٨) في التكملة: «أبي الحسن».

وأبي الحسن الصدفي الفاسي، وسمع عليه كثيرًا من كتاب سيبويه تفقُّها، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبي جَمْرَة مع آخرين ممن أخذوا عنه.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم، منهم ابن أبي الأُخوص، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ.

وفاته: توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة^(١)، ودفن بمقبرة باب البيرة.

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه الله، نسيجًا وخدع، دينًا وفضلًا، وتخلُّقًا ودماء، ولين جانب، حسن اللقاء، سليم الباطن، مُغرِّقًا في الخير، عظيم الهشة والقبول، كريم الطوية، عظيم الانقياد، طيب اللهجة، مُتهالكًا في التماس الصالحين، يتقلب في ذلك بين الخطأ والإصابة، صَدْرًا في أهل الشورى. قرأ ببلده وسمع وأسمع وأقرأ، وكتب الشروط مدة، ماثور العدالة، معروف النزاهة، مثلاً في ذلك، ويقوم على العربية والفقه، خصوصًا باب البيوع، ويتقدَّم السباق في معرفة القراءات، منقطع القرنين في ذلك، أشدَّ الناس خُفوقًا في الحوائج، وأسرعهم إلى المشاركة.

مُشِيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، ولازمه، فانتفع به درايةً وروايةً. وقرأ على الخطيب أبي الحسن بن فضيلة، والمُكْتَب أبي الحسن البلوطي، وأبي محمد النَّفْزِي، والخطيب أبي جعفر الكحيلي. وبمألقة على الأستاذ أبي محمد الباهلي. ويسبِّتة على الأستاذ المقرئ رُخْلَة وقته أبي القاسم بن الطيب، وسمع عليه الكثير. وعلى الأستاذ أبي عبد الله الدراج، ولازم مجلس إقرائه، وعلى الشيخ المعمر أبي عبد الله بن الخطار الكامي، وهو أغلى مَنْ لقيه من تلك الخلبة. وأخذ بالإجازة عن العذل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الثولي، وروايته عالية. لقي أبا الربيع بن سالم، ولقي بسببة الشريف الراوية أبا علي الحسن بن أبي الشرف ربيع، والأديب الكاتب أبا علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رَشِيق. وبفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المَغِيلِي. وقرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد. وسمع على ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم. ولقي الأديب المعمر مالك بن المرحّل. وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن

(١) في التكملة: «وتوفي سنة ٦٣١ وهو ابن خمس وسبعين سنة».

الدَّارِي بَرْنَدَة. وأجازه من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسن بن بَقِيَّة الأشراف بالديار المصرية، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرَّاني، وجمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشَّيباني، وأحمد بن عبد المنعم الصُّوفي، ومولده عام أحد وستمائة، وأحمد بن سَلْمَان بن أحمد المَقْدَسي، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي، والخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِنَّاني، وأبو عبد الله محمد بن أبي خمسة محمد بن البكري بن أبي بكر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن وَهَب بن مُطِيع بن أبي الطاعة القُشَيْرِي، وابن دقيق العيد تقي الدين، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني. وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب. ولقي بفاس الشَّيخة الأدبية الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيَّة وأجازته، وألَبَّسَتْهُ خِرقة التَّصَوُّف.

قال: وأنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث أبا عبد الله بن رُشيد، أولها يعني قصيدة ابن رُشيد: [السريع]

سَرَى نَسِيمٌ مِنْ جِمَى سَارَة	عاد به كلُّ نَسِيمٍ عاطرا
وجال أفكار الدُّنَا ذكرها	فسار فيها مثلاً سائرا
دائرةً والمَجْدُ قُطِبٌ لها	دارت عليه فَلَكَا دائرا

فقال:

وافى قَرِيضٌ مِنْكُمْ مَذْ غدا	لبعض أوصافِكُمْ ذاكرا
أُطْلِعَ مِنْ أَنْفَاسِهِ حَجَوا ^(١)	وَمِنْ شَذَاهُ نَفْسًا عاطرا
أعاد مَبِيتَ الْفِكْرِ مِنْ خَاطري	من بَعْدِ دَفْنٍ فِي الثُّرى ناشرا
يَبْهَرُ طَرْفي حُسْنُ مَنَظَرِهِ	أَخْبِيبُ بِهِ نَظْمًا غدا باهرا
فَقُلْتُ لِمَا ^(٢) هَالَنِي حُسْنُهُ	أشاعرا أصبح أم ساحرا؟
أم روضةً هذي التي قد نوى؟	أم بِذُرِّ تِمٍّ قد بدا زاهرا؟
أم ضَرْبُ ^(٣) مِنْ فَمِهِ سائل؟	أم جَوْهر أضْحَى لنا نائرا؟

(١) في الأصل: «الحجا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لها» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) الضَرْب، بفتح الضاد والراء: العمل الأبيض.

لله ما أغدبَ الفأظفة وأنورَ الباطنَ والظَّاهرا!
 يا ابنَ رُشيد، بل أبا الرُّشد، مَنْ لم يزل طَيِّ العُلا ناشرا^(١)
 خُذْ ما قَدَتِكَ النَّفْسُ يا سيدي وَكُنْ لِمَنْ نَظَمَهَا عاذِرا
 ما تصل الأثنى بِتَقْصِيرِها لأنَّ ثُبَارِي ذَكَرًا مَاهِرا
 لا زِلْتُ تُحْيِي من رُسوم العُلا ما كان منها دارسًا دائِرا

تصانيفه: الكتاب المسمى بـ «الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافى» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين وستمائة.

وفاته: فقد في الواقعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة. حدث بعض الجند أنه رآه يتحامل، وجُرَّحَ بصدّره يثَغَّب دَمًا، وهو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبل الله شهادته.

عبد الله بن سهل الغرناطى^(٢)

يكنى أبا محمد، ويُنَبِّزُ^(٣) بوجه^(٤) نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمامة، قال: عني بعلم القرآن والنحو والحديث عناية تامة، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ في حال طفولتي بغرناطة، ثم شهر بعد ذلك بعلم المنطق، والعلوم الرياضية، وسائر العلوم القديمة، وعظم بسببها، وامتدَّ صيته من أجلها، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أن ليس في زمانه مثله، ولا في كثير ممن تقدّمه، وبين هذه اللّيل الثلاثة من التّحاسد ما عُرف. وكانت النصارى تقصده من طليطلة، تتعلم منه أيام كان ببياسة^(٥)، وله مع قسيسهم مجالس في

(١) في الأصل: «يا من لم يزل لطيّ العلى ناشرا»، وكذا ينكر الوزن.

(٢) ولد عبد الله بن سهل بغرناطة سنة ٤٩٠ هـ، وتوفي بمرسية سنة ٥٧١ هـ. ترجمته في التكملة (ج ٢ ص ٢٧٠) والمعجم في أصحاب القاضي الصدي (ص ٢٣٢).

(٣) في التكملة: «ويعرف» وكلاهما بمعنى.

(٤) في الأصل: «بالوجه» والتصويب من المصدرين.

(٥) بياصة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر، وفيها الزعفران، تبعد عن جيان عشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ١٢١).

التناظر، حاز فيها قَصَب السُّبُق. قال: ثم خرج عن بِيَّاسَة، وسار إلى نظر ابن مَمْشَك^(١) عند خروج النصارى عن بِيَّاسَة. وله تواليف. وهو الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة.

عبد الله بن أيوب الأنصاري^(٢)

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن خدوج^(٣)، من أهل قلعة أيوب^(٤).

حاله: فقيه حافظ لمذهب مالك. استوطن غرناطة وسكنها.

تواليفه: ألف في الفقه كتاباً مفيداً سماه «المنوطة على مذهب مالك»، في ثمانية أسفار^(٥)، أثقن فيها كل الإتقان.

وفاته: توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وقد قارب المائة.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى ابن عبد الله الأنصاري^(٦)

مالقي، قرطبي الأصل، يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي، وقرأ بغرناطة.

حاله: كان^(٧) في وقته ببلده كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجودين^(٨)، رئيس المحدثين وإمامهم، واسع المعرفة، مكثرًا، ثقة، عدلاً، أمينًا، مكيّن الرواية^(٩)، رائق الحطّ، نبيل الثقييد والضبط، ناقدًا، ذاكراً أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جرح وتغديل، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النظر^(١٠)،

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن مَمْشَك، وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة.

(٢) ترجمة عبد الله بن أيوب الأنصاري في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٤).

(٣) في الأصل: «خروج» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) قلعة أيوب: بالإسبانية Calatyud، وهي مدينة أندلسية بقرب مدينة سالم. الروض المعطار (ص ٤٦٩).

(٥) في الذيل والتكملة: «ثمانية مجلدات».

(٦) ترجمة عبد الله بن الحسن الأنصاري في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩١) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٤٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣٣٨) (ج ٤ ص ١٩٩).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٨) في الذيل والتكملة: «المجودين» أي بدون واو العطف.

(٩) في المصدر نفسه: «الدراية». (١٠) في الذيل والتكملة: «النظير».

متيقظًا، متوقد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دميثًا، متواضعًا، حسن الخلق، مُحِبًّا إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقورًا، مُعَظَّمًا عند الخاصة والعامة، دينًا، زاهدًا، ورعًا، فاضلًا، نخويًا ماهرًا، ريان من الأدب، قائلًا الجيد من الشعر، مقصِّدًا ومقطِّعًا. وكان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام، يسوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسنادًا ومثنا، بطريقة عجز^(١) عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. وتصدر للإقراء ابن عشرين سنة^(٢).

من أخباره في العلم والذكاء: قالوا: قُرئ^(٣) عليه يومًا باب الابتداء بالكلم التي يُلفظ بها في^(٤) إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قيامًا عليه، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين مَنْ أَحْسَنَ^(٥) صناعته، فجاذبه الكلام^(٦)، وضايقه في^(٧) المباحثة، حتى أحسَّ الأستاذ من نفسه التَّقْصِيرَ، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض، فكفَّ عن الخوض في المسألة، وانصرف إلى منزله، وعكف سائر اليوم^(٨) على تَصْفُحِ عِلْمِ العروض حتى فهم أغراضه، وحصل تواليقه^(٩)، وصنّف فيه مختصرًا نبيلًا لخص في صدره ضروبه^(١٠)، وأبدع فيه بنظم مثله، وجاء به من الغد، مُعْجَزًا من رآه أو سمع به، فبهِت الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه، ونفوذ فهمه، وسمو همته.

ومن أخباره في الدين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي، تلميذه الأخصُّ به: بثُّ معه ليلة في دُونِرتِه التي كانت له بجبل فارَه^(١١) للإقراء والمطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظانًا^(١٢)، وهو ضاحك مسرور، يَشْدُ يده كأنه ظفر بشيء نفيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حُشِرُوا في العَرَضِ على الله، وأُتي بالمحدثين، وكنت أرى أبا عبد الله الثميري يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى،

(١) في الذيل والتكملة: «عجز». (٢) في الذيل والتكملة: «سنة أو نحوها».

(٣) النص في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٦). (٤) في الذيل والتكملة: «من».

(٥) في الذيل والتكملة: «أَحْكَمَ صناعة العروض».

(٦) في الذيل والتكملة: «الكلام في المسألة».

(٧) كلمة «في» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يومه». (٩) في المصدر السابق: «قوانينه».

(١٠) في المصدر السابق: «قُرْشَه».

(١١) جبل فارَه: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزعة المشتاق (ص ٥٧٠).

(١٢) الصواب نحويًا: «يقظان»؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

فيعطي براءته من النار، ثم يؤتى بي، فأوقفت بين يدي ربي، فأعطاني براءتي من النار، فاستيقظت، وأنا أشد عليها يدي اغتباطاً بها وفرحاً، والحمد لله.

مشيخته: تلاً^(١) بمالقة على أبيه، وأبي زيد الشهلبي، والقاسم بن دحمان، وروى عنهم، وعن أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفخار، وابن نوح، وابن اليتيم، وابن كامل، وابن جابر، وابن بونة. وبالمناكب عن عبد الوهاب الصدفي. وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول. وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجدد، وابن صاف، وأبي جعفر بن مضاء، وأبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، وأبي عبد الله بن رزقون، وأبي القاسم بن عبد الرازق، وأبي محمد بن جعفر. وبغرناطة عن أبوي جعفر بن حاكم الحضار، وابن شراحيل، وأبي عبد الله بن عروس، وأبوي محمد عبد الحق الثوالشي، وعبد المنعم بن الفرس. وبمرسية عن أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن حبيش. وبسبته عن أبي محمد الحجري. وأجاز له من الأندلس ابن مخرز، وابن حسون، وابن خيرة، والأزكشي، وابن حفص، وابن سعادة، ويحيى المخرطي، وابن بشكوال، وابن قزمان. ومن أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره وتصانيفه: ألف في العروض مجموعات نبيلة، وفي قراءة نافع. ولخص أسانيد الموطأ. وله المبدى، لخطا الرندي. ودخل يوماً بمجلس أقرأ به أبو الفضل عياض، وكان أفتى منه، غير أن الشيب جار عليه، وتأخر شيب الأستاذ، فقال: يا أستاذ، شيبنا وما شيبتم، قال: فأنشده ارتجالاً^(٢): [الطويل]

وهل نافع^(٣) أن أخطأ الشيب مفرقي وقد شاب أترابي وشاب لِداتي؟

لئن كان خطب الشيب يوجد جسّه^(٤) يتزبي فمعناه يقوم بذاتي

ومن شعره في التّجنيس^(٥): [الطويل]

لعمرك، ما الدنيا وسرعة^(٦) سيرها بسكّانها إلا طريق مجاز

حقيقتها أن المقام بغيرها ولكنهم قد أزلعوا بمجاز

(١) قارن بالتكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٢).

(٢) البيان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠). (٣) في الذيل والتكملة: «نافعي».

(٤) في المصدر نفسه: «عَيْتَه».

(٥) البيان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٠).

(٦) في الأصل: «بسرعة» والتصويب من المصدرين.

ومما يؤثر أيضا من شعره قوله^(١): [الخفيف]

سَهَرَتْ أَغْيُنٌ وَنَامَتْ عَيُونٌ لَأُمُورٍ^(٢) تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
فَاطْرُدِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الثَّفِّ سِ قَحْمَلَاتُكَ الْهَمُومَ جَنُودُ
إِنَّ رَبِّيَا كِفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَانَ سَيَكْفِيكَ^(٣) فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

مولده: ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة عام ستة وخمسين وخمسمائة.

وفاته: سحر ليلة السبت أو سحر يومها، ودفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة^(٤) وستمائة.

من رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسون البرجي من قصيدة حسنة طويلة^(٥): [الطويل]

خَلِيلِي، هُبَا سَاعِدَانِي بِعَبْرَةٍ وَقُولَا لِمَنْ بِالرِّي: وَتَحَكُّمُ هُبُوا
نُبِّكَ^(٦) الْعَلَا وَالْمَجْدَ وَالْعِلْمَ وَالثَّقَى فَمَا تُمْ أَحْزَانِي نَوَائِحُ الصُّخْبِ
فَقَدْ سَلِبَ الدِّينُ الْحَنِيفِي رُوحَهُ فِي كُلِّ سِرٍّ^(٧) مِنْ نِبَاهَتِهِ نَهَبُ
وَقَدْ طُمِسَتْ أَنْوَارُ سُنَّةِ أَحْمَدَ وَقَدْ خَلَّتِ الدُّنْيَا وَقَدْ ظَعَنَ الرُّكْبُ
مَضَى الْكُوكَبُ الْوَقَادُ وَالْمُرْهَفُ الَّذِي يُصَحِّحُ^(٨) فِي نَصِّ الْحَدِيثِ فَمَا يَثْبُو^(٩)
تَمَلَّى عِلَاهُ النِّيِّرَانِ وَنُورُهُ وَقَالَا بِزَعَمٍ: إِنَّهُ لِهَمَا يَرْبُ
أَأَسْلُو وَنَحْرُ الْعِلْمِ غِيَضَتْ مِيَاهُهُ وَمُخِيي رِسُومِ الْعِلْمِ يَخْجُبُهُ الثُّرْبُ؟
عَزِيزٌ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ يُودَعَ الثَّرَى مُسَدَّدَةُ الْأَشْرَى^(١٠) وَعَالَمُهُ التُّذْبُ

(١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٤) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠).

(٢) في الذيل والتكملة: «في أمور».

(٣) في الأصل: «سيكفيك»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من بغية الوعاة. وفي الذيل والتكملة: «سيفك».

(٤) في الأصل: «سنة أحد عشر» وهو خطأ نحوي.

(٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٦ - ٢١٧).

(٦) في الأصل: «نبيكي» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٧) في الأصل: «يرب»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يضمم».

(٩) في الأصل: «ينب» والتصويب من الذيل. (١٠) في الذيل والتكملة: «الأهدى».

بكى العالم العلوي والسبع حسرة
على القرطبي الخبر أستاذنا الذي
فقد كان فيما قد^(٢) مضى من زمانه
ويجمع سرب الأتس روض جنابه^(٣)
فسحقا لدنيا خادعنا بمكرها
ركبنا بها^(٤) السهل الذلول فقادنا
ونغفل عنها والردي يستفزنا
أولئك^(١) حزب الله ما فوقهم حزب
على أهل هذا العصر فضلة الرب
به تحسن الدنيا وتلتئم الشغب
فقد جف ذاك الروض وافترق السرب
إذا عاقدت سلما فمقصدها حزب
إلى كل ما في طيه مركب صغب
كفى واعظا بالموت لو كان لي لب

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد
ابن إسماعيل بن سمالك العاملي^(٥)

يكنى أبا محمد، مالقي الأصل.

حاله: كان فقيها أديبا، بارع الأدب، شاعرا مطبوعا، كثير الثادر، خلو
الشمايل، أدرك شيوخا جلة، وولي قضاء غرناطة مدة.

مشيخته: روى عن جدّه لأمه، وابن عمّ أبيه أبي عمر أحمد بن إسماعيل،
وأبي علي الغساني، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سمنحون، والمرساني
الأديب.

شعره: [الكامل]

الروض مخضر الربى مشجمل
وكانما بسطت هناك سيوارها
وكأنما فتقت هناك نوافح
والطير يسجع في الغصون كأنما
لناظرين بأجمل الألوان
خود زقت بقلائد العقيان
من مشكة عجنت بعرف البان
تقرأ القيان فيه على العيدان

(١) في الأصل: «أولئك» وكذا ينكر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٢) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٣) في الأصل: «حياته» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) كلمة «بها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٥) ترجمة عبد الله العاملي في بغية الملتبس (ص ٣٣٩) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٨) وتاريخ قضاة
الأندلس (ص ١٤٢)، ضمن ترجمة ابنه محمد بن سمالك العاملي، وجاء فيه أن عبد الله بن
أحمد، المترجم له، ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٧ هـ. ونيل الابتهاج (ص ١٣٢) ونفع الطيب
(ج ٦ ص ٨١).

والماء مُطَرَّد يسيل عِبابه كسلاسل من فِضَّة وجُمان
 بهجات حُسن أَكْمِلت فكانها حُسنُ اليقين وبهجة الإيمان
 وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(١) في أثناء رسالة^(٢):
 [الوافر]

تَفَشَّحْتَ الكِتَابَةَ عَنْ نَسِيمٍ نَسِيمُ الْمِسْكِ فِي خُلُقِ الْكَرِيمِ^(٣)
 أبا نصر، رَمَمْتَ لَهَا رِسُومًا تُخَالُ رِسُومُهَا وَضَعَ النُّجُومِ
 وَقَدْ كَانَتْ عَقَّتْ فَأَنْزَتْ^(٤) مِنْهَا سَرَّاجًا لَاحَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
 فَتَحَّتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ كُلِّ بَابٍ فَصَارَ^(٥) فِي طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ
 فَكُتِّبَ الزَّمَانُ وَلَسَتْ مِنْهُمْ إِذَا رَامُوا مَرَامَكَ فِي هُمُومِ
 فَمَا قَسَّ بِأَبْدَعٍ مِنْكَ لَفْظًا وَلَا سَخَبَانُ مِثْلَكَ فِي الْعُلُومِ^(٦)

وفاته: في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة، وهو ابن أربع وثمانين سنة.

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن
 ابن مُنْخَل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها، يُكنى أبا محمد، ويُنسب إلى غافق بن الشاهد بن عك بن عدنان، لا إلى جِضْن غافق.

حاله: من «العائد»: كان رجلًا صحيح المذهب، سليم الصدر، قليل المصانعة، كثير الحركة والهشة والجدة، ملازم الاجتهاد والعكوف، لا يفتر عن التُّشَخُّع والتَّقْيِيد والمطالعة، على حال الكبرة، قديم التَّعِين والأصالة، وَلِي القضاء عُمره بمواضع كثيرة، منها بيرة ورندة ثم مالقة، مضافًا إلى الخطابة بها.

(١) هو الفتح بن خاقان، صاحب كتابي «مطمح الأنفس» و«قلائد العقيان».

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٦ ص ٨١ - ٨٢).

(٣) في النفع: «كريم». (٤) في الأصل: «فأثرت» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «فسارة» والتصويب من النفع.

(٦) قَسَّ: هو قَسَّ بن مساعدة الإيادي. وسَخَبَانُ: هو سَخَبَانُ وائل، وقَسَّ وسَخَبَانُ مَضْرِبَا الْمَثَلِ فِي الْفَصَاحَةِ.

مُشِيخته: حَجَّ في حدود سبعة وثمانين وستمئة، وروى عن جِلَّة من أهل المشرق، كالإمام تقي الدين بن دقيق العيد، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُمياطي، وشمس الدين المصنَّف أبي عبد الله بن عبد السلام. وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، والقاضي ابن أبي الأحوص، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة، والأستاذ أبو الحسن ابن الصائغ الإشبيلي، وأبو جعفر الطُّباع، وغيرهم.

توَاليفه: أَلَف كتابًا سماه بـ«المنهاج»، في ترتيب مسائل الفقيه المُشاور أبي عبد الله ابن الحاج.

مولده: ولد بغرناطة في حدود ستين وستمئة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمئة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
ابن أبي زَمَنِين المَرِي

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيهاً جليلاً، وولَّى القضاء ببعض جهات غرناطة.

مُشِيخته: أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال، وأبي محمد بن سِمَاك القاضي. والعربية عن الخضر بن رضوان العبْدري. والحديث عن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد، والقاضي أبي الفضل عِيَاض بن موسى بن عِيَاض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع وتسعين وأربعمئة.

وفاته: توفي في ذي قعدة سنة أربع وأربعين وخمسمئة.

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى
ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري^(١)

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شَرْقي الأصل، مُزَبَّيْه، من بُيُوتاته النُّبِيهة، وقد مرَّ ذكر أخيه.

(١) ترجمة عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

حاله: كان^(١) على طريقة حسنة من دماء الأخلاق، وسلامة السجية، والتزام الجشمة، والاشتغال بما يعني. وُلِّي القضاء دون العشرين سنة، وتصرّف فيه عُمره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة، ولم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، والتّقدّم في عَقْد الشُّروط، وصناعة الفرائض، علماً وعملاً، ثاقب الذهن، نافذاً في صنعة العدّد.

مُشِيخته: قرأ^(١) على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا، وله رواية عالية من أعلام من أهل المشرق والمغرب. وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الوليّ الصالح، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الأثبي، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والحاج أبي محمد بن جابر، وأبي بكر القلّوسي. وقرأ العدّد وما أشبهه على الأستاذ الثعالبي أبي عبد الله الرّقام، ولازمه، وأجازه طائفة كبيرة. أخبرني ولده الفاضل أبو بكر، قال: وَرَدَ سؤال من تونس مع تاجر وصل في مَرَكَب إلى مدينة المُنَكَب أيام قضائه بها، في رَجُل فَرَط في إخراج زكاة ماله سنين مُتَعَدِّدة، سُمِّيت في السؤال مع نسبة قَدْر المال، وطلب في السؤال أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبة، إذ عَمَلُهَا بذلك أصعب من عملها بالجبر والمُقَابِلَة، فَعَمِلَهَا وأخرجها بِالْعَمَلَيْنِ، وعَبَّرَ عنها بعبارة حسنة، وكتبها في بطاقة بخطّ جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلا ونسخ منها نسخة واستحسنها.

مولده: ولد يوم الخميس السابع عشر^(٢) لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي قاضياً بِبَسْطَة في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدي

من أهل مُزَيْبِيَّة، تَزِيل غرناطة، يُكنى أبا محمد، وبيته بمزيبية من أعلام بيوتاتها، شهير الثّغين والأصالة، ينكح^(٣) فيه الأمراء.

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠): «مولده منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٦٧٥هـ».

(٣) ينكح فيه الأمراء: يريد أن الأمراء كانوا يتزوجون من بناته.

حاله: كان من أعلام وقته فضلاً وعدالة وصلاً ووقاراً، طاهر النشأة، عفّ الطّعمة، كثير الحياء، مليح الثّخلق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولّى القضاء ببيرة وجهاتها، ثم جاز إلى سبّنة، وانعقدت بينه وبين رؤسائها المصاهرة في بعض بناته. ثم أب إلى غرناطة عند رجوع إيالة سبّنة إلى أميرها، فتقدّم خطيباً بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الرّبيع بن سالم وأمثاله.

وفاته: الغربية المُستَحسنة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمعُه عند سجوده وتبّثه وضراعه إلى الله يقول: اللهم، أمّثني مِثَّةَ حَسَنَةٍ، ويكرّر ذلك. فأجاب الله دعاءه، وتوفاه على أتمّ وجوه التّأنيب طهارةً وخشوعاً وخضوعاً وتأهباً، وزماناً ومكاناً، عندما صعد أوّل دَرَج من أدراج المِثْبَر، يوم الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبعمائة، فكان يوماً مشهوداً لا عهد بمثله، ما رُئي أكثر باكيًا منه، وأكثر الناس من الشّاء عليه.

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان
ابن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأزدي^(١)

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصلّة»: قال^(٢): القاضي المحدث الجليل العالم، كان فقيهاً جليلاً أصولياً، نحويّاً، كاتباً، أدبياً، شاعراً، مُتَفَنّاً في العلوم، ورعاً، ذيناً، حافظاً، ثبّتاً، فاضلاً. وكان يُدرّس كتاب سيبويه، ومُسْتَضْفِي أبي حامد^(٣)، ويميل إلى الاجتهاد في نظره، ويُعَلِّب طريقة الظّاهريّة^(٤)، مشهوراً بالعقل والفضل، معظّماً، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهوريّة، مُقَدِّماً في ذلك، بلاغةً وفصاحةً إلى أبعد مضمار. ولملوك الموحّدين به اعتناء كبير. وهو كان أستاذ الناصر^(٥) وإخوته، وكان له عند المنصور والدهم، بذلك أكرّم أثره، مع ما كان مشهوراً به من العلم والدين والفضل. وتولّى القضاء بإشبيلية وقُرطبة

(١) ترجمة ابن حوط الله في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٥٠) والوافي بالوفيات (ج ١٧ ص ٢٠١) والديباج المذهب (ج ١ ص ٤٤٧) ونفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤). (٣) في النفع: «أبي حامد الغزالي».

(٤) أي طريقة ابن حزم الظاهري المذهب.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب، رابع خلفاء الموحّدين، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحّدين (ص ٢٣٦).

ومُرسية وسبّنة وسلا وميُورقة، فتظاهر بالعدل، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل، وكان من العلماء العاملين، سُنيًا، مُجانبًا لأهل البدع والأهواء، بارع الخط، حسن التقييد.

مُشيخته: تردّد^(١) في طلب العلم، فسمع ببلنسية وشاطبة ومرسية والمريّة وقرطبة وإشبيلية ومالقة، وغيرها من البلاد الأندلسية، وتحصّل له سماعٌ جَمٌّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب^(٢). قرأ القرآن على أبيه، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغساني، وأخذ عن ابن حُميد كتاب سيويه تفقّها، وعن غيره، وسمع عن ابن بشكّوال، وقرأ أكثر من سِتِّين تاليفًا بين كبار وصغار، وكَمَل له على أبي محمد بن عبد الله، بين قراءة وسماع، نحو من ستة وثلاثين تاليفًا، منها الصّحيحان، وأكثر عن ابن حُبّيش، والشّهيلي، وابن الفخّار وغيرهم. واستيفاء مُشيخته يَشُقّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدني ابنه أبو القاسم، ونقلت من خطه^(٣): [الوافر]

أتذري أنّك الخطّاء حَقًّا وأنك بالذي تَذري^(٤) زهين؟
وتَغتاب^(٥) الألى^(٦) فعلوا وقالوا وذاك الظّن والإفك^(٧) المُبين

مولده: في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة^(٨).

وفاته: كان آخر عمره قد أُعيد إلى مُرسية، قَصدها من الحضرة، فمات بغرناطة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستمائة، ونُقل منها في تابوته الذي ألجِد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة، فدفن بها.

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ربيع.

(١) النص أيضًا في نفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) في النفح: «الغرب».

(٣) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) ونفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٤) في المصدرين: «تأتي».

(٥) في الأصل: «وتعتب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «الورى». (٧) في المصدر نفسه: «والإثم».

(٨) في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣): ولد سنة ٥٤٩ هـ. وفي النفح: «ومولده في محرم سنة ٥٤١».

حاله: كان، رحمه الله، أديبًا، كاتبًا، شاعرًا، نحويًا، فقيهاً أصوليًا، مشاركًا في علوم، مُحِبًّا في القراءة، وطيرًا عند المناظرة، مُتَنَاصِفًا، سنيًا، أشعري المذهب والنسب، مُصَمِّمًا على طريقة الأشعرية، مُلتَزِمًا لمذهب أهل السنة المالكي، من بقايا الناس وعِليَّتهم، ومن آخر طلبة الأندلس المشاركين الجلة، المُصَمِّمين على مذهب أهل السنة، المُنافرين للمذاهب الفلسفية والمُبتدعة، والزُيغ. وُلِّي قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شَرِيش ورُثْدَة ومالقة، وأمَّ وَخْطَبَ بجامعةها. ثم وُلِّي قضاء الجماعة^(١) بحضرة غرناطة، وعَقَّدَ بها مجلسًا للإقراء، فانتفع به طلبتها، واستمر على ذلك، وكانت ولايته غرناطة نحوًا من سبعة أعوام.

مُشِيخته: أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الحميري، وتلا عليه، وتأدب به، وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بقي، وأبي محمد بن حوط الله، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ، وغيرهم. وأجاز له الشيخ المُسَنِّ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشُّقُوري، وله به علو، وبالأستاذ الخطيب المُسَنِّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم.

وفاته: توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة، ولم يَخْلِفْ بَعْدَهُ مثله، ولا مَنْ يُقَارِبُهُ.

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفي العاصمي

من ولد عاصم بن مُسلم، الداخل في طلعة بُلُج الملقب بالعريان، أخو الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد.

حاله: كان طبيبًا ماهرًا، كاتبًا شاعرًا، ذاكِرًا للغة، صِنَع^(٢) اليدِين، متقدِّمًا في أقرانه نباهة وفصاحة، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام، يحضر الغزوات، فارسًا وراجلًا، ولقي بِفَحْص غرناطة^(٣) ليلاً نَصْرَانِيًا يتجسّس، فأَسْرَهُ وجَرَّهُ، وأدخله البلد، ولم يلتفت إلى ثَمَنِهِ اسْتِكْتَامًا لتلك الفعلة.

(١) قاضي الجماعة في الأندلس، هو منصب قاضي القضاة بالشرق.

(٢) صِنَعُ اليدِين وصَنَعُ اليدِين: حاذق في الصنعة. لسان العرب (صنع).

(٣) فحصر غرناطة: مَرَج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيع وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف، يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada. يقع غربي غرناطة ويمتد غربًا حتى مدينة لوشة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

مشيخته: أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مستقور، وروى عن أبي يحيى بن عبد الرحيم، وأبي الوليد العطار، وأبي القاسم بن ربيع، وأبي الخطار بن خليل، وأخذ عن أبي عمر بن حوط الله بمالقة، وابن أبي ربحانة. وبسبته على أبي بكر بن مشليون. وأجاز له أبو بكر بن محرز، وأبو الحسن الشاري. وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِناني.

مولده: وُلد بغيرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بها سحر أول يوم من ذي قعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي
يكنى أبا يحيى.

حاله: طالب نبيل فاضل، ورع زاهد، مؤثر في الدنيا بما تملكه، تالٍ لكتاب الله في جميع الأوقات.

أخباره في الإيثار: وَجَّه له السيد أبو إسحاق ابن الخليفة أبي يعقوب^(١) خمسمائة دُئير ليُصلح بها من شأنه، فصَرَفَ جميعها على أهل السُّتر في أقل من شهر. ومرَّ بفتى في إشبيلية، وأعوان القاضي يحملونه إلى السُّجن، وهو يبكي، فسأله، فقال: أنا غريب، وطوليتُ بخمسين دُئيرًا، ويدي عقود، وطولبت بضامن فلم أجده، فقال: له الله، قال: نعم، قال: فدفع له خمسين دُئيرًا، قال: أشهد لك بها، فضجِر وقال: إن الله إذا أعطى عبده شيئًا لم يُشهد به عليه، وتركه وانصرف لشأنه، وكانت عنده معرفة وأدب.

مولده: بغيرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطارىء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي^(٢)

من أهل بَلَش، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن المُرابع.

(١) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن الموحدى، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٨٣).

(٢) ترجمة عبد الله الأزدي في فتح الطبيب (ج ٧ ص ١٠) و(ج ٨ ص ٢٣٦، ٢٩٢).

حاله: من نُبهاء أدباء البادية، خَشِنَ الظاهر، مُنْطَوٍ على لَوْدَعِيَّةٍ مُتَوَارِيَةٍ في مظهر جَفْوَةٍ، كثير الانطباع عند الخُبْرَةِ، قادر على النظم والنثر، متوسط الطبقة فيهما، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر، سيال القريحة، مَزْهُوبُ الهجاء، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخِدم المَخْزَنِيَّةِ، بين خارِص وشاهد، وجدُّ بذلك وقته، يوسُط رَقَاعَتَهُ، فتنجح الوسيلة، ويتمشَّى له بين الرُّضَا والسُّخْط الغرض.

وجرى ذكره في «التاج» بما نصُّه^(١): «طويل القوادم والخوافي، كَلِفَ على كبر سنِّه بعقائل القوافي، شابَّ في الأدب وشبَّ، ونَشِيقَ رِيحَ البيان لَمَّا هَبَّ، فحاول رَفِيعَهُ^(٢) وجَزَلَهُ، وأجاد جدُّه وأحكم هَزَلَهُ. فَإِنْ مَدَحَ صَدَحَ، وَإِنْ وَصَفَ أَنْصَفَ، وَإِنْ عَصَفَ قَصَفَ، وَإِنْ أَنْشَأَ وَدَوَّنَ، وَتَقَلَّبَ فِي أَفَانِينَ الْبَلَاغَةِ وَتَلَوَّنَ، أَفْسَدَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَكَوَّنَ، فهو شيخُ الطريقة الأدبية وفتاها، وخطيبُ حَقْلِهَا كُلِّهَا أَتَاهَا، لَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا غَرَضٌ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ مِنْهَا مُفْتَرَضٌ. وَلَمْ تَزَلْ بُرُوقُهُ تَتَأَلَّقُ، وَمَعَانِيهِ بِأَذْيَالِ الْإِحْسَانِ تَتَعَلَّقُ، حَتَّى بَرَزَ فِي أَبْطَالِ الْكَلَامِ وَفُرْسَانِهِ، وَدَعَرَتِ الْقُلُوبُ لِسَطْوَةِ^(٣) لِسَانِهِ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الصُّنَاعَةَ زِمَامَهَا، وَوَقَّعَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامَهَا. وَعَبَّرَ الْبَحْرَ مُنْتَجِعًا بِسَفَرِهِ^(٤)، وَمُتَفِقًا فِي سَوْقِ الْكَسَادِ مِنْ شَعْرِهِ^(٥)، فَأَبْرَقَ وَأَزْعَدَ، وَحَذَّرَ وَتَوَعَّدَ^(٦)، وَبَلَغَ جَهْدَ إِمْكَانِهِ، فِي التَّعْرِيفِ بِمَكَانِهِ، فَمَا حَرَّكَ وَلَا هَزَّ، وَذَلَّ فِي طَلَبِ الرُّفْدِ وَقَدْ عَزَّ، وَمَا بَرِحَ أَنْ رَجَعَ إِلَى وَطْنِهِ الَّذِي اعْتَادَهُ، رَجُوعَ الْحَدِيثِ إِلَى قَتَادِهِ.

شعره: قال في «التاج»: وقد أثبت من نزعاته، وبعض مخترعاته، ما يدل على سعة باعه، ونهضة ذراعه. فمن النسب قوله^(٧): [البسيط]

ما لِلْمُجِيبِ دَوَاءٌ يُذْهِبُ الْأَلْمَا	عنه سوى لَمَمٍ فيه ارتشافُ لَمَى
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ نَوْمٌ مُقْلَتَهُ	إِلَّا الدُّنُوُّ إِلَى مَنْ شَفَّهَ سَقَمَا
يَا حَاكِمَا وَالْهَوَى فِينَا يُؤَيِّدُهُ	هَوَاكَ فِيَّ بِمَا تَرْضَاهُ قَدْ حَكَمَا
أَشْغَلْتَنِي بِكَ شُغْلًا شَاغِلًا فَلِمَ ^(٨)	تَنَاسَى، فَدَيْتِكَ، عَنِّي بَعْدَ ذَاكَ لَمَا؟

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٢ - ٣٩٣).

(٢) في النفح: «رفيقه».

(٣) في النفح: «بسطة».

(٤) في النفح: «شعره».

(٥) في النفح: «وأوعد».

(٦) ورد في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣) فقط الأبيات الأول والثاني والثالث.

(٨) في الأصل: «فلما»، وكذا ينكسر الوزن.

مَلَكْتَ رُوحِي فَأَزْفِقَ قَدْ عَلِمْتَ بِمَا
 مَا غَبَتْ عَنِّي إِلَّا غَابَ عَنِ بَصْرِي
 مَا لُحِثَ لِي فَذَنَا طَرْفِي لَغَيْرِكَ يَا
 طَوْعًا لَطِيعَكَ لَا أَغْصِيكَ فَاغْضِ بِمَا
 إِنَّ الْهَوَى يَقْتَضِي ذُلًّا لَغَيْرِكَ لَوْ
 مَلِمْتَ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ يَا مُحَمَّدُ لَا
 يَلْقَى وَلَا حِجَّةً تَبْقَى لِمَنْ عَلِمَا
 بَذْرًا إِذَا لَاحَ يُجْلِي نَوْرَهُ الظُّلُمَا
 مَوْلَى لِحَا فِيهِ جَفَنِي النَّوْمُ قَدْ حُرَمَا
 تَرْضَاهُ أَرْضَى بِمَا تَرْضَى وَلَا جَرَمَا
 أَفَادَنِي فِيكَ قُرْبًا يُبَرِّدُ الْأَلْمَا
 كُنْ قَلْبُ صَبِّكَ مِنْ عَيْنِكَ مَا سَلِمَا

ومن مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع من ولده:

[الطويل]

مُمَالِيكُمْ قَدْ زَادَ فِيكُمْ مُرَابِعُ
 بِأَنْوَارِكُمْ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَى
 فَوَاسُوهُ مِنْكُمْ بِالْدُّعَاءِ فَإِنَّهُ
 أَفَاضَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِكُمْ
 مِنَ الْأَفْقِ الْكَوْنِي بِالْيُمْنِ طَالِعُ
 وَيَسْمُو لِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَطَالِعُ
 مُجَابِبُ بِفَضْلِ اللَّهِ لِلْخَلْقِ نَافِعُ
 وَأَبْقَاكُمْ ذُو الْعَرْشِ مَا جَنُّ سَاجِعُ

فوقع له الشيخ المخاطب بها، أبو جعفر بن الزيات، رحمه الله، بما نصه:

[الطويل]

عَسَى اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنَ الْعِلْمِ حِصَّةً
 وَيَجْعَلُهُ طَرَفًا لِكُلِّ سَجِيَّةٍ
 وَيُلْحِقَهُ فِي الصَّالِحَاتِ بِجَدِّهِ
 وَذُو الْعَرْشِ جَلَّ أَسْمَا عَمِيمٍ نَوَالِهِ
 فَمَا أَنْتَ دُونِي يَا أَبَاهُ مُهْتَأً
 وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى الْبَاكُورِ: [الوافر]

بَسْدَارٍ بَسْدَارٍ قَدْ آنَ الْبَسْدَارُ
 تَبَدُّثُ رَافِلَاتٍ فِي مُسْوَحٍ
 وَقَدْ رَقَمْتَ بَيَاضًا فِي سَوَادٍ
 وَقَدْ نَضَجْتَ وَمَا طَبِخْتَ بِنَارٍ
 وَلَا تَحْتَاجُ مَضْغًا لَا وَلَيْسَ
 قَمَلٌ لِلْخَلْقِ قُلٌّ لِلضَّرْسِ دَغْنِي
 إِلَى أَكْوَاسِ بَاكُورٍ تُدَارُ
 لَهُ لَوْنُ الدِّيَاجِي مُسْتَعَارُ
 كَأَنَّ اللَّيْلَ خَالَطَهُ النَّهَارُ
 وَهَلْ يُحْتَاجُ لِلْبَاكُورِ نَارُ؟
 عَجِيبٌ لَا يُشْقُ لَهُ غُبَارُ
 فِي الْبَلْعِ اكْتِفَاءً وَاقْتِصَارُ

ومما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة وهي^(١): [المقارب]

رَعَى اللهُ عَهْدًا حَوَى مَا حَوَى	لأهل الودادِ وأهل الهوى
أَرَاهُمْ أُمُورًا خَلَا وَرَزْدُهَا	وأعطاهم السؤلَ كيف نوى ^(٢)
وَلَمَّا خَلَا الْوَصْلُ صَالُوا لَهُ	ورأوه مأوى وماء روى ^(٣)
وَأوردتهم سر أسرارهم	ورد إلى كل داء دوا ^(٤)
ومما أمل طال إلا وهى	ولا أمل ^(٥) صال إلا هوى

وقال يَزْثِي ديكًا فَقَدَهُ، ويصف الوجد الذي وَجَدَهُ، ويبكي من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مُسْتَطَرَف شأنه^(٦): [البسيط]

أودى به الحُثْفُ لَمَّا جَاءَهُ الْأَجَلُ	ديكًا فلا عَوْضُ منه ولا بَدَلُ
قَدْ كَانَ لِي أَمَلٌ فِي أَنْ يَعِيشَ فَلَمْ	يَثْبُثْ مَعَ الْحُثْفِ فِي بُغْيَا لَهَا ^(٧) أَمَلُ
فَقَدْتُهُ فَلَعَمْرِي إِنَّهَا عِظَةٌ	وبالمواعظ تُذْري دَمْعَهَا الْمُقْلُ
كَأَنَّ مُطَرَفَ وَشِيٍّ فَوْقَ مَلْبَسِهِ	عليه من كلِّ حُسْنٍ بَاهِرٍ حُلُّ
كَأَنَّ إِكْلِيلَ كِسْرَى فَوْقَ مَفْرِقِهِ	وتأجّه فهو عالي الشُّكْلُ مُخْتَفِلُ
مُؤَقَّتٌ لَمْ يَكُنْ يُخْزَى ^(٨) لَهُ خَطَأُ	فيما يُرْتَبُ من وَرْدٍ ولا خَطْلُ ^(٩)
كَأَنَّ رَزَقِيلَ ^(١٠) فِيمَا مَرَّ عَظْمُهُ	عِلْمُ الْمَوَاقِيتِ فِيمَا ^(١١) رَتَّبَ الْأَوَّلُ

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٢) في النفع: «... السؤلُ كلا سوا».

(٣) في الأصل: «ملوا وما روا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع. والرؤى: الماء الكثير المروي. لسان العرب (روا).

(٤) رواية البيت في الأصل هي:

وأوردتهم سرًا سرارهم ورؤدًا إلى الكل ذا دوا

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «أمل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٧) في النفع: «في بقاء لي أمل».

(٨) في الأصل: «بطريق» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «خلل».

(١٠) في النفع: «زرقال». وهو إبراهيم بن يحيى النقاش الزرقالي القرطبي، ويعدُّ من أعظم أهل

الفلك، وقد وضع جداول فلكية واختراع أجهزة دقيقة كالزرقالية والصفيحة. تاريخ الفكر

الأندلسي (ص ٤٥١).

(١١) في النفع: «مما».

يَرْحَلُ اللَّيْلَ يُحْيِي بِالصَّرَاحِ فَمَا
رَأَيْتُهُ قَدَ وَهَتْ^(١) مِنْهُ الْقَوَى فَهَوَى
لَوْ يُفْتَدَى بِدِيوكِ الْأَرْضِ قَلٌّ لَهُ
قَالُوا الدَّوَاءَ فَلَمْ يُغْنِ الدَّوَاءُ^(٢) وَلَمْ
أَمَلْتُ فِيهِ ثَوَابًا أَجَرَ مُحْتَسِبٍ
يَصْصُدُهُ كَلَلٌ عَنْهُ وَلَا مَلَلٌ
لِلْأَرْضِ فَعَلَّا يُرِيهِ الشَّارِبُ الثَّيْلُ
ذَاكَ الْفِدَاءُ^(٣) وَلَكِنْ فَاجَأَ الْأَجَلَ
يَنْفَعُهُ مِنْ ذَاكَ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
إِنْ قَلْتُ^(٤) ذَلِكَ^(٥) صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين في بعض أسفاره، وقد نظر
إلى شلير^(٦)، وتردّى بالثلج وتعمّم، وكَمَل ما أراد من بَزْتِه وتَمّم، أن ينظم أبياتًا في
وصفه، فقال بديهة^(٧): [الطويل]

وَشَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ
عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السُّنَا
وَطُورًا^(٨) تَرَاهُ كُلَّهُ كَاسِيًا بِهِ
وَطُورًا تَرَاهُ عَارِيًا لَيْسَ يَشْتَكِي^(٩)
وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى
فَذَاكَ^(١٠) شُلَيْرٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ الَّتِي
بِهَا مَلِكٌ سَامِي الْمِرَاقِي أَطَاعَهُ
تَوَلَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بَعْضَمَةٌ
وَمَا عَنْدَهُ عِلْمٌ بِطُولٍ وَلَا قِصَرٍ
وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَخْكَمْتُهُ يَدُ الْبَشَرِ
وَكُنُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ النُّهَى عِبَرٌ
لِحَرٍّ^(١١) وَلَا بَزْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرًا
لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذِكْرٌ قَدْ انْتَشَرَ^(١٢)
كِبَارُ مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الضَّغَرِ
تَقِيهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضَرَزَ

نشره: ونشره كثير ما بين مخاطبات، وخطب، ومقطعات، ولعب، وزرديات
شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي أضحية:

-
- (١) في الأصل: «وهنت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٢) في الأصل: «الفداء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٣) في الأصل: «الدواء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٤) في النفع: «نلت». (٥) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.
(٦) جبل شلير، بالإسبانية Sierra Nevada، وهو أحد مشاهير جبال الأرض. راجع مملكة غرناطة
في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣) ففيه دراسة مفصلة عن هذا الجبل.
(٧) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٩ - ٢٤٠).
(٨) في النفع: «فطورًا». (٩) في النفع: «يكتسي».
(١٠) في النفع: «بحر». (١١) في النفع: «وذاك».
(١٢) في النفع: «اشتهر».

يقول شاعر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناشر عُرر العُرر للعاكف والبادي،
والرائح والغادي، اسمعوا مني حديثًا تلذذه الأسماع، ويستطرفه الاستماع، ويشهد
بحسنه الإجماع، ويجب عليه الاجتماع، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا لمثلي،
ولا ذكرت عن أحد قبلي، وذلك يا معشر الألباء، والخُلصاء الأجباء، أني دخلت في
هذه الأيام داري، في بعض أذواري، لأقضي من أخذ الغذاء أوطاري، على حسب
أطواري، فقالت لي ربة البيت: لم جئت، وبما أتيت؟ قلت: جئت لكذا وكذا،
فهات الغذاء، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم، ولو أودى بك الصوم، حتى تسأل
الاستخارة، وتفعل كما فعل زوج الجارة، طيب الله نجاره، وملاً بالأرزاق وجاره.
قلت: وما فعل قريبي، وأرني من العلامة ما أحبيت أن تريني. قالت: إنه فكر في
العيد، ونظر في أسباب التعميد، وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد، وأنت قد
نسيته ذكره ومحوته من بالك، ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتبالك، وعيد الأضحى في
اليوم، والنظر في شراء الأضحية اليوم أوفق من الغد. قلت: صدقت، وبالحق نطقت،
بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك، فلقد تبهت بعلك لإقامة السنة، ورفعت عنه من
العقلة مئة. والآن أسير لأبحث عما ذكرت، وأنظر في إحضار ما إليه أشربت، ويتأتى
ذلك إن شاء الله بسعدك، وتنايلين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجد ليس من
الهزل، والأضحية للمرأة وللرجل العزل. قالت: دغني من الخرافات، وأخبار
الزرافات، فإنك خلو اللسان، قليل الإحسان، تخذت العربة صحتك إلى ساسان،
فتهاونت بالنساء، وأسأت فيمن أساء، وعودت أكل خبزك في غير منديل، وإيقاد
القتيل دون قنديل، وسكنى الخان، وعدم ارتفاع الدخان، فما تقيم مؤسماً، ولا
تعرف له ميسماً، وأخذت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا في طرفي نقيض،
إلى أن قلت لها: إزارك وردائي، فقد تفاقم بك أمر دائي، وما أظنك إلا بغض
أعدائي، قالت: ما لك والإزار، شط بك المزار؟ لعلك تريد إزهاه في الأضحية
والأبزار، اخرج عني يا مقيت، لا غمرت معك ولا بقيت، أو عديمت الدين، وأخذ
الورق بالعين. يلزمني صوم سنة، لا أغفيت معك سنة، إلا إن رجعت بمثل ما رجع
به زوج جارتني، وأرى لك الربح في تجارتي. فقامت عنها وقد لوث رأسها وولولت،
وابتذرت وهزلت، وجالت في العتاب وصولت، وضمت بنتها وولدها، وقامت
باللجج والانتصار بالحجج أودها، فلم يسعني إلا أن عدوت أطوف السكك
والشوارع، وأبادر لما غدوت بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق، وأسأل الرفاق،
وأخترق الأسواق، وأقتحم زريبة بعد زريبة، وأختبر منها البعيدة والقريبة، فما
استرخضته استنقضته، وما استغلته استعلته، وما وافق غرضي، اغترضني دونه عديم
غرضي، حتى انقضى ثلثا يومي، وقد غيبت بدوراني وهومي، وأنا لم أتحصل من

الابتياح على فائدة، ولا عادت عليّ فيه من قضاء الأرب عائدة، فأومأت الإياب، وأنا أجد من خوفها ما يجد صغار الغنم من الذئاب، إلى أن مررت بقصاب يقصب في مَجْزَرِه، قد شدّ في وسطه منزره، وقصّر أثوابه حتى كشف عن ساقيه، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مِرْقَقِيه، وبين يديه عِزْرٌ قد شدّ يديه في رَقَبَتِه وهو يجذبه فيبرك، ويجزّه فما يتحرّك، ويروم سيّره فيرجع القهقري، ويعود إلى ورا، والقصاب يشدّ على إزاره، خيفة من فراره، وهو يقول: اقتله من جانِ باغ، وشيطان طاع، ما أشده، وما ألذه وما أصده، وما أجذه، وما أكثره بشخم، وما أطيبه بلحم، الطّلاق يلزمه إن كان عاين تيساً مثله، أو أضحية تشبهه قبله، أضحية خفيفة، ومنحة جليّة. هنأ الله من رزقها، وأخلف عليها رزقها. فافتحمت المزدحم أنظر مع من نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في التقلب والتخمين، ولا أفرق بين العجف والسمين، غير أنني رأيت صورة دون البغل وفوق الحمار، وهيكلًا يُخبرك عن صورة العمار، فقلت للقصاب: كم طلبك فيه، على أن تمهل الثمن حتى أوفيه؟ فقال: ابغني فيه أجيراً، وكن له الآن من الذبّع مُجيراً، وخذه بما يرضي، لأول التقضي. قلت: استمع الصوت، ولا تخف القوت. قال: ابتعني مني نسيّة، وخذه هديّة، قلت: نعم، فشق لي الضمير، وعاكسني فيه بالتقيّر والقطمير، قال: تضمن لي فيه عشرين ديناراً، أقبضها منك لانقضاء الحول دُنَيْراً دُنَيْراً، قلت: إن هذا لكثير، فاسمع منه بإحاطة اليسير. قال: والذي قلّ الحبة، وبرأ النسيمة، لا أنقصك من هذا، وما قلت لك سفسمة، اللهم إن شئت السعة في الأجل، فأقضي لك ذلك دون أجل، فجلبني للابتياح منه الإنساء في الأمد، وغلبني بذلك فلم أفقر منه لرأي والد ولا ولد، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد، وقلت: قد اشتريته منك فضّع البركة، ليصحّ الشجح في الحركة. فقال: فقيه بارك الله فيه قد بعته لك، فاقبض متاعك، وثبت ابتياحك، وما هو في قبضك فاشدّد وثاقه، وهلمّ لنعقد عليك الوثاقة. فأنحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السعة إلى الضيق، وأوثقني بالشادة تحت عقد وثيق، وحملني من ركوب الدين ولحاق الشين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فشأنك وإياه، وما أظنك إلا تغصياه، وأت بحمالين أربعة فإنك لا تقدر أن ترفعه، ولا يتأتى لك أن يتبعك ولا أن تتبعه، ولم يبق لك من الكلفة إلا أن يخلص في محلك، فيكمل سرور أهلِكَ. وانطلقت للحمال وقلت: هلم إليّ، وقم الآن بين يديّ، حتى انتهينا إلى مَجْزَرَةِ القصاب، والعِزْرُ يطلب فلا يُصاب، فقلت: أين التيس، يا أبا أونس؟ قال: إنه قد قرّ، ولا أعلم حيث استقرّ. قلت: أتضيع عليّ مالي، لتخيب آمالي، والله لا يُخزنك بالعصا، كمن عصا، ولا رَفَعْتُكَ إلى الحُكَّام، تُجري عليك منهم الأحكام. قال: ما لي علم به، ولا بمنقلبه، لعله قرّ لأمه وأبيه، وصاحبته

وَبَيْنِيهِ، فَعَلَيْكَ بِالْبَرِّيحِ. فَاتَّجِهْتَ أُنَادِي بِالْأَسْوَاقِ، وَجِيرَانِ الزُّقَاقِ، مَنْ تَقِفْ لِي تَيْسًا فَلَهُ الْبُشَارَةُ، بَعْدَ مَا أَتَى بِالْأَمَارَةِ، وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ دَهْلِيزٍ، وَلَهُ هَدِيرٌ وَهَزِيرٌ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ صَاحِبُ الْعَنْزِ الْمَشُومِ؟ لَا عَدِمَ بِهِ الشُّومُ، إِنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنِي، يَرْتَفِعُ الْكَلَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي. قُلْتُ: أَنَا صَاحِبُهُ فَمَا الَّذِي ذَهَبَ مِنِّي، أَوْ بَلَغَكَ عَنِّي. قَالَ: إِنْ عَنَزَكَ حِينَ شَرَدَ، خَرَجَ مِثْلَ الْأَسَدِ، وَأَوْقَعَ الرَّهَجَ فِي الْبَلَدِ، وَأَضْرَبَ بِكُلِّ أَحَدٍ، وَدَخَلَ فِي دَهْلِيزِ الْفُخَّارَةِ فَقَامَ فِيهِ وَقَعْدٌ، وَكَانَ الْعَمَلُ فِيهِ مَطْبُوحًا وَنِيًّا، فَلَمْ يَتْرِكْ مِنْهُ شَيْئًا، وَمِنْهُ كَانَتْ مَعِيشَتِي، وَبِهِ اسْتَقَامَتْ عَيْشَتِي، وَأَنْتَ ضَامِنٌ مَالِي، فَارْتَفِعْ مَعِيَ إِلَى الْوَالِي، وَالْعَنْزُ مَعَ هَذَا يَذُورُ وَسَطَ الْجُمْهُورِ، وَيَكُرُّ كُرَّةُ الْعِغْرِيتِ الْمَرْجُورِ، وَيَأْتِي بِالْكَسْرِ عَلَى مَا بَقِيَ فِي الدَّهْلِيزِ مِنَ الطَّوَاغِيتِ وَالْقُدُورِ، وَالْخَلْقُ قَدْ انْحَسَرُوا لِلضَّجِيجِ، وَكَثُرَ الْعِيَاظُ وَالْعَجِيجُ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ عَفْرَطَةَ الْبَاعَةِ، وَمَا يَحْوُونَ مِنَ الْوَضَاعَةِ، وَأَنَا أَحَاوِلُ مِنْ أَخْذِهِ مَا اسْتَطِيعُ، وَأَرْوِمُ الْإِطَاعَةَ مِنْ غَيْرِ مُطِيعٍ، وَالْبَاعَةَ قَدْ اكْتَسَبْتَهُ مِنَ الْحِمَاقَةِ، مَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ طَاقَةٌ. وَرَجُلٌ يَقُولُ: الْمُخْتَسِبُ، وَاعْرِفْ مَا تَكْتَسِبُ، وَإِلَى مَنْ تَتَّسِبُ، فَقَدْ كَثُرَ عِنْدَهُ بِكَ التَّشْكِي، وَصَاحِبُ الدَّهْلِيزِ قُبَالَتِهِ يَبْكِي، وَقَدْ وَجَدَ عِنْدَهُ عَلَيْكَ وَجَدَ الشُّكُورِ، وَأَيُّقِنُ أَنَّكَ كَسَرْتَ الدَّعْوَى، وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِكَ، وَهُوَ فِي انْتِظَارِكَ، فَشَدَّ وَشَطَطَكَ، وَاحْفَظْ إِنْطَاقَكَ، وَإِنَّكَ تَقُومُ عَلَى مَنْ فَتَحَ بَاعَهُ لِلْحُكْمِ عَلَى الْبَاعَةِ وَنُصِبَ لِأَرْبَابِ الْبِرَاهِمِينَ، عَلَى أَرْبَابِ الشُّوَاهِينِ، وَرَفَعَ عَلَى طَبَقَةٍ، لِيَمْلَأَ طَبَقَةً، ثُمَّ أَمْسَكْنِي بِالْيَمِينِ، حَتَّى أَوْصَلَنِي لِلْأَمِينِ، فَقَالَ لِي: أَرْسَلْتُ التَّيْسَ لِلْفُسَادِ، كَأَنَّكَ فِي نِعْمِ اللَّهِ مِنَ الْخُسَادِ. قُلْتُ: إِنَّهُ شَرَدَ، وَلَمْ أَذَرِ حَيْثُ وَرَدَ. قَالَ: وَلَمْ لَا أَخَذْتَ مِيثَاقَهُ، وَلَمْ تَشَدَّدْ وَثَاقَهُ، يَا شَرْطِي طَرُدْهُ، وَاطْرَحْ يَدَكَ فِيهِ وَجَرُدْهُ. قُلْتُ: أَتَجَرُدُنِي السَّاعَةَ، وَلَسْتُ مِنَ الْبَاعَةِ؟ قَالَ: لَا بَدُ مِنْ ذَاكَ، أَوْ تَضْمَنُ مَا أَفْسَدَهُ هُنَاكَ؟ قُلْتُ: الضَّمَانُ الضَّمَانُ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ. قَالَ: قَدْ أُمُتْتُ، إِنْ ضَمِئْتُ، وَعَلَيْكَ الثَّقَافُ، حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ، أَوْ ضَامِنٌ كَافٌ، فَابْتَدِرْ أَحَدَ إِخْوَانِي، وَبِعْضَ جِيرَانِي، فَأَذَى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ، وَأَكْتَ الْحَالِ لِلتَّكْدِيرِ. ثُمَّ أَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ بِالتَّيْسِ، لَا كَانَ كَيَانَهُ، وَلَا كَوْنُ مَكَانِهِ، وَإِذَا بِالشَّرْطِي قَدْ دَارَ حَوْلِي، وَقَالَ لِي: كُلفَ فِعْلِي بِأَدَاءِ جَعْلِي، فَقَدْ عَطَلْتُ مِنْ أَجْلِكَ شُغْلِي، فَلَمْ يَكْ عِنْدِي بِمَا تُكْسِرُ سَوْرَتَهُ، وَلَا بِمَا تُطْفِي جَمْرَتَهُ، فَاسْتَرْهَنَ مِثْرَافِي فِي بَيْتِهِ لِيَأْخُذَ مَايَتَهُ. وَتَوَجَّهْتُ لِلدَّارِي، وَقَدْ تَقَدَّمْتُ أَخْبَارِي، وَقَدِمْتُ بِغُبَارِي، وَتَغَيَّرَ صِغَارِي وَكِبَارِي، وَالتَّيْسُ عَلَى كَاهِلِ الْحِمَالِ يَزْغُو كَالْبَعِيرِ، وَيَزَارُ كَالْأَسَدِ إِذَا فُصِلَتِ الْعِيرُ، فَلَقْتُ لِلْحِمَالِ: أَنْزِلْهُ عَلَى مَهْلٍ، فَهَلَالُ التَّعْيِيدِ قَدْ اسْتَهْلَ، فَحِينَ طَرَحَهُ فِي الْأَسْطُوانِ، كَرُّ إِلَى الْعُدُوانِ، وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ، وَهُمْ أَنْ يَقْفِزَ الْجَيْطَانُ، وَعَلَا فَوْقَ الْجِدَارِ، وَأَقَامَ الرَّهْجَةَ فِي الدَّارِ، وَلَمْ تَبْقَ فِي الزُّقَاقِ عَجُوزٌ إِلَّا وَصَلَتْ لَتَرَاهُ، وَتَسْأَلُ عَمَّا اغْتَرَاهُ، وَتَقُولُ: بِكُمْ اشْتَرَاهُ، وَالْأَوْلَادُ قَدْ دَارَتْ بِهِ

وأرهمهم لهفه، ودخل قلوبهم خوفه، فابتدرت ربة البيت، وقالت: كيت وكيت، لا خل ولا زيت، ولا حي ولا ميت، ولا موسم ولا عيد، ولا قريب ولا بعيد، سقت العفريت إلى المنزل، وزجعت بمغزل، ومن قال لك اشتره، ما لم تره، ومن قال لك سقه، حتى توثقه، ومتى تفرح زوجتك، والعنزة أضحيتك، ومتى تطبخ القدور، وولئك منه مغذور، وبأي قلب تأكل الشوية، ولم تخلص لك فيه النية، وليلة سغدها، وأخلف وعدها، والله لو كان العنزة، يخرج الكنز، ما عمر لي داراً، ولا قرب لي جواراً، اخرج عني يا لكع، فعل الله بك وصنع، وما حبسك عن الكباش السمان، والضأن الرفيعة الأثمان، يا قليل التحصيل، يا من لا يعرف الخياطة ولا التفصيل، أذلك على كبش سمين، واسع الصدر والجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الخطيب، يغبق من أوداكه كل طيب، يغلب شحمه على لحمه، ويسيل الودك من عظمه، قد غلف بالشعر، وذبر عليه أحسن تدبير، لا بالصغير ولا بالكبير، تضح منه الألوان، ويستطرف شواه في كل أوان، ويستحسن ثريده وقديده في سائر الأحيان، قلت: بيئي لي قولك، لاتعرف فعلك، وأين توجد هذه الصفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، وكهفنا ومأوانا، الرئيس الأعلى، الشهاب الأجلى، القمر الزاهر، الملك الظاهر، الذي أعز المسلمين بنعمته، وأذل المشركين بنقمته. واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبت كفاية.

وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بلش في أواخر عام خمسين وسبعمائة، ودفن بها.

عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري^(١) الصنهاجي

الأديب المصنف، يكنى أبا محمد.

حاله وأوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة^(٢)، المصنف للمأمون بن ذي النون^(٣) كتاب «مغنيطاس الأفكار، فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر

(١) عبد الله بن إبراهيم الحجاري، ينسب إلى وادي الحجارة بالأندلس، توفي سنة ٥٢٠ هـ، وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩١) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٤ ص ١١٢، ٢٦٥)، وكشف الظنون (ص ٦٤٦، ١٦٨٥) وهدية العارفين (ج ١ ص ٤٥٧).

(٢) وادي الحجارة: بالإسبانية Guadalajara، وهي مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج، بينها وبين طليطلة ٦٥ ميلاً. الروض المعطار (ص ٦٠٦).

(٣) المأمون بن ذي النون هو يحيى بن إسماعيل، أحد ملوك الطوائف بالأندلس، حكم طليطلة من سنة ٤٣٥ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ. ترجمته في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧). وفي مواطن متفرقة من الذخيرة.

والأخبار». وكان أبو محمد هذا ماهراً، كاتباً، شاعراً، رُحَّالاً. سكن مدينة شِلْب^(١) بعد استيلاء العدو على بلاده بالتَّغْر. وله^(٢) في التَّحوُّل أشعار وأخبار. قَدِمَ غرناطة وقصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلعة^(٣) من بُنَيَّاتِها، واستأذن عليه في زِيٍّ موحِش، واستَخَفَّ به القاعدون ببابه، إلى أن لطف بعضهم، وسأله أن يُعرِّف به القائد، فلما بُلِّغَ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها^(٤): [الوافر]

عليك أحوالي الذُّكْرُ الجميلُ فجئتُ ومن ثنائِكَ لي دليلٌ^(٥)
أتيتُ ولم أقدم من رسولٍ لأنَّ القلبَ كان هو الرسولُ

منها في وصف زِيِّ البدوي المُستقل وما في طيِّه:

ومَثَّلَنِي بَدَنٌ فيه خمرٌ^(٦) يَخِفُّ بها^(٧) وَمَنْظَرُهُ ثَقِيلٌ

فاكرم نَزْلَه، وأحسن إليه، وأقام عنده سنة، حتى أَلَفَ بالقلعة كتاب «المُسهب»، في غرائب^(٨) المَغْرِب، وفيه التَّشْبِيه على الحُلَى البِلادية والعبادية. وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطَة، بعد أن عَذَلَه عن التَّحوُّل عنه، فقال: النَّفْسُ تَوَاقَة، وما لي بالتَّغْرِب طاقة، ثم أَفَكَّرَ وقال: [الطويل]

يقولون لي: ماذا الملal تقيم في محلٌّ فعِند الأُنس تذهب راحلا
فقلت لهم: مثل الحَمَام إذا شدا على عُصْنٍ أَمْسَى بِأَخْرَ نازلا

نكبتَه: قال علي بن موسى بن سعيد^(٩): ولَمَّا قصد الحِجَارِي رُوطَة، وحلَّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود^(١٠)، وتحرك لغزو مَنْ قَصَدَه من

(١) شِلْب: بالإسبانية Silves، وهي قاعدة كورة أكشونية، بجنوب مدينة باجة. الروض المعطار (ص ٣٤٢).

(٢) قارن بالمغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٣) هي قلعة بني سعيد. وتعرف أيضًا بقلعة يَحْصَب، Alcalá la Real أي القلعة الملكية، نسبة إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، وهي إحدى مدن غرناطة في عهد بني زيري البربر. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٤) الأبيات الثلاثة في المغرب (ج ٢ ص ٣٥). وورد في نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٦٦) أربعة أبيات، من ضمنها البيت الأول لا غير.

(٥) رواية عجز البيت في الفتح هي:

فَصَحَّ الحَزْمُ واقتضى الرحيلُ

(٦) في المغرب: «بِر». (٧) في المغرب: «به».

(٨) في المغرب: «فضائل».

(٩) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، هو صاحب كتاب «المغرب» و«رايات المبرزين»، وغيرهما.

(١٠) المستنصر بن هود: هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن هود، آخر ملوك بني هود بسرقسطة، =

البشكنس، فهزم جيشه، كان^(١) الجيجاري أحد من أسر في تلك الواقعة، فاستقر
ببشقاية^(٢)، وبقي بها مدة، يحرك ابن هود بالأشعار ويحثه على خلاصه من الإسار،
فلم يجد عنده ذمامة، ولا تحرك له اهتمامه، فخطب عبد الملك بن سعيد بقوله:
[السريع]

أضَبَحْتُ في بِشْقَايَةِ مُسْلَمًا إلى الأعداء لا أرى مُسْلِمًا
مُكَلِّفًا ما ليس في طاقتي مُصَفِّدًا مُنْتَهَرًا مُرْغَمًا
أُطْلِبُ بالخدمة، وأحسرتي! وحالتي تُقْضي بأن أُخْدَمًا
فهل كريمٌ يُزْتَجى للأيير يفكُّه، أكرِّمُ به مُنْتَمِي

وقوله: [الخفيف]

أرئيسَ الزمانِ أغفلتُ أمري وتلذذتُ تاركًا لي بأسري؟
ما كذا يعمل الكرامُ ولكن قد جرى على المَعْرُودِ دَفْري

فاجتهد في فدائه، ولم يمر شهر إلا وقد تخلص من أسره، واستقر لديه، فكان
طليق آل سعيد، وفيهم يقول^(٣):

وجَدْنَا سَعِيدًا مُنْجِبًا خَيْرَ عُضْبَةٍ هُمُ في بني أغصارهم^(٤) كالمواسمِ
مُشْنَفَّةُ أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ^(٥) مَسَوْرَةٌ أَيْمَانُهُمْ بِالصُّوَارِمِ
فكم لهم في الحرب من فضلٍ نائرا وكم لهم في السلم من فضلٍ ناظمٍ

توالياقه: وتوالياق الجيجاري بديعة، منها «الحديقة» في البديع، وهو كتاب
مشهور، ومنها «المسهب في غرائب المغرب»، وافتتح خطبته بقوله: «الحمد لله الذي
جعل العباد، من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغصان». وهو في
سنة مجلدات.

= وقد حكمها سنة ٥١٣ هـ، ومات سنة ٥٣٦ هـ. الأعلام (ج ١ ص ١٦٤) وفيه ثبت بأسماء
المصادر التي ترجمت له.

(١) في الأصل: «وكان».

(٢) بشقاية: بالإسبانية Vizcaya، وهي إحدى ولايات مملكة نبرة.

(٣) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ٣٦). (٤) في المغرب: «أزمانهم».

(٥) في المغرب: «بفضائل».

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله
ابن سعيد بن الخطيب السُّلماني^(١)

يكنى أبا محمد.

أوليته: تُنظر في اسم جدّه.

حاله: حسن^(٢) الشكل، جيّد الفهم، يُعْطِي منه رماذ السُّكون جَمْرَةً حركة، مُنْقَبِضٌ عن الناس، قليل البَشاشة، حسن الخطّ، وَسَطُ النُّظم. كَتَبَ عن الأمراء بالمغرب، وأنشدهم، واقتضى^(٣) خَلْعَهُم وصُكُوكَهُم بالإقطاع والإحسان. ثم لما كانت الفِتنة كتب عن سلطان وطنه، مُعَزِّز الخُطّة بالقيادة، وأنشدهم.

مُشِيخته: قرأ^(٤) على قاضي الجماعة، الشيخ^(٥) الأستاذ الخطيب أبي القاسم الحسني، والأستاذ^(٦) الخطيب أبي سعيد فرج بن لبّ الثُّغلي، واستظهر بعض^(٧) المبادئ في العربية، واستُجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره^(٨) مُتَرْفَع عن الوَسَط إلى الإِجادة، بما يكفله^(٩) عُذْر الحَدَاثَةِ. وقد ثَبَت في اسم السلطان لهذا العهد، أبي عبد الله بن نصر^(١٠)، أيده الله، ما يدلّ على جودة قَرِيحته، وذكاء طَبْعِهِ. وممّا دَوَّن الذي ثَبَت له حيث ذكر قوله^(١١):

لِمَنْ طَلَّلَ بِالرُّقْمَتَيْنِ مُجِيلٌ عَفَتْ دِمْنَتَيْنِ شِمَالٌ وَقَبُولٌ^(١٢)
يلوُحُ كِبَاقِي الوُشْمِ غَيْرَةُ البلى وجَادَتْ عَلَيْهِ السُّخْبُ وَهِيَ هَمُولٌ^(١٣)

(١) ترجمة عبد الله بن محمد بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٩) ونفع الطيب (ج ١ ص ١٤٣) وجاء فيه أنه: «عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني».

(٢) النص في نفع الطيب (ج ١ ص ١٤٣).

(٣) في النفع: «واقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان، واختال في خلعهم. ثم لما...».

(٤) النص في نفع الطيب (ج ١ ص ١٤٣). (٥) قوله: «الشيخ الأستاذ» ساقط في النفع.

(٦) في النفع: «والخطيب». (٧) في النفع: «بعض».

(٨) النص في نفع الطيب (ج ١ ص ١٤٣). (٩) في النفع: «الإِجادة، يكلّله...».

(١٠) هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل. ترجمته في اللوحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).

(١١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٠ - ٢٨١) وقال إنه قالها في الأغراض السلطانية أيام كتابته عن السلطان ملك المغرب. وهي أيضًا في نفع الطيب (ج ١ ص ١٤٦).

(١٢) المُحِيل: المتغيّر. الدُّمْنَةُ: الموضع القريب من الدار. الشمال: ريح الشمال. القبول: الريح التي تقابل الشمال. لسان العرب (حيل) و(دمن) و(شمال) و(قبل).

(١٣) هَمُول: منهمة. لسان العرب (همل).

فيا سَعْدُ، مَهْلًا بِالرُّكَابِ لَعَلَّنَا
 قِفِ الْعَيْسَ نَنْظُرَ نَظْرَةً تُذْهِبُ الْأَسَى
 وَغَرِّجْ عَلَى الْوَادِي الْمَقْدَسِ بِالْحِمَى^(١)
 فَيَا حَبِذَا تِلْكَ الدِّيَارُ وَحَبِذَا
 دَعَوْتُ لَهَا سَقَى الْحِمَى عِنْدَمَا سَرَى^(٢)
 وَأَرْسَلْتُ دَمْعِي لِلْغَمَامِ مُسَاجِلًا
 فَأَصْبَحَ ذَاكَ الرَّبْعُ مِنْ بَعْدِ مَخْلِهِ
 لَئِنْ حَالَ رَسْمُ الدَّارِ عَمَّا عَهْدَتِهِ
 وَمِمَّا شَجَانِي بَعْدَ مَا سَكَنَ الْهَوَى
 تَوَسَّدَنْ قَرْعَ الْبَانِ وَالْتَجَمُ مَائِلُ
 فَيَا صَاحِبِي، دَغْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّهُ
 تَقُولُ اصْطَبَارًا عَنْ مَعَاهِدِكَ الْأَلَى
 فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى وَلِلْأَسَى
 يُطَاوِلُ لَيْلَ الثَّمَمِ مِنْ مِسْهَدُ
 فَيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَعُودُنَّ مَا مَضَى؟

نُسَائِلُ رَبِّعًا فَالْمُجِيبُ سَؤُولُ
 وَيُشْفَى بِهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ غَلِيلُ
 فَطَابَ لَدَيْهِ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ
 حَدِيثُ بِهَا لِلْعَاشِقِينَ طَوِيلُ
 وَمِيضٌ وَعَرَفٌ لِلنَّسِيمِ عَلِيلُ
 فَسَالَ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِنْهُ مَسِيلُ
 رِيَاضًا بِهَا الْغُضُنُ الْمَرْوُحُ يَمِيلُ
 فَعَهْدُ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ لَيْسَ يَحُولُ^(٣)
 بُكَاءُ حَمَامَاتٍ لَهْنٌ هَدِيلُ
 وَقَدْ آنَ مِنْ جَيْشِ الظَّلَامِ رَحِيلُ
 كَلَامٌ عَلَى سَمْعِ الْمُجِيبِ ثَقِيلُ
 وَهِيَهَاتَ صَبْرِي مَا إِلَيْهِ مَسِيلُ
 غَدَاةً اسْتَقَلْتُ بِالْخَلِيطِ حُمُولُ
 وَقَدْ بَانَ عَنِّي مَنْزَلُ وَخَلِيلُ
 وَهَلْ يَسْمَحُنُ الدَّهْرُ وَهُوَ بِخِيلُ؟

نشره: أجباني لما خاطبتُ الجملة من الكتاب، والسلطان، رضي الله عنه،
 بالْمُنْكَبِ، في رحلة أعملها بما نصه:

«الله من فذة المعاني، حيث مشوق الفؤاد عاني، لما أنارت بها المغاني، غنين
 عن مطرب الأغاني، يا صاحب الإذعان، أجب بالله من دعائي، إذا صرّيت من كثرة
 الأماني، بالشوق والوجد مثل ماني. ورّدت سحات سيدي التي أنشأت لغمام الرحمة
 عند اشتداد الأزمة رياحا، وملأت العيون محاسنا والصُّدُور انشراحا، وأصبح رحيب
 قِرطاسها وعميم فضلها ونوالها وأيناسها لفرسان البلاغة مغدّى ومراحا. فلم أذر
 أصحيفة نسخت مسطورة، أم روضة نفحت منطورة، أطيّب من المسك منتشقا،
 وأحسن من السلك متسقا، فملككتها مقادة خاطري، وأودعته سواد قلبي وناظري،
 وطلعت عليّ طلوع الصُّبْحِ على عقب السرى، وخلّصت خلوص الخيال مع سِنَّة
 الكرى. فله ما جلبت من أنس، وأذهبت لطائفة الشيطان من مس، وهاجت من

(٢) في النسخ: «الحمي وريو».

(١) في الكتيبة: «والحمي».

(٣) يحول: يفتير. لسان العرب (حول).

الشوق، الذي شبَّ عمره عن الطوق، والوجد الذي أصبح واري الزند. فأقسم بباري
النسم، وواهب الحظوظ والقسم، لو أعطيت للنفس مقادتها، وسوغتها إرادتها، ما
قنعت بنبابة القيرطاس والمِداد، عن مباشرة الأرواح والأجساد، وإن أعرضت عفة
للشعر ورأس المزاد، وشَمَخ بأنفه وزاد، وما بين ذلك من عِلْم باذخ، وطود شامخ،
قد أذكرت العقاب عُقابه، وصافحت النجوم هضابه، قد طَمَح بطرفه، وشَمَخ بأنفه،
وسال الوقار على عطفه: [الكامل]

مَلَكْتُ عِنانَ الرِّيحِ راحته فجياؤها من تحته تُجْري

وأما الحَمَل الهائج، والبحر المُتَمَاج، والظُّل المائل، والذُّب الشائل،
فمُساجلة مولاي في ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قُصاراه أفاظ مرَّبة، غير
مرَّبة: [الخفيف]

هو جَهْدُ المُقِلِّ وافيكَ مَنِي إنْ جُهدَ المُقِلِّ غيرُ قليلٍ

وأقرأ على مولاي، أبقاه الله، سلامًا عميمًا، تنسم روضه نسيما، وزف نظره
وعبق شميمًا، والأوفر الأذكى منه عليه مُعادًا، ما سَحَّ السُّحاب إرعاذاً، وأبرق الغمام
رعداً والحُسام أبعادًا، ورحمة الله وبركاته. من عبده الشَّيق لوجهه، عبد الله بن
الخطيب، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة وستين وسبعمائة.

مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين
وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن سارة البكري^(١)

شَتَّريني^(٢)، سكن ألمرية وغرناطة، وتردّد مادحا ومنتجعًا شرقًا ومغربًا،
ويضرب في كثير من البلاد.

(١) ترجمة ابن سارة أو ابن صارة في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٦) وبغية الملتبس (ص ٣٣٨)
وزاد المسافر (ص ٦٦) وقلائد العقيان (ص ٢٥٨) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥١) والمطرب (ص
٧٨، ١٣٨) والمغرب (ج ١ ص ٤١٩) والذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٤) ومسالك الأبصار (ج ١١،
الورقة ٣٨٣) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٥٥) ومعجم السفر للسلفي (ص ٢٠٥) وخريدة القصر
- قسم المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠) ورايات المبرزين (ص ١٠٦)
وبغية الوعاة (ص ٢٨٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٤٣) و(ج ٤ ص ٢٨٤) وصفحات أخرى
متفرقة.

(٢) نسبة إلى مدينة شترين البرتغالية Santaren، وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس. وفيات
الأعيان (ج ٣ ص ٧٩).

حاله: كان ذا حظ صالح من النحو واللغة، وحفظ الأشعار، أديباً ماهراً، شاعراً مُجيداً، مطبوع الاختراع والتوليد. تجوّل في شرق الأندلس وغربها مُعلّماً للنحو، ومادحاً ولاتها، وكتب عن بعضهم، وتعيش بالوراقة زماناً، وكان حسن الخط، جيد النقل والضبط.

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر.

من روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، وأبو جعفر بن الباذش، وأبو عثمان بن هارون، وأبو الطاهر التميمي، وأبو العباس بن علي اللص، وأبو العلاء بن الجئان، وأبو محمد بن يوسف القضاعي، وإبراهيم بن محمد السبتي.

شعره: وشعره كثير جيد شهير. منه في حِرْقة الوراقة قوله^(١): [الكامل]

أما الوراقة فهي أَيْكَةُ^(٢) حِرْقَةٍ أغصانها^(٣) وثمارها الجِزْمَانُ
شَبَّهْتُ صاحبها بإبرة^(٤) خائِطٍ يكسو^(٥) العُراة وظَهْرُهُ عِرْيَانُ

وقال في نَجْمِ الرَّحِيمِ، وهو من التَّشْبِيهِ الْعَقِيمِ^(٦): [البسيط]

وكوكبٍ أَبْصَرَ الْعَفْرِيتَ مُسْتَرْقَاً فأنْقَضُ^(٧) يُذْكَى^(٨) سَرِيعاً خَلْفَهُ لَهَبَةٌ
كفارسٍ حَلَّ إِحْصَارٍ^(٩) عِمَامَتِهِ فَجَرَّهَا^(١٠) كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذْبَةٌ

وقال منه في المَوَاعِظِ^(١١): [البسيط]

يا مَنْ يُصِيخُ إِلَى دَاعِي السَّفَاهِ^(١٢) وقد نادى به التَّاعِيَانِ: الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذُّكْرَى ففِيمَ تَوَى^(١٣) فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ؟

(١) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٥) والمطرب (ص ٧٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠).

(٢) في الذخيرة والمطرب: «أنكد». (٣) في الذخيرة: «أوراقها».

(٤) في الذخيرة: «بصاحب إبرة».

(٥) في الذخيرة والمطرب: «تكسو العراة وجسمها...».

(٦) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٦٨).

(٧) في الأصل: «فأنقضى» وهكذا ينكر الوزن، والتصويب من القلائد.

(٨) في القلائد: «يذكي له في أثره لَهَبَةٌ».

(٩) في الأصل: «إحصاراً» والتصويب من القلائد.

(١٠) في الأصل: «تجرّها» والتصويب من القلائد.

(١١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٤) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٩٦).

(١٢) في القلائد: «السقاء». والسفاه: الجهل.

(١٣) في الأصل: «...الذكر فقيم ترى» والتصويب من المصادر الثلاثة.

ليس الأصم ولا الأعمى سوى رَجُلٍ لم يَهْدِهِ الهاديان: العَيْنُ والآثُرُ
لا الدهرُ يَبْقَى على حال^(١) ولا القَلْكُ إلَّا أَعْلَى ولا الثَّيْران: الشمسُ والقَمَرُ
لأَرْحَلَنَ^(٢) عن الدنيا ولو كَرِهَها^(٣) فراقها الثاويان: البَدْوُ والحَضَرُ

وقال في موت ابنته له^(٤): [الوافر]

ألا يا موت، كُنْتَ بنا رَوْفًا فَعَجَذْتَ السُّرور^(٥) لنا بِزُورَةٍ
حَمِدْنَا^(٦) سَعِيكَ المشكور لَمَّا كَفَيْتَ^(٧) مَوْنَةً وَسَتَرْتَ عَوْرَةَ
فَأَنكَحْنَا الضَّرِيحَ بِلا صَدَاقٍ وَجَهَّزْنَا العُرُوسَ^(٨) بِغَيْرِ شُورَةٍ

وفاته: توفي عبد الله بن سارة سنة تسع عشرة وخمسمائة^(٩).

عبد الله بن محمد الشَّراط^(١٠)

يكنى أبا محمد، من أهل مالقة.

حاله: طالبٌ جليل، ذكي، مدرك، ظريف، كثير الصِّلَف والخِثْرَوانة^(١١) والإِزْراءِ بمن دونه، حادُّ التَّادِرة، مرسلٌ عِنان الدُّعابة، شاعرٌ مُكثِر، يقوم على الأدب والعربية، وله تقدُّم في الحساب، والبُرْهان على مسائله. استُدعي إلى الكتابة بالباب السلطاني، واختصَّ بولي العهد، ونيط به من العمل، وظيفَ نبيه، وكاد ينمو عُشْبُهُ ويتأشَّب^(١٢) جاهُه، لو أن الليالي أمهَلَتْه، فاعْطِطَ لأمدٍ قريب من ظهوره، وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، إخنةٌ، تخلَّصه الجِمام لأجلها، من كَفِّ انتقامه.

(١) في المصادر الثلاثة: «... يبقى ولا الدنيا ولا...».

(٢) في المصادر الثلاثة: «ليرحلن».

(٣) في المصادر الثلاثة: «إن كَرِهَها» ويقال لغويًا: «إن كَرِهَ فراقها الثاويان».

(٤) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٦ - ٩٧).

(٥) في المصدرين: «الحياة».

(٦) في المصدرين: «حمادٍ لفعلك المشكور...».

(٧) في القلائد: «كففت».

(٨) في المصدرين: «الفتاة».

(٩) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩): «وكانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة بمدينة ألمرية من

جزيرة الأندلس». وهكذا جاء في التكملة (ج ٢ ص ٢٥٢).

(١٠) ترجمة ابن الشراط في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٥).

(١١) لم نقف على هذه الكلمة في كتب اللغة، وجاء فيها في مادة (ختر): المختَر: أقبح الغدر وأشدّه.

(١٢) يتأشَّب: يتجمع.

شعره: وشعره كثير، لكني لم أظفر منه إلا باليسير. نقلت من خط صاحبنا القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، من نظم أبي محمد الشراط، في معنى كان أدباء عصره قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شئعة: [الوافر]

وكنت ألفت قبل اليوم إلّفا
وكنّا مثل وصل العهد وضلا
ففرّق بيننا صرف الليالي
فصرت غداة يوم البين شمعاً
قدمعي لا يتم أسى وجسمي
ثم في المعنى أيضاً^(١): [البسيط]

حالي وحالك أضحت آية عجبا
إذا دنوت فلاني مشعر طرباً
كذاك الشمع لا تنفك^(٢) حالته
ومن ذلك أيضاً: [الطويل]

رحلتكم وخلفتكم مشوفكم نسيا
فضاقت عليّ الأرض واغتاص مذهبي
وما باختيار شئت الدهر بيننا
فذا أضلعي لم تخب من أجلكم جوى
كأنني شمع في فؤاد وأدمع

وذكر لي أن هذا صدر عنه في مجلس أنس مع الوزير أبي عبد الله بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء.

وفاته: كان حياً سنة سبعمائة، وتوفي بغرناطة، وهو على حاله من الكتابة، رحمه الله.

(١) الأبيات في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «مغرباً» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثر فرائد الجمان.

(٣) في الأصل: «مغرباً» والتصويب من النثر. (٤) في النثر: «لا ينفك».

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان النجاري^(١)

يكنى أبا القاسم، ويعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله: هذا الفاضل نسيجٌ وحده، فهما وانطباعاً، ولودعية، مع الدين والصون، مُعِمٌّ، مخول في الخير، مُستولٍ على خصال حميدة، من خط وأدب وحفظ، مشارك في معارف جملة. كتب ببلده عذلاً رضى، وأنشد السلطان عند حلوله ببلده. ورحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني، ثم بان فضله، وثبته قدره، ولطف محله، وعاد إلى الأندلس، لما جرت على سلطانه الهزيمة بالقيروان، ولم يئنس له الدهر بعدها مع جملة من خواصه. فلما استأثر الله بالسلطان المذكور، مؤسوم التّمحيص، وصير أمره إلى ولده بعده، جئح إليه، ولحق ببابه، مقترن الوفادة، بيمين الطائر، وسعادة النّصبة، مظنة الاصطناع، فحصل على الحظوة، وأصبح في الأمد القريب، محلاً للبتّ وجليسا في الخلوة، ومؤتمناً على خُطة العلامة^(٢)، من رجل ناهض بالكلّ، جليد على العمل، حذر من الذكر، متقلص ذيل الجاه، مُتهيب، غزير المشاركة، مطفّف في حقوق الدول عند انخفاض الأسعار، جالب لسوق الملوك ما يُنفق فيها، حارّ النّادرة، مليح التّندير، حلو الفكاهة، غزلي مع العفة، حافظ للعيون، مُقدّم في باب التّحسين والتّنقيح، لم يشب الملك أن أنس منه بهذه الحال، فشد عليه يد الغبطة، وأنشَب فيه براثن الأثرة، ورمى إليه بمقاليد الخدمة، فسما مكانه، وعلا كعبه، ونما عُشه. وهو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قُطره، ومناقب وطنه، كثر الله مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المقرئ أبي محمد بن أيوب، والمقرئ الصالح أبي عبد الله المهندس، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق. وروى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، والقاضي أبي

(١) ترجمة ابن رضوان النجاري في نيل الابتهاج (ص ١٢٣) والتعريف بابن خلدون (ص ٢٠، ٤١) وجذوة الاقتباس (ص ٢٤٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٠) والكتيبة الكامنة (ص ٢٥٤) وفيه: «النجاري» بدل «النجاري». ولم يشر ابن الخطيب هنا إلى سنة وفاته؛ لأنه توفي في سنة ٧٨٣ هـ، أي بعد وفاة ابن الخطيب بسبع سنوات.

(٢) هي العلامة التي كانت توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات، وبعضها كان السلطان يضعه بخطه. التعريف بابن خلدون (ص ٢٠).

بكر بن منظور. ويغرناطة عن جلة؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيَّاب، وقاضي الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسني، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المهين الحَضرمي، والقاضي أبا إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يَزْبوع السَّبتي. ويتلمسان عن أبي عبد الله الأيلي، وأبي عبد الله بن الثَّجار، وغيرهما. ويتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام، وعن جماعة غيرهم.

شعره: ونظمه ونثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجازة. أما شعره، فمُتناسب الوضع، سهل المأخذ، ظاهر الرِّواء، مُحكَّم الإمرة للتَّنقيح. وأما نثره، فطريف السَّجع، كثير الدَّالة، مُطيع لدعوة البديهة، وربما استعمل الكلام المُرسَل، فجرى براعه في ميدانه بِلَّة عِنانه.

وجرى ذكره في «التاج» أيام لم يفهم^(١) حوضه، ولا أزهى روضه، ولا تباينت سماؤه ولا أرضه، بما نصه^(٢): أديب أحسن ما شاء، وفتح قلبه^(٣) فملاً الدُّلو وبَلَّ الرُّشاء^(٤)، وعانى على حدائته الشعر والإنشاء، وله ببلده بيتٌ معمور بفضل وأمانة، ومَجْدٍ وديانة. ونشأ هذا الفاضل على أتمِّ العفاف والصُّون، فما مال إلى فسادٍ بعد الكون. وله خطُّ بارع، وفهم إلى الغوامض مُسارع. وقد أثبت من كلامه، ونفثات أقلامه، كلُّ مُحكم العقود، زارياً^(٥) بِنْت العَنقود. فمن ذلك قصيدة^(٦) أنشدها للسلطان أمير المسلمين^(٧)، مهتئاً بهلاك الأسطول الحربي بالزُّقاق الغربي^(٨)، أجاد أغراضها، وسبَّك المعاني وراضها، وهي قوله^(٩): [الطويل]

لعلكما أن ترعيا لي وسائلا	فبالله عُوجا بالركابِ وسائلا
بأوطانٍ أوطارٍ قفا ومآربي	وبالخبِّ خُصاً بالسلام المنازلا
ألا فانشدا بين القباب من الجمى	فؤاد شجٍ أضحى عن الجسم راحلا

(١) فهم حوضه: امتلاً. لسان العرب (فهم).

(٢) القلب: البئر. لسان العرب (قلب).

(٣) القلب: البئر. لسان العرب (قلب).

(٤) القلب: البئر. لسان العرب (قلب).

(٥) في النفع: «زار بابتة».

(٦) في النفع: «فمن ذلك قوله» وأورد الشعر مباشرة.

(٧) أمير المسلمين هنا هو السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري،

وقد حكم غرناطة من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. راجع اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

(٨) المقصود بالزُّقاق الغربي جبل الفتح، أو جبل طارق، الذي نازله ألفونس بن هرانده، فهلك فيه

حتف أنفه عام ٧٥١ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٨).

(٩) ورد في نفع الطيب من هذه القصيدة خمسة أبيات فقط.

وَبُثًّا صَبًّا بات هنالك واشْرَحَا
 رعى الله مَثَوَاكُمْ على القُرْب والنوى
 وهل لزمانٍ باللوى قد^(١) سقى اللوى
 فحَظِّي بعيْدُ الدَّار منه بقُرْبِه
 لقد جار دهرى أن^(٢) نأى بمطالبي
 وحمِّلني من صَرْفِه ما يؤدني
 عتَبْتُ عليه فاغْتَدَى لي عاتِبًا
 اتَّغَيَّبَنِي إذ^(٣) قد أَقْدَتُكَ موقِفًا
 مَلِيكَ حَبَاه الله بِالخُلُقِ الرِّضَا
 مَلِيكَ علا فوق السُّمَّاك فَطَرَفُه
 إذا ما دجا ليلُ الخطوب فيشْرُه
 نماء من الأنصار غرَّ أكابر
 تلوا سُورَ التُّعْمَاءِ في جِزْبِهِمْ كما
 تَسَامَتْ لَهُمْ في المَغْلُواتِ مراتب
 عِصَابَة نصر الله طَابَتْ أواخرها
 لقد كان رَبُّعُ المجد مِنْ قَبْلُ خَالِيَا
 إذا يُوسُفُ مِنْهُمْ تلوح بِمِينِه
 كَتَائِبُه في الفتح تَكْتَبُ أسطرا
 عَوَامِلُه بِالْحذفِ تحكِّم في العِدا
 يَبْدُدُ جَمْعَ الكُفْرِ رُغْبًا وهَيْبَةً
 ومنها في وصفه الأسطول واللقاء:

ولَمَّا استقامتْ بِالزَّقاقِ أساطير
 رآها عدوُّ الله فانْفَضَّ جَمْعُه
 ومن دَهَشِ ظَنُّ السَّواحِلِ أَبْحرا

لَهُمْ مِنْ أَحاديثي غَرِيضًا وطائلا
 ولا زال هامِي السُّحْبِ في الرُّبْعِ هاملا
 مَارَبَ فما ألقى مَدَى الدَّهْرِ حائلا؟
 ويوردُ فيه من مُناه مَناهلا
 وظلُّ بما أبقي^(٤) من القُرْبِ ماطلا
 ومَكُنْ مَنِّي الخطوبَ شواغلا
 وقال: أصيخ لي لا تكن لي^(٥) عاذلا
 لدى أعظم الأملاك جِلْمًا ونائلا؟
 وأعلى له في المَكْرَماتِ المنازلا
 غدا كهلال الأتق يُبصرنا علا
 صباحٍ ويذرُّ لا يرى الدهر آفلا
 لَهُمْ شيم ملءُ الفضاء قُضائلا
 جَلَّوْا صُورَ الأيامِ غُرًّا جلائلا
 يُرَى رُحْلٌ دون المراتب زاحلا
 كما قد رَكَت أضلا وطابت أوائلا
 ومن آل نصرٍ عاد يُبصر آهلا
 تقول سحابُ الجود والبأس هاطلا
 تبيِّنُ من الأتفال فيها المَسائلا
 كما حكموا في حذفِ جَزْمِ عواملا
 كما بَدَّدَتْ منه اليمينُ الثَّوافلا

لُ ثُمَّ^(٦) استقلَّتْ للشعود محافلا
 وأبصر أمواج البحار أساطلا
 ومن رُغْبٍ خالَ البحار سواحلا

(١) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٢) في النسخ: «إذ».

(٣) في النسخ: «أبقي».

(٤) في النسخ: «قط».

(٥) في الأصل: «استقلت»، وكذا يتكرر الوزن.

تدمر أدناها الصُّلاب الجَنادلا
فقد خَلَقَتْ فيهم حُساما وذابلا
فقد أَطْفَأَتْ تلك الحروبُ المشاعلا
سلامًا وما كادوه قد عاد باطلا
فما أَقْلَتُوا من ذا وذاك حَبائلا
وفانٍ عليه السَّيف أصبح صائلا
كما أَهْلَكَتْ من كان بالبَحْر عاجلا

وَمِنْ جُنْدِكُمْ هَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفُ
تُفَرِّقُهُمْ أَيْدِي سَبَا وَتَبِيدُهُمْ
وَعَهْدِي بِمَرِّ الرِّيحِ لِلنَّارِ مَوْقِدَا
وَكَانَ لَهُمْ بَرْذُ الْعَذَابِ وَلَمْ يَكُنْ
حَدَاهُمْ هَوَاهُمْ لِلْإِسَارِ وَلِلْقَنَا
فَهُمْ بَيْنَ عَانٍ فِي الْقِيُودِ مُصَفِّدٍ
سَتَهْلِكُ مَا بِالْبَرْ مِنْهُمْ جُنُودُكُمْ
وَقَالَ أَيْضًا بِمَدْحِهِ: [الطويل]

وَأَطْلَعْتَ وَجْهَ الْيُسْرِ وَالْأَمْنِ وَالرَّفْدِ
أَلَا لِلْمَعَالِي مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْذِرُ
تَبَدُّثٌ لَنَا سُبُلُ السَّعَادَةِ وَالرُّشْدِ
فِرَاقٌ كَذَاكَ الْجَيِّدِ يَزْدَانُ بِالْعِقْدِ
عَلَى صَفْحَاتِ الْفَخْرِ أَوْ مَفْرِقِ الْحَمْدِ
وَقَدْ حُزِّنْتُ مَجْدًا بِجَدِّكُمْ سَعْدِ
وَمَنْ فَعْخَرَهُ إِنْ أَنْتَ تَدْعُوهُ بِالْجَدِّ
وَذَكَرْكُمْ أَمْ عَاطَرُ الْعَنْبَرِ الْوَزْدِ؟
كَمَا أَنْكُمْ أَجْلَى وَأَعْلَى لِمَشْهَدِ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَذْرُ فِي طَالِعِ السَّعْدِ
وَدُمَّ فِي خُلُودِ الْمُلْكِ وَالنَّصْرِ وَالسَّعْدِ
وَأَزْيَيْتُ فِي شِعْرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْكِتْدِيِّ
مِنَ الْجُودِ وَالْأَفْضَالِ وَالْبَذْلِ وَالرَّفْدِ

نَشَرْتَ لَوَاءَ النَّصْرِ وَالْيَمْنِ وَالسَّعْدِ
أَعَدْتَ لَنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَلَذَّةً
بِنُورِكُمْ وَاللَّهُ يَكْلَأُ نُورَكُمْ
تَحْلَى لَكُمْ بِالْمُلْكِ نَخْرٌ وَلَبَّةٌ
مَأْثَرَكُمْ قَدْ سَطَّرَتْهَا يَدُ الْعُلَا
بِمَدْحِكُمُ الْقُرْآنِ^(١) أَتَنْسِي مُنْزَلًا
كَفَاكُمْ فَخَارًا أَنَّهُ لَكُمْ أَبٌ
تَنَاوَكُمُ هَذَا أَمْ الْمِسْكُ نَافِخٌ؟
أَجَلْ ذِكْرُكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقِ
طَلَعْتَ عَلَى الْآفَاقِ نُورًا وَيَهْجَةً
وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلاكِ عِزٌّ وَرَفْعَةٌ
وَلَوْ أَنْسَى قُفْتُ سَخْبَانٍ وَائِلٍ
لَمَا قُنْتُ بِالْمِغْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ

وَقَالَ فِي شَيْخِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مَنْظُورٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: [الطويل]

وَذَكَرَكَ أَعْلَى الذِّكْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَأَنْتَ لِلْأُولَى بِأَرْفَعِ سُودِدٍ
بِمَقْعَدِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ

جَلَالُكَ أُولَى بِالْعُلَا لِلْمَخْلُودِ^(٢)
لِمَجْدِكَ كَانَ الْعِزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا

(١) في الأصل: «للقرآن»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «المخلد»، وهكذا ينكسر الوزن.

فَهَنُتُ بِالْفَخْرِ السِّنِّي مَحَلَّةُ
شَهْدَتْ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ عَوَارِفِ
وَمَا حُزْتُ مِنْ مَعْجِدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ
لَقَدْ نَبَأْتَنِي بِالرَّوَّاحِ لِعَزْكَمِ
تُحَدِّثَنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ
دَلِيلِي بِهَذَا أَنَّكَ الْمَاجِدُ الَّذِي
لِيَفْخَرْ أُولُو الْفَخْرِ الْمَنِيفِ بِأَنْكُمِ
إِمَامُ عُلُومِ مُغْتَلِي الْقَدَرِ لَمْ يَزَلْ
وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَلَ أَمْرُهَا
إِذَا الْحَقُّ أَبَدَى نَوْرَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ
وَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ
هَنِيئًا لَنَا بَلْ لِلْقَضَاءِ وَفَضْلِهِ
أَمَاتَ بِهِ الرَّحْمَنُ كُلَّ ضَلَالَةٍ
وَكَاثِنَ تَرَاهُ لَا يَزَالُ مَلَاذِمًا
وَمَا زَالَ قَدَمًا لِلْحَقِيقَةِ حَامِيًا
وَيَمْنَحُ أَفْضَالَ وَيُولِي أَيَادِيًا
يُقَيِّدُ أَحْرَارًا بِمَنْطِقِ جُودِهِ
نَعَمْ إِنْ يَكُنْ لِلْفَضْلِ شَخْصٌ فَإِنَّمَا
أَيَا نَائِرًا أَسْنَى الْمَعَارِفِ وَالْغِنَا
أَلَا أَلْقَى عَصَا التَّسْيِيرِ وَاعْشَى لِنَارِهِ
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ قَوْلُهُ^(٥): [الطويل]
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَأَيَّقَنْتُ
فَلَا أَرْهَبُ الْأَيَّامَ إِذْ كُنْتُ مَلْجَأِي^(٦)

وَهَنُتُ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْمُجَدِّدِ
وَحَوَّلْتُ مِنْ نُعْمَى وَأَسْدَيْتُ مِنْ يَدِ
وَمَا لَكَ مِنْ مَعْجِدِ وَرَفْعَةٍ مُخْتَدِ
مَخَائِلُ إِسْعَادِ تَرْوُحٍ وَتَغْتَدِي^(١)
بِأَنْ سَوْفَ تَلْقَى كَامِلًا كُلَّ مُقْصِدِ
تَسَامَى عُلُوقًا فَوْقَ كُلِّ مَمْجِدِ
لَهُمْ عِلْمٌ أَعْلَى، بِهِ الْكُلُّ مُقْتَدِي
رَدَاءِ الْمَعَالِي وَالْعَوَارِفِ يَرْتَدِي^(٢)
جَلَالِي^(٣) بِرَأْيِ الْحَقِيقَةِ مُرْشَدِي^(٤)
رَأَيْتَ لَهُ حُدَّ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ
سَوَائِيَّةَ مَا بَيْنَ دَانٍ وَسَيِّدِ
بِقَاضٍ حَلِيمٍ فِي الْقَضَاءِ مُسَدِّدِ
وَأَخِيَا بِمَا أَوْلَاهُ شُرْعَةً أَحْمَدِ
لَأَمْرِ بِعُزْفٍ أَوْ لِإِزَامِ بِمَسْجِدِ
وَلِلشَّرْعَةِ الْبَيْضَاءِ يُهْدَى وَيَهْتَدِي
وَإِحْسَانُهُ لِلْمُغْتَفِينَ بِمَرْصَدِ
فَمَا إِنْ يَنْبِي عَنْ مُطْلَقٍ أَوْ مُقَيَّدِ
بِشِيمَتِهِ الْغُرَاءِ فِي الْفَضْلِ يَنْتَدِي
وَيَا طَارِقًا يَطْوِي الشَّرَى كُلَّ قَدْغَدِ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقَدِ
بِرَحْمَاكَ أَمَالِي قَضَخَ^(٦) يَقِينِي
وَحَسْبِي يَقِينِي بِالْيَقِينِ^(٨) يَقِينِي

(٢) في الأصل: «يرتد» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «مرشد» بدون ياء.

(٥) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٢).

(٧) في النسخ: «ملجأ».

(١) في الأصل: «وتغتد» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لها» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في المصدرين: «أضخ».

(٨) في الكتيبة: «قاليقين».

ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطّه، قال مما نظمه فلان، يعني نفسه في كتاب الشّفا، نفع الله به: [الكامل]

سلّ بالعلی وسنّی المعارف یبهر
 وهل المفاخر^(١) غیر ما شهدت به
 همّ ما همّ شرقاً ونیل مراتب
 ورثوا الهدی عن خیر مبعوث به
 وعیاض^(٢) الأعلى قداحاً فی العلّی
 بشفائه^(٣) تشفی الصدور وإنه
 هو للتّوالف روح صورته وقل
 أفنت محاسنه المدائح مثل ما
 وله الیّد البیضاء فی تألیفه
 هو مورد الهیم العیاش هفت
 فبه نال من الرضی ما تبغی
 انظر إلیه تمیمة من کل ما
 لكأنتی بك یا عیاض مهناً
 لكأنتی بك یا عیاض منعماً
 لكأنتی بك یا عیاض متوجّاً
 لكأنتی بك راویاً من حوضه
 فعلى محبته طویت ضمائرنا
 ما إتهن لشرعة الهادی الرضا
 فجزاك ربّ العالمین تحية
 وسقى هزیم الودق مضجعك الذي
 هل زانها إلا الأئمة مغشّر؟
 أيّ الكتاب وخازنها الأغصّر؟
 يوم القيام إذا يهول المخشّر
 فخراً هديهم النعيم^(٢) الأكبر
 منهم وحوله الفخار الأظهر
 لرشاد نار بالشّهاب^(٥) الثّيز
 هو تاج مفرقها البهيّ الأنور
 لمعيده بعد الثناء الأغطر
 عند الجميع ففضلها لا ينكر
 بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر
 ويكونه فينا ثغاث وتُمطر
 تخشى من الخطب المهول وتحذر
 بالفوز والملاّ العلّی مبشّر
 بجوار أحمد يغتلي بك مظهر
 تاج الكرامة عند ربك تُخبر
 إذ لا صدّى ترويه إلا الكوثر
 وضحت شواهدا بكثبك تؤثر
 صدف يُصان بهن منها جواهر
 يهب النعيم سريرها والمنبر
 ما زال بالرّحمن يؤم ويغمر

(١) في الأصل: «المفاخر» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «هديهم للنعيم» وهكذا ينكسر الوزن. والهدي: ما أهدي إلى الحرم من النعم.

(٣) هو الفقيه عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة. ويبدو أن القصيدة في مدح القاضي عياض والتنويه بكتابه «الشفا».

(٤) يشير إلى كتاب القاضي عياض وهو «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».

(٥) في الأصل: «به الشهاب» وهكذا ينكسر الوزن.

وقال في محمل الكتب: [الطويل]

أنا الحَبر في حمل العلوم وإن ثَقُلَ
أَقْبِدُ ضروبَ العلم ما دمت قائما
خدمتُ بتقوى الله خيرَ خليفة
أبا سالم لا زال في الدهر سالما
بأنى حُلَيَّ عن حُلاهنَّ تُغْدِلُ
وإن لم أقم فالعلم عني بمغزِلِ
فبؤانى من قُربه خير منزلِ
يُسَوِّغُ من شُربِ المنى كلَّ مَنهلِ

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعمائة في النوم،
كَانَ الوزير أبا علي بن عمر بن يَخلف بن عمران القُدودي، يأمره أن يجيب عن كلام
مَنْ كَتَبَ إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم، ولم يحفظ منها غير هذين البيتين:
[المقارب]

وإنى لأجزي بما قد أتاه
بتمكين وُدِّ وإثبات عَهْدِ
صديقي احتمالا لفعل الجفاء^(١)
وأجزالِ خَمْدٍ وَيَذُلِ حِيَاءِ

ومن نظمه في التورية^(٢): [الخفيف]

ويخيل لَمَّا دعوه لِسُكْنَى
قال لي مَخْزَنُ بداري فيه
منزلٍ بالجَنانِ ضَنْ بِذلك
جل^(٣) مالي فلست للدار تارك^(٤)
ولا تُعَرِّجُ على الجَنانِ بِسُكْنَى
ولتكن ساكنًا بمَخْزَنِ مالِك^(٥)

ومن ذلك أيضًا^(٦): [الكامل]

يا رَبِّ مُنْشَأَةٌ عَجِبْتُ لَشَأْنِهَا
سَكَنْتُ بِجَنَبَيْهَا^(٧) عَصَابَةٌ شَدَّةُ
وقد احتوت في البحر أعجبَ شَانِ
حَلَّتْ محلَّ الروح في الجُثمانِ
في جنسها^(٨) ليست من الحيوانِ
فتحرَّكتْ بإرادةٍ مَعِ أَنِهَا

(١) في الأصل: «الحرقاء» وهو لا معنى لها، وكذلك ينكسر الوزن. والجفاء: البر.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). (٣) في النفح: «كل».

(٤) في الأصل: «شاك» وهكذا بدون معنى، وكذلك ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) تورية بجهنم؛ لأن اسم خازنها من الملائكة مالك.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). وقد قيلت في وصف
مركب أو سفينة.

(٧) في الأصل: «بجنبها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الأصل: «حسنها» والتصويب من المصدرين.

وَجَرَتْ كَمَا قَدْ شَاءَ^(١) سُكَّانَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ^(٢)
 وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ^(٣): [الوافر]
 وَذِي خُدَعٍ دَعَا لَشَتَاغٍ وَمَا عَرَفُوهُ غَنًا مِنْ سَمِينٍ
 فَأَظْهَرَ^(٤) زُهْدَهُ وَغِنَى بَمَالٍ وَجَيْشُ الْجِرْصِ مِنْهُ فِي كَمِينٍ
 وَأَقْسَمَ لَا فَعَلْتُ^(٥) يَمِينٍ^(٦) خَبٌ فَيَا عَجَبًا لِحِلَافٍ^(٧) مُهِينٍ
 يَقْدُ بِسِيرِهِ وَيَمِينِ جَلْفٍ^(٨) لِيَأْكُلَ بِالْبِيسَارِ وَبِالْيَمِينِ

شيء من نشره

خاطبته من مدينة سَلا بما نصه، حسبما يظهر من غرضه: [الطويل]
 مَرِضْتُ فَأَيَّامِي لَذَاكَ مَرِيضَةٌ وَيَبْرُوكُ مَقْرُونُ بَبْرُئِي اعْتِلَالُهَا
 فَمَا رَاعَ ذَاكَ الذَّاتَ لِلضَّرِّ رَائِعٌ وَلَا وَسِمَتْ بِالسُّقْمِ غُرٌّ خِلَالُهَا
 وينظر باقي الرسالة في خبر التعريف بمؤلف الكتاب.

فراجعني عن ذلك بما نصه: [الطويل]

مَتَى شِئْتَ أَلْقَى مِنْ عِلَالِكَ كُلِّ مَا يُنِيلُ مِنَ الْأَمَالِ خَيْرَ مَنَالِهَا
 كَبِرَ اعْتِلَالُكَ مِنْ دُعَائِكَ زَارِنِي وَعَادَاتُ بَرٍّ لَمْ تَرُمْ عَنْ وَصَالِهَا

أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطوِّلاً بتأكيد البرِّ، متفضلاً بموجبات الحمد والشكر. ورَدَّدْتُني سِمَاتِ سَيِّدِي الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى مَغْهُودِ تَشْرِيفِهِ، وَفَضْلِهِ الْغَنِيِّ عَنْ تَعْرِيفِهِ، مُتَحَفِّيًا فِي السُّؤَالِ عَنْ شَرْحِ الْحَالِ، وَمُعَلِّيًا مَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ، وَالشُّرْفِ الْعَالِ، وَالْمَعْظَمِ عَلَى مَا يَسُرُّ ذَلِكَ الْجَلَالَ، الْوِزَارِي، الرَّئِيسِي، أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَهُ، كَمَا أَعْلَى فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ يَدُهُ، ذَلِكَ بِبِرْكَ دُعَائِهِ الصَّالِحِ، وَحُبِّهِ

(١) في الأصل: «شاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) أخذه من المثل: «الشان في السكان لا في المكان». وهنا يورثي بكلمة «السكان» التي تعني أيضًا الخشبة التي تدار بها السفينة، أي دفة السفينة.

(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٥٨) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٤) في الكتيبة: «فيظهر». (٥) في الكتيبة: «قبلت».

(٦) في الأصل: «بمن خب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين. والخب: الخداع.

(٧) في الأصل: «الخلاف»، والتصويب من المصدرين.

(٨) في المصدرين: «يفر يسره ويمين خب».

المُخَيِّم بين الجوانح . والله سبحانه محمود على نعمه ، ومواهب لطفه وكرمه ، وهو سبحانه المسؤول أن يسنى لسيدى قراز الخاطر ، على ما يسره في الباطن والظاهر ، يَمُنُّ الله وفضله ، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته . كتبه المعظم الشاكر ، الداعي المحب ، ابن رضوان وفقه الله .

ومما خاطبني به ، وقد جَرَّت بيني وبين المتغلب على دولتهم ، رُقَاعٌ ، فيها سِلْم وإيقاع ، ما نصه :

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وَخَطَرًا ، وسما ذكره في الأنديّة الحافلة ثناءً وشُكْرًا ، وسما فخره في المراتب الدينيّة والدينيّة حمداً وأجرًا ، أبقاك الله جميل السّغي ، أصيل الرأى ، سديد الرمي ، رشيد الأمر والنهي ، ممدوحاً من بُلغَاءِ زمانك ، بما يقصر بالتواضع والعشّي ، مفتوحاً لك باب القَبُول ، عند الواحد الحق . وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية ، وللإحسان غاية ، ولشاهد الحسن تَبْرِيْز ، ولشوب الأدب تَطْرِيْز ، وفي التّقْد إِبْرِيْز ، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجائبه ، ولا يحيد الفضل كله عن مذاهبه ، من كل أسلوب طار في الجو إغراباً وإغراباً ، ومَلَك من سحر البيان خطاباً ، وحُمد ثناء مُطالاً وحديثاً مُطاباً ، شأن من قَصْر عن شأو البلغاء ، بعد الإغياء ، ووقف دون سباق البديع بعد الإغياء ، فلم يُشَقَّ غُبارُه ، ولا اقْتَفِيَتْ إلّا بالوَهْم آثارُه ، فله من سيدي إتحاف سَرٍّ ما شاء ، وأحكَم الإنشاء ، وبرّ الأكابر والأنشاء ، فما شئت من إفصاح وكتابة ، وبرّ ورعاية ، وفهم وإفهام ، وتخصيص وإبهام ، وكبح لظرف النفس وقمع ، وخَفْض في الجواب ورفع ، وتحرّج وتورّع ، وترقّص وتوسّع ، وجماع وأصحاب ، وعَتَب وإعتاب ، وإدلال على أخباب ، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض ، والمقاصد السّالمة جواهرها من الأغراض ، جملةً جمعت المحاسن ، وأمتعت السامع والمُعّين ، وحلّت من امتِناعها مع السهولة الحَرَم ، إلّا من زاد الله تلك المعارف ظهوراً ، وجعلها في شرع المكارم هُدًى ونوراً . وأما شكر الجنب الوزاري ، أسماء الله ، بحكم النّياية عن جلالكم ، فقد أبلغت فيه حمدي ، وبذلت ما عندي ، ووَدّي لكم وُدّي ، ووزدّي لكم من المُخالصة لكم وِرْدِي ، وكل حالات ذلك الكمال ، مُجْمَع على تفضيله ، مُعْتَمَد من الشّناء العاطر بإجماله وتفصيله . وأما مُؤدّيهِ إليكم أخي وسيدي الفقيه المعظم ، قاضي الحضرة وخطيبها ، أبو الحسن ، أدام الله عزّته ، وحَفِظ أُخُوّته ، فقد قرّر من أوصاف كمالاتكم ، ما لا تفي بتقريره الأمثلة من أولي العلم بتلك السّجايَا الغرّ ، والشّيم الزّهر ، وما تحلّيتُم به من التقوى والبرّ ، والعدل والفضل ، والصبر والشكر ، ولَحْنَل المتاعب في أمور الجهاد ، وترك الملاذ والدّعة في مرضاة

ربَّ العباد، والإعراض عن الفانية، والإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خَلَمَت السعادة عليكم مطارفها، وأجزلت غوارفها، وجمعت لكم تالدها وطارفها، زكَّى الله ثوابها وجدَّد أثوابها، ووصل بالقبول أسبابها. وذُكر لي أيضًا من حسناتكم، المَنقبة الكبيرة، والقُرْبَة الأثيرة، في إقامة المارستان^(١) بالحضرة، والتَّسبُّب في إنشاء تلك المَكْرَمَة المبتكرة، التي هي من مُهِمَّات المسلمين بالمحلِّ الأعلى، ومن ضروريات الدين بالمزينة الفضلى، وما دَخَره القَدَر لكم من الأجر في ذلك السعي المشكور، والعمل المبرور، فسَرَّني لتلك المجادة إحراز ذلك الفضل العظيم، والفوز بثوابه الكريم، وفخره العميم. ومعلوم، أبقاكم الله، ما تقدَّم من ضياع الغُرباء والضعفاء من المُضَيِّ فيما سلف هنالك، وقَبْل ما قُدِّر لهم من المُرْتَقى العظيم وبذلك، حتى أن مَنْ حَفِظ قول عمر، رضي الله عنه، والله لو ضاعت نخلة بشاطئ الفرات لَخِفْتُ أن يُسأل الله عنها عمر. لا شك في أن مَنْ تقدَّم من أهل الأمر هُنَالِكُمْ، لا بدَّ من سؤاله عَمَّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. والحمد لله على ما خصَّكم به من مزية قوله ﷺ: إذا أراد الله بخليفة خيرًا، جعل له وزيرًا صالحًا، إن نسي ذكره، وإن ذكَّر أعانه.

وأما «كتاب المحبة»^(٢)، فقد وقف المَعْظَم على ما وجَّهتهم منه، وقوفًا ظهر بمزية التأمل، وعَلِم منه ما تَرَك للآخر الأول، ولم يشك في أن الفضل للحاكي، وشَتان بين الباكي والمُتَبَاكِي. حقًا لقد فاق التَّأليف جَمْعًا وترتيبًا، وذهب في الطُّرق الصوفية مذهبًا عجيبًا. ولقد بهرت معانيه كالعرائس المجلوة حسنا ونضارة، وبرعت بدائعها وروائعها سنى وإنارة، وألفاظًا مُختارة، وكؤوسًا مُدارة، وغيوثًا من البركات مِدرارة، أحسن بما أدته تلك الغُرر السافرة، والأمثال السائرة، والخمائل الناضرة، واللالىء المُفَاخرة، والنجوم الزاهرة. أما إنه لِكِتَاب تضمَّن رُبدة العلوم، وثمره الفُهوم، وإن موضوعه للباب اللُّباب، وخُلاصة الألباب، وفَذْلُكَ الحساب، وفَتَح الملك الوهاب، سَنَى الله لكم ولنا كماله، وبلغ الجميع مَنَّا آماله، وجعل السَّعي فيه

(١) هو المارستان الكبير الذي أقامه ابن الخطيب بالحاضرة غرناطة في أثناء توليه الوزارة في عهد الغني بالله السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد تحدَّث عنه ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة عند ترجمة الغني بالله في عنوان: «بعض مناقب الدولة لهذا العهد».

(٢) «كتاب المحبة» لابن الخطيب، وله اسم آخر هو «روضة التعريف بالحب الشريف».

خالصاً لوجهه، وكفيلًا بمعرفته بمثله وكرمه، وهو سبحانه يُبقي بركاتكم، ويكلاً ذاتكم الكريمة وحوزتكم، بفضله وطوله وقوته، والسلام الكريم يخصكم به كثيرًا أثيرًا، مُعَظَّم مقداركم، ومُلتزم إجلالكم وإكباركم، ابن رضوان، وفقه الله، وكتب في الثامن والعشرين لرجب من عام سبعة وستين وسبعمائة.

وهو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. وله تردّد إلى حضرة غرناطة، واجتياز وإمام.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد
ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن
ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطي، قُلعي^(١) الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع»^(٢): هو المشهور باليربطول^(٣)، زاد على أخيه بخفة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى مالقة، فما زال بها يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقلب طرّفه مما نال من ولاياتها بين الخيل والخول، حتى أن ابن عسكر، قاضي مالقة وعالمها، كان من جملة مَنْ مَدَّحه، وتوسّل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنّف له شجرة الأنساب السعيدية. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يومًا على الوالي بغرناطة، السيد أبي إبراهيم^(٤)، وجعل يساره، وكان مُختصًا به، واقتضى ذلك أن ردّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبي الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردّ وجهه إليه، وقال: اغتذِرْ لكم بأمر ضروري، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيدنا، فانقلب المجلس ضحكًا. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمي

(١) نسبة إلى قلعة يُخَصَّب Alcalá la Real أي القلعة الملكية، ويحصب قبيلة، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد لابن سعيد الأندلسي، صاحب كتابي المغرب ورايات المبرزين.

(٣) أغلب الظن أنها كلمة إسبانية.

(٤) هو السيد أبو إبراهيم ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدى. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٣٨٧).

المشهور أيضًا بخفة الروح، وكان مُسلطًا على بني سعيد، فبينما هو واقف، إذ النخاس ينادي على فرس: فَمَ يشرب من القادوس، وَعَيْنٌ تحصد بالمنجل، فقال له: يا قائد، أبا محمد، سِرْ بنا من هنا لئلا تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يُخفِ عليه أن تلك صورته، فقال: سَلْ جارتك عنها، فمضى لأُمّه، وأوقع بينها وبينه، فحلف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: واتفق أن جُزْتُ بدار أم الحضرمي، فرأيتَه إلى ناحية، وهو كئيب مُنكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لي عن أمّه وعن نفسه: النساء يرمين أبناء الزنا صغارًا، وهذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترميني ابن خمسين سنة، فقلت له: وما سبب ذلك؟ فقال: ابن عمك يوسف الجمال، لا أخذ الله له بيد، فما زلتُ حتى أضلّحتُ بينها وبينه.

ومن نوادر أجوبته المُسكتة، أنه كان كثير الخلطة بمراكش لأحد السادة، لا يفارقه، إلى أن ولي ذلك السيد، وتمول، واشتغل بدُنياه عنه، فقيل له: نرى السيد فلانًا أضرب عن صُخبتك ومُنادمتك، فقال: كان يحتاج إليّ وقتًا كان يتبخر بي، وأما اليوم، فإنه يتبخر بالعود والنّدّ والعنبر. وقال له شخص كان يُلقب بـ «فُسَيوات» في مجلس خاص: أي فائدة في «اليربطول»؟ وفيه ذا يُحتاج إليه؟ فقال له: لا تَقُلْ هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. وتكلّم شخص من المُترفين فقال: أمس بِعنا الباذنجان التي بدار خالتي، بعشرين مثقالًا، فقال: لو بعتم الكريز التي فيها لساوى أكثر من مائة.

وأخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن علي بن موسى: وقَعْتُ في رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه، فمنها في رسالة عن السيد أبي العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة، ويصلكم به إن شاء الله، القائد الأجل الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، أبو محمد أدام الله كرامته، وكتب سلامته، وهو الأكيد الحُرمة، القديم الخِدمة، المرعي المائة والدّمة، المُستحق البرّ في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عَقِبِ عمار بن ياسر، رضوان الله عليه، وحَسْبُكُمْ هذا مَجْدًا مؤثلاً، وشرقًا موصلاً، ومنها تَعَيَّنَ بيته وسَلَفُه، واختصاصهم من الثّجابه والظهور، بأنّوه الاسم وأشرفه، وكونهم بين مُعْتَكِف على مضجعه، أو مُجاهد بِمُزْهِفِه ومُثَقِّفه، ومنها سَبَقُهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميُزهم بأثرة الشُّفوف والتمييز، ومنها الانقطاع إلى أخيكُم، مُجِدُّ مَوْرده ومَضْدِرِه، وكَرَم مَغِيبه ومَخْضِرِه، وهذه وسائل شتى، وأدّمة قلّ ما تتأثى لغيره.

وفاته: كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حَكَم: شاهدته قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي^(١) أيام ثورته، وهو بشتلية^(٢) مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد
ابن أشعث الرُعيني^(٣)

من^(٤) أهل أرجدونة^(٥) من كورة رِيّه، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أبي المجد.

حاله: كان^(٦) من أعلام الكُور^(٧) سَلَفًا، وترتُبًا، وصَلَحًا، وإِنَابَةً، ونِيَّةً في الصالحين، مُتَّسِعُ الدُّرْعِ للوارد، كثير الإيثار بما تيسر، مليح التخلُّق، حسن السُّنَمَتِ، طَيِّب النفس، حسن الظنِّ، له حظٌّ من الطُّلب، من فقهه وقراءات وفريضة، وخَوْضٍ في طريقة الصوفية، وأدب لا بأس به، قطع عُمره خطيبًا وقاضيًا ببلده، ووزيرًا، وكتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السُّداد.

مشيخته: قرأ^(٦) على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزبير؛ رَحَّلَ إليه من وطنه عام اثنين وتسعين وستمائة، ولازمه وانتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز والعربية، وسمع عليه الكثير من الحديث، وعلى الخطيب الصوفي المحقق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري، وعلى الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد، وسمع على الشيخ القاضي الراوية أبي محمد التُّبعدي، والوزير المُعَمَّر

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، عرف بالبياسي نسبة إلى بياسة التي استولى عليها. ولأه العادل الموحدي قرطبة، فخلع دعوة العادل في سنة ٦٢٣ هـ، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم، فقام أهل قرطبة عليه وقتلوه وبعثوا برأسه إلى العادل بمراكش. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٧١ - ٢٧٣).

(٢) شتلية أو شنت ياله: حصن قريب من حصن بلاي، يبعد عن قرطبة ٢٣ ميلًا، ويقع غربي مدينة استجة ويبعد عنها ١٥ ميلًا. نزهة المشتاق (ص ٥٧٢).

(٣) ترجمة الرعيني في الكتيبة الكامنة (ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢) وهو فيه: «عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعث الرعيني».

(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢).

(٥) أرجدونه أو أرشدونة: بالإسبانية Archidona وهي قاعدة كورة رِيّه، تقع قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٥).

(٦) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢). (٧) في النفح: «الكورة».

المحدث الحسيب أبي محمد عبد المنعم بن سيماك العاملي، والعذل الراوية أبي الحسن بن مستقور. وقرأ بمالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخار، وأجازه من أهل المشرق طائفة.

شعره: مما حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد، قال: نظم الفقيه القاضي الكاتب أبو بكر بن شبرين بيت الكتاب مألّف الجملة، رحمهم الله، هذين البيتين^(١): [الطويل]

ألا يا مُجِبَّ المصطفى، زِدْ صَبَابَةً وَضَمُخْ لِسَانَ الذُّكْرِ مِنْهُ بِطِيبِهِ
ولا تَغْبَأَنَّ بِالْمُنْبَطِلِينَ فَإِنَّمَا عِلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله^(٢): [الطويل]

فَمَنْ يَغْمُرُ الْأَوْقَاتَ طُرّاً بِذِكْرِهِ فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدَى كَنَصِيبِهِ
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُغْرَضًا طَوَّلَ ذَهْرُهُ^(٣) فَكَيْفَ يُرَجِّحُهُ شَفِيعَ ذَنْبِهِ؟

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية^(٢): [الطويل]

أَلَيْسَ الَّذِي جَلَّى دُجَى الْجَهْلِ هَذِيهُ بِنُورِ أَقْمَنَّا بَعْدَهُ نَهْتَدِي بِهِ؟
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَابِهِ^(٤) شُكْرُ مُنْعَمٍ فَمَشْهُدُهُ^(٥) فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ

وقال أبو بكر بن أرقم^(٢): [الطويل]

نَبِيٌّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحَيْرَةٍ إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَخَلِّ خَصِيْبِهِ
فَهَلْ يَذْكُرُ^(٦) الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ وَيَغْمِطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ؟

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيلاً كذلك^(٢): [الطويل]

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا: حِجَابُكَ ذِكْرُهُ فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِيُوبِهِ
وَذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ قَرْضٌ مُؤَكَّدٌ وَكُلُّ مُجِئٍ قَائِلٌ بِوُجُوبِهِ

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣٠). (٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣١).
(٣) في النفع: «عمره». (٤) في النفع: «من ذاته». (٥) المراد بـ «مشهده»: شهوده، أي حضوره.
(٦) في النفع: «ينكر».

وقال يوماً شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في اختبار الأذهان^(١): [الخفيف]

جاهد النفس جاهداً فإذا ما فَنِيْتُ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الْوَجُودِ
وليكن حُكْمُكَ^(٢) الْمُسَدَّدَ فِيهَا حُكْمَ سَعْدٍ^(٣) فِي قَتْلِهِ لِلْيَهُودِ

قال: فأجابه أبو محمد بن أبي المجد^(٤): [الخفيف]

أيها العارف الْمُقْبِرُ ذوقاً عن معانٍ غزيرة في الوجودِ
إنَّ حَالِ الْفَنَاءِ^(٥) عَنْ كُلِّ غَيْرٍ كمقام^(٦) الْمُرَادِ غَيْرِ الْمُرِيدِ
كيف لي بالجهادِ غَيْرَ مُعَانٍ وَعَدُوِّي^(٧) مُظَاهَرٍ بِجَنُودِ؟
ولو آتني حُكْمٌ فِيمَنْ ذَكَرْتُمْ حُكْمَ سَعْدٍ لَكُنْتُ جِدُّ سَعِيدِ
فأراها ضَبَابَةً^(٨) بِي قَتُونَا وأراني في حُبِّهَا كِيَزِيدِ
سوف أسلو بحبكم^(٩) عَنْ سِوَاهَا وَلَوْ أَبَدْتُ فَعَلَ الْمُحِبِّ الرُّدُودِ
ليس شيءٌ سِوَى إِلَهِكَ يَبْقَى واعتبرْ صِدْقَ ذَا بَقُولٍ لَبِيدٍ^(١٠)

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حال لا يتمالك معها، وربما أَوْحِشَتْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِهَا.

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي، تلمساني، يكنى أبا محمد، وينتمي إلى بني زيان من بيت أمرائهم.

- (١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١). (٢) في النفح: «حكمها».
- (٣) هو سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، سَيِّدُ الْأَنْصَارِ، حَكَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فِي يَهُودِ بَنِي قَرِيطَةَ.
- (٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١ - ٤٣٢).
- (٥) في الأصل: «الفناء» وكذا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنَ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.
- (٦) في الأصل: «المقام» والتصويب من النفح.
- (٧) في الأصل: «وعدوّه»، والتصويب من النفح.
- (٨) في النفح: «حبابة».
- (٩) في النفح: «بنصحكم عن هواها».
- (١٠) يشير إلى قول ليد بن ربيعة العامري: [الطويل]
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ، زَائِلٌ
ديوان ليد بن ربيعة العامري (ص ١٣٢).

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر...^(١) قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون، وله بأحواله عناية، وله إليه تردد كثير وزيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، وهو طفل صغير، واستقر بقثورية في ديوان غزانها. ولما توفي أبوه سلك مسلكه برهة، ورفض ذلك، وجعل يتردد بين الولد، وانقطع لشأنه.

حاله: هذا الرجل غريب التزعة في الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض جبال بني مشرف، واتخذ فيها كهوفاً وبيوتاً من الشجر أزيد من أربعين عاماً، وهلم جراً، منفرداً، لا يداخل أحداً، ولا يلبسه من العرب، ويجعل الحلفاء في عنقه...^(٢) اختلف فيه، فمن نسب ذلك إلى التلبيس وإلى لؤثة تأتيه، وربما أثاب بشيء، ويطلبون دعاءه ومكالمته، فربما أفهم، وربما أبهم.

محنته: ذكروا أنه ورث عن أخ له مالاً غنياً، وقدم مالقة، وقد سرق تاجر بها ذهباً عيناً، فأتهم بها، فبجرت عليه محنة كبيرة من الضرب الوجيع، ثم ظهرت براءته، وطلب الحاكم الجائر منه العفو، فعفا عنه، وقال: لله عندي حقوق وذنوب، لعل بهذا أكفرها، وصرف عليه المال فأباه، وقال: لا حاجة لي به فهو مال سوء، وتركه وانصرف، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر.

شيء من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى، وتفريج الكربات...^(٣)، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة، وهو عام سبعين وسبعمائة.

مولده: بتلمسان عام تسعين وستمائة. ودخل غرناطة غير ما مرة.

عبد الله بن فرج بن عزّلون اليحصبي^(٢)

يعرف بابن العسال، ويكنى أبا محمد، طليطلي الأصل. سكن غرناطة واستوطنها، الصالح المقصود الثربة، المبرور البقعة، المفزع لأهل المدينة عند الشدة.

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة ابن العسال في الصلة (ص ٤٣٥) والمغرب (ج ٢ ص ٢١) ورايات المبرزين (ص ١٤٠) وفيهما: «أبو محمد عبد الله العسال». ومعجم السفر (ص ٢٢٣) وفيه أنه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الطليطلي الواعظ، المعروف بابن العسال» ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٨٣، ٢٠٠) و(ج ٦ ص ١٢١).

حاله: قال ابن الصيرفي: كان، رحمه الله، فذاً في وقته، غريب الجود، طزفاً في الخير والزهد والورع، له في كل جو مُتَنَفِّس، يضرب في كل عِلْمٍ بِسْهُمْ، وله في الوعظ تواليف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيّدة الرّضعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يُحَلِّقُ في الفقه، ويجلس للوعظ. وقال الغافقي^(١): كان فقيهاً جليلاً، زاهداً، مُتَفَنِّئاً، فصيحاً لِسِناً، الأغلبُ عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظاً، عارفاً بالتفسير، شاعراً مطبوعاً. كان له مجلس، يُقْرَأُ عليه فيه الحِفْظُ والتفسير، ويتكلم عليه، ويقصُّ^(٢) من حِفْظِهِ أحاديث. وألف في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريباً في قوته، فذاً في دهره، عزيز الوجود.

مشيخته: روى^(١) عن أبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عمرو المقرئ الدّاني، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، وعن أبيه فَرَج، وعن أبي زيد الحشاء القاضي، وعن القاضي أبي الوليد الباجي.

شعره: وشعره كثير، ومن أمثل ما رُوي منه قوله: [مخلع البسيط]

لست وَجِيهاً لدى إلهي في مبدأ الأمر والمعادِ
لو كنت وَجِيهاً^(٣) لما براني في عالم الكون والفسادِ

وفاته: توفي، رحمه الله، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين. ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال. وكان له يوم مشهود، وقد تيف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به.

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد]^(٤)

ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله^(٥)

الخليفة الممتنع، المجذود، المظفر، البعيد الذكر، الشهير الصيت.

(١) قارن بالصلة (ص ٤٣٥). (٢) في الصلة «وينص».

(٣) في الأصل: «وجيهاً» وهكذا ينكر الوزن.

(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصول، وقد أضفناه من المصادر التي ترجمت لعبد الرحمن الناصر.

(٥) ترجمة عبد الرحمن الناصر في تاريخ علماء الأندلس (ص ٣١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني=

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٣ / م ٢٣

حاله: كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمى أمير المؤمنين، ولي الخلافة فعلا جده، ويعد صيته، وتوطأ ملكه، وكان خلافته كانت شمساً نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السن، وجدة العمر، فجدد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزين الملك، ووطد الدولة، وأجرى الله له من السغد ما يعظم عنه الوصف ويجل عن الذكر، وهباً له استيزال الثوار والمنافقين واجتثاث جراثيمهم.

بنوه: أحد عشر^(١)، منهم الحَكَم الخليفة بعده، والمنذر، وعبد الله، وعبد الجبار.

حُجَّابُه: بدر مولا، وموسى بن حذير.

قضاته^(٢): جملة، منهم: أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقي، ومنذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راض».

أمه: أم ولد تسمى مُزَنَة. وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين^(٣).

دخوله إلى البيرة: قال المؤرخ^(٤): أول غزوة غزاها بعد أن استخجَب بدرًا مولا، وخرج إليها يوم الخميس رابع^(٥) عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مُقَوِّضًا إليه، ومُستدعيًا نصره، واستتلاف الشاردين، وتأمين الخائفين، إلى ناحية كورة جيان، وحصن المُتَلَوْن، فاستنزل منه سعيد بن هذيل، وأتاب إليه من كان نافرًا عن الطاعة، مثل ابن اللبانة، وابن مَسْرَة، ودحون الأعمى. وانصرف إلى قرطبة، وقد تجول، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان، وبَسْطَة، وناجرة، والبيرة، وبجانة،

= (ص ٢٨) والحلة السبراء (ج ١ ص ١٩٧) وأخبار مجموعة (ص ١٣٥) وجذوة المقتبس (ص ١٢) وبغية الملتبس (ص ١٧) والمعجب (ص ٥٤) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٧٩) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٩٨) والمغرب (ج ١ ص ١٨١) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩٣) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٧) وصفحات متفرقة من نفع الطيب.

(١) أي أحد عشر ذكرًا، كما جاء في الجمهرة. (٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦).

(٣) الصواب مستهل ربيع الأول سنة ثلاثمائة، كما جاء في مصادر ترجمته.

(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦١).

(٥) في البيان المغرب: «يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت...».

والبُشْرَة، وغيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. وعلى عهده توفي ابن حَفْصُون^(١). وجرت عليه هزيمة الخُندُق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة^(٢)، وطال عمره، فملك نيِّفًا وخمسين سنة، ووُجد بخطه: أيام السُّرور التي صَفَتْ لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا، فعُدَّت، فوجدت أربعة عشر يومًا.

وفاته: في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة^(٣).

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية^(٤)
يكنى أبا المطرف، ويلقب بالمرتضى.

حاله وصفته: كان أبيض أشقر أفتى، مخفف البدن، مدور اللحية، خيرًا، فاضلاً، من أهل الصلاح والتقى، قام بدولته خيرًا العامري، بعد أن كثر السؤال عن بني أمية، فلم يجد فيهم أسدى للخلافة منه، بورعه وعفافه ووقاره، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده، فاستجاب الكل إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاء والشيوخ وجعلوها شورى، وانصرفوا يريدون قرطبة، وبدأوا بصنّهاجة بالقتال، فكان نُزوله بجبل شقشتر على محجة واط.

وفاته: ^(٥) يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمئة. وكانت الهزيمة على عساكر المرتضى، فتركوا المحلات وهربوا، وقُسى فيهم القتل، وظفرت صنّهاجة من المتاع والأموال بما يأخذه الوصف، وقُتل المرتضى في تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، وقد بلغ سنّه نحو أربعين.

(١) توفي عمر بن حفصون سنة ٣٠٦ هـ.

(٢) جاء في أخبار مجموعة (ص ١٣٧) أن الناصر هزم عام ٣٢٦ هـ في غزاة اسمها القُدرة، أتبَح هزيمة، لم تكن له بعدها غزوة بنفسه.

(٣) في الحلة السيرة: توفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ.

(٤) ترجمة المرتضى في جذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتبس (ص ٢٧) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ٥٨) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠١) والمعجب (ص ٩٨) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١) وأعمال الأعلام - القسم الثاني (ص ١٣٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٣٧) وفيها اسم جدّه: «عبد الملك» بدلًا من «عبد الله»، والمغرب (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢١) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٣) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩).

(٥) هنا نقص كلمة وهي تعيين اليوم الذي توفي فيه المرتضى، وعن ذلك قارن: بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٦) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٣١، ١٣٨، ٢٢٩). وجاء في الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١): توفي المرتضى سنة ٤٠٧ هـ.

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس^(١)

يكنى أبا المَطَرُف، وقيل: أبا زيد، وقيل: أبا سليمان، وهو الداخل إلى الأندلس، والمُجَدِّد للخلافة بها لذريته، والملقب بصقر بني أمية^(٢).

حاله: قال ابن مفرج: كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذ العزم، بريئاً من العجز، مستخفاً للثقل، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكمل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه. وعلى ذلك فكان شجاعاً، مقداماً، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، بليغاً، مقوِّهاً، شاعراً مُحَسِّناً، سَمَحاً، سَخِيّاً، طَلَق اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، وَيَغْتَمُّ به ويؤثره. وكان أُعْطِيَ هَبِيَّةً من وليه وعدوه لم يَغْطِهَا واحد من الملوك في زمانه. وقال غيره: وألقى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغراً مِنْ أُنْأَى الثغور القاصية، غُفْلاً من سَمَةِ المُلْك، عاطلاً من جَلِيَّة الإمامة، فَأَزْهَبَ أهلَه بالطاعة السلطانية، وحركهم بالسيرة الملوكية، ورفعهم بالآداب الوسطية، فآلبسهم عَمَّا قَرِيب المودَّة، وأقامهم على الطريقة. وبدأ يَدُون الدواوين، وأقام القوانين، ورفع الأواوين، وقَرَضَ الأعطية، وأَنْقَذَ الأقضية، وعقد الألوية، وجنَّد الأجناد، ورفع العِمَاد، وأوثق الأوتاد، فأقام للمُلْك آله، وأخذ للسلطان عُدَّتَه.

نبذة من أوليته: لما ظهر بنو العباس بالمشرق، ونجا فيمن نجا من بني أمية، معروفًا بصفته عندهم، خرج يُؤمُّ المغرب لأمرٍ كان في نفسه، من مُلْك الأندلس، اقتضاه جِدْثَان، فسار حتى نزل القَيْرُوان، ومعه بَذْرُ مولاة، ثم سار حتى لحق بأخواله من نِفْزَةٍ، ثم سار بساحل العُدوة في كنف قوم من زُناتة، وبعث إلى الأندلس بَدْرًا، فدخل له بها مَن يُوثق به، وأجاز البحر إلى المُنْكَب، وسأل عنها، فقال: نَكَبُوا عنها، ونزل بشاط من أحوازها، وقدم إليه أولو دعوته، وعقد اللِّواء،

(١) ترجمة عبد الرحمن الداخل في أخبار مجموعة (ص ٤٩) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٦) وجذوة المقتبس (ص ٨) وبغية الملتبس (ص ١٢) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٦) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٤٨) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٦٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٤٧) والحلة السيرة (ج ١ ص ٣٥) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٢) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩١) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٤٥) وصفحات أخرى متفرقة.
(٢) لقبه في المصادر التي ترجمت له هو: «صقر قریش».

وقصد قرطبة في خبر يطول، وحروب مبيرة، وهزم يوسف الفهري، واستولى على قرطبة، فبُيع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

دخوله البيرة: قالوا: ولما انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري، لحق بالبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وأحاط به، فنزل على صلح، وانعقد بينهما عقد، ورهنه يوسف ابنته؛ أبا زيد وأبا الأسود، وشهد في الأمان وجوه العسكر، منهم أمية بن حمزة الفهري، وحبيب بن عبد الملك المرواني، ومالك بن عبد الله القرشي، ويحيى بن يحيى اليحصبي، ورزق بن النعمان الغسالي، وجدار بن سلامة المذحجي، وعمر بن عبد الحميد العبدي، وثعلبة بن عبيد الجذامي، والخريش بن حوار السلمي، وعثاب بن علقمة اللخمي، وطالوت بن عمر اليحصبي، والجراح بن حبيب الأسدي، وموسى بن خالد، والحصين بن العقيلي، وعبد الرحمن بن منعم الكلبي، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة. نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، ووجب ذكره، فاجتزأت بذلك، فراراً من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، والإحاطة لله.

بلاغته ونشره وشعره: قال الرازي: قام بين يديه رجل من جند قنسرين، يستنجد به، وقال له: يا ابن الخلائف الراشدين والسادات الأكرمين، إليك فرزنا، وبك عذت من زمن ظلوم، ودهر غشوم قلل المال، وذهب الحال، وصير إليّ بذاك المنال، فأنت وليّ الحمد، ورؤى المجد، والمزجو للرفد. فقال له ابن معاوية مسرعاً: قد سمعنا مقالتك، فلا تعودن ولا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المسألة، والإلحاف في الطلبة، وإذا ألم بك خطب أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا في رقة لا تعدو ذكياً، تستر عليك خلّتك، وتكف شماتة العدو بك، بعد رفعها إلى مالكننا ومالكها عن وجهه، بإخلاص الدعاء، وحسن النية. وأمر له بجائزة حسنة. وخرج الناس يعجبون من حسن منطقه، وبراعة أدبه.

ومن شعره: قوله، وقد نظر إلى نخلة بمئية الرصافة، مفردة، هاجت شجته إلى تذكر بلاد المشرق^(١): [الطويل]

تَبَدُّثُ لَنَا وَسَطُ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بِلَدِ النُّخْلِ

(١) الأبيات في الحلة السيرة (ج ١ ص ٣٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٦٠) ونفع الطبيب (ج ٤ ص ٤٦).

فقلت: شبيهي في التغرب والثوى وطول الثنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك^(١) غواصي المزن من صوبها^(٢) الذي يسح ويستمرى^(٣) السماكين بالوبل

وفاته: توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر^(٤) سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو ابن تسعة وخمسين عامًا، وأربعة أشهر، وكانت مدة ملكه ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر^(٥)، وأخباره شهيرة.

وجرى ذكره في الرجز المسمى بقطع السلوك، في ذكر هذين من بني أمية،
قولي في ذكر الداخل: [الرجز]

وغمر الهول كقطع الليل وجلت الفتنة في أندلس
فأسرع السير إليها وابتنز صقر قريش عابد الرحمن
جدد عهد الخلفاء فيها ثم أجاب داعي الحمام
وقام بالأمر الحفيد الناصر فأقبل السغد وجاء النضر
وعادت الأيام في شباب سطا وأعطى وتغاضى ووفى
فعاد من خالف فيها واثزى وأوقع الروم به في الخندق
واتصلت من بعد ذا فتوح فاغتنموا السلم لهذا الحين
بفتنة الفهري والصميل فأصبحت فريسة المفترس
وكل شيء بقضاء وقدر باني المعالي لبني مروان
وأسس الملك لمثرفيها وخلف الأمر إلى هشام
والناس مخضرون بها وحاصر وأشرق الأمن وضاء القصر
وأصبح العدو في تباب وكلما أقدره الله عفا
وحارب الكفار دأبا وغزا فانقلب الملك بسغي مخفي
تغدو على مشواه أو تروح ووصلت إرسال قسطنطين

(١) في البيان المغرب: «سقاك».

(٢) في النفع: «في المتأى» بدلًا من: «من صوبها».

(٣) في الأصل: «ويستمرى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

(٤) في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٠٣): «توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة».

(٥) جاء في كتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٩) أن مدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة.

وساعد السَّعْدَ فَنالَ واقتنى
ثم بنى الزُّهْرَ فيما قد بنى
حتى إذا ما كُملتْ أيامُهُ
سبحان مَنْ لا ينْقُضي دَوامُهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَةَ وأعيانها، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحكيم، وجدُّه يحيى،
هو المعروف بابن الحكيم، وقد تقدم ذكر جُمْلَةٍ من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه الله، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض والعزلة، مجانبا
لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعِفَّة، مَرْضِي الحال، معدودا في أهل التَّزَاهَةِ والعَدَالَةِ،
وأفرط في باب الصَّدَقَةِ بما انقطع عنه أهل الإثراء من الْمُتَصَدِّقِينَ، ووقفوا دون شَأْوه.
ومن شهير ما يُروى من مناقبه في هذا الباب، أنه اعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً،
وفي ذلك يقول بعض أدباء عصره:

أعتق بكل عُضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً واعتدُّ ذلك دُخْرًا لِيَوْمِ الْعَقَبَةِ

لا أَجِدُ مَنَقِبَةً مِثْلَ هَذِهِ الْمَنَقِبَةِ

مُشِيخَتُهُ: روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرَال، وعن أبي محمد بن
عبد الله بن عبد العظيم الزهري، وأبي البركات بن مَوْدُود الفارسي، وأبي الحسن
الدَّبَّاج، سمع من هؤلاء وأجازوا له. وأجاز له أبو أمية بن سعد السُّعُود بن عُفَيْر،
وأبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: وكان شيخنا القاضي
العالم الجليل أبو الخطَّاب بن خليل، يَطْنُب في الثناء عليه، ووقفت على ما خاطبه به
معربًا عن ذلك.

شعره: منقولاً من «طُرْفَةِ العصر» من قصيدة يرَدُّها المؤذنون منها:

[البسيط]

كم ذا أعلل بالتَّشْوِيفِ والأمل قلبا تغلب بين الوجود والوجَلِ
وكم أجزد أذيال الصُّبَا مَرَحًا في مَنْرَحِ اللّهُو وفي مَلْعَبِ الغَزَلِ
وكم أماطل نفسي بالمتاب ولا عَزَمَ فيوضح لي عن واضح السُّبُلِ
ضَلَلْتُ والحقُّ لا تخفى معالِمُهُ شَتَّانَ بين طريق الجِدِّ والهَزَلِ

وفاته: يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين

وستمائة.

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي^(١)

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الفرس، ويُلقَّب بالمُهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان^(٢) فقيهاً جليلاً القدر، رفيع الذَّكر، عارفاً بالنحو واللغة والأدب، ماهر^(٣) الكتابة، رائق الشعر، بديع التَّوشيح، سريع البديهة، جارياً على أخلاق الملوك في مَرْكبه وملبسه وزِيَّه. قال ابن مسعدة^(٤): وطىء من درجات العزِّ والمجد أعلاها، وفرع من الأصالة مُنتماها. ثم علت همته إلى طلب الرُّئاسة والمُلْك، فارتحل إلى بلاد العُدوة، ودعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخَلْقُ الكثير، والجُمُ الغفير، ودَعَوْه باسم الخليفة، وحيَّوه بتحية الملك. ثم خائنه الأقدار، والدهر بالإنسان غدار، فأحاطت به جيوش الناصر^(٥) بن المنصور، وهو في جيش عظيم من البربر، ففُطِع رأسه، وهُزِم جيشه، وسيق إلى باب الخليفة، فعُلِق على باب مَرَاكش، في شبكة حديد، وبقي به مدة من عشرين سنة^(٦).

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نبهاء وقته لولا حدة كانت فيه أدت به إلى ما حدثني به بعض شيوخه من صحبه. قال: خرجنا معه يوماً على باب من أبواب مراكش برسم الفُرْجة، فلَمَّا كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس مُعلَّقة، وتعوذنا بالله من الشرِّ وأهله، وسألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منا، وقال: هذا خَوْزُ طريقة وخَساسة هِمة، والله ما الشرف والهِمة إلا في تلك، يعني في طَلِبِ الملك، وإن أدَّى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصِّفة. قال: فما برحت الليالي والأيام، حتى شرع في ذلك، ورام الثورة، وسيق رأسه إلى مراكش، فعُلِق في جملة تلك الرؤوس، وكتب عليه، أو قيل

(١) ترجمة عبد الرحيم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ٦٠) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧٠) والمغرب (ج ٢ ص ١١١، ١٢٢) وكتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٢) وبغية الرعاة (ص ٣٠٥).

(٢) قارن بغية الرعاة (ص ٣٠٥). (٣) في البقية: «باهر».

(٤) ابن مسعدة: هو أحد شيوخ عبد الرحيم الخزرجي، وقد أخذ عنه النحو. بغية الرعاة (ص ٣٠٥).

(٥) هو الخليفة الموحيدي محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

(٦) جاء في بغية الرعاة أن رأسه فُطِع وعُلِق على باب مراكش في سنة إحدى وستمائة، وهو ابن ست وثلاثين سنة. وجاء في التكملة والحلة السيرة أنه قتل في نحو الستمائة.

فيه : [الطويل]

لقد طَمَحَ المُنْهَرُ الجُمُوحَ لغاية ففَطَعَ أعناقَ الجِيَادِ السُّوابِقِ
جَرَى وَجَرَتْ رِجْلَاهُ لَكُنْ رَأْسَهُ أتى سَابِقًا والجِسْمَ ليسَ بِسَابِقِ
وكانت ثورته ببعض جهات دَرْعَةٍ من بلاد السُّوسِ .

مُشَيِّخَتُهُ : أخذ عن صِهره القاضي أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم ، وعن غيره من أهل بلده ، وتفقه بهم ، وبهر في العَقْلِيَّاتِ والعلوم القديمة ، وقرأ على القاضي المحدث أبي بكر بن أبي زَمَنِينَ ، وتلا على الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن عروس ، والأدب والنحو على الأستاذ الوزير أبي يحيى بن مَسْعُودَةٍ . وأجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العطار . ومن شعره في الثورة^(١) : [البسيط]

قولوا لأولاد^(٢) عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادثِ الجَلَلِ
قد جاء^(٣) فارسُ^(٤) قَظْطَانٍ وسيِّدُها^(٥) ووارثُ المُلْكِ^(٦) والغَلَابِ للدولِ

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي : [الكامل]

الله حَسْبِي لا أريد سواه هل في الوجود الحق إلا الله؟
ذات الإله بها تقوم دولتنا^(٧) هل كان يوجد غيره لولاه؟
يا من يَلُودُ بذاته أنت الذي لا تَطْمَعُ الأبصارُ في مَرَاةِ
لا غرو أنا قد رأيناها بها فالحق يُظْهِرُ ذاته وتراه
يا من له وَجَبَ الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقياه
أنت الذي لَمَّا تعالى جدُّه قَصُرَتْ خطا الألباب دون حماه
أنت الذي امتلأ الوجود بحمده لَمَّا غدا ملآن من نُعمَاهِ
أنت الذي اخترع الوجود بأسره ما بين أعلاه إلى أدناه

(١) البيتان ضمن أربعة أبيات، في المغرب (ج ٢ ص ١١١) وجاء فيه أنه يخاطب فيها بني عبد المؤمن . وهي كذلك في كتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٣) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧١) .

(٢) في كتاب العبر والحلة السيرة : «الأبناء» . (٣) في الحلة السيرة : «أنكُم» .

(٤) في كتاب العبر والمغرب : «سيد» . وفي الحلة السيرة : «خير» .

(٥) في المغرب والحلة السيرة «وعالمها» : وفي كتاب العبر : «وعاملها» .

(٦) في كتاب العبر والمغرب : «ومتهى القول» . وفي الحلة السيرة : «وصاحب الوقت» .

(٧) كذا ينكسر الوزن، ولو قال : «دولة» لَصَحَّ الوزن .

أنت الذي خَصَصْتَنَا بوجودنا أنت الذي عَرَفْتَنَا معناه
 أنت الذي لو لم تُلَخْ أنواره لم تُعَرَفِ الأضدادُ والأشباه
 لم أَفْشِ ما أَوْدَعْتَنِيهِ إِنَّهُ ما صان بِرُّ الحَقِّ مَنْ أَفْشاه
 عَجِزَ الأنامُ عن امتداحك إنه تتضاءل الأفكار دون مداه
 مَنْ كان يعلم أنك الحقُّ الذي بهَزَّ العقولَ فَحَسْبُهُ وكفاه
 لم ينقطع أحد إليك محبةً إلَّا وأصبح حامدًا عُقْباه

وهي طويلة.....

(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، ويعرف بابن القصجة.

عديم رواء الحسن، قريب العهد بالنجعة، فارق وطنه وعيصره، واستقبل المغرب... الوفاة، وقدم على الأندلس في أخريات دولة الثاني^(٢) من الملوك النصريين، فمهد جانب البر له، وقرب مجلسه، ورعى وسيلته، وكان على عمل بر من صوم واعتكاف وجهاد.

نباهته: ووقف بي ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رسالة كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثاني الملوك النصريين، رحمهم الله، وعبر فيها عن نفسه: من عبد الله، المؤيد بالله، محمد بن سعد الحرسني، في غرض المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه الله، من فصولها: «ثم أنكم، رضي الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأوتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احترامًا لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام». وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة.

وفاته: توفي شهيدًا في الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر المرية عندما وقع الصريخ لإنجاده، ورفع العدو البرجلوني عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة.

(١) مكان البياض عنوان المترجم له، واسمه، كما سيأتي، محمد بن سعد الحرسني.

(٢) ثاني سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء

من ترجمة الطارئین منهم

عبد الرحمن^(١) بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أصبغ بن حسن^(٢) بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي

مالقي، يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شهر
بالسهيلى.

حاله: كان مقرئاً مجوّداً، متحقّقاً بمعرفة التفسير، غواصاً على المعاني البديعة،
ظريف التهذي إلى المقاصد الغريبة، محدثاً، واسع الرواية، ضابطاً لما يحدث به،
حافظاً متقدماً، ذاكرةً للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرّزاً في الفهم، ذكياً،
أديباً، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، نحويّاً، عارفاً، بارعاً، يقظاً، يغلب عليه علم العربية
والأدب. استُدعي آخرّاً إلى التدريس بمراكش، فانتقل إليها من مالقة، محلّ إقرائه،
ومثبواً إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلامذته^(٣) بالحرمين على خال أبيه الخطيب أبي الحسن بن عباس،
وبالسّبع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن علاء، وأبي العباس بن
خلف بن رضى، وروى عن أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قنّذلة، وأبي
الحسن شريح، وابن عيسى، ويونس بن مغيث، وأبي الحسن بن الطراوة، وأكثر عنه
في علوم اللسان، وأبي عبد الله حفيد مكّي، وابن أخت غانم، وابن مَعْمَر، وابن
نجاح، وأبي العباس بن يوسف بن يُمن الله، وأبوي القاسم ابن الأبرش، وابن
الرّمّاك، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دَحمان، وأبوي مروان بن بونة، وأبي
عبد الله بن بَخر. وناظر في «المدوّنة» على ابن هشام. وأجاز له ولم يلقه أبو العباس
عبّاد بن سرحان، وأبو القاسم بن وُزد.

(١) ترجمة عبد الرحمن الخثعمي في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) والتكملة (ج ٣ ص ٣٢) والمطرب
(ص ٢٣٠) والمغرب (ج ١ ص ٤٤٨) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩) وزاد المسافر (ص
٩٦) والديباج المذهب (ص ١٥٠) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٢٧١) والفلاكة والمفلوكون
(ص ١١٥) وبغية الرعاة (ص ٢٩٨) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ١٠٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص
٣١٦).

(٢) في وفيات الأعيان: «حسين».

(٣) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٢) وبغية الرعاة (ص ٢٩٩).

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه أبو إسحق الزوالى، وأبو إسحق الجاني، وأبو أمية بن عفير، وأبو بكر بن دحمان، وابن قنتوال، والمحمدون ابن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جو يحمات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحقار وسهل بن مالك، وابن العقاص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السراج، وأبو سليمان بن حوط الله، والسماي، وابن عياش الأندلسي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رُشيد، وابن ناجح، وابن جَمْهُور، وأبو عبد الله بن عياش الكاتب، وابن الجذع، وأبو علي الشلوبين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بقي، وأبو القاسم بن الطيلسان، وعبد الرحيم بن الفرس، وابن المَلْجُوم، وأبو الكرم جُودِي، وأبو محمد بن حوط الله، إلى جملة لا يحصرها الحد.

دخل غرناطة، وكان كثير التأمل والمدح لأبي الحسن بن أضحى، قاضيا ورئسها^(١)، وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرخ في الغرناطيين، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمَّن يثق به.

تواليفه: منها كتاب «الشريف»^(٢) والإعلام، بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام. ومنها شرح آية الوصية، ومنها «الروض الآنف»^(٣) والمشرع الرؤا، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واختوى. وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسائة، وفرغ منه في جمادى منها. ومنها «جلية الثبيل»، في معارضة ما في السبيل. إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القطان، قال: أنشدني أبو علي الرندي، قال: أنشدني أبو القاسم الشهيلي لنفسه^(٤): [الطويل]

أسائلُ عن جيرانه مَنْ لَقِيَتْهُ وأغرضُ عن ذكره الحالُ تَنطِقُ

(١) هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بغرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٣٩ هـ. توفي سنة ٥٤٠ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

(٢) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩): «التعريف... من الأسماء الأعلام». وفي التكملة (ج ٣ ص ٣٣): «التعريف... القرآن العزيز من الأسماء الأعلام». وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «التعريف... من الأسماء والأعلام».

(٣) هكذا في التكملة، وفي وفيات الأعيان وبغية الوعاة والمغرب: «الأنف».

(٤) البيتان في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣١٧).

وما لي إلى جيرانه مِنْ صِباة ولكن قلبي^(١) عن صُبُوح يوقُّ^(٢)

ونقلت من خطِّ الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم السهيلي، مذيلاً بيت أبي العافية في قطعة لزومية: [الطويل]

ولما رأيتُ الدهرَ تسطو خطوبُهُ بكل جَلِيد في الوري أو هداني^(٣)
ولم أر من جزز الودَّ بظله ولا مَنْ له بالحادثات يُداني
فَرَعْتُ إلى مَنْ مَلِكٌ^(٤) الدهرُ كفه ومن ليس ذو مُلك له بمران
وأغرَضْتُ عن ذكر الوري متبرِّماً إلى الرُّب من قاصٍ هناك ودانٍ
وناديتُه سرّاً ليرحم عَبرتي وقلتُ: رجائي قاذبي وهداني
ولم أذْعه حتى تطاول مُفضِلاً عليّ بِإِلْهام الدُّعاء وعان
وقلت: أَرْجِي عطفه متمثلاً ببيت لَعَبْد صائِل بَرْدان^(٥)
تغطيت من دهري بظلِّ جَناحه عسى أن تَري^(٦) دهري وليس يراني

قلت: وما ضرّه، غفر الله له، لو سَلِمَت أبياته من «بَرْدان»، ولكن أبث صناعة النحر إلّا أن تخرج أعناقها.

ومن شعره قوله: [المقارب]

تواضع إذا كنتَ تَبْغِي العلا وكُنْ^(٧) راسياً عند صَفْو الغَضَبِ
فخَفُضُ الفتى نفسه رِفْعَةً له واعتبرْ بِرُشُوب الذهبِ

وشعره كثير، وكتابه كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

وقال ملفزاً في محمل الكُتُب، وهو مما استحسن من مقاصده: [الخفيف]

حاملٌ للعلوم غير فقيه ليس يرجو أمراً ولا يثْقِيهِ
يحمل العلم فاتحاً قدميه فإذا انْضَمَّتَا^(٨) فلا عِلْمَ فِيهِ

(١) في النسخ: «نَفْسِي».

(٢) في بغية الملتبس: «يرفُق». وفي النسخ: «تُرَفَّقُ».

(٣) في الأصل: «وهدان» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «تملك»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) عجز هذا البيت منكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «فعسى ترى...» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وكنْتَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٨) في الأصل: «التقتا» وكذا ينكسر الوزن. وكلاهما بمعنى.

ومن ذلك قوله في المجينات^(١): [الكامل]

شَغَفَ الفؤادَ نواعِمَ أبكارٍ بَرَدَتْ فؤادَ الصَّبِّ وَهِيَ جِرَارُ
أَذكى من المِسْكِ الفَتِيقُ^(٢) لِنَاشِقٍ وألذُّ من صَهْبَاءٍ حِينَ تُدَارُ
وكانَ^(٣) من صافي اللُّجَيْنِ بطونها وكأَنَّمَا ألوانُهُنَّ نُضَارُ
صَفَّتِ البواطنُ والظواهرُ كلها^(٤) لكنْ حَكَّتْ ألوانُها الأزهارُ
عَجَبًا^(٥) لها وهي النعيمُ تصوغُها نارٌ، وأين من النُّعِيمِ النارُ؟

ومن شعره وثبت في الصُّلة: [المقارب]

إذا قلتَ يومًا: سلامٌ عليك ففيها شِفَاءٌ وفيها سَقَامُ
شِفَا إذ قلتَها مُقْبَلًا وإن قلتَها مُذْبِرًا فالجِمامُ
فاغْجَبْ لحال اختلافيهما وهذا سلامٌ وهذا سلامُ

مولده: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة^(٦).

وفاته: وتوفي في مراكش سحر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين وخمسمائة^(٧)، ودفن لظهره بجبانة الشيوخ خارج مراكش، وكان قد عمي سبعة عشر^(٨) عامًا من عمره.

عبد الرحمن بن هانيء اللخمي

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة.

- (١) الأبيات في المطرب (ص ٢٣٧). والمجينات: نوع من القطائف يضاف إليه الجبن ويقلى بالزيت.
- (٢) في الأصل: «العتيق لنا نَشَقًا وألذُّ من صَبًا...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المطرب.
- (٣) في المطرب: «فكأنما صافي اللجين قلوبها».
- (٤) في المطرب: «يثلُّها».
- (٥) في المطرب: «عجب».
- (٦) في التكملة (ج ٣ ص ٣٣): ولد سنة ٥٠٩، وقيل: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة. وفي وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٢٠): «ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة». ومثله جاء في المطرب (ص ٢٣).
- (٧) في بغية الملتبس: توفي سنة ٥٨٣ هـ.
- (٨) في الأصل: «عشرة» وهو خطأ نحوي. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة».

حاله: كان فقيهاً فاضلاً، وتجوّل في بلاد المشرق. قال: أنشدني إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاء ليس يُشبهه بلاء عداوة غير ذي حَسَبٍ ودين
يُنيلك منه عِرضاً لم يَصُنْه ويَزْتَعُ منك في عِرضٍ مَصُونٍ

عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن القصير^(٢).

حاله: كان^(٣) فقيهاً [مشاوراً، رفيع القدر جليلاً]^(٤)، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة، نقاداً لها، صاحب رواية ودراية، تقلّب ببلاد الأندلس، وأخذ الناس عنه بمزسية وغيرها. ورحل إلى مدينة فاس، وإفريقية، وأخذ بها، ووّلّي القضاء بتقرش^(٥) من بلاد الجريد.

مشيخته: روى^(٦) عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد، وعن عمّه أبي مروان، وعن أبوي الحسن بن ذُرّي، وابن الباذش، وأبي الوليد بن رُشد، وأبي إسحاق بن رشيق الطليطلي، نزيل وادي آش، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن وهب^(٧)، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأبي الحسن يونس بن مغيث، وأبي القاسم بن وُزد، وأبي بكر بن مسعود الخُشني، وأبي القاسم بن بَقِيّ، وأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، وغيرهم.

توآلفه^(٨): له توآلف وخطب ورسائل ومقامات، وجمّع مناقب من أدركه من أهل عصره، واختصر كتاب الجُمَل^(٩) لابن خاقان الأصبهاني، وغير ذلك، وآلف برنامجاً يضم رواياته.

من روى عنه: روى عنه ابن الملقوم^(١٠)، واستوفى خبره.

- (١) ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الأزدي في التكملة (ج ٣ ص ٣٠) والدياج المذهب (ص ١٥٢) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٤) وجذوة الاقتباس (ج ٢ ص ٣٩٤ رقم ٣٩٨).
- (٢) في جذوة الاقتباس: «ابن النصير».
- (٣) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٤) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من أزهار الرياض.
- (٥) في الأزهار: «وولي قضاء ثقبوس، ببلاد الجريد».
- (٦) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٧) في المصدرين: «موهب».
- (٨) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).
- (٩) في أزهار الرياض: «الجبل».
- (١٠) في أزهار الرياض: «أبو القاسم بن الملقوم».

وفاته: رَكِبَ^(١) البحر قاصداً الحج، فتوفي شهيداً في البحر؛ قتله الروم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صبح يوم الأحد، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة^(٢).

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفضال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريق في العدالة، ذكي، نبيل، مُختَصِر الجِزْم، شعلة من شعل الإدراك، مليح المحاور، عظيم الكفاية، طالب مُتَقِن. قرأ على مشيخة بلده، واختص منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبي سعيد ابن لب، واستظهر من حفظه كُتُباً كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، وارتسم في العُدول، وتعاطى لهذا العهد الأدب، فبرز في فنه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه ونثره، قوله يخاطب الكتاب، ويُسحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعل نسيمَ الريحِ يَشْرِي عَليهِ	فأهدي صحيح الودّ طيِّ سقيم
لتحملها عني وأزكى تحية	لقيث ^(٣) ككهف مائع ورقيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى	وشوق إليهم مُقْعِد ومقيم

يا كُتّاب المحلّ السامي، والإمام المُتَسامي، وواكف الأدب البَسامي، أناشدكم بانتظامي، في محبتكم وارتسامي، وأقسم بحقكم عليّ وحبذا إقسامي، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة، وأسعدتم بأفكاركم الثيرة الواقة، على إخراج هذا المُسمّى، وشرح ما أبهمه المُعَمّى، فلعمري لقد أخرق مزاجي، وفرّق امتزاجي، وأظلم به وهاجي، وغطى على مرآة ابتهاجي، فأعينوني بقوة ما استطعتم، وأقطعوني من مددكم ما قطعتم، وآتوني بذلك كله إعانة وسداً وإلاّ فها هو بين يديكم ففكّوا غلقه، واسرّدوا خلقه، واجمعوا مُضغّه المتباينة وغلّقه، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته، متصفاً بصفاته المذكورة ولذاته، قائلاً بتسليّه أسلوباً، مُصحفاً كان أو مقلوباً. وإن تأبى عليكم وتمنّع، وأدركه الحياء فتسّر وتقعّ، وضرب على آذان الشهداء، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء، فابعثوا أحدكم إلى

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠).

(٢) في التكملة: «فاستشهد بمرسى تونس في آخر سنة ١٥٧٦».

(٣) في الأصل: «لقية كهف» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

المدينة، ليسأل عنه خديته: [المتقارب]

أحاجي ذوي العلم والحلم ممن
عن اسم هو الموت مهما دنا
لذيذ وليس بذي طعم
وأطيب ما يجتنبه الفتى
مضجعه عشر الثلث في
وإن شئت قل: مَطْعَمُ ذمّه الر
وقد جاء في الذّكر إخراجهُ
وتصحيف ضِدْ له آخر
وتصحيف مَقْلُوبه ربه
فهاكم معانيه قد بدت

تري شغلة الفهم من زئده
وإن بات يُبْكَى على فقده
ويؤمر بالغسل من بعده
لدى ربة الحسن أو عبده
حساب المصحف من خذه
رسول وحض على بُغده
لقوم نبي على عهده
يُبارك للتحل في شهنده
تردد من قبل في رده
كنار الكريم على نخده

وكتب للولد، أسعده الله، يتوسل إليه، ويروم قضاء حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تصدق
عند ربّ الوزارتين أطال الـ
علّه أن يجيرني من زمان
واستطالت عليّ بالنهب جوراً
لم تدع لي بضاعة غير مُرْجَا
وإذا ما وقى لي الكيل يوما
فشفى بي غليله لا شفى بي
من لهذا الزمان مُذْ نال مني
غير أن يشفع الوزير ويذعو^(١)
دُمت يا ابن الوزير في عزك السا

في المقام العليّ لي بالوسيلة
له أيامه حسناً جميلة
مُسْنِي الضُرّ من خطاه الثقيلة
من يديه الخفيفة المُسْتَطيلة
وَنَزِرْ أهونَ به من قسيلة
خَشَفَا ما يُكيّله سوء كيلة
دون أبنائه الجميع غليلة
ليس لي بالزمان والله جيلة
عبده أو خديمه أو خليله
مي ودامت به الليالي كفيلة

سيدي الذي بعزة جاهه أصول، ويتوسلي بعنايته أبلغ المأمول والسؤل، وأروم
لما أنا أحوم عليه الوصول، ببركة المشفوع إليه والرسول، المرغوب من مجدك
السامي الصريح، والمؤمل من ذلك الوجه السني الصبيح، أن تقوم بين يدي نجوى
الشفاعة، هذه الرقاعة، وتعين بذاتك الفاضلة النفاة، من لسانك مضقاعة، حتى

(١) في الأصل: «ويذعو».

يَنجَلِي حَالِي عَنْ بَلَجٍ، وَأَتَنَسِّمُ مِنْ مَهَبَّاتِ الْقَبُولِ طِيبِ الْأَرْجِ، وَتَتَطَّلِعُ مُسْتَبْشِرَاتِ
فَرْحَتِي مِنْ ثَنِيَّاتِ الْفَرْجِ، فَإِنَّ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى، وَمَلَاذَ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ وَفَخْلَهَا
الْأَجَلَى، فَسَّحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِيدَانِ هَذَا الْوُجُودِ بِوُجُودِهِ، وَأَضْفَى عَلَى هَذَا الْقَطْرِ
مَلَابِسَ السُّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّيِّدِ وَسُعُودِهِ، وَيَلْغِي فِي جَمِيعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ وَمَقْصُودِهِ، قَلَمًا
تَضْمِنُ عِنْدَهُ شِفَاعَةَ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ، أَوْ يَخِيبُ لَدَيْهِ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعٍ كَبِدِهِ،
وَبِحَقِّكَ إِلَّا مَا أَمَرَتْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ، بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزَّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةِ،
وَقُلْ لَهَا قَبْلَ الْحُلُولِ بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، وَالْمَوْئِلِ الرَّحِيمِ، بِعَظِيمِ التَّوْقِيرِ
وَالْتَّبَجِيلِ، وَاعْلَمِي يَا أَيْتَهَا السَّائِلِ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمُؤْمَلُ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا
الْجِيلِ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي تَبْلِيغِ رَاجِيهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعْجِيلِ، وَخَاتِمَةُ كَلَامِ
الْبَلَاغَةِ وَتَمَامُ الْفَصَاحَةِ الْمُوقَفُ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّسْجِيلِ، وَغُرَّةُ صَفْحِ دِينِ الْإِسْلَامِ
الْمُؤَيَّدَةُ بِالتَّخْجِيلِ. وَهَذَا هُوَ مَدَبُّرُ فَلَكَ الْخِلَافَةُ الْعَالِيَةُ بِإِيَالَتِهِ، وَحَافِظُ بَذَرِ سَمَائِهَا
السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ، فَقَرِّي بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا، وَلَقَدْ قَضَيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِذَلِكَ دَيْنًا، وَإِذَا
قِيلَ مَا وَسِيلَةُ مُؤْمَلِّكَ، وَحَاجَةُ مُتَوَسِّلِكَ، فَوْسِيلَتُهُ تَشِيعُهُ فِي أَهْلِ ذَلِكَ الْمَعْنَى،
وَحَاجَتُهُ يَتَكَفَّلُ بِهَا مَجْدُكُمْ الصَّمِيمِ وَيُغْنِي، وَلَيْسَتْ تَكُونُ بِخُرْمَةٍ جَاهِكُمْ مِنَ الْعَرَضِ
الْأَدْنَى، وَتَمَنُّ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ هُنَالِكَ مَا تَمَنَّى، وَتَوَلَّى تَكْلِيفَ مَرْسَلِي بِحَسَبِ مَا
وَسَّعَكُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَغْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ. ثُمَّ أَفْنِ الْعِنَانَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ، وَأَعِيدِي السَّلَامَ،
ثُمَّ عَوِّدِي بِسَلَامٍ.

وخطب قاضي الحضرة، وقد أنكر عليه لباس ثوب أضفر:

أَبْقَى اللَّهُ الْمَثَابَةَ الْعَلِيَّةَ وَمَثَلَهَا أَعْلَى، وَقَدْحُهَا فِي الْمَعْلُوتَاتِ الْمُعْلَى، مَا لَهَا أَمَرَتْ
لَا زَالَتْ بَرَكَاتُهَا تَنَالُ، وَالْأَمْرُ مَا يَجِبُ الْإِمْتِثَالُ، بِتَغْيِيرِ ثَوْبِي الْفَاقِعِ اللَّوْنِ، وَإِحَالَتِهِ عَنْ
مُعْتَادِهِ فِي الْكَوْنِ، وَالْحَاقِقُ بِالْأَسْوَدِ الْجُونِ أَضْبَغُهُ جِدَادًا وَأَيَّامَ سَيِّدِي أَيَّامَ سُرُورٍ، وَبَنُو
الزَّمَانِ يَغْدُلُهُ ضَا حَكَّ وَمَسْرُورٍ، مَا هَكَذَا شِيْمَةُ الْبُرُورِ، بَلْ لَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَزْهَوْا لَهُ
كَالْمِيلَادِ، وَنَتَزَّيَّا فِي أَيَّامِهِ بِزَيِّ الْأَعْيَادِ، وَنَرْقُلُ مِنَ الْمَشْرُوعِ فِي مُخْبِرٍ وَمَوْزُوسٍ،
وَنَتَجَلَّى فِي حُلْلِ الْعَرُوسِ، حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنُ سَيِّدِي بِكَيْبِيَّةِ دِفَاعِهِ، وَقِيَمَةِ نَوَافِلِهِ وَإِشْفَاعِهِ،
فَفِي عِلْمِ سَيِّدِي الَّذِي بِهِ الْإِهْتِدَاءُ، وَبِفَضْلِهِ الْإِقْتِدَاءُ، تَفْضِيلُ الْأَضْفَرِ الْفَاقِعِ، حَيْثَمَا
وَقَعَ مِنَ الْمَوَاقِعِ، فَهُوَ مَهْمَا خَضَرَ نَزْهَةُ الْحَاضِرِينَ، وَكَفَاهُ فَاقِعَ لَوْنِهَا تَسْرُّ النَّاطِرِينَ.
وَلَقَدْ اغْتَمَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهِ تَطَرُّزُ الْمُخْبِرَاتِ وَالْأَعْلَامِ، وَإِنَّهُ لَزَيُّ الظُّرْفَاءِ،
وَشَارَةُ أَهْلِ الرُّفَاءِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سَيِّدِي دَامَ لَهُ الْبَقَاءُ، وَسَاعَدَهُ الْإِرْتِقَاءُ، يُنْهِيَ أَهْلَ
التَّهْرِيزِ، عَنْ مَقَارِبَةِ لَوْنِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ، خِيفَةَ أَنْ تَمِيلَ لَهُ مِنْهُمْ ضَرِبَةٌ، فَيَزْنُوا بِرَبِيبَةٍ،
فَنَنْعَمَ إِذَا وَنُعْمَى عَيْنٌ، وَنَسْمَعَا وَطَاعَةَ لِهَذَا الْأَمْرِ الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ، أَتَبَعُكَ لَا زَيْدًا وَعَمْرًا،

ولا أعصى لك أمراً، ثم لا ألبس بعدها إلا طمراً، وأتجرّد لطاعتك تجريداً، وأسلك إليك فقيراً ومزيّداً، ولا أتعرض للشحط بلبس شفيف أستنشق هبّاه، وألبس عبّاه، وأبرأ من لباس زى ينشئ عتاباً، يلقي على لسان مثل هذا كتاباً، وأثوب منه متاباً، ولولا أني الليلة صفر اليدين، ومُعْتَقِل الدّين، لباكزت به من حانوت صباغ رأس خابية، وقاع مظلمة جابية، فأصيّرهُ حالكاً، ولا ألبسه حتى أستفتي فيه مالِكاً، ولعلي أجْدُ فأرضي سيدي بالتزيي بشارته، والعمل بمقتضى إشارته، والله تعالى يُنْقِيه للحسنات يُنْبِئُ عليها، ويومي بعمله وحظّه إليها، والسلام.

وخاطبني وقد قدّم في شهادة الموارث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامت لنا غايثك القُضوى بلا قوت
طلبتُ إحيائي بكم فانتهى من قبله حالي إلى الموت
وحقّ ذاك^(١) الجاء جاء الغلا لا ميت إلا أن أتى وقُتني^(٢)

مولاي الذي أتأذى من جُور الزمان بذيّام جلاله، وأتعوذ من نقص شهادة الموارث بتمام كماله، شهادةً يأبأها المُفسر والحيّ، ويودّ أن لا يوافيه أجله عليها الحيّ، مُناقضة لما العبدُ بسبيله، غير مُربح قُطْمِيرُها من قليله، فإن ظهر لمولاي إعفاء عبّده، فمن عنده، والله تعالى يُمتّع الجميع بدوام سَعْدِهِ، والسلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته ومجده، ورحمة الله وبركاته. من عبد إنعامكم ابن الفضال لطف الله به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا شيئاً ولا ما^(٣) وفوني بعض أقوات
فكيف حالي لما أن شكّوتهم رجعت أطلب قوتي عند أمواتي^(٤)

والسلام يعود على جناب مولاي، ورحمة الله وبركاته.

وخاطب أحد أصحابه، وقد استخفى لأمر قُرف به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه، وفيه إشارة لغلط وقع في الإعراب: [البسيط]

يا شُغلة من ذكاء أرسَلت شررا إلى قريب من الأرجاء بعد قص
وشبهة حملت دعوى السّفاح على فخلّ يليق به مضمونها وخص

(١) في الأصل: «ذلك»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «وقت» بدون ياء.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أموات» بدون ياء.

رحماك بي فلقد جَرَّعْتَنِي غُصَصًا أثار تعريضها المكتوم من غُصْ
بَلَيْثَنِي بِشُكَاةٍ^(١) الْقَرْح فِي كَبْدِي كمِثْل مرتجف المجذوم بالبرص

أيها الأخ الذي رَقَى ومسح، ثم قَصَح، وغشَّ ونَصَح، ومَزَق ثم نَصَح، وتلاهَب بأطراف الكلام المشقَّق فما أَفْصَح، ما لَسَخَاتِكَ ذات الجيد المنصوص، توهم سِمَةَ الوُدِّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النصوص، وتؤنس على العموم، وتوحش على الخصوص، لا در دره من باب بر ضاع مفتاحه، وتأنيس حر سبق بالسجن استفتاحه، ومن الذي أنهى إلى أخي خبر ثقافي، ووثيقة تحبيسي وإيقافي، وقد أبى ذلك سَعْدُ قَرْعِهِ باسقى، وعزَّ عَقْدُهُ متناسق. ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ﴾^(٢)، بل المَثْوَى والحمد لله جنات وغرف، والمُنْتَهَى مجد وشرف، فإن كان وليي مكترثاً فيحق له السُّرور، أو شامِثاً فلي الظل وله الخُرور. أنا لا أزن والحمد لله بها من هنا، ولما أدين بها من عزِّي ومُناه، ولا تمرُّ لي ببال فلست بذي سيف ولست بنكال نفسي أرق شيمة، وأكرم مَشِيمة، وعيني أغرَّز ديمة، لو كان يُسأل لسان عن إنسان، أو مُجاولته بملعبه جِوان، أوقفني إخوان لا بمأزق عُدوان، لارتسمت منه بديوان، لا يُغني في حرب عوان. عين هذا الشكل والحمد لله فراره، وعنوان هذا الحد غراره. وأما كوني من جملة الصُّفْرة، وممن أجهز سيدي الفقار على ذي الفقرة، فأقسم لو ضرب القَتِيل ببعض البقرة، لتعين مقدار تلك العَفْرة. اللهم لو كنتُ مثل سيدي ممن تتضاءل النخلة السُّحوق لقامته، ويعترف عوج لديه بقماءته ودَمَامَتِهِ، مُقبل الظُّعن كالبُدر في سحاب الخُدر، وخليفة السيد الذي بلغت سراويله تندوة العدو الأيد، لطلت يباع مديد، وساعدني الخلق بساعد شديد، وأنا لي جسم شحت، يحف به بخت، وحسب مثلي أن يعلم في ميدان هوى تُسل فيه سيوف اللُحَاط، على ذوي الحِفاظ، وتشرع سيوف القُدود، إلى شكاة الصُدود، وتسطو أولو الجُفون السُّود بالأسود، فكيف أخشى تَبَعَةً تَزُلُّ عن صفاتي، وتنافي صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قنا ألفتني. والله يشكر سيدي على افتياله، ويحل كريم سيباله، على ما ظهر لأجلي من شَغَف باله، إذ رَفَعَ ما يُنصب، وغير ما لو غيره الحجاج لكان مع الهيبة يُحصب، ونكَّت بأن ثَقَّت بالحظ سوقي، وظهر لأجله فُسوقي، ويا حبذا هو من شَفيع زَفيع ووسيلة لا يخالفها الرُّغِي، ولا

(١) أصل القول: «بشكاة»، وكذا ينكسر الوزن، فاقترض حذف الهمزة، والشكاة: من نكأ القرحة إذا قشرها قبل أن تَبْرَأ.

(٢) سورة العنكبوت ٤٩، الآية ٦.

يخيب لها السعي. والله ذرُّ القاتل: [الكامل]

الله بالإنسان في تعليمه بوساطة القلم الكريم عناية
فالخطُ خطٌ والكتابة لم تزل في الدهر عن معنى الكمال كناية

وما أقرب، يا سيدي، هذه الدعوى لشهامتك، وكبر هامتك: [الكامل]

لو كنت حاضرهم بخندق بلج ولحمل ما قد أبرموه فصان
لخصّصت بالدعوى التي عُموا بها ولقيل: فصلّ جلاء الفصال
وتركت فرعون بن موسى عبرة تتقدّمه بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها، ولم تشهد يوم خليمتها. وأما اعتذارك عما يقلُّ من تفقّد الكثر، ومُنتطح العثر، فورع في سيدي أتم من أن يُتهم بغيبة، ولسانه أعف من أن يُنسب إلى ريبة، لما اتّصل به من فضل ضريبة، ومقاصد في الخير غريبة، إنما يستخف سيدي أفرط التهم، رمي العوامل بالتهم، فيجري أصحّ مجرى أختها، ويلبسها ثياب ثختها، بحيث لا إثم يترتب، ولا هو ممن تغيب^(١)، وعلى الرجال فجنايته عذبة الجنا، ومقاصده مستطرفة لفضح أو كنى. أبقاه الله رب نفاضة وجراة، ولا أخلى مبرّذه القاطع من برادة، وعوده الخير عادة، ولا أغدّمه بركة وسعادة، بفضل الله. والسلام عليه من وليّه المستزيد من وزش وليّه، لا بل من قلائد حليّه، محمد بن فركون القرشي، ورحمة الله وبركاته.

فراجع المترجم بما نصه، وقد اتهم أن ذلك من إملائي: [البسيط]

يا ملّيس النضح ثوب الغشّ مُتّهما يلوي النصيحة عنه غير مُتّكص
وجاهلاً باتخاذ الهزل مأدبة أشد ما يتوقى محمل الرخص
نصخته فقصاني فانقلبت إلى حال يغص بها من جملة الغصص
بالأمس أنكرت آيات القصاص له واليوم يُسمع فيه سورة القصص

ممن استعرت يا بابلّي هذا السحر، ولم تسكن بناصية السحر، ولا أعملت إلى بابل هاروت اميطاء ظهر، ومن أين جئت بقلائد ذلك النحر؟ أمّن البحر، أو مما وراء النهر؟ ما لمثل هذه الأزجيّة الفاتقة، استشفنا مهبك ولا قبل هذه البارقة الفاتقة، استكثرتنا غيئك، يا أيها الساحر ادع لنا ربك. أضغاث أحلام ما ثريه الأقلام، أم في لحظة تليد الأيام فرائد الأعلام؟ لقد عهدت برّبك مُحسن دُعاة، ما قرّعت شعابه، أو

(١) في الأصل: «تغيب» وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

مُصِيبًا فِي صُبابَةٍ، مَا قَرَعْتُ بَابَهُ، وَلَا اسْتَرَجَعْتُ قَبْلَ أَنْ أَغْبُرَ غُبابَهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِلْكَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ بَنَاتِ يِرَاعَتِكَ، لَا يِرَاعَتِكَ، وَمُعْتَرِسُ تِلْكَ الزُّهْرُ،
الطَّالِعَةُ كَالْكَوَاكِبِ الزُّهْرُ، مُخْتَلِسُ يَدِ اسْتَطَاعَتِكَ، لَا زِرَاعَتِكَ، وَإِلَّا فَنَطْرَحُ مَصَائِدَ
التَّعْلِيمِ وَالْإِنْشَاءِ، وَنَنْتَظِرُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ نَتَوَسَّلُ فِي
مَقَامِ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ، أَنْ نَنْقُلَ مِنْ غَائِلَةِ الْحَسَدِ إِلَى الْإِنْصَافِ، وَحَسْبِي أَنْ أَطْلَعْتُ
بِالْحَدِيقَةِ الْأَنْيَقَةِ، وَوَقَفْتُ مِنْ مُثْلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى حَقِيقَةٍ، فَالْفَيْتُ بِهَا بَيَانًا، قَدْ
وَضَحْتُ تَبْيَانًا أَوْ أَطْلَقْتُ عَنَانًا، وَمَحَاسِنَ وَجَدْتُ إِحْسَانًا، فَتَمَثَّلْتُ إِنْسَانًا، سَرَّحْتُ لِسَانًا،
وَأَجْهَدُ بَنَانًا، إِلَّا أَنْ صَادِحَ أَيْكَتِهَا يَتَمَلَّمُ فِي قَيْظٍ، وَيَكَادُ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ، فَيَفِيضُ
وَيَغِيضُ، وَيَهِيضُ وَيَنْهَضُ ثُمَّ يَهِيضُ، وَيَأْخُذُ فِي طَوِيلٍ وَعَرِيضٍ، بِتَشْيِيبٍ وَتَغْرِيبٍ،
وَيَتَنَاهَضُ فِي ذَلِكَ بَغِيرَ مَهِيضٍ، وَفَاتِنَ كَمَاثِمَهَا تَسْأَلُ عَنِ الصَّادِحِ، وَيَتَلَقَّفُ عَصَا
اسْتَعْجَالِهِ مَا يُفَكِّهُ الْمَادِحِ، وَيَحْرِقُ بِنَارِهِ زَنْدَ الْقَادِحِ، وَيَتَعَاطَى مِنْ نَفْسِهِ بِالْإِعْجَابِ،
وَيَكَادُ يَنَادِي مَنْ وَرَاءَ حِجَابٍ، إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٍ. إِيَّاهُ بَغِيرَ تَمْوِيهِ رَجْعِ الْحَدِيثِ
الْأَوَّلِ، إِلَى مَا عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ، لَا دَرْ دَرْهَا مِنْ نَصِيحَةٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَوَصِيَّةٍ مُودَّةٍ
صَرِيحَةٍ، تَعَلَّقْتُ بِغَيْرِ ذِي قَرِيحَةٍ، فَهِيَ اسْتَعْجَلَتْنِي بِدَاهِيَةِ كَاتِبٍ، وَاسْتَطَالَةَ ظَالِمٍ
عَاتِبٍ، قَدْ سَلَّ مُزْهَفُهُ، وَاسْتَنْجَدَ مُثْرَفُهُ، وَجَهَّزَهَا نَحْوُ كَيْبَيْتِهِ تُسْفِرُ عَنْ تَحْجِيلٍ، بِغَيْرِ
تَبْجِيلٍ، وَسَحَابَةٌ سِجْلٌ تَرْمِي بِسِجْجِيلٍ، مَا كَانَ إِلَّا أَنْ اسْتَقَلَّتْ، وَرَمَتْنِي بِدَائِمِهَا
وَأَنْسَلَتْ، وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، فَحَسْبِي اللَّهُ تُغْلِبُ عَلَى فَهْمِي، وَرُمِيتُ بِسَهْمِي،
وَقُتِلْتُ بِسِلَاحِي، وَأُسْكِرْتُ بِرَاحِي، بُرُتْ بُرُتْ، مِمَّا بِهِ دُهَيْتُ، أَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ لَمْ
تَذَنْ بِهَا مِنْ مَنَالٍ وَعِزٍّ، فَكَيْفَ بِهَا تَنْسِبُ إِلَيَّ بَعْدَكَ وَتُعْزِي؟ نَفْسِي الَّتِي هِيَ أَرْقُ
وَأَجْدَرُ بِالْمَعَالِي وَأَحَقُّ، وَشَكْلِي أَخْفُ عَلَى الْقُلُوبِ وَأَدْقُ، وَشِمَائِلِي أَمْلِكُ فَلَا
تُسْتَرِقُ، وَلِسَانِي هُوَ الَّذِي يُشَالُ فَلَا يُقَلُّ، وَقَدْرِي يُعَزُّ وَيُجَلُّ، عَمَّا فَخَرْتُ أَنْتَ بِهِ مِنْ
مَلْعَبٍ مَائِدَةٍ، وَمَجَالِ رِقَابٍ مُتَمَائِدَةٍ، فَحَاشَى سَيْدِي أَنْ يَقَعَ مِنْهُ بِذَلِكَ مَفْخَرٌ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ يَلْهُو وَيَسْخَرُ، وَمَوْجُ بَخْرِهِ بِالطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ تَزْخَرُ، وَعَيْنُ شَكْلِي هِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ
عَيْنُ الظَّرْفِ، الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَالطَّرْفِ. وَأَمَّا تَعْرِيبُ سَيْدِي بِصِغَرِ الْقَامَةِ، وَتَكْبِيرُهُ
لِغَيْرِ إِقَامَةٍ، فَمُطَرَّدُ قَوْلٍ، وَمُدَامَةُ عَوَلٍ، وَفَرِيضَةُ نَشْأٍ فِيهَا عَوَلٌ، إِذْ لَا مِبَالَةَ تَجَسُّمٍ
كَائِنًا مَا كَانَ، أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ، وَإِنَّمَا الْجَسَدُ لِلرُّوحِ مَكَانٌ، وَلَمْ يَبْقَ
إِلَيْهِ فَقْدُ يَرُوحٍ، وَقَدْ قَالَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، وَالْمَرْءُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، لَا بِمُسْتَظْهِرِ
عِيَانِهِ، وَلِلَّهِ دَرْ الْقَائِلُ: [الْكَامِلُ]

وَالرُّوحُ مَا وَقَّتْ لَهُ أَغْرَاضُهُ
وَالرُّوحُ سَابِغَةٌ بِهِ قَضْفَاظُهُ

لَمْ يُرْضِنِي أَنِّي بِجَسْمٍ هَائِلٍ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ جَسْمِي نَاحِلٍ

ولما وقَّع سيدي بمكتوبي على المرفوع والمنصوب، وظفرت يده بالمغصوب،
 والباحث المغصوب، لم يقلها زلة عالم، وإني وقد وجدتها مئنة حالم، فعدد وأعاد،
 وشدد وأشاد. هلاً عقيل ما قال، وعلم أن المقيل سيكون مقال، وزلة العالم لا ثقال،
 وأن الحرب سجال، وقبضة غيره هو المتلاعب في الحجال؟ وبالجمله فلك الفضل يا
 سيدي ما اعتني بمعناك، وارتفع بين مغاني الكرام مغناك، فمدة ركوبك الحمران لا
 تجارى، ولا يشق أحد لك غبارا. أبقاك الله تحفظ عرى هذا الوداد، ويشمل الجميع
 بركة ذلك الناد، والسلام عليك من ابن الفضال، ورحمة الله وبركاته.

وجعلا إلي التحكيم، وفوضا لنظري التفضيل فكتبت: [البسيط]

بارك عليها بذكر الله من قصص
 واذكر لها^(١) ما أتى في سورة القصص
 حيث اغتدى السحر يلهو بالعقول وقد
 أحال بين حؤول^(٢) كنيده وعصي^(٣)
 عقائل العقل والسحر الحلال قوت
 من كافل الضون بعد الكون جحر وصي^(٤)
 وأقبلت تنهادى كالبدور إذا
 بسخر من فلك النذور في حصص
 من لبدور وربات السخودورها
 المثل غير مطيع والمثيل^(٥) عصي^(٦)
 ما قرصة البذر والشمس المنيرة أن
 قيست بمن قاسها^(٧) من جملة القرص
 تالله ما حكمها يوما بمئتقص
 كلا ولا بذرها يوما بمئتقص
 إن قال حكمي فيها بالسواد فقد
 أمئت ما يخذر القاضي من الغصص

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٢) في الأصل: «حال» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «وعص» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «وص» بدون ياء. (٥) في الأصل: «والجثلان» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «عص» بدون ياء. (٧) في الأصل: «سوى» وكذا ينكسر الوزن.

أو كنت أَرْخَضْتُ في التَّرجيح مجتهدًا

لم يَقْبَلِ الوَزْعُ الفُتْيَا مع الرُّخص

يا مُذَلِّج ليل التَّرجيح، قِفْ فقد خَفِيت الكواكب، ويا قاضي طَرْفِ التَّحسين والتَّقبيح، تسامت والحمد لله المناكب، ويا مُسْتَوَكِّف خَيْرِ الوقِعة من وراءِ أقتام القِيعَة تُصَالِحَت المَواكب. خَضَخَصَ الحقُّ فارتفع اللُّجَاج، وتعارضت الأدلة فسقط الاختِجَاج، ووضعت الحرب أوزارها فسكن العَجَاج، وطاب نَخل الأَقلام بأزهار الأحلام فطاب المُجَاج، وقلْ لفرعون البيان وإن تأله، وبلد العقول وبله، وولّى بالغرور ودله. أوسع الكَنائن ثَلَا، ودونك أَيْدا شَثَلَا، وشَخَرَا حَثَلَا، لا خَطْمًا ولا أثَلَا. إن هذان لساحران إلى قوله: ويذهبا بطريقتكم المثلى وإن أثرت أدب الحليم، مع قصّة الكَلِيم، فقل لمُجِمل جِيادِ الثَّعاليم، وواضع جغرافيا الأقاليم، أُنْذَلُسَا ما عَلِمْتَ بلد الأَجَم، لا سُود العَجَم، ومداحض السُّقُوط، على شوك قَتَاد القُوط، ولم يَذَرِ إن محل ذات العجائب والأسرار التي تُضرب إليها أباطِ الثُّجَاب في غير الإقليم الأول، وهذا الوطن بشهادة القلب الحَوَّل، إنما هو رَسْمٌ دَارِسٌ ليس عليه من مَقُول. فهناك يتكلم الحق فيُفصِّح ويُعجم، ويرد المدد على النفوس الجريئة من مطالع الأضواء فيحدث ويُلهم، ويجود خازن الأمداد، على المُتَوَسِّل بوسيلة الاستعداد، فيقطع ويُشهم. وأما إقليمنا الرابع والخامس، بعد أن تكافأت المناظر والمَلَامِس، وتَنَاصَفَ الليل الدَّامِس واليوم الشَّامِس، باعتدال ربيعِي، ومجرى طَبيعِي، وذَكِي بَليد، ومعاش وتَوَلِيد، وطَريف في البداوة وتَلِيد، ليس به بِرباه ولا هَرَم، يخدم بها رَبُّ مُحترَم، ويشبُّ لِقَرياته حُرَم، فيفيد روحانيًا يتصرف، ورئيسًا يتعرَّض ويتعرَّف، كلما استنزل صاب، وأعمل الانتصاب، وجلب المآرب وأذهب الأوصاب، وعلم الجواب، وفهم الصواب. ولو فرضنا هذه المدارك ذوات أمثال، أو مَسْبُوقَة بمثال، لتلقينا منشور القضاء بامثال، لكثا نخاف أن نميل بعض الميل، فتُجَنِّي بذلك أبخس الجري وإرضاء الدُّمِيل، ونجرُّ تنازُع الفِهري مع الضَّمِيل. فمن خَيْر مِيز، ومن حَكَم أُرِي به وتُهِكُّم، وما سلَّ سيوف الخوارج، في الزمن الدَّارج، إلَّا التَّحَكِيم، حتى جَهِل الحَكِيم، وخلع الخِطام ونزع الشُّكِيم، وأضرَّ بالخلق نافع، وذهب الطفل لجراه واليافع، ودم الدِّمَام ورَدُّ الشَّافع، وقَطَر سيف قَطَري، بكل نجيع طَري، وزار الشَّيب الأسد الهَصور، وصلت الغزاة بمسجد الثَّقفي وهو محصور، وانتهبت المقاصير والقصور، إلَّا أن مُستأهل الوظيفة الشرعية عند الضرورة يُجبر، والمُنتدب للبرِّ مُحَيِّي عند الله ويُجبر، واجعلني على خزائن الأرض وهو الأوضح والأشهر، فيها به يُسْتَظْهَر. وأنا فإن حكمتُ على التَّعجِيل،

فغير مُشهِد على نفسي بالتسجيل، إنما هو تَلْفِيق يرضى وتُظْفِيل، يُغْتَب عليه من تصدع بالحق ويمضى، إلّا أن يُغضى، ورأيت فيها المراضاة والاستِصلاح، وإلّا فالسلاح والرُكّاب الطلّاح، والصلح خير، وما استُدفع بمثل التسامح ضير. ومن وقف عليه، واعتبر ما لديه، فليعلم أني صدّعت وقطعت، والحق أطفئت، وإن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت، والسلام.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد

ابن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي^(١)

من ذرية^(٢) عثمان أخي كُريب المذكور في ثبهاء ثوار الأندلس. وينتسب^(٣) سلفهم إلى وائل بن حُجر، وحاله عند القدوم على رسول الله ﷺ، معروف^(٤).

أوليته: قد ذكر بعض منها. وانتقل^(٥) سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة^(٦) عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، واستقر^(٧) بتونس منهم ثالث^(٨) المحمدين؛ محمد بن الحسن، وتناسلوا على سراوة^(٩) وحشمة ورسوم حسنة، وتصرّف جد المترجم به لملوكها^(١٠) في القيادة.

حاله: هذا^(١١) الرجل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصي الزيّ، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صغب المقادة، قوي الجأش، طامح لقن^(١٢) الرئاسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون عقلية وثقلية، متعدد المزاي، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، مغرّى بالتجلة، جواد الكف^(١٣)، حسن العشرة، مبدول

(١) ترجمة ابن خلدون في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ وما بعدها)، وجاء فيه أنه «عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن... والفضوء اللامع (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام (ج ٣ ص ٣٣٠).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦). (٣) في النفح: «وينسب».

(٤) في النفح: «معروفة». (٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦).

(٦) كلمة «وشهرة» غير واردة في النفح. (٧) في النفح: «فاستقر».

(٨) في النفح: «ثاني». (٩) في النفح: «على حشمة وسراوة».

(١٠) كلمة «الملوكها» غير واردة في النفح.

(١١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ - ٣٠٧).

(١٢) القن: جمع قنة وهي أعلى الجبل. لسان العرب (قن).

(١٣) كلمة «الكف» غير واردة في النفح.

المشاركة، مقيم لرسوم التّعين، عاكف على رَغِي خلال الأصالة، مَفْخَرَة^(١) من مفاخر التّخوم المَغْرِبِيَّة.

مشيخته: قرأ^(٢) القرآن ببلده على المَكْتَب ابن برال، والعربية على المَقْرَى الزواوي^(٣)، وابن العربي، وتأدب بأبيه، وأخذ عن المحدث أبي عبد الله بن جابر الوادي آشي. وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام، وروى عن الحافظ عبد الله^(٤) السّطّي، والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرَمِي، ولأزم العالم الشهير أبا عبد الله الأَبْلِي، وانتفع به.

توجّهه إلى المغرب: انصرف^(٥) عن^(٦) إفريقية منشئه، بعد أن تعلّق بالخدمة السلطانية على الحداثة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة. وعُرف فضله، وخطبه السلطان مُنْفَق سوق العلم والأدب أبو عنان فارس بن علي بن عثمان، واستقدمه^(٧)، واستخضّره بمجلس المذاكرة، فعرف حقه، وأوجب فضله، واستعمله في^(٨) الكتابة أوائل عام ستة وخمسين، ثم عظم عليه حملُ الخاصّة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التّأني، وشفوفه بثقوب الفهم، وجودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراءً عَصْدَه ما جُبِل عليه عندئذ^(٩) من إغفال التّحفظ، ممّا يريب لديه، فأصابته شدة تخلّص منها أجله؛ كانت مغربة في جفاء ذلك الملك، وهناة جواره، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله، [واستأثر به الاعتقال باقي أيام دولته على سُنَن الأشراف من الصّبر]^(١٠) وعدم الخشوع، وإهمال التّوسّل، وإبادة المكسّوب في سبيل التّفقّة، والإرضاخ على زمن المحنة، وجار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السّعيد ولده، فأغتنبه قيّم الملك لحيته، وأعادته إلى رسمه. ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم، وكان له به الاتصال، قبل تسوُّغ المحنة، بما أكد حُظوته، فقلّده ديوان الإنشاء مُطْلَق الجرايات، محرّر السّهام، نبيه الرّتبة، إلى آخر أيامه. ولما ألفت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله، مُدَبِّر الأمر، وله إليه قَبْل ذلك^(١١) وسيلة، وفي خليه شركة، وعنده حق، رآه تقصيره عمّا ارتمى إليه أمّله، فسأ ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المِريني.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧).

(٤) في النفح: «أبي عبد الله».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٧) كلمة «واستقدمه» غير واردة في النفح.

(٩) في النفح: «عهدئذ».

(١١) قوله: «قبل ذلك» غير وارد في النفح.

(١) في النفح: «مفخر».

(٣) في النفح: «الزواوي وغيره».

(٦) في النفح: «من».

(٨) في النفح: «على».

(١٠) ما بين قوسين غير وارد في النفح.

دخوله غرناطة: ورد^(١) على الأندلس في أوائل^(٢) شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة، واهتز له السلطان، وأزكب خاصته لتلقيه، وأكرم وفادته، وخلع عليه، وأجلسه بمجلسه الخاص^(٣)، ولم يدخر عنه براً ومؤاكلة ومطايبة وفكاهة.

وخاطبني لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن، فأجبتة عنها بقولي^(٤): [الطويل]

حَلَلْتُ حُلُولَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِّ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالرَّحْبِ وَالسَّهْلِ
يَمِينًا بَمَنْ تَغْنُو الْوَجُوهُ لَوَجْهِهِ مِنْ الشَّيْخِ وَالطِّفْلِ الْمُهْدَأِ^(٥) وَالْكَهْلِ
لَقَدْ نَشَأْتُ عِنْدِي لِلْقِيَاكِ غَبْطَةٌ تُنْسِي اغْتَبَاطِي بِالشُّبَيْبَةِ وَالْأَهْلِ^(٦)

أقسمت^(٧) بمن حَجَّتْ قريشُ لبيته، وقبر صُرِفَتْ أَرْمَةُ الأحياءِ لميته، [وور ضربت الأمثال بمشكاته^(٨) وزيته، لو خَيْرْتُ أيها الحبيب]^(٩) الذي زيارته الأمنية السَّنيَّة، والعارفة الوارفة، واللطيفة المُطيفة، بين رَجْعِ الشَّبابِ يَقْطُرُ ماءً، ويرِفُ نِماءً، ويُغَازِلُ عُيُونَ الكواكب، فضلاً عن الكواعب، إشارة وإيماء، بحيث لا الوُخْط^(١٠) يَلُمُ بِسِيَّاجِ لِمَتِهِ، أو يَقْدَحُ ذُبَالَةً^(١١) في ظُلُمَتِهِ، أو يقوم حواريه في ملته^(١٢)، من الأحابش وأُمَتِهِ، وزمائه رَوْحِ وِراح، ومَغْدَى في النِّعَمِ ومَراح، وقصِفَ صُراح^(١٣)، [ورَفَى^(١٤) وجراح،^(١٥) وانتخاب^(١٦) واقترح، وصدور ما بها إلا انشراح، ومَسَرَّات تردفها أفراح. وبين قُدومك خَلِيعَ الرُّسَنِ، مُمْتَعًا والحمد

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨). (٢) في النفح: «أول ربيع الأول عام...».

(٣) كلمة «الخاص» غير واردة في النفح.

(٤) الرسالة، بما فيها الأبيات، في التعريف بابن خلدون (ص ٨٢) وريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٥) في ريحانة الكتاب: «المُعْصَب».

(٦) جاء في الريحانة بعد هذا البيت البيت التالي:

وودِّي لَا يُخْتِاجُ فِيهِ لِشَاهِدٍ وتقرير المعلوم ضُرِبَ مِنَ الْجَهْلِ

(٧) في الريحانة: «يَمِينًا بَرُّ حَجَّتْ...». (٨) المَشْكَاةُ هنا: المصباح.

(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصادر.

(١٠) الوُخْط: الشَّيْب. لسان العرب (وخط). (١١) الذُّبَالَةُ: الفتيلة. لسان العرب (ذبل).

(١٢) في الريحانة: «لمته». (١٣) في الريحانة: «ونصب وصراح».

(١٤) في الأصل: «ورفى»، والتصويب من النفح والتعريف.

(١٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(١٦) في الأصل: «وانتخاب»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.

لله^(١) باليقظة والوسن، مُحْكَمًا في نُسْكَ الجُنَيْدِ أَوْ قَتْكَ الْحَسَنِ، مَمْتَعًا بِظَرْفِ
المعارف، مَالًا أَكْفُ الصِّيَارِفِ، مَاحِيًا بِأَنْوَارِ الْبَرَاهِينِ شُبَهَ الزُّخَارِفِ - لَمَّا اخْتَرَتْ
الشُّبَابَ وَإِنْ شَاقَنِي^(٢) زَمْنُهُ، وَأَعْيَانِي ثَمْنُهُ، وَأَجَزَتْ سَحَابُ^(٣) دَمْعِي دِمْنُهُ. فَالْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي رَقَى^(٤) جَنُونََ اغْتِرَابِي، وَمَلَكَنِي أَزْمَةَ آرَابِي، وَغَبَطَنِي بِمَائِي وَتَرَابِي،
[وَمَأْلَفَ أَتْرَابِي]^(٥) وَقَدْ أَغْصَنِي بِلَذِيذِ شَرَابِي، وَوَقَعَ عَلَى سَطُورِهِ الْمَعْتَبَرَةُ
إِضْرَابِي، وَعَجَّلْتُ هَذِهِ مُغْبِطَةً بِمَنَاخِ الْمَطِيئَةِ^(٦)، وَمُنْتَهَى الطَّيَةِ، وَمُلْتَقَى الشُّعُودِ^(٧)
غَيْرِ الْبَطِيئَةِ، وَتَهْنِئِ الْأَمَالَ الْوَثِيرَةَ الْوُطِيئَةَ، فَمَا شِثْتَ مِنْ نَفُوسٍ عَاطِشَةً إِلَى رِيكِ،
مَتَجَمِّلَةً بِزِيكِ، عَاقِلَةً خُطَى مَهْرِيكِ، وَمَوْلَى مَكَارِمِهِ نَشِيدَةً أَمْثَالِكَ، وَمِظَانُ^(٨)
مِثَالِكَ، وَسَيَصْدُقُ الْخَبِيرُ مَا هُنَالِكَ، وَيَسِعُ^(٩) فَضْلُ مَجْدِكَ فِي^(١٠) التَّخْلُفِ عَنْ
الْإِضْحَارِ^(١١)، لَا بَلَّ الْلِقَاءِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، وَالسَّلَامُ.

ولما^(١٢) اسْتَقَرُّ بِالْحَضْرَةِ، جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَكَاتِبَاتُ أَقْطَعِهَا الظَّرْفُ جَانِبَهُ،
وَأَوْضَحَ الْأَدَبَ فِيهَا^(١٣) مَذَاهِبَهُ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتَهُ بِهِ، وَقَدْ تَسَرَّى جَارِيَةً رُومِيَّةً
اسْمُهَا هِنْدٌ صَبِيحَةً الْإِبْتِنَاءِ بِهَا: [السَّارِعُ]

أَوْصِيكَ بِالشَّيْخِ أَبِي بَكْرَةَ لَا تَأْمَنْنُ فِي حَالَةِ مَكْرَةٍ
وَاجْتَنِبِ الشُّكَّ إِذَا جِئْتَهُ جَنَّبَكَ الرَّحْمَنُ مَا تَكْرَهُ

سَيِّدِي، لَا زَلْتَ تُتَّصَفُ بِالْوَالِجِ، بَيْنَ الْخِلَاحِلِ وَالْدِّمَالِجِ^(١٤)، وَتَرْكُضُ فَوْقَهَا
رُكُضَ الْهَمَالِجِ^(١٥) أَخْبَرَنِي كَيْفَ كَانَتْ الْحَالُ، وَهَلْ خُطَّتْ بِالْقَاعِ مِنْ خَيْرِ الْبِقَاعِ
الرُّحَالِ، وَأُحْكَمَ بِمِرْوَدِ^(١٦) الْمُرَاوِدَةِ الْاِكْتِحَالِ، وَارْتَفَعَ بِالسُّقْيَا الْإِمْحَالِ، وَصَحَّ

(١) قوله: «والحمد لله» ساقط في الريحانة. (٢) في النفع: «راقني».

(٣) في النفع: «سحاب».

(٤) في الريحانة: «وقى».

(٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة. (٦) في الريحانة: «الطية».

(٧) في الأصل: «للشعور» والتصويب من المصادر.

(٨) في الريحانة: «ومطابق».

(٩) في الريحانة: «ويُسَمَّعُنِي».

(١٠) في الريحانة: «عن».

(١١) الإصحار: الخروج إلى الصحراء. محيط المحيط (صحر).

(١٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٥).

(١٣) كلمة «فيها» غير واردة في النفع.

(١٤) الخلاخل: جمع خلخال وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها. والدمالج: جمع دملج وهي حلية

تلبسها المرأة في ساعدها. وأراد هنا: بين الأيدي والأرجل. لسان العرب (خلخل) و(دملج).

(١٥) الهمالج: جمع هملاج وهو الدابة الحسنة السير والسريعة. لسان العرب (هملاج).

(١٦) الميرود: الجبل يُكْتَحَلُ بِهِ. محيط المحيط (رود).

الانتحال، وخصَّصَ الحقُّ وذهب المُحال، وقد طُولعت بكلِّ بَشْرَى وبِشْرٍ، ورُقُتْ هِنْدُ منك إلى بِشْرٍ، فله من عَشِيَّةٍ تمتعت من الربيع بِفُرْشٍ مَوْشِيَّةٍ، وابتذلت^(١) منها أي وساد وخشية، وقد أقبل ظبي الكِنَاسِ، من الدِّيماسِ، ومطوق الحَمَامِ، من الحَمَامِ، وقد حَسَّنت الوجهَ الجميلَ التَّطْرِيَّةَ^(٢)، وأزيلت عن الفرع الأثيث الإِبْرِيَّةَ^(٣)، وصُقلت الخدودُ فهي^(٤) كأنها الأَمْرِيَّةُ^(٥)، وسلَّطَ الدَّلْكُ على الجلود، وأغريت الثَّوْرَةَ بالشَّعر المولود، وعادت الأعضاء يزلق عنها اللَّمسُ، ولا تنالها البَنَانُ الخمسُ، والسَّحْنَةُ يجول في صفحتها الفِضِيَّةُ ماءُ النِّعَمِ، والمسواك يلبي من ثِيَّةِ التَّنعِيمِ والقلب يرمي من الكفِّ الرَّقِيمِ^(٦) بالمقعد المُقِيمِ، وينظر إلى نجوم الوُشُومِ، فيقول: إني سقيم. وقد تَفَتَّحَ وَرْدُ الخَفَرِ، وحكم لزنجي الطَّفِيرَةَ بالطَّفَرِ، واتَّصف أمير الحُسْنِ بالصُّدودِ المُعْتَفَرِ، ورُشَّ بِماءِ الطَّيْبِ، ثم أغلق بباله دُخانَ العُودِ الرُّطِيبِ. وأقْبَلَتْ الغادة، يهديها اليُمن وتزفُّها السَّعادة، فهي تمشي على اسْتِحْيَاءٍ وقد ذاع طيب الرِّيا، وراق حُسْنُ المُحْيَا، حتى إذا نُزِعَ الحُفُّ، وقُبِلَتْ الأكُفُّ، وصَخِبَ^(٧) المزمار وتجاوب الدَّفُّ، وذاع الأَرْجُ، وارتفع الحَرْجُ، وتجوَّز اللُّوا والمنعرجُ، ونزل على بِشْرٍ بزيارة هِنْدِ الفَرْجِ، اهتزَّت الأرضُ ورَبَّتْ، وغوصيت الطَّبَاعُ البَشْرِيَّةُ فَأَبَتْ. والله دُرُّ القائل^(٨): [المقارب]

ومَرَّتْ فقالت^(٩): متى نلتقي؟ فهشَّ اشتياقًا إليها الخبيثُ

وكاد يُمَزَّقُ مِرْبَالَهُ فقلت: إليك يُساقُ الحديثُ^(١٠)

فلما انسدل جَنَحُ الظلامِ، وانتصفت من غريم العِشاءِ الأخيرة فريضة الإسلام^(١١)، وخاطت خيوط المنام، عُيون الأنام، تاتى دُنُوُ الجلسة، ومُسَارِقَةُ الخِلْسَةِ، ثم عَضَّةُ النهد، وقُبْلَةُ الفم والخذ، وإرسال اليد من التَّجْدِ إلى الوَهْد،

(١) في النفع: «وأبدلت منها أي آساد وحشية».

(٢) في الأصل: «النظرية». وتَطْرِيَّةُ الْوَجْهِ: تحسينه وتزيينه. لسان العرب (طرا).

(٣) الفرع: الشَّعْر. الأثيث: الكثير، والمراد هنا شعر الرأس. الإبرية: قشر الرأس يسقط عند المشط. محيط المحيط (فرع) و(أث) و(برى).

(٤) كلمة «فهي» غير واردة في النفع. (٥) الأمرية: المرايا، جمع مرآة.

(٦) الرقيم: المزين. لسان العرب (رقم).

(٧) في الأصل: «وصحب» والتصويب من النفع.

(٨) البيتان لبشار بن برد، وهما في ديوانه (ص ٢٨٩).

(٩) في الديوان: «فقلت».

(١٠) أخذ عجز البيت من المثل: «إليك يُساقُ الحديث». مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٨).

(١١) في النفع: «السلام».

وكانت الإمالة القليلة قبل المد، ثم الإفاضة فيما يُغبط ويُرغب، ثم الإمالة لما يُشوش ويُشغب، ثم إعمال المسير، إلى السرير^(١): [الطويل]

وصِرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورُضتْ فذلّتْ صَغْبَةً أيّ إذلالٍ

هذا^(٢) بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيّد من حسن السيرة، ثم شرع في حلّ^(٣) التُّكة، ونَزَع الشُّكة، وتهيئة الأرض العَزاز^(٤) عمل الشُّكة، ثم كان الوحي والاستعجال، وخَمِي الوَطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخُصورُ الهيف، وتشاطر الطُّبع العَفيف، وتواتر التقبيل، وكان الأخذُ الوَيْيل، وامتاز الأتوكُ من الثَّييل، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ السَّييل، فيا لها من نَعَم مُتداركة، ونفوس في سبيل القِحة مُتهالكة، ونَفَسٌ يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المُصانعة، وطال الثَّراوغ والثَّراور، وشُكي التجاور^(٥)، وهنالك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتُخَسَّرُ أو تُزْبَحُ الأموال، فمن عَصا تنقلب ثعبانًا مُبِينًا، وثُؤنية^(٦) تصير تَنِينًا، وبطل لم يَهْلُه^(٧) المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قُرْتِه^(٨) الحائل، فتعدى فتكة السَّلْيِك إلى فتكة البَرّاض، وتقلّد مذهب الأزارقة^(٩) من الخوارج في الاعتراض، ثم شقّ الصّف، وقد خَضِب الكف، بعد أن كاد يصيب البري^(١٠) بطَعْنَتِه، ويَبوء بِمَقْتِ الله وَلَعْنَتِه^(١١): [الطويل]

طَعْنَتْ ابنَ عبد الله طعنةً ثائرٍ لها نَفْدٌ لولا الشعاعُ أضاءها

وهناك هدا القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوقّع فاستراح البال، وتَشَوَّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمُبال، وكثر السؤال عن البال، بما بال، وجعل الجريح يقول: وقد نظر إلى دَمِه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إني له عن دمي المسفوك مُعْتَذِرٌ أقول: حَمَلْتُهُ في سَفْكَه تَعْبًا

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه (ص ٣٢).

(٢) في النفع: «وهذا».

(٣) كلمة «حلّ» ساقطة في النفع.

(٤) في الأصل: «الغراز» والتصويب من النفع، والأرض العَزاز: الأرض الصلبة. لسان العرب (عزز).

(٥) في النفع: «التحاور».

(٦) التونة: السمكة. لسان العرب (نون). وفي النص كنايةات تنطوي على الغمز والسخرية.

(٧) في النفع: «يهمله».

(٨) في النفع: «قرنه».

(٩) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج منسوبة إلى نافع بن الأزرق. الملل والنحل (ج ١ ص ١١٨).

(١٠) في النفع: «البوسى بطعنته».

(١١) البيت لقيس بن الخطيم، وهو في ديوانه (ص ٧).

ومن^(١) سِنَانٍ عَادَ عِنَانًا، وشَجَاعٌ صَارَ هِدَانًا^(٢) جَبَانًا، كلما شَابَتْهُ شَائِبَةٌ رَيْبَةٌ، أدخل يده في جيبه، فانجمرت الحية، وماتت الغريزة الحية، وهناك يَزِيغُ البصر، وَيُخَذِّلُ الْمُتَنَصِّرَ، وَيَسْلُمُ الْأَسْرَ، وَيَغْلِبُ الْحَضَرَ، وَيَجِفُّ اللَّبَابُ^(٣)، ويظهر العاب^(٤)، ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، وَيَشْتَدُّ الْكَرْبُ والأرق، وينشأ في محل الأمن الفَرْقُ، وَيُدْرِكُ فِرْعَوْنَ الْغَرْقُ، وَيَقْوَى اللَّجَاجُ ويعظم الْخَرْقُ. فلا تزيد الحال إلا شِدَّةً، ولا تعرف تلك الجارحة^(٥) المؤمنة إلا رِدَّةً: [الطويل]

إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فأكثُرُ^(٦) ما يجني عليه اجتهاده
فكم مُغْرَى بطول اللَّبَثِ، وهو من الْخَبَثِ، يؤمل الكثرة، ليزيل المعرَّة،
ويستنصر الخيال، ويعمل باليد الاحتيال: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مُضْمَتٍ فاصبر على الجِمل الثقيل أو مُتٍ
ومُغتذر بمرض أصابه، جَزَعَهُ أَوْصَابُهُ^(٧)، ووجع طَرَقَهُ، جَلَبَ أَرْقَهُ، وخطيب
أَزْتَجَ عليه أحيانًا، فقال: سَيُخْدِثُ الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا وبعد عِيٍّ بَيَانًا، اللهم إنا نعوذُ
بك من فضائح الفُرُوجِ إذا اسْتَغْلَقَتْ أَقْفَالُهَا، ولم تُسَمَّ^(٨) بالتَّجِيعِ أَغْفَالُهَا^(٩)، ومن
مَعَرَّاتِ الْأَقْدَارِ^(١٠)، والنكول عن الأبيكار، ومن التزول عن البطون والسُرَرِ، والجوارح
الحسنة الغُرر، قَبْلَ ثَقْبِ الدُّرر، ولا تجعلنا ممن يستحي من الْبُكَرِ بِالْغَدَاةِ، وتُغْلَمُ منه
كلال الأداة، وهو مجال قُضِيحَتْ فيه رجال، وفراشٌ شُكِيَتْ فيه أوجال، وأُغْمِلَتْ
رَوِيَّةٌ وارْتَجَال. فمن قائل: [السريع]

أزْقَعُهُ طَوْرًا على إضْبَعِي ورأسه مضطرب^(١١) أضْفَلَةٌ
كالحنش المقتول يُلقَى على عودٍ لكي يُطْرَخَ في مَزْبَلَةٍ

(١) معطوفة على قوله فيما سبق: «فمن عصا تنقلب ثعباناً...».

(٢) كلمة «هدانا» غير واردة في النسخ. (٣) في النسخ: «اللعب».

(٤) العاب: العيب. محيط المحيط (عيب). (٥) في النسخ: «الجائحة».

(٦) في النسخ: «فأول».

(٧) الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٨) في النسخ: «ولم تُسم». (٩) في الأصل: «أغفالها» والتصويب من النسخ.

(١٠) في الأصل: «الأقدار» بالبدال المهملة، والتصويب من النسخ.

(١١) في الأصل: «مضطربة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

أو قائل^(١): [السريع]

عَدِمْتُ مِنْ أَيْرِي قُوَى جِسِّهِ يَا خَسْرَةَ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ
تَرَاهُ قَدْ مَالَ عَلَى أَضْلِهِ كَحَائِطٍ خَرَّ عَلَى أَسْهِ

وقائل: [الطويل]

أَيْخَسِدْنِي إِبْلِيسُ دَاءً يَنْ أَصْبَحَا بَرَجَلِي وَرَأْسِي دُمْلًا وَزُكَامَا؟
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً أَيْرٍ لَا يَرِيدُ^(٢) قِيَامَا^(٣)

وقائل: [الطويل]

أَقُولُ لِأَيْرِي وَهُوَ يَرْقُبُ فَتَكَةً بِهِ: خَبْتُ مِنْ أَيْرٍ وَعَالَتْكَ^(٤) دَاهِيَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْرِ بَخْتُ تَعَذَّرْتُ عَلَيْهِ وَجْوهُ النِيلِ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ

وقائل: [الطويل]

تَعَقَّفَ^(٦) فَوْقَ الْخَصِيَّتَيْنِ كَأَنَّهُ رِشَاءٌ إِلَى جَنْبِ الرَكِيَّةِ مُلْتَفٌّ
كَفَرِخِ ابْنِ ذِي يَوْمِينَ يَزْقَعُ رَأْسَهُ إِلَى أَبْوِيهِ ثُمَّ يُذَرِّكُهُ الضُّغْفُ

وقائل: [الطويل]

تَكْرُمُشْ أَيْرِي بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَسَا وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَوَاهِ فَأَفْلَسَا
وَصَارَ جَوَابِي لَلْمَهَا أَنْ مَرَزَنْ بِي «مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُثِيَّةٌ تَبْعْتُ الْأَسَى»

وقائل: [الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ حَيِّثُهُ فَاسْتَخَفْتُ بِي وَلَمْ يَخْطُرِ الْهَجْرَانُ مِنْهُ^(٧) عَلَى الْبَالِي^(٨)
وَقَابِلْنِي بِالْعَوْرِ وَالشَّجْدِ^(٩) بَعْدَمَا حَطَطْتُ بِهِ رَحْلِي^(١٠) وَجَرَّدْتُ سِرْبَالِي
وَمَا أَرْتَجِي مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةٍ^(١١) عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشْفِ الْبَالِي

(١) في النفع: «وقائل».

(٢) في النفع: «لا يطيق».

(٣) بعد هذا البيت جاء في النفع البيت التالي:

تَوَسَّدَ إِحْدَى خَصِيَّتَيْهِ وَنَامَا

إِذَا نَهَضْتُ لِلنَّيْلِ أَزْيَابُ مَعْشَرٍ

(٤) في الأصل: «وعالَتْكَ» والتصويب من النفع.

(٥) بياض في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٦) في الأصل: «تعقّف» والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «يومًا».

(٨) في الأصل: «بال» والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «وقابلني بالهزم والنجة» والتصويب من النفع.

(١٠) في الأصل: «رجلي» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «تكة»، وهما بمعنى واحد.

عِلَلٌ^(١) لا تزال تُبكى، وعلل على الدهر تُشكى، وأحاديث تُقصر وتُحكى، فإن كنت أعزك الله من الثمط الأول، ولم تَقُل: [الطويل]

وهل عند رسمِ دارسٍ مِنْ مَقُولٍ^(٢)

فقد جَنَيْتَ الثَّمَرَ، واستَطَبْتَ السَّمَرَ، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، واخرج على قومك في ثياب الزينة^(٣)، واستبشر بالوفود، وعرف المسمع عازفة^(٤) الجود، وتبجح بصلابة العود، وإنجاز الوعود، واجنِ رمان اليهود، من أغصان القدود، واقطف ببنان اللثم أقاح الشغور ووزد الخدود، وإن كانت الأخرى، فأخف الكمد، وارضُ الثمد، وانتظر الأمد، وأكذب التوسم، واستعمل التيسم، واستكتم النسوة، وأفض فيهن الرشوة، وتقلد المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك^(٥) بدم كذب، واستنجد الرحمن، واستعين على أمورك^(٦) بالكتمان: [الكامل]

لا تُظهِرَنَّ لِعَاذِلٍ أَوْ عَاذِرٍ حالئك في السراء والضراء^(٧)

فَلِرَحْمَةِ الْمُتَفَجِّعِينَ حَرَارَةٌ في القلب مثل شماتة الأعداء

وانثشق الأرج، وارقب الفرج، فكم غمام طبق وما هَمَى^(٨)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرَّكَ اللَّهُ رَمًى﴾^(٩)، واملِك بعدها عنان نفسك حتى تُمكنك الفرصة، وتُرفع إليك القصة، ولا تشتره^(١٠) إلى عمل لا تفيء منه بتمام، وخُذ عن إمام، والله درُ غزوة بن حزام^(١١): [الكامل]

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رَمَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدٍ
وعلمتُ أني إن أقاتِلَ دونهم أقتل ولم يضررُ عدوي مشهدي
ففررتُ منهم والأجبةُ فيهم طمعا لهم بعقابٍ يوم مُفسِدٍ

(١) في النفع: «موم».

(٢) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدوره:

وإن شفائي غيرة إن سَفَحْتُهَا

ديوان امرئ القيس (ص ٩).

(٣) يشير إلى زهوه فيشبهه بقارون.

(٤) في النفع: «قميصه».

(٥) في النفع: «في الضراء والسراء».

(٦) سورة الأنفال ٨، الآية ١٧.

(٧) في النفع: «دُر الحارث بن هشام».

(٨) في الأصل: «عارفة» والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «أمرك».

(١٠) في النفع: «غمام طما».

(١١) في النفع: «ولا تسرع».

واللبانات تَلِين وتَجْمَع، والمآرب تَدْنُو وتَنْزَح، وتَخْرُن ثم تَسْمَح^(١)، وكم من شُجَاع خَام^(٢)، ويقْظُ نَامٌ، ودليل أخطأ الطريق، وأضلَّ الفريق، والله عز وجل يجعلها خَلَّة موصولة، وشَمَلًا أكنافه بالخير مَشْمُولَة، وبِئْنَة أركانها لركاب^(٣) اليُمن مأمولة، حتى يكثر^(٤) خَدَم سيدي وجواريه، وأَسْرَتَه وسَراريه، وتَضْفُو عليه نعمة^(٥) باريه، ما طَوْرِد قَيْص، واْتَحِم عَيْص^(٦)، وأَذْرِك مَرَامَ عَوَيْص^(٧)، وأُعْطِي زَاهِد وَحْرَم حَرِيص، والسلام.

تواليفه: شرح^(٨) القصيدة المسماة بالبُرْدَة^(٩) شرحاً بديعاً، دل فيه على انفساح دُرْعَه، وتفْنُن إدراكه، وغزارة حِفْظَه. ولخُص كثيرًا من كُتُب ابن رشد. وعلّق للسلطان أيام نظره في العلوم^(١٠) العقلية تقييداً مفيداً في المنطق، ولخُص مُحَصِّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب^(١١) الرازي. وبذلك^(١٢) داعبته أول لُقِيَة لَقِيَتُهُ^(١٣) [ببعض منازل الأشراف، في سبيل المبرّة بمدينة فاس،]^(١٤) فقلت له: لي عليك مُطالِبَة، فإنك لَخُصْت «مُحَصِّلِي». وألّف كتاباً في الحساب. وشرع في هذه الأيام في شرح الرَجَز الصادر عني في أصول الفقه، بشيء لا غاية وراءه^(١٥) في الكمال. وأما نشره وسلْطانيّاته، مُزسَلّها ومُسْجَعها^(١٦)، فَخُلْج بلاغة، ورياض فنون، ومعادن إبداع، يُفرغ عنها يراعُه الجريء، شبيهة البَدَاءات بالخواتم، في نداوة الحروف، وقُرْب العهد بجزية المِداد، وتفوذ أمر القريحة، واسترسال الطبع. وأما نظمه، فتهض لهذا العهد قُدْماً في ميدان الشعر، وأغري^(١٧) نقدّه باعتبار أساليبه؛ فانتال عليه جَوْه، وهان عليه صَغْبُه، فأتى منه بكل غريبة. من^(١٨) ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة

(١) تسمع: هنا بمعنى تلين.

(٢) خَام: جين. محيط المحيط (خيم).

(٣) في النفع: «الركاب».

(٤) في النفع: «تكثر».

(٥) في النفع: «نعم».

(٦) العيص: الشجر الكثير الملتف. لسان العرب (عيص).

(٧) العويص: الصعب. لسان العرب (عوص).

(٨) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣١٥ - ٣١٦).

(٩) في النفع: «شرح البردة...».

(١٠) في النفع: «شرح البردة...».

(١١) في النفع: «أوبه».

(١٢) في النفع: «فخر الدين الرازي».

(١٣) في النفع: «أول لقيه».

(١٤) ما بين قوسين ساقط في النفع.

(١٥) في النفع: «سلطانياته السجعية».

(١٦) في النفع: «فوقه».

(١٧) في النفع: «غريبة. خاطب السلطان...».

(١٨) في النفع: «الشعر، ونقدّه...».

بقصيدة طويلة^(١): [الكامل]

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي
وَأَبَيَنَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَوْقِفَ^(٢) سَاعَةِ
لِلَّهِ عَهْدُ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا
غَرَبَتِ رَكَائِبُهُمْ وَدَمَعِي سَافَحَ
يَا نَاقِعًا بِالْعَثَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ
يَسْتَعِذُّ الصَّبُّ الْمَلَامَ وَإِنِّي
مَا هَاجَنِي طَرِبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى
أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعًا
عَبَثْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى وَتَرَدَّدَتْ
تَبْلَى مَعَاهِدُهَا وَإِنْ عَهْدُهَا
وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُنَائِمِ
إِيهِ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
لَمْ أَتَسَّهَا وَالْدَّهْرُ يَثْنِي صَرْفَهُ
وَالدَّارُ مُوَيِّقَةٌ مُحَاسِنُهَا بِمَا
يَا سَائِقَ الْأَظْعَانِ تَغْتَسِفُ الْفَلَاحُ
مُتَهَافِتًا عَنْ رَحْلِ كُلِّ مُذَلِّلٍ
تَتَجَاذِبُ الثُّفَحَاتُ فَضْلَ رَدَائِهِ

وَأَطْلَنَ مَوْقِفَ غَبْرَتِي وَنَحِيبِي
لُودَاعٍ مَشْغُوفٍ الْفُؤَادَ كَثِيبِ
قَلْبِي زَهِيْنٌ صَبَابَةٌ وَوَجِيبِ^(٣)
فَشَرِقْتُ بَغْدَهُمْ بِمَاءٍ غُرُوبِي^(٤)
رَحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي
مَاءُ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيبِ^(٥)
لَوْلَا تَذَكُّرُ مَثَرِ لِي وَخَبِيبِ
لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسَ رَبِيبِ
فِي عِطْفِهَا لِلدَّهْرِ آيُ خُطُوبِ
لَيَجِدُهَا وَضْفِي وَخُسْنُ نَسِيبِي
هَزْنُهُ ذَكَرَاهَا إِلَى التُّشْبِيبِ
أَلْوَى^(٦) بِذَيْنِ فُؤَادِي الْمُنْهَوْبِ
وَيَنْغُضُ طَرْقِي حَاسِدٍ وَرَقِيبِ
لَيْسَتْ مِنَ الْأَيَّامِ كُلِّ قَشِيبِ^(٧)
وَتُوَاصِلُ الْإِسَادِ^(٨) بِالتَّأْوِيبِ^(٩)
نَشْوَانٌ مِنْ أَيْنِ وَمَسُّ لُغُوبِ
فِي مُلْتَقَاهَا مِنْ صَبَا وَجُثُوبِ

(١) في النفع: «طويلة أولها» والقصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٠ - ٧٢) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣١٦ - ٣١٧).

(٢) في النفع: «وقفة».

(٣) الظاعنون: الراحلون. الوجيب: خفقان القلب واضطرابه. لسان العرب (ظعن) و(وجب).

(٤) الغروب: جمع غرب وهو عرق في العين يسيل منه الدمع. لسان العرب (غرب).

(٥) الشريب: الماء دون العذب. محيط المحيط (شرب).

(٦) ألوى: أنكر؛ يقال: ألوى بحقه إذا جحده إياه. محيط المحيط (لوى).

(٧) القشيب: الجديد. لسان العرب (قشب).

(٨) في الأصل: «الآساد»، والتصويب من النفع. والإساد: سير الليل كله بغير تعريس. لسان العرب (سَاد).

(٩) التأويب: سير النهار كله إلى الليل. لسان العرب (أوب).

إن هام من ظمإ الصُّبابة صَحْبُهُ
 في كلِّ شغبٍ مُنيّةٌ من دونها
 هلاً عطفتْ صدورهنَّ إلى التي
 فتوّم من أكناف يثرب مأمنا
 حيث النبوة أيها مجلوة
 سِرٌّ غريبٌ لم تُحجِّبه^(٢) الثرى
 يا سيّد الرُّسل الكرام ضراعة
 عاقت ذنوبي عن جنابك والمنى
 لا كالألى^(٥) صرّفوا العزائم للثقى
 لم يُخلصوا لله حتى فرّقوا
 هب لي شفاعتك التي أرجو بها
 إن النجاة وإن أتيت لا مريء
 إني دعوْتُك واثقاً بإجابتي
 قصرت في مدحي فإن يك طيباً
 ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى
 يا هل تُبَلِّغني الليالي زورة
 أمحو خطيئاتي بإخلاصي بها
 في فتية هجروا المنى وتعودوا
 يطوي صحائف ليلهم فوق الفلا

نهلوا بمؤردٍ دَمِجِه المَسْكوب^(١)
 هَجَرُ الأمانى أو لقاء شُعوب
 فيها لبانةٌ أغْيِنِ وقلوب
 يكفيك ما تخشاه من ثريب
 تتلو من الآثار كلَّ غريب
 ما كان سرُّ الله بالمحجوب
 تقضي منى^(٣) نفسي وتذهبُ حُوبي^(٤)
 فيها تُعلِّلني بكلِّ كذوب
 فاستأثروا منها بخير نصيب
 في الله بين مضاجع وجنوب
 صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبي
 فبفضل جاهك ليس بالتشبيب
 يا خير مدعوٍّ وخير مُجيب
 فيما لذكرك من أريج الطيب
 في مدحك القرآن كلَّ مطيب
 تُذني إليَّ الفؤز بالمرغوب؟
 وأحط أوزاري وإضر ذنوبي^(٦)
 إنضاء كلِّ نجيبةٍ ونجيب^(٧)
 ما شئت من خَبٍ ومن تُقريب^(٨)

(١) بعد هذا البيت جاء في نفع الطيب البيت التالي:

أو تعترض مسرّاهمُ سُدفُ الدُّجى صدعوا الدُّجى بفراجه المشبوب

(٢) في النفع: «يُحجِّبه».

(٣) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) الحُوب: الذنب والإثم. محيط المحيط (حوب).

(٥) في الأصل: «كالألى» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) الأوزار: جمع وِزر وهو الذُّنب. الإضر: ثقل الذنب. لسان العرب (وزر) و(أضر).

(٧) أنضى ناقته: حملها على السير حتى أهزلها. النجبية: الناقة الحنة السير بسرعة. لسان العرب

(نضا) و(نجب).

(٨) الخب والتقريب: ضربان من السير السريع. لسان العرب (خب) و(قرب).

إِنْ رَأَيْتَ الْحَادِيَ بِذَكَرِكَ رَدُّدُوا
أَوْ عَرِّدَ الرُّكْبُ الْخَلِيَّ بِطَيْبَةٍ
وَرِثُوا اغْتِسَافَ الْيَدِ عَنْ آبَائِهِمْ
الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ وَهِيَ عَوَائِسُ
وَالْوَاهِبُونَ الْمُقْرِبَاتِ هَوَائِنَا
وَالْمَانِعُونَ الْجَارَ حَتَّى عِزُّهُمْ
تُخْشَى بِوَادِرُهُمْ وَيُرْجَى جِلْمُهُمْ
ومنها بعد كثير^(٣):

سَأَلْتُ بِهِ طَامِي الْعُبَابِ وَقَدْ سَرَى
تَهْدِيهِ شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعِزَائِمِ
حَتَّى انْجَلَتْ ظُلُمُ الضَّلَالِ بِسَعِيهِ
يَا ابْنَ الْأَلَى شَادُوا الْخِلَافَةَ بِالتَّقَى
جَمَعُوا بِحِفْظِ الدِّينِ آيَ مَنَاقِبِ
لِلَّهِ مَجْدُكَ طَارِقًا أَوْ تَالِدًا
كَمْ رَهْبَةٍ أَوْ رَغْبَةٍ لَكَ وَالْعُلَا
لَا زِلَّتْ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ
تُحْيِي الْمَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان^(٥)، وفيها الحيوان
الغريب المسمى بالزرافة^(٦): [الكامل]

قَدَحْتُ يَدَ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي
وَنَبَذْتُ سُلُوانِي عَلَى ثِقَةٍ
وَلَرُبُّ وَصَلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ
لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ
وَهَفْتُ بِقَلْبِي زَفْرَةَ الْوَجْدِ
بِالْقَرَبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ
فَاعْتَضْتُ مِنْهُ مَوْلَمَ الضَّدِّ
إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي

(١) السبب: شعر ذنب الفرس أو عُرْفُهُ. محيط المحيط (سبب).

(٢) المقربات: الخيل. خَوَارِ الْعَيْنَانِ: لَيْثُ الْعُطْفِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (قرب) و(خور).

(٣) في النسخ: «ومنها». (٤) في التعريف بابن خلدون: «ترجييه ربح».

(٥) في النسخ: «السودان إليه»، وفيها الزرافة.

(٦) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٤ - ٧٥) ونسخ الطيب (ج ٨ ص ٣١٩ - ٣٢١).

يَلْحَى الْعَذُولُ فَمَا أَعْنَفُهُ
وَأَعَارِضُ النُّفَحَاتِ أَشْأَلُهَا
يَهْدِي الْغَرَامُ إِلَى مَسَالِكِهَا
يَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ^(١) مُغْتَسِفًا
أَرِحِ الرُّكَّابَ فِي الضُّبَا نَبَأًا
وَسَلِّ الرُّبُوعَ بِرَامَةٍ خَبِرًا
مَا لِي ثَلَامٌ عَلَى الْهَوَى خُلْفِي
لَأَبِينْتُ إِلَّا الرُّشْدَ مَذْ وَضَحْتُ
نِعَمَ الْخَلِيفَةِ^(٢) فِي هُدًى وَتَقَى
نَجَلَ السُّرَاةِ الْغُرَّ شَأْنَهُمْ

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه^(٤):

لِلَّهِ مَنِّي إِذْ تَأَوَّنِي
شَهْمٌ يَفْلُ بَوَاتِرًا^(٥) قُضْبَا
أَوْرَيْتُ زَنْدَ الْعَزْمِ فِي طَلْبِي
وَوَرِثْتُ عَنْ ظَمِئٍ مَنَاهِلَهُ
هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلِفَتْ
لَوْ لَمْ أَعْلَ بِوَرْدٍ كَوَثَرِهَا
مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمِي وَدُونَهُمْ
أَنِّي أَنَفْتُ عَلَى رَجَائِهِمْ

ذَكَرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ قَزْدٍ
وَجَمُوعَ أَقْيَالٍ أُولِي أَيْدٍ^(٦)
وَقَضَيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي
فَرَوَيْتُ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ رِفْدٍ^(٧)
أَمَالَهُ بِمَطَالِبِ الْمَجْدِ
مَا قَلْتُ: هَذَا جَنَّةُ الْخُلْدِ
قَذْفُ النَّوَى وَتَثْوِفَةٌ^(٨) الْبُعْدِ
وَمَلَكَتْ عِزُّ جَمِيعِهِمْ وَخَدِي

(١) في التعريف بابن خلدون: «الأضعان».

(٢) المُسْتَنَّة: الفرس الذي يُقْبَل ويُذَبَّر في ركضه. الجُزْد: جمع أجرد وهو القصير الشعر. لسان العرب (سنن) و(جرد).

(٣) في الأصل: «الخلقة» والتصويب من المصدرين.

(٤) اكتفى في النفع بالقول: «ومنها».

(٥) في الأصل: «بواتر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) الأيد: القوة. لسان العرب (أيد). (٧) الرُّفْد: العطاء. لسان العرب (رفد).

(٨) التثوفاة: الأرض البعيدة الواسعة التي لا ماء فيها. لسان العرب (تنف).

ومنها:

ورقيمة الأعطافِ حالية
وخشيئة الأنسابِ ما أيسر
تسمو بجيدٍ بالغٍ صعداً
طالت رؤوس الشامخات به
قطعت إليك ثنائفاً وصلت
تخدي^(٥) على استصعابها ذللاً
بسعودك اللائي ضمنن لنا
جاءتك في وفد الأحابش لا
وافوك أنضاء ثقلبهم
كالطيف يستقري مضاجعه
يثنون بالخشنى التي سبقت
ويرون لحظك من وفادتهم
يا مستعميئنا جل في شرف
جازاك ربك عن خليفته
وبقيت للدنيا وساكنها

موشية بوشائع^(١) البرد
في موحش البيداء بالقود^(٢)
شرف الصروح بغير ما جهد
ولربما قصرت عن الوهد
آساده^(٣) بالنص والوخد^(٤)
وتبيث طوع القن والقذ^(٦)
طول الحياة بعيشة رغد
يرجون غيرك مكرم الوفد
أيدي السرى بالغور والنجد
أو كالحسام يسئل من غمد
من غير إنكار ولا جحد
فخرًا على الأتراك والهند
عن رتبة المنصور والمهدي
خير الجزاء فيغم ما يسدي^(٧)
في عزة أبداً وفي سفد

وقال يخاطب^(٨) صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم^(٩): [الكامل]

يا سيّد الفضلاء دعوة مُشفق
ما لي وللإقصاء بغد تيلة
نادى لشكوى البث خير سميع
بالقرب كنت لها أجل شفيع

- (١) في الأصل: «بوشائع» والتصويب من النفع.
(٢) هكذا في التعريف بابن خلدون. وفي النفع: «بالقود».
(٣) في النفع: «إساده».
(٤) النص والوخد: ضربان من السير السريع. لسان العرب (نعم) و(خدد).
(٥) في الأصل: «تخدي»، والتصويب من النفع.
(٦) خدى الفرس والبعير يخدي: يسرع. الدليل: جمع ذلول وهي التي ريفت حتى سهل قيادها. والقن والقذ: أراد بهما ما تربط به من حبل ونحوه. لسان العرب (خدى) و(ذلل) و(قنن) و(قدد).
(٧) في النفع: «ما تسدي».
(٨) في النفع: «وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب».
(٩) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢).

وأرى الليالي رَنَقَتْ لي صافيا
ولقد خَلَصْتُ إليك بالقَرَبِ التي
ووثقتُ منك بأيّ وَغْدٍ صادقٍ
وسما بنفسي للخليفة طاعةً
حتى اتَّحاني الكاشِحون بسعيهم
رغمتُ نفوسهم^(٢) بَنُجَحٍ وسائلي
وَبَغَوْا بما نَقِمُوا عليّ خلائقي
لا تُظِمِعَتْهُمْ ببَذَلٍ في التي
أنى أضامُ وفي يدي القَلَمُ الذي
وليّ الخصائص ليس تأبى رُثبةً
قَسَمًا بمجدك وهو خيرُ أَلِيَّةٍ^(٤)
إني لَتَضَطَّحِبُ الهمومُ بمضجعي
عطفًا عليّ بوخدتني عن معشري
أغدو إذا باكَرَتْهُمْ مُتَجَلِّدًا
حيرانُ أوجسُ عند نفسي خيفةً
أطوي على الزُّقَرَاتِ قَلْبًا إِدُهُ^(٥)
ولقد أقولُ لَصَرْفٍ دَهْرٍ رابني
مَهْلًا عليك فليس خَطْبُكَ ضائري
إني ظَفِرْتُ بعصمةٍ من أوحدٍ

منها فأصبح في الأجاج شروعي^(١)
ليس الزمانُ لِشَمْلِهَا بِصَدُوعٍ
إني المصونُ وأنتَ غيرُ مُضْبِعٍ
دون الأنام هَواك قبلَ نُزوعٍ
فَصَدَدَتْهُمْ عني وكنتَ مَنِيْعِي
وَتَقَطَّعْتَ أنفاسَهُمْ بِصَنِيعِي
حسدًا فراموني بكلِّ شَنِيعٍ
قد صُنَّتْهَا عنهم بفضلِ قُنُوعِي
ما كان طَيِّعُهُ لهم بِمُطِيعٍ
حَسْبِي بعلمك^(٣) ذاك من تفريعي
أَعْتَدَهَا لفؤادي المَصْدُوعِ
فتحولُ ما بيني وبين هُجُوعِي
نَفَثَ الإِبَاءَ صُدُودَهُمْ في رُوعِي
وأروحُ أَعْثُرُ في فضولِ دموعِي
فَتَسِيرُ في الأوهام كلُّ مَرُوعٍ
حَمَلُ الهمومِ تَجُولُ بين ضلوعي
بحوادثٍ جَاءَتْ على تنويعٍ
فلقد لِبَسْتُ له أَجَنُ دروعٍ^(٦)
بَذَّ الجميعَ بفضله المجموعِ

وأنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة وستين وسبعمائة^(٧): [البسيط]

حَيَّ المعاهدَ كانتَ قَبْلُ تُخَيِّنِي
إِنَّ الألى نَزَحَتْ داري ودارَهُمْ
بواكِفِ الدمعِ يُزويها وَيُظْمِينِي
تَحْمَلُوا القَلْبَ في آثارِهِمْ دُونِي

(١) رَنَقَتْ: كَثُرَتْ. الأجاج: المِلْحُ الأجاج وهو الشديد الملوحة. لسان العرب (رنق) و(أجج).

(٢) في النفع: «أنوفهم».

(٣) في النفع: «بعلمي».

(٤) الألية: القسم. لسان العرب (ألا).

(٥) في النفع: «آدُهُ».

(٦) أَجَنُ دروع: أكثرها وقاية. لسان العرب (جن).

(٧) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٨٥ - ٨٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢٤ - ٣٢٦).

وقفتُ أنشد صَبْرًا ضاعَ بَعْدَهُمْ
أَمْثَلُ الرَّبْعِ مِنْ شَوْقٍ وَالْثَمَّةُ
وَبِنَهَبِ الْوَجْدِ مَنِّي كُلُّ لَوْلَاةٍ
سَقَتْ جَفَوْنِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ
قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الْهَوَى شُغْلٌ
أَحْبَابَنَا، هَلْ لِعَهْدِ الْوَضَلِ مُدْكَرْ
مَا لِي وَلِلطَّنِيفِ لَا يُغْتَاذُ زَائِرُهُ
يَا أَهْلَ نَجْدٍ، وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا
أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي مَا مَرَّ ذِكْرُكُمْ
أَضِبُّوْا إِلَى الْبَرْقِ مِنْ أَنْحَاءِ أَرْضِكُمْ
يَا نَازِحًا وَالْمُنَى تُذْنِيهِ مِنْ خَلْدِي
أَسْلَى هَوَاكَ فَوَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا
تَرَى اللَّيَالِي أَنَسَتْكَ أَذْكَارِي يَا

ومنها في ذكر التفريط:

أَبْغَدَ مَرُّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ
أَضَعْتُ فِيهَا نَفِيسًا مَا وَرَدَتْ بِهِ
وَاحْسَرْتَا^(٤) مِنْ أَمَانٍ^(٥) كُلُّهَا خِدَعٌ

ومنها في وصف المشور^(٦) المَبْنَى^(٧) لهذا العهد:

يَا مَضْنَعًا شَيَّدَتْ مِنْهُ السَّعُودُ جَمَى
صَرَخَ يَحَارُ لَدَيْهِ الطَّرْفُ مُفْتَتِنًا
لَا يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بِشَوْهَيْنِ
فَمَا يَرُوقُكَ مِنْ شَكْلِ وَتَلْوِينِ^(٨)

(١) في التعريف بابن خلدون: «قلبي».

(٢) العين: جمع عيناء وهي الواسعة العينين. لسان العرب (عين).

(٣) يُضَيِّنِي: يجعلني أصبو. لسان العرب (صبا).

(٤) في النفع: «واحسرتي».

(٥) في الأصل: «أمانتي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) المشور: المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.

(٧) في النفع: «المبني».

(٨) في النفع: «وتكوين».

بُعْدًا لِمَيَّوَانٍ كَسَرَى إِنَّ مِشْوَرَكَ السَّـ
وَدَغَ دَمَشَقَ وَمَغْنَاهَا فَفَضْرُكَ ذَا

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله^(١):

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الصَّخْبَ الْأَلَى جَهِلُوا
أَنِي أَوَيْتُ مِنَ الْعَلْيَا إِلَى حَرَمٍ
وَأَنسَى ظَاعِنٌ لَمْ أَلَقَ بَعْدَهُمْ
لَا كَالْتِي أَخْفَرْتُ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ
سَقِيَا وَرَغِيَا لِأَيَّامِي الَّتِي ظَفِرْتُ
أَزْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّا لَا يَمَاطِلُنِي
وَهَاكَ مِنْهَا قَوَافٍ طَيِّهَا جِحَمٌ
تَلُوحُ إِنْ جُلِيَتْ دُرًّا، وَإِنْ ثَلِيَتْ
عَانِيَتْ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ
يَمَانِعُ الْفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ
لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدُهَا
بَقِيَتْ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا

وَدِّي وَضَاعَ حِمَامِهِ إِذْ أَضَاعُونِي
كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرَى تُخَيِّبُنِي
دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصَمًا يُشَاكِينِي
أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهَوْنِ
يَدَايَ مِنْهَا بِحِظٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ
وَعَدَا وَأَرْجُو كَرِيمًا لَا يُعْثِينِي^(٢)
مِثْلُ الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيَاحِينَ
تُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ
لَوْلَا سُعُودُكَ مَا كَانَتْ تُوَاتِينِي^(٣)
مِنْ كُلِّ^(٤) حُزْنٍ بَطِيٍّ الصُّدْرِ مَكْنُونِ
فَرُضْتُ مِنْهَا بِتَحْبِيرٍ وَتَزْيِينِ^(٥)
وَدَامَ مُلْكُكَ فِي نَصْرِ وَتَمَكِينِ

وهو^(٦) الآن قد بدا له في التحول طوع أمل ثاب له في الأمير أبي عبد الله ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، لما عاد إليه ملك بجاية، وطار إليه بجناح شراع تفيًا ظله، وصك من لدنه رآه مستقرًا عنده، يُدْعَمُ ذلك بدعوى تقصير خفي أحس به، وجعله علة مُثْقَلَةٍ، وتجنُّ سار منه في مذهبه وذلك في...^(٦) من عام ثمانية وستين وسبعمائة. ولما بلغ بجاية صدق رأيه، ونجحت مخيلته، فاشتمل عليه أميرها، وولاه

(١) في النسخ: «انصرافه بسببه».

(٢) لا يعثيني: لا يتعبني. لسان العرب (عنى). وجاء في النسخ بعد هذا البيت كلمة «ومنها» وأورد الأبيات التالية.

(٣) تواتيني: توافقتني، تسعفني.

(٤) كلمة «كل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

(٥) الشوارد: جمع شاردة، وأصلها الدابة التي تنفر من ركبها وتصعب عليه فلا يزال يروضها ويذلها حتى يسلس له قيادها، والمراد هنا القوافي التي يصعب على الشعراء الإتيان بها. والتحير هنا: التحسين. لسان العرب (شرد) و(حبر).

(٦) بياض في الأصل.

الحجاجة بها. ولم يَنْشَب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، وتملك البلدة بعد مهلكه، وأجرى المترجم به على رَسْمه بما طرق إليه الظُّنة بمدخلته في الواقع. ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس، وانصرف عنه، واستوطن بـبِكرَة، متحوّلاً إلى جوار رئيسها أبي العباس بن مَزْنَى، متعلّلاً برِفْدِه إلى هذا العهد.

وخاطبته برسالة في هذه الأيام، تنظر في اسم المؤلف في آخر الديوان.

مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها الله، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة^(١).

عبد الرحمن بن الحاج بن القمبي الإلبيري

حاله: كان شاعراً مجيداً، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة، قاضي غرناطة، ومن نصره من الفقهاء، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً، وطيف به على الأسواق بـغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحق الإلبيري الزاهد، وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور، الأبيات الشهيرة: [البسيط]

السُّوطُ أبلغُ من قولٍ ومن قيل ومن نباحٍ سفيهٍ بالباطيل
من الدّار كَحَرِّ النار أبراه يَغْـقِلُ التقاضي أي تَغْـقِيلُ

عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَن بن أحمد بن تفلت الفازازي^(٢)

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظاً، نظّاراً، ذكياً، ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية، مُتَبَذِّلاً في هيئته ولياسه، قلما يرى راكباً في حَضْرٍ إلّا لضرورة، فاضلاً، سَنِيّاً، شديد الإنكار والإنحاء على أهل البدع، مُبَالِغاً في التحذير منهم، عامر الإثاء، يطلب العلم شغفاً به وانطباعاً إليه وحباً فيه وحرصاً عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النظم والنثر، وفور مائة، وموالة استعمال، لا يكاد يُقيد، ولا يصرفه عنه إلّا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له

(١) كذا جاء في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢٦). وفي الضوء اللامع للسخاوي (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام للزركلي (ج ٣ ص ٣٣٠) أن وفاته سنة ٨٠٨ هـ.

(٢) ترجمة عبد الرحمن الفازازي في التكملة (ج ٣ ص ٤٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٣) وبغية الوعاة (ص ٣٠٤) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) و(ج ١٠ ص ٣٤٠) واختصار القدر المعلى (ص ٢٠٣) وجاء فيه أنه «الفزازي».

مَلَكَةٌ. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة وتمكُن البراعة. وكان متلبسًا بالكتابة عن الولاة والأمراء، ملتزمًا بذلك، كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه، واختص بالسيد أبي إسحق بن المنصور، وبأخيه أبي العلاء، وبملازمتيهما استحق الذكر فيمن دخل غرناطة، إذ عُدَّ ممن دخلها من الأمراء.

مشيخته: روى عن أبيه أبي سعيد، وأبي الحسن جابر بن أحمد، وابن عتيق بن مون، وأبي الحسن بن الصائغ، وأبي زيد السهيلي^(١)، وأبي عبد الله التَّجِيبِي، وأبي عبد الله بن الفخار، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي المعالي محمود الخراساني، وأبي الوليد بن يزيد بن بقي^(٢) وغيرهم. وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وأبو بكر بن سيّد الناس، وابن مهدي، وأبو جعفر بن علي بن غالب، وأبو العباس بن علي بن مروان، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمران، وأبو يحيى بن سليمان بن حوْطِ الله، وأبو محمد بن قاسم الحرار، وأبو الحسن الرُّعَيْنِي، وأبو علي الماقري.

توالياه ومنظوماته: له المَعْشَرَاتُ الزُّهْدِيَّةُ التي ترجمها بقوله: «المعشرات الزهدية، والمذكرات الحقيقية الجذية، ناطقة بالسنة الوجليلين المُشْفِقِينَ، شائقة إلى مناهج السالكين المُسْتَبْقِينَ، نظمها متبركا بعبادتهم، متيمنا بأغراضهم وإشاراتهم، قابضا عنان الدعوى عن مداناتهم ومُجاراتهم، مهتديا إهداء السنن الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مُخَلِّداً دون أفقهم العالي إلى حضيضه، جامعاً لحسن أقواله وقبح أفعاله بين الشيء ونقيضيه عبد الرحمن». وله «المَعْشَرَاتُ الحُبِّيَّةُ، وترجمتها التَّفَحُّاتُ القَلْبِيَّةُ، واللفحات الشوقية، منظومة على السنة الداهيين وَجَدًا، الدائبين كَمَدًا وَجَهْدًا، الذين غَرَبُوا وبقيت أنوارهم، واحتجبوا وظهروا آثارهم، ونطقوا وصممت أخبارهم، ووقوا العبودية حقها، ومَحَضُوا المحبة مُسْتَحَقَّهَا، نَظْمٌ من نَسَج على منوالهم، ولم يشاركهم إلا في أقوالهم فلان». والقصائد، في مدح النبي ﷺ، التي كل قصيدة منها عشرون بيتاً، وترجمتها الوسائل المُتَقَبِّلَةُ، والآثار المسلمة المُقْبِلَةُ، مُودَعَةٌ في العشرنية النبوية، والحقائق اللفظية والمعنوية، نَظْمٌ من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدّها لما يستقبله من مُذهِش الأهوال، وفَرَعَ خاطره لها على توالي القواطع وتتابع الأشغال، ورجال بركة خاتم الرسالة، وغاية السؤدد والجلالة، مخو ما

(١) في بغية الوعاة: «أبي القاسم السهيلي».

(٢) في التكملة: «عن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي».

لسلفه من خطأ في الفعل، وزلّل في المقال، والله سبحانه وليّ القبول للتوبة، والمثان بتسويغ هذه العينة المطلوبة، فذلك يسير في جنب قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته.

شعره: وشعره كثير جدًا، ونثره مشهور وموجود. فمن شعره في غرض الشكر لله عز وجل، على غيث جاء بعد قحط: [الكامل]

نَعَمْ الإِلَهِ بِشُكْرِهِ تَتَقَيَّدُ فَاللهُ يُشْكِرُ فِي النُّوَالِ وَيُحَمَّدُ
مُدَّتْ إِلَيْهِ أَكْفُنَا مُحْتَاجَةً فَأَنَالَهَا مِنْ جُودِهِ مَا نَغْهَدُ
وَأَغَانِنَا بِغَمَائِمٍ وَكَافَةٍ بِالْبِشْرِ تَشْرِقُ وَالْبِشَائِرُ تَزْعُدُ
حَمَلْتُ إِلَى ظِلْمِ الْبَسِيطَةِ رِيَّةً فَلَهَا عَلَيْهِ مَنَّةٌ لَا تُجْحَدُ
فَالجَوُّ بَرَّاقٌ وَالشُّعَاعُ مُقَضِّضٌ وَالْمَاءُ فَيَاضُ الْأَثِيرُ مُعَسِّجِدُ
وَالْأَرْضُ فِي حَلِي الْأَتَى كَانَمَا نُطْفُ الْغَمَامِ وَلَوْلُو^(١) وَزَبَرْجَدُ
وَالرَّوْضُ مَطْلُولُ الْخَمَائِلِ بِاسْمِ وَالْقَضْبُ لِيَنَةِ الْحَمَائِلِ مُيَّدُ
تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي حَرَكَاتِهَا الشُّكْرِهَا أَمْ سُكْرِهَا تَتَاوَدُ؟
فَيَقُولُ أَرْيَابُ الْبِطَالَةِ تُثْنِي وَيَقُولُ أَرْيَابُ الْحَقِيقَةِ تَسْجُدُ
وَإِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى الصَّوَابِ فَإِنَّهَا فِي شُكْرِ خَالِقِهَا تَقُومُ وَتَقْعُدُ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَنْقُضِي هَذَا هُوَ الْجُودُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ
أَحْضِرْ فَوَادِكَ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِهِ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ قَدْرَ مَا تَتَقَلَّدُ
وَانْقُضْ يَدِيكَ مِنَ الْعِبَادِ فَكُلُّهُمْ عَجَزَ الْحَلِّ وَأَنْتَ جَهْلًا تَغِيدُ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى سِوَاهِ فَإِنَّمَا إِلَـهٌ لِّذِي بِخَاطِرِكَ الْمَجَالِ الْأَبْعَدُ
نَعَمْ الإِلَهِ كَمَا تَشَاهِدُ حُجَّةً وَالْغَائِبَاتُ أَجَلُ مِمَّا يُشْهَدُ
فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِهِ الَّتِي لَا يُنْمَشِرِي فِيهَا وَلَا يُشْرَدُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالِدَلِيلِ مُبْلَغُ مِنْ أَيِّ وَجْهِ يَسْتَرِيبُ الْمَلْحَدُ
مَنْ ذَا الَّذِي يَرْتَابُ أَنَّ إِلَهَهُ أَحَدٌ وَالْبَيِّنَةُ الْجَمَادُ تُوَحَّدُ
كُلُّهُ يُصْرِّحُ حَالَهُ وَمَقَالَهُ أَنَّ لَيْسَ إِلَّا اللهُ رَبُّهُ يُغَبَّدُ

ومن شعره أيضًا قوله: [الكامل]

عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ الْحَقِيقَةَ جَانِبًا وَغَدَا لِأَرْيَابِ الصَّوَابِ مُجَانِبًا

(١) في الأصل: «لؤلؤ»، وكذا ينكسر الوزن.

ما شاء للزور المُعَلَّل عائبا
وأشدَّ عاديةً وأمضى قاضيا
حتى ترى الإحضار منه عواقبا
دون الصواب هوى وأصبح غالبا
كتبَ تعبٌ من الضلال كتابا
ليس ودونهما تسلك طريقا لاحبا^(١)
ومقالهم تأتي الأحق الواجبا
أعزُّ عليَّ بأن تُعَمَّرَ جانبيا
في بحر هلك ليس يُشجى عاطبا
حتى جعلت له اللجين^(٢) شائبا
فيمن ترى إلا دعيا كاذبا؟
فارتدَّ مسلوبا ويُحسب سالبا
من أن أكون عن المحجة ناكبا

وابتاع بالحق المصنَّح حاضرا
من بعد ما قد صار أنفذ أسهما
لا تُخذَعُكَ سوابق من سابق
فلربما اشددَّ الخيال وعاقه
ولكنم إمام قد أضرب بفهمه
فانحرف بأفلاطون وأرسطا
ودع الفلاسفة الذميمة جميعهم
يا طالب البرهان في أوضاعهم
أعرضت عن شط الثجاة ملججا
وصفا الدليل فما نفقت بصفوه
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا
أغيشه أعباء الشريعة شدة
والله أسأل^(٣) عِصمة وكفاية

ومن شعره: [الطويل]

ومنك وجذت اللطف في كل نائب
وهل مستحيل في الرجا^(٤) كُرَّ آيب؟
شما^(٥) عدو أو إساءة صاحب
ويشرك ضاف من جميع الجوانب؟
وكانت شجا بين الحشا والترائب
سوى حسن ظني بالجميل المواهب
أغثنى فقد سدت علي مذهب^(٦)
وزُهد^(٧) في المخلوق أسنى المواهب

إليك مددت الكف في كل شدة
وانت ملاذ والأنام بمغزل
فحقق رجائي فيك يا رب واكفني
ومن أين أخشى من عدو إساءة
وكم كربة نجيتني من غمارها
فلا قوة عندي ولا لي حيلة
فيا مُنجي المضطر عند دعائه
رجاؤك رأس المال عندي وربحه

(١) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «الحبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «أسئل» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «شماة» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «مذهب» بدون ياء. (٧) في الأصل: «وزهد» وكذا ينكسر الوزن.

إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم
فيا محسنًا فيما مضى أنت قادر
وإني لأرجو منك ما أنت أهله
فصل على المختار من آل هاشم
فتأملهم بعض الظنون الكواذب
على اللطف في حالي وحسن العواقب
وإن كنت حطًا في كثير المعاييب
إمام الورى عند اشتداد النوائب

وقال في مدعي قراءة الخط دون نظر: [الطويل]

وأدور مياس العواطف أصبحت
يدير على القرطاس أنمل كفه
فقال فريق: مخر بابل عنده
فقلت لهم لم تفهموا مير ذكره
محايسه في الناس كالنوع في الجنس
فيدرك أخفى الخط في أيسر اللبس
وقال فريق: ليس هذا من الإنس
على أنه للعقل أجلى من الشمس
مداركها أجفان أنمله الخمس
ستكفه حب القلوب فأصبحت

وفاته: استقدمه المأمون^(١) على حال وخشة، كانت بينه وبينه، فورد ورود
الرضا على مراكش في شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة. وتوفي في ذي قعدة
بعده^(٢)، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرنائهما، رحم الله جميعهم.

انتهى السفر التاسع بحمد الله

ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المثجب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين.

حاله: لحق به بالعدوة، فأتصل بخدمته، وأغراه بالاندلس، إذ ألقى إليه أمورها
على صورتها، حتى كان ما فرغ الله، عز وجل، من استيلائه على ممالكها، وخلعه
لرؤسائها. وكان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مقدورًا عليه في رزقه، يتحرّف
بالنسخ، ولم يكن حسن الخط، ولا معرب اللفظ، إلى أن تسيّر للكتابة في باب

(١) هو أبو العلاء إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى، وقد حكم
المغرب والاندلس من سنة ٦٢٤ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص
٢٧٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥): «توفي بمراكش سنة ٦٣٧ هـ. وجاء في بغية الوعاة (ص
٣٠٤) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) أنه ولد بعد الخمسين وخمسمائة.

الديوان بالمرية، ورأى خلال ذلك، في نومه، شخصاً يوقظه، ويقول له: قُمْ يا صاحب رُبْع الدنيا، وقصْ رؤياه على صاحبٍ له بمشواه، فَبَشَّرَه، فطلب من ذلك الحين السُّمُو بنفسه، فأجاز البحر، وتعلق بحاشية الحُرَّة العَلْيَا زَيْنَب^(١)، فاستكثبته، فلَمَّا تُوِّفِيَت الحُرَّة، أقرَّه أمير المسلمين كَاتِبًا، فنال ما شاء مما تَرْتَمِي إليه الهممُ جَاهًا ومالًا وشهرة. وكان رجلًا حَصِيْفًا، سَكُونًا، عَاقِلًا، مُجْدِي الجاه، حَسَن الوَسَاطة، شهير المكانة.

وفاته: توفي فجأة بمدينة سَبْتَة، في عام سبعة وثمانين وأربعمائة. وتقلد الكتابة بعده أبو بكر بن القَصِيرَة. ذكره ابن الصيرفي.

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري^(٢)

وتكرر مالك في نسبه.

أوليته: قالوا: من ولد عُقْبَة بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بلدنا لَوْشَة، غرناطي، يكنى أبا محمد.

حاله: كان^(٣) أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سُنَن عظماء الملوك، وأخلاق السادة الكرام^(٤). لم يُرَ بعده مثله في رجال^(٥) الأندلس، ذاكراً للفقهِ والحديث، بارِعاً في الأدب^(٦)، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً، خُلُو الكتابة والشعر، هُشَا مع وقار، لَيْثًا على مضاء، عالي الهمّة، كثير الخَدَم والأهل^(٧).

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحَمَام، بجوفيّ الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه^(٨) أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة. وشرع في الزيادة في سَقْف

(١) هي زينب النفزاوية التي كانت مضرب المثل في الجمال؛ تزوجت أبا بكر بن عمر، ابن عم يوسف بن تاشفين المرابطي، في سنة ٤٦٠ هـ، ثم طلقها فتزوجها يوسف بن تاشفين فأنجبت له ولده الفضل، وكانت أحب ما لديه امرأة غالبية عليه. البيان المغرب (ج ٤ ص ١٨، ٣٠).

(٢) ترجمة عبد الرحمن بن محمد المعافري في التكملة (ج ٣ ص ١٨) وقلاند العقيان (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣).

(٣) قارن بنفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٥). (٤) كلمة «الكرام» ساقطة في النسخ.

(٥) في الأصل: «حال» والتصويب من النسخ. (٦) في النسخ: «الآداب».

(٧) في الأصل: «الخادم والأمل» والتصويب من النسخ.

(٨) في الأصل: «بناء».

الجامع من صُخْنِه سنة ست عشرة، وعَوْضَ أرجل قِيسِيَّه أعمدة الرخام، وجلبَ الرؤوسَ والموائد من قرطبة، وفرشَ صحنه بِكُذَّان الصُّخِيرَةِ^(١). ومن مكارمه أنه لما وُلِّي مُسْتَخْلَصَ غرناطة وإشبيلية، وجَّهه أميره علي بن يوسف بن تاشفين إلى طَرْطُوشة برسم بنائها، وإصلاح خللها، فلما استوفى الغاية فيها قلَّده، واستصحب جملة من ماله لمؤنَّته المختصة به، فلما احتلها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُفَ حاله وقلَّ تصرفه من ذوي البيوتات، فاستعملهم أمانة في كل وجه جميل، ووسَّعَ أرزاقهم، حتى كَمَلَ له ما أراد من عمله. ومن عَجَزَ أن يستعمله وصله من ماله. وصَدَرَ عنها وقد أنعش خلقًا كثيرًا.

شعره: من قوله في مجلس أطربه سماعه، وبَسَطَه احتشاد الأنس فيه واجتماعه^(٢): [الخفيف]

لا تَلْمَنِي إِذَا طَرِنْتُ لَشَجْوٍ^(٣) يَبْعَثُ الْأَنْسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
ليس شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا إِنَّمَا الْحَقُّ^(٤) أَنْ تُشَقُّ الْقُلُوبُ

وقال، وقد قَطَفَ غلام من غلمانهِ نَوَّارَةً، ومدَّ بها يده إلى أبي نصر الفتح بن عبيد الله^(٥)، فقال أبو نصر^(٦): [الطويل]

وَبَذَرَ بَدَا وَالطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النُّورِ كَوَكَبُ
يَرُوحُ لَتَعْذِيبِ النُّفُوسِ وَيَغْتَدِي وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَعْرُبُ

فقال أبو محمد بن مالك^(٧): [الطويل]

وَيَخْسَدُ^(٨) مِنْهُ الْغُضُنُ أَيُّ مَهْفَهْفٍ يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكُثِيبِ وَيَذْهَبُ

(١) في النفع: «الصخر». والكذَّان: حجارة رخوة.

(٢) البيتان في قلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) و(ج ٤ ص ٢٠٤).

(٣) في القلائد: «لشدو». (٤) في النفع: (ج ٢ ص ٢٠٥): «الشان».

(٥) هو أبو نصر الفتح بن خاقان، صاحب «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس».

(٦) البيتان في نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٤). وورد البيت الأول في نفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥)

منسوبا إلى ابن مالك. وورد البيت الثاني في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص

٢٠٥) منسوبا إلى محمد بن مالك.

(٧) البيت في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٤).

(٨) في القلائد: «ويحسن».

نشره: قال أبو نصر^(١): كتبت إليه مودعاً، فكتب^(٢) إليّ مُستدعياً، وأخبرني رسوله^(٣) أنه لما قرأ الكتاب وضعه، وما سوى ولا فكر ولا روى:

يا سيدي، جرت الأيام^(٤) بجمع أفترارك، وكان الله جارك في انطلاقك^(٥)، فقَيْرُكَ رُوعَ بالظَّعن، وأوقد للوداع جاحم^(٦) الشَّجن، فأنت^(٧) من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقر^(٨) على وطن، كأنك والله يختار لك ما تأتبه وما تدعه، مؤكل بفضاء الأرض تذرعه^(٩)، فحسب من نوى بعشرتكَ الاستمتاع، أن يعدك^(١٠) من العواري السريعة الازتجاج^(١١)، فلا بأسف على قلة الثوا^(١٢)، ويُششد: [الطويل]

وفارقت حتى ما أبالي من النوى

وفاته: اعتل^(١٣) بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة، فزادت علته بها، وتوفي، رحمه الله، بها في غرة شعبان سنة ثمان^(١٤) عشرة وخمسمائة، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة، وحضر جنازته الخاصة والعامة.

من رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله، فقال: [الكامل]

إن كنت تشفق من نزوح نواه فهناك مقبرة وذا مَثواه
قسَمَ زمانك عِبرة أو عِبرة وأجل تشوقه على ذكره

- (١) قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥).
(٢) في القلائد: «فجاوبني جواباً مستدعياً». (٣) في القلائد: «رسولي».
(٤) في القلائد: «الأقدار».
(٥) هذا من قول البحري وهو بحلب، قاله لأبي جعفر بن سهل المروزي ولم يودعه: [مخلع البسيط]

الله جارك في انطلاقك تلقاء شاميك أو عراقك
ديوان البحري (ج ٢ ص ١٢).

- (٦) في الأصل: «جامح» والتصويب من المصدرين.
(٧) في المصدرين: «فإنك». (٨) في القلائد: «لا تستقر».
(٩) قوله: «مؤكل بفضاء الأرض تذرعه» عجز بيت لابن زريق البغدادي، وصدره هو: [البسيط]
كأنما هو في حل ومرتحل
(١٠) في القلائد: «يعتدك». (١١) في القلائد: «الاسترجاع».
(١٢) الثوا: أصل القول: الثواء، بالهمز. والثواء: الإقامة.
(١٣) قارن بنفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥). (١٤) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

وأغدذه ما امتدت حياتك غائبًا
أو نائمًا غلبت عليه رقدة
أو كوكبًا سرت الركاب بنوره
فمتى تبعد والنفوس تزوره
يا واحدًا عدل الجميع وأصلحت
طالت أذاتك بالحياة كرامة
لشهادة التوحيد بين لسانه
وبوجهه^(١) سيما أغر محجل
وكانما هو في الحياة سكينه
وكأنه لحظ العفاة توجعًا
أبدى رضى الرحمن عنك ثناؤهم
يا ذا الذي شغف القلوب به
ما ذاك إلا أنه قزع زكا
فاليوم أودى كل من أحببته
ماذا يؤمل في دمشق مُشهد
يعتاد قبرك للبكاء أيفًا بما
يا ثربة حل الوزير ضريحها
وسرى إليك ومنك ذكر ساطع

أو عاتبًا إن لم تزر رزناه
لمشهد لم تغتمض عيناه
فمضى وبلغنا المحل سناه
ومتى تغيب والقلوب تراه
دنيا الجميع ودينهم دنياه
والله يكرم عبده بأذاه
وجنائه نور يرى مسراه
منهما بدا لم تلبس سيماه
لولا اهتزاز في الندى يغشاه
فتلازمت فوق الفؤاد يده
إن الثناء علامة لرضاه
وذا لا ترتجيه وذاك لا تخشاه
وسيع الجميع بظله وحناءه
وتعى إلى النفس من ينغاه
قد كنت ناظره وكنت تراه؟
قد كان أضحكك الذي أبكاه
سقاك بل صلى عليك الله
كالمشك عاطرة به الأفواه

عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي^(٢)

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة^(٣)، ونشأ بلوثة، وهو محسوب من
الغرناطين.

حاله: كان شيخًا يبدو على مخيلته النبل والدهاء، مع قصور أدواته. يتشغل
النظم والنثر في أراجيز يتوصل بها إلى غرضه من التصرف في العمل.

(١) في الأصل: «ويوجه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) ترجمة الينشتي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٣) باغة: بالإسبانية Priego، وهي مدينة بالأندلس من كورة البيرة، في قبلي قرطبة، ولماها خاصة
عجيبة. معجم البلدان (ج ١ ص ٢٢٦) والروض المعطار (ص ٧٨).

وجرى ذكره «في التاج المحلى» وغيره بما نصه^(١): قارض^(٢) هاج، مُدَاهَنُ مُدَاج، أَخْبَثُ من نظر من طَرَفَ خَفِي، وأَعْدَرُ من تلبس بشعار وفي، إلى مَكِيدَة مَبْثُوتَة الحبائل، وإغراء يقطع بين الشعوب والقبائل، من شيوخ طريقة العمل، الْمُتَقَلِّين من أحوالها بين الصُّخو والثمل، المتعللين برسومها حين اختلط المرعي والهمل^(٣). وهو ناظم أجزاز، ومستعمل حقيقة ومجاز. نظم مُخْتَصِر السيرة، في الألفاظ اليسيرة، ونظم رَجَزًا في الزُجر والقال، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن نظمه ما خاطبني به مستدعيًا إلى إعدار ولده^(٤): [البسيط]

أريدُ من سيدي الأعلى تَكْلُفه على^(٥) الوصول إلى داري صباح غَدِ
يزيدني شرقًا منه ويُبَصِّرُ لي صناعة القاطع الحجام في ولدي
فأجبتُه: [البسيط]

يا سيدي الأوحدا الأسمى ومُعْتَمِدي وذا الوسيلة من أهل ومن بلد^(٦)
دَعَوْتُ في يوم الاثنين الضحاب ضَحَى وفيه ما ليس في بَيْت^(٧) ولا أحدِ
يومُ السَّلام على المولى وخدمته فاضْفَحْ وإنْ عَثَرَتْ رِجْلِي فَعُذْ بيدي
والْعُذْرُ أَوْضَحُ من نارٍ على عَلم فَعَدَّ إنْ غِبْتُ عن لَوْمٍ وعن قَنَدِ^(٨)
بقيت في ظل عيشٍ لا نفاذَ له مُصَاحِبًا غير محصور إلى أَمَدِ
ومنه أيضًا: [الكامل]

قل لابن سيد والديه: لقد علا وتجاوز المقدار فيما يَفْخَرُ
ما ساد والده فيُحمد أمره إلا صغير الفئز حتى يَكْبُرُ
وصلدت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى، ممّا عُدب به المجنى، منها قوله^(٩): [الكامل]

إنّ الولاية رفعة لكنها أبدا إذا حَقَّقْتُهَا تنقل^(١٠)

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (٢) في النفح: «مادح». (٣) في المصدر نفسه: «بالهمل». والمرعي الذي له راع يحفظه. والهمل: الذي ترك مهملاً لا راعي له. لسان العرب (رعى) و(همل). (٤) البيتان وجوابهما في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦). (٥) في النفح: «إلى». (٦) في النفح: «من أهلي ومن بلدي». (٧) في المصدر نفسه: «سبت». (٨) القَنَدُ، بالفتح: تخطئة الرأي. لسان العرب (قند). (٩) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (١٠) في الأصل: «تنقل»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلها لا تُغزلُ

وقال: [الطويل]

هنيئاً أبا إسحاق دُمتَ موقفاً
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي
وقالوا: عجيب نور بذرين ظاهر
سعيداً قريز العين بالعُرس والعُرس
تَمَلَّكَتْهَا فِي الْحَسَنِ أَسْنَى مِنَ الشَّمْسِ
فقلت: نعم إن ألف الجنس للجنس

وكتب إلي: [الطويل]

إذا ضاق دُرْعِي بِالزُّمَانِ شَكْوَتُهُ
هُوَ الْعُدَّةُ الْعَظْمَى هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي
وَزِيرٌ عَلَا ذَاتًا وَقَدَرًا وَمُنْصِبًا
وَفِي بَابِهِ نِلْتُ الْأَمَانِي وَقَادَنِي
فَلَا زَالٌ فِي سَعْدٍ وَعِزٍّ وَنَعْمَةٍ
لمولاي من آل الخطيب فينفرج
بأوصافه الحُسنَى المكارم تَبْتَهَجُ
فَمِنْ دُونِهِ أَغْلَا الْكَوَاكِبُ يَنْدَرِجُ
دَلِيلُ رَشَادِي حَيْثُ رَافَقَنِي الْفَرَجُ
تُصَانُ بِهِ الْأَمْوَالُ وَالْأَهْلُ وَالْمُهَجُ

وفاته: توفي في الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة.

وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن،
وأولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم^(١)

أوليته: أبوه المنشوب إليه فتح الأندلس، ومحلّه من الدين والشهرة وعِظَمُ
الضَّيِّبِ معروف.

حاله: كان عبد الأعلى أميراً على سُنَّ أبيه في الفضل والدين، وهو الذي باشر
فتح غرناطة ومالقة، واستحقّ الذكر لذلك. قال الرازي^(٢): وكان موسى بن نصير قد
أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رُتِبَ من الرجال إلى البيرة وتُدْمِر؛ لفتحها، ومضى إلى
البيرة ففتحها، وضَمَّ بها إلى غرناطة اليهود مستظهراً بهم على النُصْر، ثم مضى إلى
كورة رِيّه، ففتحها.

(١) راجع أخبار عبد الأعلى بن موسى بن نصير في نفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مخيو

يكنى أبا محمد، أوليته معروفة.

وقد ما بين أبيه وبين جدّه، أمير المسلمين، بما أوجب انتباهه إلى سكنى مدينة سيجلماسة، مُعَزَّزَةً له القابُ السلطان بها، مُدَوِّخًا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسُدَّ الكبير الشهير، وقُصور الملك. فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن، وأمضى قتلته بالفِصاد، نشأ ولده، وهم عدّة بياب عنهم، يَسْعُهُمْ رِفْدُهُ، ويقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابنته السلطان أبو عِنان، عندما تصيّر الأمر إليه، فاستقرّوا بغرناطة تحت برّ وجراية، قَلِقًا بمكانهم من جلاهم ومن بعده، لإشارة عيون الترشيع إليهم، مغازلة من كشب، وقعودهم بحيث تغشّر فيهم المظنّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.

حاله : هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصيانة وذمّت الخلق وحسن الإدارة، يَأْلَفُ أهل الفضل، خاطبٌ للرُتبة بكل جهد وحيلة، وسُدُّ عنه باب الأطماع. حُدِّرَ من كان له الأمر بالأندلس من لدُن وصوله؛ كي لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرْف وجوه أهله إلى غزو عدو المِلّة، ومُخَوِّلِي القِبلة، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة، وربما يَمِيت عنهم الحركات والهموم، فتَقَفُّوا من فيها عليهم، إلى أن تبرا ساحتهم ويظن به السكون. فلما دالت الدولة، وكانت للأخابث الكُرّة، واستقرّت بيد الرئيس الغادر الكُرّة، وكان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، وليّ مُلْك الأندلس، المُزْعَج عنها بعلّة البَغْي، ذهب الذایل الأخرق إلى المقارضة، فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تِلْمَسَان بعد مفاوضة، فكان ذلك في أخريات ذي قعدة، وقد قُضِيَ الأمر في السلطان أبي سالم، وانحلت العُقدة، واثتكت المريرة، وولّى الناس الرجل المعتوه، وقد إلى تِلْمَسَان من لم يَرْض محله من الإدالة، ولا قويت نفسه على العوض، ولا صابرت غضّ المخافة، وحرك ذلك من عزمه، وقد أنجده السلطان مُستدعيه بما في طَوْقه. ولما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، ومُغِيل التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حُدِّرَ من لحق به من أضداده، فصمّم على الحصار، واشتراب بالقبيل المَرِينِي، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفتهم، فتَقَرُّوا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعمائة، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجّهت إليه

وجوهم اتفاقاً، وانثالوا عليه اضطراباً، ونازل البلد الجديد، دار الملك من مدينة فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. واضطربت المحلات بظاهره، وخرج إليه أهل المدينة القُدمى، فأخذ بيعتهم، وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطباتها.

ومن ذلك ما خطب به من مدينة سَلا، وأنا يومئذ بها: [الخفيف]

يا إمام الهدى، وأي إمام أوضح الحق بَعْدَ إخفاء رَسْمِه
أنت عبد الحليم جَلُمك نَزجو فالمُسَمَّى له نصيب من اسمِه

وسلك مَسْلَكًا حسنًا في الناس، وفَسَحَ الآمال، وأَجْمَلَ اللقاء، وتَحَمَّلَ الجفاء، واستفَزَّ الخاصة بجميل التَّائِي وأَخَذَ العفو، والتَّظَاهَرَ بإقامة رسوم الدِّيانَةِ، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك ومُدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الرُّوم والجند الرُّحل، واستَكْثِرَ من آلات الظهور وعُدَدِ التَّهْوِيلِ، فكانت بين الفريقين حربٌ مرَّةٌ تولَّى كبرها النَّاشِبة، فأرسلت على القوم خواصب التَّيْلِ، غارت لها الخَيْلُ، واقشعرت الوجوه، وتقهقرت المواكب. وعندها بَرَزَ السلطان المغتوهِ، مصاحبةً له نَسْمَةُ الإقدام، وتهوُّرُ الشَّجَاعَةِ عند مفارقة الخلال الصُّحْيَةِ، وتوالت الشدات، وتكالبت الطَّائِفَةُ المحصورة، فتمرَّست بأختها، ووقعت الهزيمة ضُخوةً اليوم المذكور على قَبِيلِ بني مَرِينِ ومن لَفَّ لَفَّهُم، فصَرَفُوا الوجوه إلى مدينة تازِي، واستقرَّ بها سلطانهم، ودخلت مَكْناسَةٌ في أمرهم، وضاق دَرْعُ فاس للملك بهم، إلى أن وصل الأمير المُسْتَدْعَى، طِيَّةُ الصَّبر، وأجدى دَفْعَ الدِّينِ، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام. وكان اللقاء بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مُطْعَمَ الإمهال ومُعَوَّدِ الصُّنْعِ. وبين جيش بني مَرِينِ، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، فرحل القوم من مَكْناسَةٍ، وفرَّ عنهم الكثير من الأولياء، وأخلَّوْا العَرَصَةَ، واستقرَّوا أخيرًا ببلد أبيهم سِجْلَمَاسَةٍ، فكانت بين القوم مُهادنة. وعلى أثرها تَعَصَّبَ للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة، وقد برز إليهم في شأن استخلاص الجبابة، فرجعوا به إلى سِجْلَمَاسَةٍ. وخرج لمدافعتهم الأمير عبد الحليم، بمن معه من أشياخ قَبِيلِهِ والعرب أولى مظاهره، فكانت بينهم حرب أجَلَّتْ عن هزيمة الأمير عبد الحليم، واستَلْحَمَ للسَّيفِ جملة من المشاهير، كالشيخ الخاطب في حَبْلِهِ، خِذْنِ التُّكْرَ وقادح زَيْدِ الْفِتْنَةِ، الدَّائِنُ بِالْحَمْلِ على الدول على التفصيل والجُمْلَةِ، الْمُعْتَمِدُ بِالْمَغْرِبِ بالرَّأْيِ والمشورة، يحيى بن رَحْوِ بن مَشْطَى وغيره. وأذن عبد الحليم بعدها لِلخَلْعِ، وخرج عن الأمر لأخيه، وأبقي عليه، وتحرَّج من

قتله، وتُعَرَّف لهذا الوقت صَرْفُهُ عنه إلى الأرض الحجازية على صحراء القِبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحَضرة مع الجملة من إخوته وبني عمِّه في...^(١).
جَلاههم السلطان أبو عنان عندما تصيَّر له الأمر، فاستقرُّوا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشده.

وفاته: وتوفي...^(١) وستين وسبع مائة.

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَخْيُو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلاً وقوراً، سكوناً، نحيفاً، آية الله في جمود الكف، وإيثار المَسك، قليل المُداخلة للناس، مشتغلاً بما يُغنيه من خُويصة نفسه، موصوفاً ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرك معه وابن أخ لهما، فتولَّى كثيراً من أمره، ولقي الهول دونه. ولما استقرُّوا بسِجْلَماسة، كان ما تقرَّر من توثيقه على أمره، والعمل على خَلعه، مُغتذراً، زعموا إليه، موفياً حقّه، موجِّباً تَجَلُّته إلى حين انصرافه، ووصل الأندلس خطابه يُعرِّف بذلك بما نصَّه في المَذرَجة.

ولم يَنْشِب أن أحسَّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره^(٢)، عامر بن محمد الهِثَّاتِي، وعرض نفسه عليه، فاستدعاه، وبَدَّل له أماناً. ولما تحصَّل عنده، قبض عليه وثَقَّفه، وشدَّ عليه يده، وحَصَّل على طلبه دَهيَّة من التَّوَعْد بمكانه، واتخاذ اليد عند السلطان بكف عاديته إلى هذا التاريخ.

ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طارؤون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجه إلى المغرب، وجرت عليه الهزيمة من بني زِيَّان.

(١) بياض بالأصول.

(٢) نسبة إلى هسكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية، الضاربة في بلاد السوس جنوب شرقي مراكش، وغربي سِجْلَماسة.

حاله : كان صبيًا ظاهر السكون والأدب، في سن المراهقة، لم ينشِب أن نازله جيشُ عدوّه. ومالاه أهل البلد، وأخذ من معه لأنفسهم وله الأمان، فنزل عنها ولحق بالأندلس. قال في كتاب «طُرْفَة العصر»: وفي ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة، اتّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن معه، بساحل شلوبانية^(١)، مُقْلَتَيْن من دَهَق الشّدة، بما كان من منازل جيش بني زيان مدينة الجزائر، وقيام أهلها بدعوتهم، لما سموه من المطاولة، ونهكهم من الفتنه، وامتنع الأمير ومن معه بقصبتها، وأخذوا لأنفسهم عهدًا، فنزلوا وركبوا البحر، فرافقهم السّلامة، وشملهم سيّر العِصمة. ولحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثَقِيلِي الجَلية، وما يناسب ذلك من بَرّة، وعَجَل من خدامه بمن يقوم ببرّه، وأصحبه إلى منزل كرامته. ولرابع يوم من وصوله كان قدومه، وبرز له السلطان بروزًا فخّمًا، ونزل له، قارضًا إياه أَحْسَن القَرَض؛ بما أسلفه من يد، وأسدهاه من طَوّل. وأقام ضيفًا في جواره، إلى أن استدعاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رِضَى منه، ولم ينشِب أن هلك مُغْتَالًا في جُمْلَةٍ أزداهم الترشيح.

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني^(٢)

يكنى أبا ملك^(٣). وبيته في الموحّدين الملوك بتونس. وأبوه سلطان إفريقية، المُتَرَفّي إليها من رُتبة الشّياخة الموحّدية.

حاله : كان رجلًا طَوَالًا نحيفًا، فاضلًا حَسِيبيًا، مقيمًا للرّسوم الحَسْبِيَّة، حسن العشرة، معتدل الطّريقة. نشأ بالبلاد المشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، وتقلّد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرّ عنها ولحق بالمغرب، وجاز إلى الأندلس، وقدم على سلطانها، فرحّب به، وقابله بالبرّ، ونوّه محله، وأطلق جراته، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدوة، ووقعت بيني وبينه ضُحبة، أنشدته عند وداعه^(٤): [المتقارب]

أبا ملك، أنتَ نَجَلُ الملوك غيوثُ النّدى وليوثُ النّزالي
ومِثْلُكَ يَزْتاحُ للمَكْرُمات وما لك بين الوري من مثالي

(١) شلّوبانية أو شلّوبينية: بالإسبانية: Salobrena، وهي قرية على ضفة البحر، بينها وبين المنكب عشرة أميال، يجود فيها الموز وقصب السكر. الروض المعطار (ص ٣٤٣).

(٢) أخبار عبد الواحد بن زكريا في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١).

(٣) في المصدرين السابقين: «أبا مالك».

(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦ - ١٩٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢).

عزیزُ بأنفسنا أن نرى رِکابک مُؤذنةً بارتحال
وقد خَبَرْتُ منك خُلُقًا كريمًا أنافَ على درجاتِ الکمالِ
وفازْتُ لَدَيْکَ بِسِباعِ أُنسٍ كما زار في الثَّومِ^(١) طَيْفُ الخيالِ
فلولا^(٢) تَعَلَّلْنَا أَننا نَزُورُکَ فوقِ بِساطِ الجَلالِ
ونبلُغُ فیکَ الَّذي نَشْتَهِي^(٣) وذاكَ على الله سَهْلٌ^(٤) المَنالِ
لما فَشَرْتُ أَنفُسَ مِنِ أَسَى ولا بِرِخَتْ أَدَمَعٌ في ائهِمالِ
تَلَقُّتُکَ حَيْثُ اخْتَلَلَتْ السُّعودُ وكانَ لَکَ اللهُ في^(٥) کُلِّ حالِ

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مخيو

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله: كان شجاعاً عفيفاً تقيّاً، وقوراً جليداً، معروف الحق، بعيد الصيت. نازع الأمر قومَه بالمغرب، وانتزى بمدينة تازي، على السلطان أبي الربيع، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق دُرْعَه، فعبر فيمن معه إلى تلمسان. ولما هَلَكَ أبو الربيع، وولي السلطان أبو سعيد، قدّم للكُتُبِ في شأنه إلى سلطان الأندلس، وقد تعرّف عزمه على اللحاق، ولم ينشِب أن لحق بالمرية من تلمسان، فتُفّف بها؛ قَضاءَ لِحَقٍّ من خاطب في شأنه. ثم بدا للسلطان في أمره، فأوعز لرُقبائه في العُقلة عنه، وفرّ فلحق ببلاد النصري^(٦) فأقام بها، إلى أن كانت الواقعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية القَطُشا على يد طالبِ المُلْك أمير المسلمين أبي الوليد، وأسير يومئذ شيخ الغزاة حَمُو بن عبد الحق، وترجّع الرأي في إطلاقه وصَرْفَه، إعلاناً للتهديد، فنجحت الحيلة، وعُزل عن الخُطّة، واستدعي عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، وقدّم شيخاً على الغزاة. ولما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر، واستوسق له، وكان ممن شمله أمانه، فأقرّه مرؤوساً بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة. ثم لَحِقَ بِأَميرِهِ المخلوع

(١) في المصدرين: «في الليل».

(٢) في المصدرين: «ولولا».

(٣) في المصدرين: «نبتغي».

(٤) في الأصل: «وذاك على السَّهْلِ...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الأصل: «على» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) المراد ببلاد النصري: أي بلاد النصارى.

نُضِر، المستقرّ مُواذَعًا بوادي آش، وأوقع بجيش المسلمين مُظاهر الطاغية، الواقعة الشّنيعة بقَرْمُونَة، وأقام لديه مُدّة. ثم لحق بأرض النُّضري، وأجاز البحر إلى سَبْتَة، مظاهراً لأميرها أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العزّفي، وقد كشف القناع في مُنايضة طاعة السلطان، ملك المغرب، وكان أمّلك لما بيده، وأُتيح له ظَفَرٌ عظيم على الجيش المُضَيّق على سَبْتَة، فبيّته وهزّمه. وتخلّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش في بيت من الخشب رهينة، فصُرف عليه، فما شئت من ذِياع شهرة، وبُعْد صيت، وكَرَم أخذوثه. ثم بدا له في التّحول إلى تلمسان، فانتقل إليها، وأقام في إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره.

وفاته: توفي يوم دخول مدينة تلمسان عثوة، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وثلاثين وسبعمئة، قُتل على باب منزله، يُدافع عن نفسه، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غناء، وكُور واستلّحم، وحُزُّ رأسه. وكان أسوة أميرها في المَخيا والمَعات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله وقُتل بِمَقْتله. وكان أيضًا علّماً من أعلام الحروب، ومثلاً في الأبطال، وليثاً من ليوث الثّزال.

عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه^(١)

حاليهما: قال ابن مسعدة: أبو محمد وأبو مروان تولّيا حُطّة الوزارة في الدولة الحَبُوسِيّة^(٢)، ثم تولّيا القيادة بثغور الأندلس، وقهرا ما جاورهما من العدوّ، وغلّباه، وسَقّياه كأس المنيا، وجرّعاه. ولم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين علّمين، إلى أن استشهدا، رحمهما الله.

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله: قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعراً، نحويّاً، لغويّاً، كاتباً متوقّداً الذهن، عنده معرفة بالطّب، ثم اعتزل الناس، وانقبض، وقصد سُكنى البِشارات^(٣)؛ لينفرد بها، ويُخفي نفسه؛ فراراً من الخدمة، فتهدّأ له المُراد.

(١) راجع أخبارهما في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٩).

(٢) نسبة إلى حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، وقد حكم غرناطة في عصر ملوك الطوائف من سنة ٤١٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ. انظر أخباره مفصلة في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٥ - ١١٧).

(٣) البِشارات أو البُشَرَات Alpujarras، هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلبر، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٢٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

شعره: وكان شاعراً جيداً القريحة سريع الخاطر، ومن شعره: [السريع]
يا صاح، لا تعرض لزوجة
كلّ البلاء من أجلها يفتري
الفقر والذلّ وطول الأسى
لست بما أذكره مُفتري
ما في فم المرأة شيء سوى
اشتري لي واشتر لي واشتر

القضاة الفضلاء وأولاً الأصليون

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب
ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد
ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي^(١)

أوليته: من ولد زيد بن محارب بن عطية، نزل جدّه عطية بن خفاف بقرية
قسلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيراً ممن له خطر، وفيه فضل.

حاله: كان^(٢) عبد الحق فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه،
والنحو والأدب واللغة، مُقيّداً حسن التقييد، له نظم ونثر، وُلّي القضاء بمدينة ألمرية
في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الذكاء والذكاء، والتَّهَمُّ
بالعلم، سَرِيّ الهمة في اقتناء الكتب. توخّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزّ
الخطّة.

مشيخته: روى^(٢) عن الحافظ أبيه، وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي
عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع، وأبي المطرف الشعبي، وأبي الحسين بن
البيان، وأبي القاسم بن الحضار المُقري، وغيرهم.

توآليفه: ألف كتابه المسمى بـ «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع، وطار
بحسن نيّته كل مطار. وألف برنامجاً ضمنه مزيّاته، وأسماء شيوخه، وجرز
وأجاد.

(١) يكنى عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي أبا محمد، وترجمته في الصلة (ص ٥٦٣) وفلان
العقيان (ص ٢٠٧) وبغية الملتبس (ص ٣٨٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦) وبغية الوعاة
(ص ٢٩٥) ومعجم أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٦٥) والحلة السيرة (ج ١ ص ٦)
والمنرب (ج ٢ ص ١١٧) ورايات المبرزين (ص ١٤٧) وفلان العقيان (ص ٢٠٧) والديباج
المذهب (ص ١٧٤) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

شعره: قال الملاحى: ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه، قوله^(١):

[البسيط]

وليلة جُبِثْتُ فيها الجَزَعُ^(٢) مُرْتَدِيًا
بالسَّيْفِ أَسْحَبُ أذْيَالًا مِنْ الظُّلَمِ
والتُّجَمُ حَيْرَانٌ فِي بَحْرِ الدُّجَا غَرِقُ
والبَّذْرُ^(٣) فِي طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ كَالْعَلَمِ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ زَنْجِي بِكَامِلِهِ
جَزَحٌ فَيَثْقَبُ^(٤) أَحْيَانًا لَهُ بَدَمُ

وقال يثدب عهد شبابه^(٥): [البسيط]

سَقِيًا لِعَهْدِ شَبَابٍ ظَلْتُ أَمْرَحُ فِي
رَيْعَانِهِ وَلِيَالِي الْغَيْشِ أَشْحَارُ
أَيَّامُ رَوْضِ الصُّبَا لَمْ تَذُورِ أَغْصُنُهُ
وَرَوْثُ السُّمْرِ غَضُّ وَالْهَوَى جَارُ^(٦)
والتُّفْسُ تُرْكِيضُ فِي تَضْمِينِ ثُرْتِهَا
طَرَقَا لَهُ فِي زَمَانِ اللَّهْوِ إِحْضَارُ^(٧)
عَهْدًا كَرِيمًا لِبَسْنَا مِنْهُ^(٨) أَرْدِيَّةُ
كَانَتْ عُيُونًا وَمَحَتْ^(٩) فَهِيَ آثَارُ

(١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) ورايات المبرزين (ص ١٤٧ - ١٤٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٤).

(٢) في الأصل: «جيت فيها الجذع»، وقد فضلنا ما جاء في المصادر الثلاثة.

(٣) في القلائد: «والبرق فوق رداء الليل...». وفي الرايات والنفح: «والبرق» بدل «والبدر».

(٤) في الأصل: «فيثغب» بعين معجمة، والتصويب من المصادر الثلاثة: «ثغب»: يعجري ويسيل. لسان العرب (ثغب).

(٥) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٦) في الأصل: «حمار» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٧) في القلائد: «في رمان اللهو». وفي النفح: «... في تضمير شيرتها...». والشرة: الجدة والنشاط.

(٨) في المصدرين: «... لبسنا منه أردية كانت عيانًا...».

(٩) في الأصل: «ومحيت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

مَضَى وَأَبْقَى بِقَلْبِي مِنْهُ نَارَ أَسَى
 كُونِي سَلَامًا وَيَزْدًا^(١) فِيهِ يَا نَارَ
 أَبْعَدَ أَنْ تَعِمَّتْ نَفْسِي وَأَصْبَحَ فِي
 لَيْلِ الشَّيْبَابِ لِضُبْحِ الشَّيْبِ إِسْفَارَ^(٢)
 وَنَارَ عَتْنِي اللَّيَالِي وَأَثْنَتْ كِسْرًا^(٣)
 عَنْ ضَيْقِ مَا لَه نَابَ وَأَظْفَارَ
 إِلَّا^(٤) سَلَاخَ خِلَالِ أَخْلِصَتْ فَلَهَا
 فِي مَهْلِ الْمَجْدِ إِيرَادَ وَإِصْدَارَ
 أَصْبُو إِلَى رَوْضِ عَيْشِ رَوْضِهِ خَضِيلَ^(٥)
 أَوْ يَنْثَنِي بِي عَنْ اللَّقَاءِ^(٦) إِقْصَارَ
 إِذَا قَعَطْتُ^(٧) كَفِّي مِنْ شَبَا قَلَمِ
 آثَارِهِ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ أَزْهَارَ

مَنْ رَوَى عَنْهُ: رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حُبَيْشٍ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ مَضَاءَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُنْعَمِ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ حَكَمٍ، وَغَيْرِهِمْ.

مولده: ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وفاته: توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لُورَقَةَ^(٨). قَصْدُ مَرْسِيَةٍ^(٩) يتولى قضاءها، قَصْدُ عَنْهَا، وَصُرْفُ مِنْهَا إِلَى لُورَقَةَ، اعتداءً عليه.

(١) في الأصل: «أو بردًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) في الأصل: «أسفار» بفتح الهمزة، والتصويب من المصدرين.

(٣) رواية صدر البيت في المصدرين هي:

وقارعتني الليالي فاثنت كسرا

(٤) في الأصل: «إلا» والتصويب من المصدرين.

(٥) رواية صدر البيت في القلائد هي:

أصبر إلى خفض عيش دَوْحُهُ خَضِيلُ

(٦) في الأصل: «اللقاء» وهكذا ينكسر الوزن. وفي القلائد والنسخ: «اللقاء».

(٧) في الأصل: «إذا تَعَطَّلْتُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الصلة (ص ٥٦٤) توفي في سنة ٥٤٢ هـ، دون أن يحدد ابن بشكوال المدينة التي توفي بها. وفي بغية الملتبس (ص ٣٨٩): توفي بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦): توفي سنة ٥٤٢ هـ بحصن لورقة. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٥): توفي بأورقة في ٢٥ رمضان سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٦ هـ.

(٩) في القلائد والنسخ: «قصد ميورقة».

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي^(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الفرس، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظاً جليلاً، فقيهاً، عارفاً بالنحو واللغة، كاتباً بارعاً، شاعراً مطبوعاً، شهير الذكر، عالي الصيت. ولّى القضاء بمدينة شقر، ثم بمدينة وادي آش، ثم بجيان، ثم بغرناطة، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التي كان من مضمّن ظهيره بها قول المنصور^(٢) له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣)، وجعل إليه النظر في الحسبة، والشرطة، وغير ذلك، فكان إليه النظر في الدماء فما دونها، ولم يكن يقطع أمرّ دونه ببلده وما يرجع إليه.

وقال ابن عبد الملك: كان^(٤) من بيت علم وجلالة، مُسْتَبْحَرًا في فنون المعارف على تفاريقها، متحققاً بها، نافذاً فيها، ذكي القلب، حافظاً للفقهاء. استظهر أوان طلبه الكتابين^(٥): المدونة، وكتاب سيبويه وغيرهما، وعني به أبوه وجده عناية تامة. وقال أبو الربيع بن سالم^(٦): سمعت أبا بكر بن الجذ، وحسبك به^(٧) شاهداً، يقول غير ما^(٨) مرة: ما أعلم بالأندلس أخفّ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس، بعد أبي عبد الله بن رزقون.

مشيخته: روى^(٩) عن أبيه الحافظ أبي عبد الله، وعن جده أبي القاسم، سمع عليهما وقرأ، وعن أبي بكر بن النفيس، وأبي الحسن بن هذيل، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، وأبي عامر محمد بن أحمد

(١) ترجمة عبد المنعم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ١٢٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٢) وبيغة الوعاة (ص ٣١٥) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والديباج المذهب (ص ٢١٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣٧٦) ورايات المبرزين (ص ١٤٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨).

(٢) هو الخليفة الموحد يعقوب بن يوسف، الذي حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠).

(٣) سورة الأعراف ٧، الآية ١٤٢. (٤) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠).

(٥) في الأصل: «الكتابين» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢).

(٧) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) كلمة «ما» ساقطة في الذيل والتكملة. (٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨ - ٥٩).

الشُّلبي، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن، ابني زيادة الله. هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه، وأجاز له من غير لقاء، وبعضهم باللقاء من غير قراءة؛ ابنُ ورد، وابنُ بقي، وأبو عبد الله بن سليمان التونسي، وأبو جعفر بن قبال، وأبو الحسن بن الباذش، ويونس بن مغيث، وابنُ مَعْمَر، وشُريح، وابنُ الوحيد، وأبو عبد الله بن صاف، والرُّشاطي، والحَميري، وابنُ وضاح، وابنُ موهب، وأبو مروان الباجي، وأبو العباس بن خلف بن عيشون، وأبو بكر بن طاهر، وجعفر بن مكِّي، وابنُ العربي، ومساعد بن أحمد بن مساعد، وعبد الحق بن عطية، وأبو مروان بن قُزَّمان، وابنُ أبي الخصال، وعياض بن موسى، والمَازري، وغيرهم.

توالياً: ألف عدة توالياً، منها «كتاب الأحكام»^(١)، ألفه وهو ابن خمسة وعشرين عاماً، فاستوفى ووفى، واختصر الأحكام السلطانية، وكتاب النسب لأبي عبيد بن سلام، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين، وكتاب المُختَسِب لابن جُني. وألف كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة، وكتاباً في صناعة الجدَل، وردَّ على ابن غزبيَّة في رسالته في تفضيل المعجم على العرب. وكتب بخطه من كتب العربية واللغة والأدب والطب وغير ذلك.

من روى عنه: حدث^(٢) عنه الحافظ أبو محمد القرطبي، وأبو علي الرُّندي، وابنا حَوْط الله، وأبو الربيع بن سالم، والجُم الغفير.

شعره: [الطويل]

أبى ما بقلبي اليوم أن يتكثما	وحشيتك بالدمع السفوح مترجما
وأعجب به من أخرس بات مفصحا	يبيّن للواشين ما كان مبنهما
فكم غبرة في نهر شفر بعثتها	سباقاً فامسى النهر مختضباً دما
يُرجع ترجيع الأنين اضطراره	كشكوى الجريح للجريح تألما
كَمَلَن بصحبي فوقه ^(٣) الدمع نائر	شقائى نغمان على مثن أرقما
ولله ليل قد لبست ظلامه	رداء ^(٤) بأنوار النجوم مئتما

(١) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١) أن «أحكام القرآن» من أجل مصنفاته.

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩ - ٦٠).

(٣) في الأصل: «في قوفة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «إذا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

أناوح فيه الوزق فوق غصونها
وما لي إلا الفرقدين^(١) مُصاحب
أبيت شتيت الشمل والشمل فيهما
فيا قاصدا تدمير، عرج مصافحا
وأغلىم بأبواب السلام صبابتي
وإن طفت في تلك الأجارح لا تُضغ
وما ضرها لو جاذبت ظبية النقا
فيثني قضيبا أثمر البدر مائسا
وما كنت إلا البدر وافى غمامة
وما ذاك من هجر ولكن لشقوة
فيا ليتني أضبخت في الشجر لفظة
ولله ما أذكى نسيمك نفحة
ولله ما أشقى لقاءك^(٢) للجوى
وما الراح بالماء القراح مشوبة
فما لي وللأيام قد كان شملنا
ولما^(٣) جئت الطيب من شهد وصلها
وقد دقت طعم البين حتى كأنني
فمن لفؤاد شطره حازه الهوى
ويا ليت أن الدار حان مزارها
ولو صبح قرب الدار لي لجعلته
فقد طال ما ناديت سيرا وجهرة

فكم أوريق منهن قد باب مُفجما
ويا بُغد حالي في الصبابة منهما
جميع كما أبصرت عقدا منظمًا
نسائك^(٢) رسما بالعقيق ومعلما
كما كان عزف المسك بالمسك علما
بحق هواها إن^(٣) تليم مسلما
فضول رداء قد تغشته معلما
بحقف مسيل لفه السيل مظلمًا
فما لاح حتى غاب فيها مغيمًا
أبت أن يكون الوصل منها متمما
ترددي مهما أرذت تفهما
أنت أعزت الروض^(٤) طيبا تنسما؟
كأنك قد أصبحت عيسى ابن مريما
باطيب من ذكراك إن خامرت فما
جميعا فأضحى في يديها مقسما
جئت من التبديد للوصل علقما
لألفه من أهواه ما دقت مطعما
وشطر لإحراز الثواب مسلما
فلو صبح قرب الدار أذركت مغنما
إلى مرتقى السلوان والصبر سلما
عسى وطن يدنو بهم ولعلما؟

(١) في الأصل: «الفرقدين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «نسالك» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «إن لم تليم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «الم».

(٤) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «لعاك» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «وما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن شعره: [الطويل]

سلام على من شقني بغد داره
ومن هو في عيني الذ من الكرى
سلام عليه كلما ذر شارق
لعمرك ما أخشى غداة وداعنا
وسال على الخدين دمع كأنه
وعانقت منه غصن بان متعمما
وأصبت في أرض قلبي بغيرها
نأى وجه من أهوى فاظلم أفقه
سل البرق عن شوقي يخبرك بالذي
وهل هو إلا نار وجدي وكلما

وأصبت مشغوقا بقرب مزاره
وفي النفس أشهى من أمان المكاره
يتم كعزف الزهر غب قطاره
وقد سمرت في القلب شعله ناره
بقية ظل الروض^(١) في جلتاره
ولاحظت منه الصبح عند اشتهاه
وما حال مملوك الفؤاد مكاره
وقد غاب عن عينيه شمس نهاره
ألاقيه من بزح الهوى وأواره
تنفست عم الجو ضوء شراره

ومن شعره أيضا رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

اقرأ على شنجيل^(٢) سلاما
من مغرم القلب ليس ينسى
إذا رأى مظهرًا سواه
وإن أتى مشربًا حميدا
وقف بتجد وقوف صب
واندب أراكا بشغب رضوى
واذكز شبابا مضى سريعا
هيهات ولّى وجاء شيب
ما يضلح الشيب غير تقوى
في كل يوم له ارتحال
ما الغمر إلا لديه دين

أطيب من عزفه نسима
منظره الرائق الوسима
عاف الجنى منه والشميما
كان وإن راقه دميما
يستذكر الخذن والحميما
قد رجعت بعدنا مشيما
أصبت من بغده سقيما
وكيف للقلب أن يهيما؟
تخجّب عن وجهه الجحيما
أعجب به ظاعنا مقيما
قد آن أن يقضي الغريما

(١) في الأصل: «الروض» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) شنجيل وشنجيل وشنيل: بالإسبانية Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يمر بلوشة وإستجة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٩).

فَعُدَّ إِلَى تَوْبَةٍ تُصَوِّحُ وَازْجُ إِلَهًا بِنَا رَحِيمًا
 قَدْ سَبَقَ الْوَعْدُ مِنْهُ حَتَّى أَطْمَعَ ذَا الشَّقْوَةِ النُّعِيمَا
 مولده: في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(١). وشهد دفنه بباب البيرة العجم الغفير، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه. وأمر أن يكتب على قبره: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَنْ يُسَلِّمُ وَرَحْمَتُهُ مَا زُرْتَنِي تَتَرَحَّمُ
 أَنْخَسِبُنِي وَخَدِي نُقِلْتُ إِلَى هُنَا؟ سَتَلْحَقَ بِي عَمَّا قَرِيبٍ فَتَعْلَمُ
 أَلَا قُلْ^(٢) لِمَنْ يُنْسِي لَدُنْيَاهُ مُؤَثِّرًا وَيُهْمِلُ أَخْرَاهُ سَتَشْفَى وَتَنْدَمُ
 فَلَا تَفْرَحَنَّ إِلَّا بِتَقْدِيمِ طَاعَةٍ فَذَاكَ الَّذِي يُنْجِي غَدًا وَيُسَلِّمُ

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى
 ابن باسيو بن تاذرزت التَّنَمَالِي الْيَدْرَازَتِينِي ثُمَّ الْوَاعْدِينِي

أصله من تَيْشُمَلَل^(٣)، من نظر مَرَائِشَ، وانتقل جدُّه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية. ونشأ عبد الملك ببجاية، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين. وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة.

حاله: من تعريف شيخنا أبي البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين. وكان مع ذلك، رجلاً كريم النفس، صادق اللهجة، سليم الصدر، مُنْصَفًا في المذاكرة. قُلْتُ: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده إفريقية. وثبت اسمه في «عائد الصلة» بما نصُّه: الشيخ الأستاذ القاضي، يكنى أبا محمد. كان، رحمه الله، من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصليين، صحيح

(١) كذا جاء في التكملة (ص ١٢٨) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٣). وفي بغية الوعاة (ص ٣١٥) والديباج المذهب (ص ٢١٨): توفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٢) في الأصول: «فيا» بدل: «ألا قُلْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تَيْشُمَلَل أو تَيْشُمَلَل، بيم مفتوحة واللام الأولى مشددة مفتوحة: جبال بالمغرب، كان بها سرير ملك بني عبد المؤمن. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصالة. بَثَّ في الأندلس علم أصول الفقه، وانتفع به. وتصرف في القضاء في جهات.

مشيخته: منقولاً من خط ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن عنوان، والشيخ أبي الطاهر بن سرور، والإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي، والشيخ أبي الشَّمل جماعة الحلبي، والشيخ أبي الحجاج بن قسوم وغيرهم. ومن خط المحدث أبي بكر بن الزيات: يحمل عن أبي الطاهر بن سرور، وعن أبي إسحاق بن عبد الرفيح.

توالياً: من توالياً: «المعاني المُبتكرة الفكرية، في ترتيب المعالم الفقهية»، «الإيجاز، في دلالة المجاز»، ونُصرة الحق، وردُّ الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأُضحية، والكُراس الموسوم^(١) بـ«المباحث البديعة، في مقتضى الأمر من الشريعة».

مولده: ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة.

وفاته: وتوفي قاضيًا بشالش يوم الجمعة، وهو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة. ودفن بجبانة باب البيرة بمقربة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي. وكانت جنازته مشهورة.

ومن المقرئين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة
ابن العباس بن مِزداس السلمي^(٢)

أصله من قرية قورت، وقيل: حصن واط من خارج غرناطة، وبها نشأ وقرأ.

حاله: قال ابن عبد البر: كان جَماعاً للعلم، كثير الكُتب، طويل اللسان، فقيهاً، نحويًا، عروضيًا، شاعرًا، نَسابة، إخباريًا. وكان أكثر من يختلف إليه الملوك

(١) في الأصل: «المرسوم».

(٢) يكنى عبد الملك بن حبيب أبا مروان، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٥٩). وفيه: «جاهمة» بدل «جلهمة»، وجذوة المقتبس (ص ٢٨٢) والمغرب (ج ٢ ص ٩٦) وبغية الوعاة (ص ٣١٢) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧) ومطمح الأنفس (ص ٢٣٣) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١١٠) والديباج المذهب (ص ١٥٤) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤) مادة البيرة ونفع الطيب (ج ١ ص ٥٢) و(ج ٢ ص ٢٢٦).

وأبنائهم. قال ابن مخلوف: كان يأتي إلى معالي الأمور. وقال غيره: رأته يخرج من الجامع، وخلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب. وقد رتب الدول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يُقرأ عليه فيها شيء إلا تواليفه وموطأ مالك. وكان يلبس الخز والسعيد. قال ابن نمير: وإنما كان يفعله إجلالاً للعلم، وتوقيراً له. وكان يلبس إلى جسمه ثوب شجر، وكان صواماً قواماً. وقال المغامي^(١): لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب، لأزدرت غيره. وزعم الزبيدي أنه نُعي إلى سُحنون^(٢) فاسترجع، وقال: مات عالم الأندلس. قال ابن الفرضي: جمع^(٣) إلى إمامته في الفقه التبحر في الأدب، والتفنن في ضروب العلوم، وكان فقيهاً مُفتياً. قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقي: كان له أرض وزيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، حَبَس جميع ذلك على مسجد قرطبة. وله بيرة مسجد ينسب إليه. وكان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين والخميس إلى مسجده بيرة، فيقرأ عليه، وينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صَفْصَعة بن سلام، والغازي^(٤) بن قيس، وزباد بن عبد الرحمن. ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رحلته من قريته بفحص غرناطة^(٥)، وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله، وأصبغ بن الفرج، وابنه موسى، وجماعة سواهم. وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهوراً. وعاد إلى البيرة، إلى أن رَحَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن الحكم إلى قرطبة، في رمضان سنة ثمان^(٦) عشرة ومائتين.

مَنْ روى عنه: سمع منه ابنه محمد وعبد الله، وسعيد بن نمر، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد بن قُطيس. وروى عنه من

(١) هو إبراهيم بن المنذر المغامي كما في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤).

(٢) سُحنون: هو لقب القاضي عبد السلام بن سعيد بن حبيب الشوفي، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ. ترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٧) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٣) والديباج المذهب (ص ١٦٠) وقضاة قرطبة (ص ١٣٠) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٩٤) وكتاب الوفيات (ص ١٧٤).

(٣) قول ابن الفرضي لم يرد حرقاً في كتابه (تاريخ علماء الأندلس ص ٤٦٢) كما هنا.

(٤) في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤): «والغاز بن قيس».

(٥) فحص غرناطة: هو مرج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيع وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada، يقع غربي غرناطة، ويمتد غرباً حتى مدينة لوشه. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

(٦) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

عظماء القرطبيين، مطرف بن عيسى، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، والمقامي في جماعة.

توالياه: قال أبو الفضل عياض بن موسى، في كتابه في أصحاب مالك^(١): قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كُتِبَ التي ألفت؟ قال: ألف كتاب وخمسون كتابًا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابًا، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب، وكتب الباء والنساء ثمانية، وغير ذلك. ومن كتب سماعاته في الحديث والفقه، وتوالياه في الطب، وتفسير القرآن، ستون كتابًا. وكتاب المغازي، والناسخ والمنسوخ، ورغائب القرآن، وكتاب الرهون والجذثان، خمسة وتسعون كتابًا. وكتاب مقام رسول الله ﷺ، اثنان وعشرون كتابًا، وكتاب في النسب، وفي النجوم، وكتاب الجامع، وهي كتب فيها مناسك النبي، وكتاب الرغائب، وكتاب الوزع في المال، وكتاب الرِّبَا، وكتاب الحُكْم والقُدْل بالجوارح. ومن المشهورات الكتاب المسمى بالواضحة. ومن توالياه كتاب إعراب القرآن، وكتاب الجسبة في الأمراض، وكتاب الفرائض، وكتاب السُّخاء واضطئاع المعروف، وكتاب كراهية الغناء.

شعره: أنشد ابن الفرضي مما كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين^(٢): [الطويل]

أحب بلاد الغرب والغرب موطني	ألا كل غربي إلي حبيب
فيا جسدًا أضناه شوق كائه	إذا انقضيت عنه الثياب قضيب
ويا كبدًا عادت زمانًا كأنما	يلدغها بالكاويات طبيب
بليت وأبلاني اغترابي ونأيه	وطول مقامي بالحجاز أجوب
وأهلي بأقصى مغرب الشمس دارهم	ومن دونهم بخر أجش مهيب
وهول كربه ليله كنهاره	وسير حثيث للركاب دؤوب
فما الداء إلا أن تكون بغربة	وحسبك داء أن يقال غريب
فيا ليت شعري هل أبيت ليلة	بأكناف نهر الثلج حين يصبوب
وحولتي أصحابي وبنتي وأمها	ومغشرو أهلي والرووف مجيب

(١) هو كتاب «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك».

(٢) الأبيات غير راردة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.

وكتب إلى الأمير عبد الرحمن في ليلة عاشوراء^(١): [البسيط]

لا تَسْ لا يُنْسِكُ الرَّحْمَنُ عَاشُورَا^(٢) وأذْكُرُهُ لا زِلْتُ في الأحياءِ^(٣) مَذْكُورَا
قال الرسول^(٤)، صلاةُ الله تَشْمَلُهُ، قَوْلًا وَجَدْنَا عليه الحَقُّ والشُّورَا
مَنْ باتَ في لَيْلِ عَاشُوراءَ ذا سَعَةٍ يَكُنْ بَعِيشُهُ في الحَوْلِ مَحْبُورَا
فَارْغَبْ، قَدْ يَتُّكَ، فيما فيه رَغَبُنَا^(٥) خَيْرُ الْوَرَى كُلُّهُمْ حَيًّا وَمَقْبُورَا

وفاته: توفي في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين ومايتين^(٦). قال ابن خلف: كان يقول في دعائه: إن كنت يا رب راضيًا عني، فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمان وثلاثين، فقبضه الله في أحب الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية وثلاثين، وهو ابن أربع وستين سنة^(٧)، وصلى عليه ولده محمد، ودفن بمقبرة أم سلمة بقبلي محراب مسجد الضيافة من قرطبة. قالوا: والخبر متصل، إنه وجد جسده وكفنه واقرين لم يتغيرا بعد وفاته، بتسع وأربعين سنة، وقُطعت من كفه قطعة رُفعت إلى الأمير عبد الله، وذلك عندما دُفن محمد بن وضاح إلى جنبه، رحمهم الله. ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره، فقال: [الطويل]

لَسْنَا أَخَذْتُ مَنَا المَنايَا مُهَذَّبَا وقد قَلَّ فيها من يُقالُ المُهَذَّبُ
لقد طاب فيه الموتُ والموتُ غِبْطَةً لمن هو مَغْمُومُ الفؤادِ مُعَذَّبُ
ولأحمد بن ساهي فيه: [البسيط]

ماذا تَضَمَّنَ قَبْرُ أَنْتَ ساكُنُهُ من الثَّقَى والثُّدى يا خيرَ مَفْقُودِ
عجبتُ للأرضِ في أنْ غَيَّبَتْكَ وقد ملأَتْها جِكمًا في البَيضِ والسُّودِ

قلت: فلو لم يكن من المفاخر الغرناطية إلا هذا الخبر لكفى.

(١) الأبيات الأول والثالث والرابع في البيان المغرب (ج ٢ ص ١١١)، والبيتان الأول والثاني فقط في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٦)، كتبها إلى أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، المعروف بعبد الرحمن الثاني.

(٢) في الأصل: «عاشوراء» والتصويب من المصدرين.

(٣) في البيان المغرب: «في الأخيار». وفي النفح: «في التاريخ».

(٤) في النفح: «النبى». (٥) في البيان المغرب: «رَغَبْنَا».

(٦) في جذوة المقتبس (ص ٢٨٣) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧): توفي بقرطبة في شهر رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٢٣٩ هـ.

(٧) في مطمح الأنفس (ص ٢٣٥): توفي في رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٥): توفي سنة ٢٣٨ هـ. بعلّة الحصى عن أربع وستين سنة.

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي،
الشهير بالباهلي^(١)

حاله: كان، رحمه الله، بعيد المدى، منقطع القرين في الدين المتين والصلاح، وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحسن الخلق، إلى وسامة الصورة، وملاحة الشئبة، وطيب القراءة، مولى النعمة على الطلبة من أهل بلده، أستاذًا حافلًا، متفنيًا، مضطلعًا، إمامًا في القراءات، حائزًا خصل السباق إتقانًا، وأداءً، ومعرفة، ورواية، وتحقيقًا، ماهرًا في صناعة النحو، فقيهاً، أصوليًا، حسن التعليم، مستمر القراءة، فسيح التخليق، نافعا، متحبيبا، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله، كثير الخضوع والخشوع، قريب الذمعة. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير، وكان من مفاخره، وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، وعلى المقرئ الضرير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف الشهيلي، والراوية أبي الحجاج ابن أبي ربحانة المزبلي. وكتب له بالإجازة العامة الراوية أبو الوليد العطار، والإمام أبو عبد الله بن سمعون الطائي. وسمع على الراوية أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري. وقرأ على القاضي أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحجري، الشهير بالسكوت المالقي، وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ، رحمه الله.

توابعه: شرح التيسير في القراءات. وله توألف غيره في القرآن والفقه.

شعره: حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المُنشأفري، قال: رأيت في الثوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكر الناس ويعظهم، فعقلت من قوله: أتحسبونني غنيا فقيرا، أنا فقير، أنا.

(١) ورد ذكر عبد الواحد بن محمد الباهلي في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦١) و(ج ١٠ ص ٢٦١)، وتقدم ذكره في الجزء الثاني من الإحاطة.

فاستيقظت وقَصَصْتُهَا عليه، فاستغفر الله، وقال: يا بني، حقًا ما رأيت. ثم رفع إلى ثاني يوم تغريفه رُقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظنَّ قومٌ مِن أَهْلِ الدُّنَا	بأنَّ لَهُم قُوَّةً أو غِنَا
لقد غَلِطُوا جَمْعُ ^(١) مَالِهِم	فتَاهُوا عَقُولًا، عَمُوا ^(٢) أَغْنَا
فلا تَحْسَبُونِي أرى رَأْيَهُم	فلأني ضَعِيفٌ فَقِيرٌ أَنَا
وليس أَفْتِقَارِي وَقُفْرِي معَا	إلى الخَلْقِ مَا ^(٣) عِنْدَ خَلْقٍ غِنَى
ولكنْ إلى خَالِقِي وَخَدُّهُ	وفي ذاك عِزٌّ وَنِيلُ المُنَى
فمن ذلِّ لِلْحَقِّ يَرْزُقِي العُلَا	ومن ذلِّ لِلخَلْقِ يَلْقَى العَنَا

وفاته: ببلده مالقة، رضي الله عنه، ونُقِعَ به، في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعمئة. وكان الحفل في جنازته عظيمًا، وحفَّ الناس بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة وأقرأ بها.

ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي^(٤)

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان^(٥) هذا الرجل في حال الدُّعة التي استَضَحِبَهَا، وقبل أن تَبْعته أيدي الفضول، بعفاف وطهارة، إلى خَضَلِ خَطٍّ، نشط البَنَان، جَلِدَ على العمل. ونظمه ومَنَط، ونشره جَمْهَورِي عامي، مُبِين عن الأغراض. ووُلِّي ببلده الخطابة والقضاء...^(٦) في الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فَجَاجَأَتْ^(٧) به الكتابة السلطانية

(١) في الأصل: «لقد غلطوا ويحجم بجمع...»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وعَمُوا»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «فما»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) ترجمة عبد الحق بن محمد بن عطية في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٩). وترجم له المقرئ في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧) وعدّه من تلاميذ لسان الدين ابن الخطيب ولكن تحت عنوان: «القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) بياض في الأصول. وفي النسخ: «وُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السِّن».

(٧) جَاجَأَتْ به الكتابة: دَعَتْه.

باختياري، مُستَظْهَرة منه بِبَطل كفاية، وبإِذِل جَمَل كُلفَة، فانتقل^(١) رَئيسًا في غرض
إِعانتِي وانتشالي من الكُلفَة^(٢)، على الضَّعْف وإِمام المرض، والترُّفَع عن الِابْتِذال،
والأنفة من الاستخدام، فرفع الكل، ولطف من الدولة مَحَلُّه. ثم لَمَّا حال الأمر،
وَحَثَم التَّمحيص، وتُسَوَّرت القلعة، وانتثر النُّظَم، واستأثر به الاضطِئاع، كَشَفَت
الِخَبْرة منه عن سَوءَةٍ لا تُؤارى، وَعَوَرة لا يُزتاب في أَشْوَغَتِها ولا يَتَمارى، فسبحان
مَنْ عَلمَ النفس فُجُورَها وتقواها، إِذ لَصِقَ بالدَّائِل^(٣) الفاسق، فكان آلة انتقامه،
وجارِحة صيده، وأخْبولة كَيْدِه، فسَفَكَ الدِّماء، وهَتَكَ الأشتار، ومزَّق الأسباب، وبَدَّل
الأرض غير الأرض، وهو يزُقُّه في أَذْنِه، فيؤمُّ^(٤) النَّصِيحة، ويَنحله^(٥) لقب الهداية،
ويبلغ في شِدِّ أَزْرِه إلى الغاية: «عُثوان عقل الفتى اختياريه، يجري في جميل^(٦)
دَعْوَتِه»، طَوَّالًا، أَخْرَقَ، يُسيءُ السَّمع، وَيُنسى^(٧) الإجابة، بدويًا، قُحًا، جَهْورِيًا،
ذاهلاً عن عواقب الدنيا والآخرة، طَرَفًا في سوءِ العهد، وقلةِ الوفاء، مردودًا في
الحافِزة^(٨)، مُنْسَلَخًا من آية السَّعادة، تشهد عليه بالِجَهْل^(٩) يَدُه، ويقم عليه الحُجج
شرُّه، وتَبَوَّه^(١٠) هفوات الندم جهالته. ثم أَسْلَمَ المحروم مُضْطَنعه، أحوَج ما كان
إليه، وتبرأ منه، وَلَحِقَتْه بعده مُطالِبة مَالِيَّة، لقي لأجلها ضَغْطًا. وهو الآن بحال
خِزْيٍ، واحتِقَابِ تَبِعات، خَلَصنا الله من ورطات الدنيا والآخرة.

أوليته وشيوخه: وَيَسْطُ كثير من مُجمل حاله حسبما نقلت من خطه.

قال يخاطبني بما نصه^(١١): [البسيط]

يا سَيِّدًا، فاق في مَجْدٍ وفي شرفٍ
وفات سَبَقًا بفضل الذاتِ والسُّلَفِ
وفاضلاً عن سبيل الذَّمِّ مُنْخَرِفًا
وعن سبيل المعالي غير مُنْخَرِفٍ

(١) في النفع: «فاستقل».

(٢) في النفع: «من هفوة الكلفة على جمل الضعف...».

(٣) في النفع: «بالداهي». والداهي: الفاسق، والمراد به سلطان بني نصر، الذي هرب منه لسان الدين ابن الخطيب إلى المغرب.

(٤) في النفع: «زقوم النصيحة». والزقوم: شجرة في جهنم، منها طعام أهل النار.

(٥) في النفع: «ويستحله».

(٦) في النفع: «سبيل».

(٧) في النفع: «فسيء».

(٨) في النفع: «الحافرة» بالراء المهملة.

(٩) في الأصل: «بالحمل» والتصويب من النفع. (١٠) في النفع: «وتبوه» والتصويب من النفع.

(١١) القصيدة في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٣٨ - ١٣٩).

وَتُخَفِّفُ الزَّمَنَ الْآتِي بِهِ^(١) فَلَقَدْ
 أَزْبَى^(٢) بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّخَفِ
 وَمَغْدِنَا لِنَفْيِ الدُّرِّ فَهُوَ لِمَا
 حَوَاهِ مِنْهُ لَدَى التُّشْبِيهِ كَالصُّدْفِ
 وَيَخْرُ عِلْمِ^(٣) جَمِيعِ النَّاسِ مُغْتَرَفِ
 مِنْهُ، وَتَيْلُ الْمَعَالِي حِظُّ مُغْتَرَفِ^(٤)
 وَسَابِقًا بَدْءُ أَهْلِ الْعَصْرِ قَاطِبَةً
 فَالْكُلُّ فِي ذَاكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْتَلَفِ
 مَنْ ذَا يُخَالَفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمِ
 أَوْ يَجْحَدُ الشَّمْسَ نَوْرًا وَهُوَ غَيْرُ خَفِي؟
 مَا أَنْتَ إِلَّا وَجِيدُ الْعَصْرِ فِي شَيْمِ
 وَفِي ذِكَايَ وَفِي عِلْمِ وَفِي ظَرْفِ
 اللَّهُ مِنْ مُنْتَمِ لِّلْمَجْدِ مُنْتَسِبِ
 بِالْفَضْلِ مُتَّسِمِ، بِالْعِلْمِ مُتَّصِفِ
 اللَّهُ مِنْ حَسَبِ عِلْدٍ وَمِنْ كَرَمِ
 قَدْ شَادَهُ السُّلْفُ الْأَخْيَارُ لِلْخَلْفِ
 إِلَيْهِ أَيَا مَنْ بِهِ تَبْنَأَى^(٥) الْوِزَارَةُ إِذْ
 كُنْتَ الْأَحَقُّ بِهَا فِي الذُّاتِ وَالشَّرَفِ
 يَا صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي جُمِعَتْ
 فِيهِ الْمَعَالِي بِبَعْضِ^(٦) الْبَعْضِ لَمْ أَصِفِ
 يَا مَنْ يُقْصَرُ وَضِيفِي فِي عُلاهِ وَلَوْ
 أَنْسَى مَدِيحَ حَبِيبِ^(٧) فِي أَبِي دُلْفِ

(١) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٢) في النفع: «زبا».

(٣) في الأصل: «ويخر بعلم...» وكذا ينكر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) تَبْنَأَى: تفتخر.

(٥) في النفع: «خير مؤتلف».

(٦) في النفع: «تبعض».

(٧) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

شَرَّفْتَنِي عِنْدَمَا اسْتَدْعَيْتَ مِنْ قِبَلِي^(١)
 نَظْمًا تَدُونُهُ فِي أَبْدَعِ الصُّحُفِ
 وَرَبِّمَا رَاقٍ تَغُرُّ فِي مَبَاسِمِهِ^(٢)
 حَتَّى إِذَا نَالَهُ الْإِمَامُ مُرْتَشِفٌ
 أَجِلٌ قَدْزَكَ أَنْ تَرْضَى لِمُنْتَجِعٍ
 بِسَوءٍ كَيْلَتَهُ حَظًّا مَعَ الْحَشَفِ
 هَذَا، وَلَوْ أَنَّنِي فِيمَا أَتَيْتُ بِهِ
 نَافَخْتُ فِي الطَّيِّبِ زَهَرَ الرُّوضَةِ الْأَنْفِ^(٣)
 لَكُنْتُ أَقْضِي إِلَى التَّقْصِيرِ مِنْ خَجَلٍ
 أَخْلَيْتُ^(٤) بِالْبَعْضِ مِمَّا تَسْتَحِقُّ أَفِي
 فَحَسْبِي الْعَجْزُ عَمَّا قَدْ أَشْرَتْ بِهِ
 وَالْعَجْزُ^(٥) حَثْمًا قُصَارَى كُلِّ مُعْتَرِفٍ
 لَكِنْ أَجِبْتُ إِلَى الْمَطْلُوبِ مُنْتَثِلًا
 وَإِنْ عَدَوْتُ بِمَزْمِي^(٦) الْقَوْمَ كَالْهَدَفِ
 فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا بَعِينِ الصَّفْحِ عَنْ زَلَلٍ
 وَاجْعَلْ تَصَفُّحَهَا مِنْ جُحْمَةِ الْكُلْفِ
 بِقِيَّتٍ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتُسْشِرُهُ
 تَسْمُو مِنَ الْعِزِّ بِاسْمٍ غَيْرِ مُنْصَرَفٍ

جنتك^(٧)، أعزك الله، ببضاعة مُزجاة، وأغلقت رجائي من قبولك بأمنية مُرتجاة،
 وما مثلك يُعامل بسقط المتاع، ولا يُرضى له بالحشف مع بخس المد والصاع. لكن
 فضلك يُغضي عن التقصير ويسمح، ويتجاوز عن الخطأ ويصفح، وأنت في كل حال
 إلى الأذن من الله أجح. ولولا أن إشارتك واجبة الامتثال، والمُسارعة إليها مقدمة
 على سائر الأعمال، لما أتيت بها تمشي على استحياء، ولا عرضت نفسي أن أقف

(١) في النفع: «نظمي».

(٢) في النفع: «تبسمه».

(٣) الروضة الأنف: التي لم يسبق أحد إلى رغبها.

(٤) في النفع: «إذ لست».

(٥) في النفع: «فالعجز».

(٦) في الأصل: «بمزمي» والتصويب من النفع.

(٧) اكتفى في النفع بقوله: «ثم ذكر نثرًا، وأن مولده بوادي آس...».

مَوْقف حِشْمَة وحياء، فما مَثَلِي فيما أغرضه عليك، أو أقدمه من هذا الهذر بين يديك، إلا مَثَلُ مَنْ أهدى الخرز لجالب الدر، أو عارض للوشل موج البحر، أو كافر بالخصى عدَدَ الأنجم الزهر، على أني لو نظمتُ الشغرى شعراً، وجئتُك بالسحر الحلال نظماً ونثراً، وناقحتُك بمثل تلك الروضة الأدبية التي تغبى أزهارها نثراً، لما وصفتُك ببعض البعض من نفائس خللك، ولا وقَّيتُ ما يجب من نشر مآثر غلاك. فما عسى أن أقول في تلك المآثر العلمية، والذات الموسومة باسم التعريف والعلمية، أو أعبر عنه في وصف تلك المحاسن الأدبية، والمفاخر الحسبية. إن وصفت ما لك من شرف الذات، ملئتُ إلى الاختصار وقلت: آية من الآيات، وإن ذهبت إلى ذكر مفاخر الباهرة الآيات، بلغتُ في مدى الفخر والحسب إلى أبعد الغايات، وإن خلَّيتُك ببعض الخلى والصفات، سلَّبتُ محاسن الروض الأريج النُّفحات. فكم لك من التَّصانيف الرائقة، والبدايع الفائقة، والآداب البارعة، والمحاسن الجامعة. فما شئت من حدائق ذات بهجة كأنما جادتها سُحْب نيسان، وجنات ثمراتها صنوان وغير صنوان، تُزري ببدايع بديع الزمان، وتُخجل الروض كما يُخجل الورد ابتسام الأقحوان. نظمُ كما انتثر الدر، ونثرُ تَتَمَّى الجوزاء أن تتقلده والأنجم الزهر، ومعانٍ أرق من نسيم الأسحار، تهبُّ على صفحات الأزهار. فأهلاً بك يا روضة الآداب، وربِّ البلاغة التي شمس آياتها لا تتواري بالحجاب، فما أنتِ إلا حَسَنَةُ الزمان، ومالكُ أزمَةِ البيان، وسباق غايات الحسن والإحسان. وقد وجدتُ مكان القول ذا سعة في أوصافك، وما في تحليكَ بالفضائل واتِّصافك. لكنِّي رأيتُ أني لو مددْتُ في ذلك باع الإطناب، وأتيتُ فيه بالعجب العجيب، فليس لي إلا تقصير عن المطاولة وإمساك، والعجز عن دَرْك الإدراك إدراك. إيه أيها السيِّد الأعلى، والفاضل الذي له في قِداد الفخر القِدْحُ المُعلَى، فإنك أمرتُ أن أعرض عليك لتعريف بنفسي ومولدي، وذكر أشياخي الذين بأنوارهم أفتدي، فعلمتُ أن هذا إنما هو تهْمٌ منك بشاني، وجَزِيٌّ على مُعتاد الفضل الذي يَقْصُر عنه لساني، وفضل جميل لا أزال أجري في الثناء عليه مِلء عِناني. وإلا فمن أنا في الناس حتى أنسب، أو مَنْ يذهب إلا أنت هذا المذهب؟

أما التَّعريف بنفسي، فأبدأ فيه باسم أبي: هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي. وجَدِّي عطية هو الداخل إلى الأندلس عام الفتح، نزل بالبيرة، وبها تفرَّع من تفرَّع من عَقْبِهِ، إلى أن انتقلوا إلى غرناطة، فتأثَّل بها حالهم، واستمرَّ بها

استيظانهم، إلى حدود المائة السابعة، فتسبب في الانتقال من بقي منهم، وهو جدّي الأقرب الأنساب، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادي آش، ولكل أجل كتاب، وذلك أنه استقضى بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله^(١)، أول ملوك هذه الدولة النصرية، نصر الله خلفها، ورحم سلفها، فاتخذ فيها صهراً ونسباً، وكان ذلك لاستيظانه بها سبباً، واستمرّ مقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة فكان إلى أشرف الحالات مُرتحله، وقضى في إيباه من الحج أمله. واستمرّت به الاستيطان، وتعذّرت بعوده إلى غرناطة بعدما ثبت فيها الأوطان. على أنه لم يَغْدَم من الله السّر الجميل، ولا حظّ من عنايته بإيصال النعمة كغفل، فإنه سبحانه حفظ من سلف فيمن خلف، وجعلهم في حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهة الحال وأتصف، وقبض لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف، وبذلك حفظ الله بيتهم، وشمل باتصال النعمة حيّهم وميتهم. فالحمد لله، بجميع محامده، على جميل عوائده. وتخلّف بوادي آش أبي وأعمامي، تغمّدهم الله وإياي برحمته، وجمع شملنا في جثته.

وأما التعريف بهم، فأنت أبقاك الله، بمن سلف قديماً منهم أعلم، وسبيلك في معرفتهم أجدي وأقوم، بما وهبكم الله من عوارف المعارف، وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطارف. وأما من لم يقع به تعريف، ممن بعدهم، فمن اتقى رَسْمهم في الطريقة العلمية، ولم يتجاوز جدّهم، وهو جدّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادي. كان، رحمه الله، ممن جرى على سنن آبائه، وقام بالعلم أحسن قيام ونهض بأغبائه. ألف كتاباً في «الرقائق»، ففات في شأوه سبق السابق، وتصدّر ببلده للفتيا، وانتفع به الناس، وكان شيخهم المُقَدَّم. ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة، رحمه الله. وأما من بيني وبينه من الآباء، كجدّي الأقرب وأبيه ومن خلفه من بنيه، فما منهم من بلغ رُتبة السابق، ولا قُصُر أيضاً عن درجة اللاحق، وإنما أخذ في الطلب بتصيب، ورمى فيه بسهم مُصيب.

وأما مولدي^(٢)، فبوادي آش، في أواخر عام تسعة وسبعمائة. وفي عام ثلاثة وعشرين، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُرسوني وغيره ممن يأتي ذكره. ثم كتبت بعد ستة أعوام على من وليها من القضاة، أولي العدالة والسير المرتضاة،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٤٢).

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩).

ولم يطل العهد حتى تقدّمت في جامعها الأعظم خطيباً وإماماً، وارتسمت في هذه الخُطّة التي ما زالت على مَنْ أحسن تماماً، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين. ثم وُلّيت القضاء بها، وبما يرجع إليها من النُّظر، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين، واستمرّت الولاية إلى حين انتقالي للحضرة، آخر رجب من عام ستة وخمسين، أسأل الله الإقالة والصّفح عما اقترفت من خطيأ أو زلل، أو ارتكبت من عَمْد وسَهْو، في قول أو عمل، بِمَنِّهِ.

وأما أشياخي، فلما قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيجاطي، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزي. وبمالقة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن منظور. وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العيش، وسيدي القاضي أبي البركات ابن الحاج، والأستاذ أبي عثمان بن ليون، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم. على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه، وعرضتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب، أكبرها كتاب المقامات للحريري، وأما مَنْ لقيته من المشايخ واستفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، وبمالقة القاضي أبو عبد الله بن بكر، والقاضي أبو عبد الله بن عيّاش، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين. ومن لقيته لقاءً بترك، سيدي أبو جعفر بن الزيات ببلش. وبمالقة الخطيب أبو عبد الله الساحلي، والصوفي أبو الطاهر بن صفوان، والمُقرئ أبو القاسم بن درهم. وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب، والخطيب ابن فرحون. ولقيت أيضاً القاضي أبا جعفر بن فزكون القرشي، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ. وممن رأيته بوادي آش، وأنا إذ ذاك في المكتب، وأخذت بحظّ من التبرّك به، سيدي أبو عبد الله الطنجالي نفع الله به. والحمد لله ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: ومن خطّه نقلت^(١): [الطويل]

متى يَنجلي صُبْحُ بَنِي المَارِبِ؟	ألا أيّها اللّيلُ البطيءُ الكواكب
فمن طالع منها على إثر غارب ^(٢)	وحتى متى أزعى النجومُ مُراقبا
وذنبِي يُقْصِيني بأقصى المغارب	أحدتُ نفسي أن أرى الرُّكبَ سائرا

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩ - ١٤١).

(٢) أخذه من قول ابن خفاجة: [الطويل]

وحتى متى أزعى الكواكب ساهراً
فمن طالع، أخرى الليالي، وغارب
ديوان ابن خفاجة (ص ٤٣).

فلا فُزْتُ مِنْ نَيْلِ الْأَمَانِي بِطَائِلٍ
وَكَمْ^(٢) حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ أَنْ أَبْلُغَ الْمُنَى
وَمَا قَصُرَتْ بِي عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ
وَلَا حُبُّ أَوْطَانٍ نَبَتْ بِي رُبُوعُهَا
وَلَكِنْ ذَنْبٌ أَثْقَلْتَنِي فِيهَا أَنَا
إِلَيْكَ، رَسُولَ اللَّهِ، شَوْقِي مُجَدِّدًا^(٤)
وَأَعْمَلْتُ^(٥) فِي تِلْكَ الْأَبَاطِجِ وَالرُّبَى
وَقَضَيْتُ مِنْ لَثَمِ الْبَقِيعِ لُبَانَتِي
وَرَوَيْتُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ^(٧) غُلَّتِي
حَبِيبِي شَفِيعِي مُنْتَهَى غَايَتِي الَّتِي
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْحَاشِرُ الَّذِي
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ خَصَّهُ^(٩) اللَّهُ بِاسْمِهِ
رَسُولٌ كَرِيمٌ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَشَرَّفَهُ أَضْلًا وَقَرْعًا وَمَخْتِدًا
سِرَاجُ الْهُدَى ذُو الْجَاهِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُوَ الْأَمْدُ الْأَقْصَى هُوَ الْمَلْجَأُ الَّذِي
إِمَامُ الثُّبَيَّانِ الْكَرَامِ، وَإِنَّهُ
بَشِيرٌ^(١٣) نَذِيرٌ مُفْضِلٌ مُتَطَوِّلٌ

وَلَا قُفْتُ فِي^(١) حَقِّ الْحَبِيبِ بِوَاجِبٍ
وَكَمْ عَلَّلْتَنِي بِالْأَمَانِي الْكُوَاذِبِ
مُعَاهِدُ أُنْسٍ مِنْ وَصَالِ الْكُوَاعِبِ
وَلَا ذِكْرُ خَلٍّ خَلٍّ^(٣) فِيهَا وَصَاحِبِ
مِنَ الْوَجْدِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
فِيَا لَيْتَنِي يَمُنْتُ صَدْرَ الرِّكَائِبِ
سُرَايَ مُجَدِّدًا بَيْنَ تِلْكَ السَّبَابِيبِ^(٦)
وَجُبْنْتُ الْفَلَاحَ بَيْنَ مَا شِئِ وَرَاكِبِ
فَلِلَّهِ مَا أَشْهَاءُ يَوْمًا لَشَارِبِ!
أَرْجِي وَمَنْ يَرْجُوهُ لَيْسَ بِخَائِبِ
بِأَحْمَدَ حَازَ الْحَمْدَ^(٨) مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَعْظَمُ لَاجٍ^(١٠) فِي الثَّنَاءِ وَعَاقِبِ
وَأَعْلَى لَهُ قَدْرًا رَفِيعَ الْجَوَانِبِ
يَزَاحِمُ آفَاقَ الشُّهُىِّ بِالْمَنَاكِبِ^(١١)
وَحَيْرُ الْوَرَى الْهَادِي الْكَرِيمُ الْمُنَاسِبِ
وَذُو الْحَسَبِ الْعَدْلُ^(١٢) الرَّفِيعُ الْمُنَاصِبِ
يَسْنَالُ بِهِ مَرْغُوبَهُ كُلُّ رَاغِبِ
لَكَالْبَذْرِ فِيهِمْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاكِبِ
سِرَاجٌ مَنِيرٌ بَدُّ نَوْرِ الْكُوَاكِبِ

(١) في الأصل: «من» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «فكم».

(٣) كلمة «خل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٤) في الأصل: «مجدد» والتصويب من النفع. (٥) في النفع: «فأعملت».

(٦) السباب: جمع سبب وهو الأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٧) في النفع: «بززم».

(٨) في النفع: «خصنا».

(٩) في النفع: «وأعظم بماح». والمأحي والعاقب: من أسماء رسول الله ﷺ وكذلك «الحاشر» في البيت السابق.

(١٠) في النفع: «السما بالكواكب».

(١١) في النفع: «اليد».

(١٢) في النفع: «شريف».

شريفٌ مُنيفٌ باهرٌ الفضلِ كاملٌ
عظيمُ المزايا ما له مِنْ تماثل^(١)
مَلَاذٌ منيعٌ ملجأٌ عاصمٌ لمن
حليمٌ^(٢) جميلُ الخلقِ والخلقِ ما له
وناميكٌ من فرعٍ نَمَشُهُ أصولُهُ
أولي الحسبِ العِدُّ الرفيعِ جنابُهُ
له معجزاتٌ ما لها من مُعارض
تَحْدِي^(٣) بهنَّ الخلقِ شَرْقًا ومغربًا
فدُونَكُها كالأنجمِ الزُّهرِ^(٤) عِدَّةٌ
فإحصاؤها^(٥) مهما تَتَبَّعْتَ مُغَوِّزٌ
لقد شَرَّفَ اللهَ الوجودَ بِمُرْسَلِ
وَشَرَّفَ شَهْرًا فيه مولدُهُ الذي
قَشَّهَرُ ربيعٍ في الشُّهُورِ مَقْدَمٌ
فللهِ منه ليلةٌ قد تَلَالَتْ
لِيَهْنِ أميرَ المسلمين بها المُنَى
على حينِ أحيائها بذكرِ حبيبِهِ
وَأَلْفَ شَمَلًا لِلْمُحِبِّينَ فِيهِمْ
فسوف يُجَازِي عن كريمِ صَنِيعِهِ
وسوف يُرِيه اللهَ في لَهْمٍ^(٦) دينُهُ
فيحمي جَمَى الإسلامِ عَمَّنْ يَرُومُهُ

نفيسُ المعالي والخُلَى والمناقبِ
كريمُ السَّجَايا ما له من مُناسِبِ
يلوذُ به من بين آتٍ وذاهِبِ
نظيرٌ، ووصفُ اللهِ حُجَّةٌ غالبِ
إلى خيرٍ مجدٍ من لؤيِّ بنِ غالبِ
بدورِ الدِّياجي أو بدورِ^(٧) الركائبِ
وآياتٌ صدقٍ ما لها من مُغالبِ
وما ذاكَ عَمَّنْ حادٍ عنها بغائبِ^(٨)
ونورٌ سَنَّا لا يَخْتَفِي^(٩) لِلْمُرَاقِبِ
وهل بعد نورِ الشمسِ نورٌ لِطالِبِ؟
له في مَقامِ الرُّسُلِ أعلى المراتبِ
جلا نورُهُ الأَسْنَى دِياجي الغِيَاهِبِ
فلا غَرَوَ أَنَّ الفَخْرَ^(١٠) ضَرْبُهُ لازِبِ^(١١)
بنورِ شهابٍ نِيرٍ^(١٢) الأفقِ ثاقِبِ^(١٣)
وَأَنَّ نالَ من مولاةِ أَسْنَى الرُّغَائِبِ
وذكرِ الكرامِ الطاهرينِ الأطايِبِ
فسارِ على نَهْجٍ من الرشدِ لاجِبِ^(١٤)
بتخليدِ سُلطانٍ وحُشْنِ عواقِبِ
غرائبِ صُنْعِ فوقِ كلِّ الغرائبِ
بشَمْرِ العوالي أو ببيضِ القواضِبِ^(١٥)

(١) في النفع: «مماثل».

(٢) في النفع: «أو مدور الكنائب».

(٣) في النفع: «جليل».

(٤) في الأصل: «بعايب» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «تختفي» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «الشهب».

(٧) في الأصل: «الفخر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «بين».

(٩) في النفع: «شاهب».

(١٠) في النفع: «انصر».

(١١) القواضب: السيوف القاطعة، واحدها قاضب.

ويعتز دين الله شرقاً ومغرباً
إلهي، ما لي بعد رحماك مَطْلَبٌ
سوى زُورَةِ القَبْرِ الشريف وإنها^(١)
عليه سلام الله ما لاح كوكبٌ

بما سوف يبقى ذكره في العجائب
أراه بعين الرُّشد أسنى المطالب
لموهبة فاتت^(٢) جميع المواهب
وما فارق^(٣) الأظعان حادي الركائب

وقال في غرض المدح والتهنئة بعرض الجيش، وتضمن ذلك وصف حاله في
انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]

يا قاطع البيد يطوي السَّهْلَ والجَبَلَ
يَبْكِي بِأَفَاقٍ^(٤) أَرْضٍ لَا يُؤَانِسُهُ^(٥)
أَوْ ظَنِيَّةً أَذْكَرَتْ عَهْدَ التَّوَاصِلِ تُخِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ اللَّحَاطِ فَقَدْ
أَوْ هَادِلٍ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ تَحْسَبُهُ
أَوْ لَامِعِ الْبَرْقِ إِذْ تَحْكِي إِنْارَتَهُ
مَاذَا عَسَى أَنْ تُقْضَى مِنْ زَمَانِكَ فِي
وَكَمْ مَعَالِمِ أَرْضٍ أَوْ مَجَاهِلِهَا
إِنْ كُنْتَ تَأْمُلُ عَزًّا لَا نَظِيرَ لَهُ
فَالْعَزُّ مَرْسَى بَعِيدٌ لَا يُنَالُ سِوَى
وَالدُّرُّ فِي صَدْفٍ قَلْتُ نَفَاسَتُهُ
فَارِيًّا بِنَفْسِكَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ
وَأَنَّ الدِّيَارَ الَّتِي مِنْهَا نَأَى وَطَنِي
وَعَدُّ عَنْ ذِكْرِ مَخْبُوبٍ شَغِفْتُ بِهِ
وَاقْصِدْ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَا وَخُطِّ بِهَا
غَرْنَاطَةً لَا عَفَا رَسْمُ بِهَا أَبَدًا

وَمُنْضِيًّا فِي الْغِيَا فِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
إِلَّا تَذْكُرُ عَهْدَ لِلْحَبِيبِ خَلَا
كِي لِلْحَاطِ^(٦) الَّتِي عَاهَدْتُ وَالْمُقْلَا
أَزْبَى بِهَا الْحُسْنُ عَنْ ضَرْبِ الْمَهَامِ مِثْلًا
صَبَا لِقْفِدِ حَبِيبٍ بَانَ قَدْ تُكْلَا
كُفًّا خَضِيبًا مُشِيرًا بِالَّذِي عَدَلَا
قَطَعَ الْمَهَامَهُ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ عُلا؟
قَطَعَتْهَا لَا تَمْلُ الرُّيْثُ وَالْعَجَلَا
وَتَبْتَغِي السُّؤْلَ فِيمَا شَتَّ وَالْأَمَلَا
بِعَزْمٍ مَنْ شَدَّ عَزْمَ الْبَيْنِ وَارْتَحَلَا
وَلَمْ يَبْنِ فُخْرَهُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَا
.....^(٧)

وَعَهْدِ أُنْسٍ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ سَلَا
وَلَا تَلْمُ^(٨) بِهِ مَذْحَا وَلَا غَزَلَا
رَحَلَا وَلَا تَبْغِ عَنْ أَرْجَائِهَا جَوْلَا
وَلَا سَلَا قَلْبُ مَنْ يَبْغِي بِهَا بَدَلَا

(١) في النسخ: «وإنه».

(٢) في النسخ: «رافق».

(٣) في الأصل: «يؤنسه»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «اللحاط» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) بياض في الأصول.

(٦) في الأصل: «تلم» بسكون الميم، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في النسخ: «فاتت».

(٨) في الأصل: «في آفاق»، وكذا ينكسر الوزن.

فهى التى شرف الله الأنام بمن
خليفة الله مولانا وموئلنا
محمد بن أبى الحجاج أفضل من
من آل نضر أولى الملك الذى بهرت
هو الذى شرف الله البلاد ومن
أقام عذلاً ورقفاً فى رعيته
فهو المَجَار به من لا مُجِير له
إن المدايح طراً لا تنفى أبداً
بالحزم والفهم والإقدام شيمته
إن قال أجمل فى قول وأبدعه
يولي الجميل ويُعطي عز نائله
من سائلي عن بني نصر فما أحد
هم الذين إذا ما استمنحوا منحو
هم الألى مهدوا أزجاء أندلس
فإن تسأل عنهم يوم الرهان فلم
من ذا يُجاريهم فى كل مكرمة
مولاي، يا خير من للنضر قد رفعت
له عيني لما أبصرتك وقد
وأنت فى قبة يسمو بها عمدة
والجيش يغشى عيون الخلق منظره
لا غزو أن شعاع الشمس يشمل ما
وراية النصر والتأييد خافقة
والخيل قد كسيث أثواب زينتها
ترى الحماة عليها يوم عرضهم
فمن رماة قسي العرب عذتها

فى مقعد الملك من حمرائها نزلاً
وخير من أمّن الأرجاء والسبلا
قد قام فىنا بحق الله إذ عدلا
غلاه كالشمس لما حلت الحملا
فىها بدولته إذ فاقب الدولا
وكان أرحم من آوى ومن كفلا
لم يخش إخن الليالى فادحا جللا
ببعض ما قد تحلا من نفيس غلا
والجود ممّا على أوصافه اشتملا
والفعل أجمل منه كلما فعلا
من قد رجاء ولا استجدى ولا سالا
منهم بأبلغ منهم كلما سئلا
أسنى العطاء^(١) وأبدوا بعده الخجلا
إذ حكموا فى الأعادي البيض والأملا
يعدل بأخدهم فى سنه بطلا
أيشبه البحر فى تمثيله الوشلا؟
رايائه ولواء الفخر قد حملا
أعدت بين يدك الخيل والخولا
أقام منا لأمر^(٢) الذين فاعتدلا
لما اكتسى منك نور الحق مكتملا
أضحى عليه إذا ما لاح منسدلا
قد أسبل الله منها النضر فأنسدلا
فمن براقعها قد ألبست حلا
يمشون من قزط وهو مشية الخيلا
تحكي الأهله مهنما نورها اكتملا

(١) فى الأصل: «العطاء»، وكذا ينكر الوزن.

(٢) فى الأصل: «أمر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَمِنْ كُماةٍ شِدَادِ البَاسِ شَأْنُهُمْ
يَسْعِدُكَ انتَظَمْتُ تلكَ الجيوشُ لأنَّ
وَحَلَّدَ اللهُ مُلْكًا أَنْتَ ناصِرُهُ
لا زِلْتَ تزدادُ بي^(١) نَغْمِي مضاعفة

ومن ذلك قوله: [البسيط]

يا عاذلي في الهوى، أقصِرْ عن العَدَلِ
فكيف أضغى إلى عَذْلِ العذول وقد
تَمَلَّكْتُه كما شاءت بنظرتها
مُغْبِرة عن نفيس الدُرِّ فاضحة
من نور غُرَّتْها شمسُ تروق مَنَى
يا حَبِذا عَهْدُنَا والشَّمْلُ مُنتَظِم
أيام أغْيَسَ هذا الدهر نائمة
وحَبِذا أَرْبَعٌ قد طال ما نَظَمْتُ
قَضِيتُ منها أمانِي النَّفْسِ في دَعَا
سَطَا الغمام رُباهَا كُلُّ مُنْهَمِرٍ
وجادها من سماءِ الجود صوبَ حَيَا
خليفة الله والماحي بسيرته
محمدُ بن أبي الحجاج أفضل من
والباعث الجيش في سَهْلٍ وفي جَبَلٍ
من آل نصر أولي الفخر الذين لهم
مهما أرذت غَناءٌ في الأمور به
لن يستظلَّ بعلياه أخو أمل
ولا استجار به مَنْ لا مُجِير له
يُشَمَّى إلى معشر شاد الإله لهم
بمُلْكِهِمْ قد تحلَّى الدهر فهو به

أن يعملوا البيضَ والخَطِيئةَ الذُّبْلا
أَسْهَمْتُ في نَظْمِها أسلافك الأولَا
ما عاقَبْتُ بُكَرٌ من دهرنا الأصْلا
لتملا الأرض منها السَّهْلُ والجَبَلَا

وعن حديثي مع المحبوب لا تُسَلِّ
تقلِّص القلب مني صائد المُقَلِّ؟
فثَّانَةُ الطَّرْفِ والألحاظ تنهدل
بقَدِّها الغَضُّ المَيَّاسُ^(٢) في المَيْلِ
تحتلُّ منها محلَّ الشمس في الحَمَلِ
بجانب الغور في أيامنا الأول
عَنَّا وأحداثه مَنَّا على وَجَلِ
عِقْدَ التَّوَّاصِلِ في عَيْشٍ بها خَظِلِ
من الزمان مَوْفَى الأُنْسِ والجَذَلِ
وكم سَطَّطَها دموعي كُلُّ مُنْهَمِلِ
بالعارض الهَظِلِ ابن العارض الهَظِلِ
رَسَمَ الضَّلالِ ومُخَيِّبِ واضِحِ السُّبُلِ
سارث أحاديثِ عَلِيَّاه سُرَى المَثَلِ
حتى تُغَصِّرَ نواحي السَّهْلِ والجَبَلِ
مَزِيَّةٌ أَوْرَثَتْ مِنْ خَاتَمِ الرِّسْلِ
شاهدتُ منه جميع الخَلْقِ في رَجُلِ
إلا غدا تحت ظلٍّ منه مُنْسَدِلِ
إلا كَفَّاه انتياب الحادِثِ الجَلَلِ
مُلْكًا على سالف الأغصار لم يزل
والله واليه لا يخشى من الغَطَلِ

(١) في الأصل: «بها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «المَيَّاس»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع.

هُمُ الْأَلَى نَصَرُوا أَرْجَاءَ أُنْدَلُسِ
هُمُ الْأَلَى مَهَّدُوا دِينَ الْهَدَى قَسَمَتْ
مَنْ أُمَّهُمْ صَادِي الْأَمَالِ نَالَ بِهِمْ
أَوْ أُمَّهُمْ ضَاحِيًا أَضْحَى يُجَرَّرُ مِنْ
إِنَّ الْفَضَائِلَ أَضَحَتْ لِاسْمِهِ تَبَعًا
مَوْلَايَ، خُذْهَا تَرَوْقَ السَّامِعِينَ لَهَا
لَكِنِّي بِاعْتِبَارِ عَظَمِ مَلِكِكَ لَمْ
فَإِنْ خُيِّرْتُ كَذَاكَ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
لَا زِلْتُ فَاخِرَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ
وَدُمْتُ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرِهِ

بِالْمَشْرِفَاتِ وَالْخَطِيئَةِ الدُّبُلِ
فِي الْخَلْقِ مِلَّتُهُ الْعَلِيَا عَلَى الْجِلِ
جُودًا كَفِيلًا لَهُ بِالْمَغْلِ وَالنُّهْلِ
فَضْلُ الثُّوَالِ ذِيُولِ الْوَشْيِ وَالْحُلِّ
كَالثَّغْبِ وَالْعَطْفِ^(١) وَالتَّأْكِيدِ وَالْبَدَلِ
بِمَا أَجَادَتْهُ مِنْ مَدْحٍ وَمِنْ غَزَلِ
أَجِدُ لَعَمْرِي فِي مَذْحِي وَلَمْ أُطِلْ
سَيَّانَ مُحْتَفِلٍ أَوْ غَيْرَ مُحْتَفِلِ
تَسْمُوكِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَاءِ^(٢) عَلَى الدَّوْلِ
مُبْلَغًا كُلَّمَا تَبَغْيِي مِنَ الْأَمَلِ

ومن ذلك ما نظمته لِيُنْقَشَ فِي بَعْضِ الْمَبَانِي الَّتِي أَنْشَأْتُهَا^(٣): [الطويل]

أَنَا مَضْنَعٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ الْمَصْنَعِ
فَرَسْمِي، إِذَا حَقَّقْتُهُ وَاعْتَبَرْتُهُ^(٤)
فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
كَمَا^(٥) جُمِعَتْ كُلُّ الْفَضَائِلِ فِي الَّذِي
وَزِيرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَخَسْبُهُ
وَذُو الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي فَعَلَهُ لِمَنْ
وَمُطْلِعُ آيَاتِ الْبَيَانِ لِمُبْصِرِ
وإِنْسَانُ عَيْنِ الدَّهْرِ قُرْتُ لَنَا بِهِ
هُوَ ابْنُ الْخَطِيبِ السَّيِّدِ الْمُتَمَيِّهِ إِلَى
لَقَدْ كُنْتُ لَوْلَا عَطْفُهُ مِنْ خَنَانِهِ^(٨)

فَمَا مَنْزِلُ يَزْهِي^(٤) بِمِثْلِ بَدَائِعِي
لِكُلِّ الْمَعَانِي، جَامِعُ أَيِّ جَامِعِ
لَدَيَّ، فَيَا لِلَّهِ إِبْدَاعُ صَانِعِ^(٦) أ
بُسْكُنَايَ قَدْ وَاقَاهُ أَيْمَنُ طَالِعِ
مَزِيَّةُ فَخْرٍ مَا لَهَا مِنْ مُدَافِعِ
يُؤَمِّلُهُ مِثْلُ السَّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
كَشَمْسِ الضُّحَى خَلَّتْ بِأَسْنَى الْمَطَالِعِ
عِيُونَ وَطَابَتْ مِنْهُ ذِكْرِي الْمَسَامِعِ
كِرَامِ سَمَوَا مَا بَيْنَ كَهْلٍ وَبَافِعِ
أَعْدُ زَمَانًا فِي الرُّسُومِ الْبِلَاقِعِ

(١) كلمة «والعطف» ساقطة في الأصل. (٢) في الأصل: «العليا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧١ - ٢٧٢) وفيها أن المباني أنشأها بغرناطة.

(٤) في الأصل: «زهى» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٥) في الأصل: «واعترته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الكتيبة: «صانعي».

(٧) في الأصل: «ظلّ كما...»، وكذا لا يستقيم الوزن، لذا حذفنا كلمة «ظلّ».

(٨) في الكتيبة: «جنابه».

فَصَيَّرَنِي مَغْنَى كَرِيمًا وَمَرْبَعًا^(١)
 فَهَا أَنَا ذُو^(٢) رَوْضٍ يَرُوقُ نَسِيمُهُ^(٣)
 وَقَدْ جَمَعَتْنَا نَسَبَةُ الطَّبَعِ عِنْدَمَا
 فَاشَبَهَ إِزْهَارِي بِطَيْبِ ثَنَائِهِ
 فَلَا زِلْتُ مَمْمُورًا بِهِ فِي مَسَرَّةٍ
 وَلَا زَالَ مَنْ قَدْ حَلَّنِي أَوْ يَحْلُنِي
 وَدَامَ لِمَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ سَعْدُهُ

لشملٍ بأنسٍ مِنْ حَبِيبِي جَامِعٍ
 كَمَا رَقَّ طَبِيعًا مَا لَهُ مِنْ مُنَازَعٍ
 وَقَعْتُ لِمَرَّاهِ بِأَسْنَى الْمَوَاقِعِ
 وَقَضَّلَ هَوَائِي^(٤) بِاعْتِدَالِ الطَّبَائِعِ
 مُعَدًّا لِأَفْرَاحٍ وَسَعْدٍ مَطَالِعِ
 مُوَفَّى الْأَمَانِي مِنْ جَمِيلِ الصَّنَائِعِ
 قِمْنُ نُورِهِ يَبْدُو^(٥) لَنَا كُلُّ سَاطِعِ

وفي التهئة بإبلاال من مرض: [البسيط]

الآن قد قامت الدنيا على قدم
 والآن قد عادت الدنيا لبهجتها
 والآن قد عمت البشرية براحتة
 لا سيما عند مثلي ممن اتضحت
 فكيف لي وأيادي فضله ملكث
 وصيّرثني في أهلي وفي وطني
 وأخسبت أجلي الأقصى لغايته
 ماذا^(٦) عسى أن أوفي من ثنائي أو
 ولو ملكث زمام الفضل طوع يدي
 يهنك بشرى قد استبشرت مذ وردت
 ومذ دعت هذه^(٧) البشرية بتهنئة
 لا زلت للعزة القفساء ممتطيا
 ودمنت بذر سنى تهدي إنارته
 ولا عديمت بفضل الله عافية

لما استقل رئيس السيف والقلم
 مذ أنست بُرْءه من طارق الألم
 فلم تزل للورى من أعظم النعم
 منه دلائل صدق غير متهم
 رقي بما أجزلت من وافر القسم
 وبين أهل الشهى نارا على علم
 إذ صرث من جاهه المأمول في حزم
 أنهى إلى مجده من فاضل الشيم
 قُصْرُث في ضمن منشورٍ ومنتظم
 بها لعمرك وهو البر في الضيم
 فنحن أولى ومحض العهد والكرم
 مستضجبا لعلاء غير منصرم
 في حيث يفضل خطب أو يحار عم
 تستصحب النعم المنهلة الديم

(١) في المصدر نفسه: «ومرتعا».

(٢) كلمة «ذو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «جماله».

(٤) في الأصل: «هواي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٥) كلمة «يدو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٦) في الأصل: «وماذا»، وكذا ينكسر الوزن. (٧) في الأصل: «هذه».

وليس لهذا العهد للرجل انتحال لغير الشعر والكتابة. وغير هذا للشعر فراره، فقل أن ينتهي الشعر في الضعة والاستبدال إلى ما دون هذا الثمط، فهو بعير^(١) ثانٍ، شعراً وشكلاً وبلداً، لطف الله به. وهو لهذا العهد، على ما تقدم من النكبة، واتصال السخط من الدولة، نغمداً الله وإياه بلطفه، ولا تكسر عنا ظل عناية وستره.

مولده: حسبما تقدم من بسط حاله مما قيده بخطه في عام تسعة وسبعمئة.

عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله: فقيه أديب كاتب سري، موصوف بكرم نفس، وحسن خلق. لقي أسيافاً وأخذ عنهم.

شعره: [السريع]

يَزْفَلُ فِي السَّابِغِ مِنْ أُمَّتِهِ ^(٢)	يَا مُنْعِمًا مَا زَالَ مِنْ أُمِّهِ
فَرِيحَ صَرْفِ الدَّهْرِ مِنْ سَكَّتِهِ ^(٣)	وَيَا حُسَامًا جَرْدَتُهُ الْعُلا
شَوْقًا لِمَنْ خَلَفَ مِنْ إِخْوَتِهِ	عَبْدُكَ قَدْ سَاءَتْ هُنَا حَالُهُ
وَيَخْلَعُ الشُّهْدَ ^(٤) عَلَى مُقْلَتِهِ	شَوْقًا يَبْتُ الْجَمْرَ فِي قَلْبِهِ
وَأَنْسِينَ ^(٥) الْمُقْلِقَ مِنْ وَخْشَتِهِ	فَسَكُنِ الْمُؤْلَمَ مِنْ شَوْقِهِ
فِي عِلْمِكُمْ مِنْ مُقْتَضَى بُغْيَتِهِ	وَأَمُتْنِ عَلَيْهِ بِبُلُوغِ الْمُنَى
تَفْهَمُ مَا يُلْقِيهِ مِنْ نَفْسَتِهِ	وَمَا كُهَا نَفْسَةً ذِي خَجَلَةٍ
يَحْسَدُ الطَّيَّارَ فِي نَغْمَتِهِ	إِذَا شَدَا مَذَاحَكُمْ سَاجِعًا

وفاته: سنة إحدى وسبعين وخمسمئة، عن سن عالية.

(١) يريد أنه شاعر كبير وهنا يشبهه بشاعر آخر يلقب بالبعير.
 (٢) في الأصل: «أُمَّتِهِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٣) في الأصل: «سَكْوَتِهِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٤) في الأصل: «الشَّهْدَ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
 (٥) في الأصل: «وَأَنْسِينَ»، وكذا لا يستقيم الوزن.

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي^(١)من أهل قلعة يَنْخِصِب^(٢) من عمل البيرة.

حاله ونسبه: هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر، صاحب رسول الله ﷺ. وكان عيَّنًا من أعيان الأندلس، مُشارًا إليه في البيت والرأي، والجزالة والفضل. عَلِقَتْ به الآمال، ورُفِعَتْ إليه الممادح، وحُطَّتْ لديه الرُّحال. وكان من أولي الجلالة والثَّباهة، والطُّلب والكِتابة الحسنة، والخطُّ البارع. واشتمل على حُظوة الأمير يحيى بن غانية اللَّمتوني، وكتب عنه. بلده قلعة بني سعيد، فتقفها، وجعل بها أكبر بني عبد الرحمن ضابطًا لها وحارسًا، فحَصَّنَهَا أبو مروان ومهداها بالعمارة، فكانت في الفتنة مَثَابَةً وَأَمْنًا، وَجِزًّا له ولبنيه، فأتَجَلَّتْ الناس إليها من كل مكان. ولما قَبِضَ ابن غانية على القُمط مَرِين وأصحابه النصاري عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن جِيَّان، وتحصَّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت في اسم الأمير يحيى، ثَقَّفَهُم بالقلعة بيد ثِقَّتِهِ المذكور وأمينه أبي مروان، فتحصلوا في مَعْقِل حَرِيز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأي. ومات ابن غانية بقرناطة لأيام قلائل، واختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، وعاهد القُمط مَرِين ومن معه من الزعماء على عُهُود، أخذها عليهم وعلى سلطانهم، أن يكون تحت أَمْنٍ وحفظ طول مدَّته، فأجريت القلعة في الأمن والحماية، وكفَّ أيدي التَّعْذِي مجرى ما لَمُلِكَ النُّصْرِي^(٣) من البلاد، فَشَمِلَ أهلها الأمن، واتسعت فيها العمارة، وتنكبت بها التَّكْبَات، وتحاشتها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحدين. ووصل هو وابنه إلى السيد أبي سعيد بقرناطة، وحضر معه غَزْوَةُ المَرِيَّة، ثم دخل بجملته، فكمَّلَ له الأمن، وأَقَرَّ على القلعة، وأمر بِسُكْنَى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراكش صحبة السيد أبي سعيد، ولقي من البرِّ ولُطْفِ المكانة عاداته، واستَكْتَبَ ابنه أحمد بن أبي مروان الخليفة في هذه الوجهة، وانتظم في جملة الكُتَّاب والأصحاب.

(١) ترجمة عبد الملك بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦١) ورايات المبرزين (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩١، ٩٧) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٥ ص ٧٩).

(٢) قلعة يَنْخِصِب: بالإسبانية Alcalá La Real، أي القلعة الملكية، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٣) النصري هنا النصرائي، والمراد: أن تنعم قلعة بني سعيد بالأمن كما تنعم بلاد النصاري.

محتته: وعاد أبو مروان ويثوه إلى غرناطة ضحبة واليها السيد أبي سعيد، فبقي في جملة العسكر عند دخول ابن مَرْدَنِيْش وصِهره غرناطة، وقد اضطربت الفتنة، وقَسَد ما بين السيد وبين أبي جعفر بن أبي مروان منهم، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة^(١). ولما ظهرت دلائل التغيير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلى خدمة ابن مردنیش، ونهاهم والدهم أبو مروان، وأشار عليهم بمصاهرة الأمر، فلحق عبد الرحمن بالقلعة، وفرّ أحمد لما انكشف الأمر، وعُثر عليه بجهة مالقة، فقتل، وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد، فبقيا بغرناطة، ومن يُشار إليه من أهل بيتهما، واستُضيفت أموالهما، واستخلصت^(٢) ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم وردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم. ولما هلك ابن مردنیش، ورُدّ من اتصل به ضحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رجب وسعة، وثاب جاه أبي مروان، واتصل عزّه، واتسعت حُظوته، إلى أن هلك بعد أن ولي بمراكش النّظر في العُدّة والأسلحة، والقيام على دار الصّنعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين وخمسمائة.

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد
ابن عبد العزيز بن يست^(٣)

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل^(٤)، حَيِيّ، حسن الصورة، بادي الحشمة، فاضل البيت سرّيه. كتب في ديوان الأعمال^(٥)، وترقى إلى الكُتُب^(٦) مع الجملة بالدار السلطانية، وسَفَر في بعض الأغراض الغُربية، ولازم الشيخ أبا بكر^(٧) بن عتيق بن مُقدّم، من شيوخ^(٨) الصّوفية بالحضرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية^(٩).

(١) تقدم ذلك في ترجمة حفصة في الجزء الأول من الإحاطة.

(٢) أي صارت في المستخلص، أو ضمن أملاك الدولة.

(٣) ترجمة ابن يست في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣) وفيه: «بن برشيت»، وفي نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧، ٢٤٩) وفيه: «بن پشت».

(٤) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٥) في النفح: «الأعمال فائقن، وترقى». (٦) في النفح: «إلى الكتابة السلطانية».

(٧) في النفح: «أبا بكر عتيق...». (٨) في النفح: «مشيخة».

(٩) كلمة «الأدبية» غير واردة في النفح.

شعره: وشعره لا بأس به، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم^(١): [الكامل]

الْقَلْبُ يَمْشِقُ وَالْمَدَامُ تَنْطِقُ
بَرِّحَ الْخَفَاءَ فَكُلْ غَضِرَ مَنْطِقِ^(٢)

[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا]^(٣).

ومما خاطبني به^(٤): [البسيط]

أَطَلْتُ غَثَبَ زَمَانٍ فَلَّ مِنْ أَمَلِ^(٥)
وَسُمْنَتُهُ^(٦) الذَّمُّ فِي جِلٍّ وَمُرْتَحِلِ
عَاتِبَتُهُ لَيْلِينَ لِلْعَثَبِ جَانِبَهُ
فَمَا تَرَجَعَ عَنْ مَطْلٍ وَلَا بَخْلِ^(٧)
فَعَذْتُ أَمْنَحَ الْعُثْبَى^(٨) لِيُشْفِقَ بِي^(٩)

فقال لي: إِنَّ سَمْعِي عَنْكَ فِي شُغْلٍ
فَالْعَثَبُ عِنْدِي وَالْعُثْبَى^(١٠) فَلَسْتُ أَرَى
أَضْغِي لِمَدْحِكَ إِذْ لَمْ أَضْغِ لِلْعَذَلِ
فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: كُفِّي عَنْ مُعَاتِبَةٍ
لَا تَنْقُضِي وَجَوَابَ صِيغٍ مِنْ وَجَلِ^(١١)
مَنْ يَغْتَلِقُ بِالدُّنَا^(١٢) بِابْنِ الْخَطِيبِ فَقَدْ
سَمَا عَنِ الذَّلِّ وَاسْتَبُولَى^(١٣) عَلَى الْجَدَلِ

(١) البيت مطلع قصيدة طويلة من ٥٨ بيتاً وردت في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٥٠ - ٢٥٢). وورد منها ٢٠ بيتاً في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) في الكتيبة الكامنة: «ينطق».

(٣) ما بين قوسين هو ليس لابن الخطيب، ويبدو أنه تعليق من ناسخ المخطوطة.

(٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٥) في الكتيبة: «مَلَّ مِنْ أَمَلِي». وفي النسخ: «من أَمَلِي».

(٦) في الكتيبة: «وشمته».

(٧) في الكتيبة: «من مطل ومن نجل».

(٨) العُثْبَى: الرضى. لسان العرب (عتب).

(٩) في النسخ: «لي».

(١٠) في المصدرين: «كالعُثْبَى».

(١١) في المصدرين: «في الدُّنَا».

(١٢) في الأصل: «واستوى»، والتصويب من المصدرين.

فقلت^(١): من لي بثَّقريبِي لخدمته
 فقد أجابَ قَريبًا من جوابك لي
 قد اشتغلتُ عن الدُّنيا بآخرتي
 وكان ما كان في^(٢) أَيْامِي الأوَّل
 وقد رَغَيْتُ وما أهملتُ من مَنع
 فكيف يَخْتَلطُ المرعي بالهَمَلِ؟
 ولستُ أزجِعُ للدُّنيا وزُخرفها
 من^(٣) بعد شَيْبٍ غدا في الرأس مُشتعل
 النَّسْتُ تُبَصِّرُ أظماري وُبُعدي عن
 نَيْلِ الحَظوظِ وإعدادِ^(٤) إلى أَجَل
 فقال^(٥): ذلك قولٌ صَحَّ مُجْمَلُهُ^(٦)
 لكنَّ من شأنه التَّفصيلُ للجَمَلِ
 ما أنت طالبُ^(٧) أمرٍ تُشعِّينُ به
 على المَظالمِ في حالِ^(٨) ومُتَّيِّلِ
 ولا تُجِلَّ حرامًا أو تُحَرِّمَ ما
 أَحَلَّ رُبُّكَ في قولٍ ولا عمل
 ولا تَبِغْ^(٩) أَجَلَ الدُّنيا بما جَلَّها
 كما الوَلَاةُ تبيعُ اليَمَّ بالوَشَلِ^(١٠)
 وأين عنك الرُّشا إن كنتَ^(١١) تطلبها
 هذا لعمري أَمْرٌ غَيْرُ مُنْقَمَلِ

(١) في النفع: «قالت فمن لي...».

(٢) في الكتيبة: «من أيامك». وفي النفع: «من أيامي».

(٣) كلمة «من» غير واردة في الأصل، وبذلك ينكسر الوزن، وقد أضفناها من المصدرين.

(٤) في النفع: «وإغذاذي إلى أجلي». (٥) في المصدر نفسه: «فقلت».

(٦) في الكتيبة: «محملة» بالحاء المهملة. (٧) في النفع: «جالب».

(٨) في الكتيبة: «جاء».

(٩) في الأصل: «ولا تَبِغْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٠) الوَشَل: القليل من الماء. لسان العرب (وشل).

(١١) في النفع: «ظَلْتُ».

هل أنت تطلبُ إلا أن تمودَ إلى
كُتِبَ المقامِ الرُفيعِ القَدْر في الدول؟
فما لأوحدِ أهل الكَوْن^(١) قاطبة
وأسمَح الخَلْق^(٢) من حافٍ ومُنْتعل
لم يلتفت نحو ما تُبغيه من وطَرٍ
ولم يَسُدَّ^(٣) الذي قد بانَ من خلل
إن لم تَقَعْ نظرةً منه عليك فما
يَضْبُو لديك الذي^(٤) أملتَ مِن أمل
فدونك السَيِّدُ الأعلى فمطلبكم^(٥)
قد نيطَ منه بفضلي غير مُنفضل^(٦)
فقد خَبَرْتُ بني الدنيا بأجمعهم
من عالمٍ وحكيم عارفٍ وولي^(٧)
فما رأيتُ له في الناس من شَبَهٍ
قُلْ الشُّظَيْرُ له عندي فلا تَسَلِ
فقد^(٨) قَصَدْتُكَ يا أسمى الورى نَسَبًا^(٩)
وليس لي عن جَمي^(١٠) غَلِيَاك من جَوَلِ^(١١)
فما سواك لما أملتُ من أمل
وليس لي عنك من زَيغ ولا مَيَلِ^(١٢)

(١) في الكتيبة: «الأرض». (٢) في الكتيبة: «الناس».

(٣) في الأصل: «يَسُدُّ»، والتصويب من المصدرين.

(٤) في الأصل: «الذي»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الكتيبة: «قطابه قلْ النظيرُ له عندي فلا تَسَلِ».

(٦) في النسخ: «متفضل» بالصاد المهملة. (٧) في الأصل: «دول» والتصويب من النسخ.

(٨) في النسخ: «وقد». (٩) في النسخ: «همما».

(١٠) كلمة «جمي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النسخ ليستقيم المعنى والوزن معاً.

(١١) في الكتيبة: «... لي من علاك اليوم من وجل». والحوّل: التحول والانتقال. لسان العرب (حول).

(١٢) في الكتيبة: «وليس عندك من زيغ ولا ملل».

فانظر لحالي فقد رُقَّ الحسودُ لها
واخسِمْ زمانةً^(١) ما قد ساء من عِلل
قَدَّم^(٢) لنا ولدينِ الله تَرْقُفُهُ
ما أَغْقَبَتْ بُكَرُ الإصباحِ بالأُصلِ
لا زِلْتُ مُفْتَلِيًا عن كلِّ حادثة
كما عَلَتْ مِلَّةُ الإسلامِ في المَلَلِ

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله
ابن عبد الرحمن الغساني^(٣)

وادي آشي الأصل، يكنى أبا محمد.

حاله: كان^(٤) من جِلَّة الأدباء، وفحول الشعراء، وبرَّعة الكتاب. كتب عن
الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي المشوفي الميوزقي^(٥)، الشاعر
على منصور^(٦) بني عبد المؤمن، ثم على مَنْ بعده من ذرَّيته إلى أيام الرُّشيد^(٧) منهم،
وانقطع^(٨) إليه وصحبه في حركاته، وكان آية في بُغْد الهمة، والذهاب بنفسه،

(١) الزمانة: المرض الدائم. لسان العرب (زمن).

(٢) في الكتيبة: «ودم لها». وفي النفع: «ودم لنا».

(٣) ترجمة عبد البر الغساني في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) وفيه أنه توفي سنة ٦١٠ هـ أو نحوها،
والمقتضب من كتاب تحفة القادِم (ص ١٦٨) وفيه أنه توفي سنة ٦١١ هـ. ورايات المبرزين
(ص ١٦٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٢) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٤) و(ج ٥ ص ٤٧،
١٠٦).

(٤) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٥) أبو زكريا يحيى بن إسحاق المشوفي هو ابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة وغرب الأندلس
من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، قاوم الموحدين في أول استيلائهم على الأندلس
فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.

(٦) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحد، حكم المغرب والأندلس من سنة
٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠) والحلل الموشية (ص
١٢١).

(٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحد، حكم
المغرب والأندلس من سنة ٦٣٠ هـ إلى سنة ٦٤٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص
٢٩٩) والحلل الموشية (ص ١٢٥).

(٨) في النفع: «وكان منقطعاً إليه، وممن صحبه...».

والعناء^(١)، ومواقف الحرب، فإنه دهم في المثل، أشبه امرءًا يعرض برّه، فقد كان أليق الناس بصُخبة الميورقي، وأنسبهم إلى خدمته.

مشيخته: روى عن أبي زيد بن السهيلي^(٢).

بعض أخباره في البأ والصرامة: حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عمن حدثه من أشياخه، قال^(٣): وجه الميورقي في عشيّة يوم من أيام حروبه إلى المأزق، وقد طال الجراك، وكاد يكلّ الناس عن الحرب، إلى أن يباكروها من الغد، فتقدّ لما أمر به. ولما بلغ الصدر اشتدّ على الناس، وذعر^(٤) أرباب الحفيظة، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحملة، فانهزم عدوهم شرّ هزيمة، ولم يعد أبو محمد إلّا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذي عمّلت هو شأني، وإذا أردت من يضرّف الناس عن الحرب ويذهب ربحهم، فانظر غيري.

وحدثني^(٥) كذلك أن ولدًا له صغيرًا تشاجر مع يزيّ له من أولاد أميره أبي زكريا، فنال منه ولد الأمير، وقال: وما قدر أبيك؟ ولما بلغ ذلك أباه خرج مغضبًا لحينه، ولقي ولد الأمير المخاطب لولده، فقال: حفظك الله! لست أشك في أنّي خديم أبيك، ولكنني أحب أن أعرفك بمقداري^(٦) ومقداره، اعلم إن أباك وجّهني رسولاً إلى الخليفة^(٧) ببغداد بكتاب عن نفسه، فلما بلغت بغداد نزلت^(٨) في دار أكثريت لي بسبعة دراهم في الشهر، وأجري عليّ سبعة دراهم في اليوم، وطولع بكتابي، وقيل: من الميورقي الذي وجهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربي نائر على أستاذه. وأقمت شهرًا، ثم استدعيت إلى الانصراف، ولما دخلت دار الخلافة وتكلّمت مع من بها من الفضلاء، أرباب^(٩) المعارف والآداب، اعتذروا لي، وقالوا للخليفة: هذا رجل جهل مقداره، فأعدت إلى محل أكثر^(١٠) لي بسبعين درهمًا، وأجري عليّ مثلها في اليوم، ثم استدعيت، فودعت الخليفة، واقتضيت ما تيسر من جوابه^(١١)، وصدر لي شيء له حظ^(١٢) من صلته. وانصرفت إلى أبيك.

(١) في النفع: «والغناء في مواقف...».

(٢) في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) والمقتضب (ص ١٦٨) «روى عن أبي القاسم السهيلي».

(٣) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٤) في النفع: «وذعر».

(٥) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧).

(٦) في النفع: «بنفسي ومقداري ومقدار أبيك».

(٧) في النفع: «إلى دار الخلافة».

(٨) في النفع: «أُنزلت».

(٩) في الأصل: «أكثريت» والتصويب من النفع.

(١٠) في الأصل: «خطر» والتصويب من النفع.

(١١) في النفع: «حوالجه».

(١٢) في الأصل: «خطر» والتصويب من النفع.

والمعاملة الأولى كانت على قدر أهلك عند من يعرف الأقدار، والثانية كانت على قدرى والمئة لله. وأخبار ابن فرسان كثيرة.

شعره: وقد تعتم الأمير^(١) بعمامة بيضاء، ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء، فقال^(٢): [الطويل]

فديتك بالنفس التي قد ملكتها بما أنت موليتها من الكرم الغض
توددت^(٣) للحسن الحقيقي بهجة فصار بها الكلبي في ذاك كالبعض^(٤)
ولمّا تلالا^(٥) نور غرتك التي تقسم في طول البلاد وفي الغرض
تلقفتها^(٦) خضراء أحسن ناظر تبث عنك إجلالا وذاك من الغرض
واسدلت حمر^(٧) الملابس فوقها بمفرق تاج المجد والشرف المنخفض
وأصبحت^(٨) بذرا طالعا في غمامة على شفق دان إلى خضرة الأرض
ومن شعره، ولا خفاء ببراعته^(٩): [الطويل]

نذى مخضلا ذاك الجناح المنمما وسقيا وإن لم تشك يا ساجعا^(١٠) ضما
أعذمن الحانا على سنع مغرب يطارح مرتاحا على القضب مفعما
وطز^(١١) غير مقصوص الجناح مرقها مسوغ اشتات الحبوب منعمما
وقال أيضا رحمه الله^(١٢): [الطويل]

كفى حزنا أن الرماح^(١٣) صقيلة وأن الشبا زهن الصدى بدمائه
وأن بياذيق^(١٤) الجوانب قرزنت ولم يغد ربح الدست بيت بنائه

- (١) الأمير هو ابن غانية، مخدوم عبد البر بن فرسان.
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٥). (٣) في النفح: «توددت». (٤) في الأصل: «البعض»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «تلالا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «تلقتها». (٧) في النفح: «خضراء». (٨) في النفح: «أصبحت». (٩) الأبيات في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).
(١٠) في الأصل: «ياسا جماعما» وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.
(١١) في المقتضب: «فطر». (١٢) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).
(١٣) في المقتضب: «الزجاج». (١٤) في المقتضب: «بياديق» بالبدال المهملة.

عبد المنعم^(١) بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني

جلياني^(٢)، من أهل وادي آش، وتردّد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، وأبا الفضل.

حاله: تجوّل ببلاد المشرق سائحاً، وحجّ ونزل القاهرة، وكان أديباً، بارعاً حكيماً، ناظماً ناثراً.

توالياقه: وله مصنفات منها «جامع أنماط السائل، في العروض والخطب والرسائل»^(٣)، أكثر كلامه فيه نظماً ونثراً.

مشيخته ومن روى عنه: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، وأبو عبد الله بن يحيى المُرسي.

شعره: قال من شعره^(٤): [الطويل]

ألا إنما الدنيا بحارٌ تَلَطَّمَتْ فما أَكْثَرَ الغَرْقى على الجَنَباتِ
وأَكْثَرُ مَنْ^(٥) لا قَيْتُ^(٦) يُغْرِقُ إلفَهُ وَقَلَّ فَتَى يُنْجِي^(٧) مِنَ الغَمَرَاتِ
وفاته: سنة ثلاث وستمائة^(٨).

(١) في الأصل: «عبد العظيم» والتصويب من المصادر التي ترجمت له وهي: التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٤٣) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٥٧، مادة جليانة) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٦٣٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣١٣) و(ج ٣ ص ٣٥٧، ٣٧٨) و(ج ٦ ص ١٠٠) والغصون البانعة (ص ١٠٤).

(٢) نسبة إلى جليانة، وهي حصن بالأندلس من أعمال وادي آش، يقال لها جليانة التفاح لجلالة تفاحها وطيبه وريحه، إذا أكل وجد فيه طعم السكر والمسك. معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٥٧).

(٣) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧): «جامع أنماط الرسائل، في القريض والخطب والرسائل».

(٤) البيتان قالهما في سنة ٥٦٨ هـ، وهما في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) و(ج ٦ ص ١٠٠).

(٥) في الذيل والتكملة: «ما».

(٦) في التكملة: «صاحبته».

(٧) في الأصل: «ينجو» والتصويب من المصادر.

(٨) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩): توفي سنة ٦٠٣ أو نحوها. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧): توفي سنة ٦٠٢ هـ. وفي نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) مات سنة ٦٠٣ هـ، وفي المصدر نفسه (ج ٣ ص ٣٧٨): ولو بجليانة سابع المحرم سنة ٥٣١ هـ، ومات بدمشق سنة ٦٠٢ هـ.

فهرس المحتويات

٣ محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي
٨ محمد المكدودي
١٠ المقرئون والعلماء - الأصلون منهم
١٠ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن
١٠ جزي الكلبى
١٣ محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي
١٥ محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي الثون الثقبى
١٦ محمد بن محمد بن محمد بن بيثى العبدري
١٩ محمد بن محمد الثمري الضري
٢١ محمد بن عبد الولي الرعيني
٢٢ محمد بن علي بن أحمد الخولاني
٢٥ محمد بن علي بن محمد البثسي
٢٥ محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقي
٢٧ محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري
٢٨ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الثفري
٤٣ ومن الطارئين عليها في هذا الحرف
٤٣ محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللخمي اليكي
٤٥ ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء
٤٥ محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٦ محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذججي
٤٧ محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٨ محمد بن أحمد الرقوطي المزي
٤٨ محمد بن إبراهيم بن المقرج الأوسي
٤٩ محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

٤٩ محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حُميد ابن مأمون الأنصاري
٥١ محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي
٥٢ محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خَلَف بن يوسف بن خلف الأنصاري
٥٣ محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري
	محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن
٥٣ سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي
٥٥ محمد بن محمد بن محارب الصُريحِي
٥٦ محمد بن محمد بن لُب الكِناني
٥٧ محمد بن محمد البدوي
٦٠ محمد بن عبد الله بن مَيْمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدري
٦٢ محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري
٦٣ محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدّ الفهري
٦٤ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفَخَّار الجُدّامي
٦٧ محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني
٦٨ محمد بن علي بن محمد القَبْدري
٧٥ ومن الغريباء في هذا الباب
٧٥ محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجيسي
٩٨ محمد بن عبد الرحمن بن سعد التَّميمي السَّيلِي الكَرْسوطي
١٠١ محمد بن عبد المنعم الصُّنهاجي الحميري
	محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن
١٠٢ حسن بن محمد بن عمر بن رُشيد الفهري
١٠٨ محمد بن علي بن هاني اللُّخمي السَّبتي
١١٨ محمد بن يحيى القَبْدري
١١٩ المحذِّثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاً الأصليون
١١٩ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير
١٢١ محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني
١٢٢ محمد بن أحمد بن محمد الدَّوسي
١٢٢ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن رويل الأنصاري
١٢٤ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَين المُرِّي
١٢٤ محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حُثان القيسي
١٢٦ محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي
١٢٧ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخَوْلاني
١٢٩ محمد بن محمد بن علي بن سُودة المُرِّي
١٣١ محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
١٣٢ محمد بن عبد الله بن أبي زَمَين

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن
 ١٣٢ إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَيْنٍ عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي
 محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَف بن قاسم بن محمد بن هاني
 ١٣٣ اللخمي القايسي
 محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني
 ١٣٤ محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد بن عبد الواحد بن حُرَيْث بن
 ١٣٥ جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي
 ١٣٦ محمد بن علي بن فرج القُرْبَلْيَانِي
 ١٣٧ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني
 ١٣٨ محمد بن سُودَة بن إبراهيم بن سُودَة المُرِّي
 ١٣٩ محمد بن يزيد بن رَفَاعَة الأموي البيري
 ١٣٩ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس
 الأنصاري
 ١٤٠ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار
 ١٤١ محمد بن أحمد بن المراكشي
 ١٤٢ محمد بن بكرون بن حزب الله
 ١٤٣ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي
 ١٤٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
 ١٤٥ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي
 ١٤٦ محمد بن محمد بن مَيْمُون الخزرجي
 ١٤٧ محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري
 ١٤٨ ومن الثَّرباء في هذا الاسم
 ١٥١ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التُّلمساني الأنصاري
 ١٥١ محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قَطْرَال الأنصاري
 ١٥٣ القُمال في هذا الاسم وأولاً الأصليون
 ١٥٤ محمد بن أحمد بن محمد بن الأكل
 ١٥٤ محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي
 ١٥٧ محمد بن محمد بن حَسَّان الغافقي
 ١٥٧ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن
 عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم الثُميري، المدعو بابن
 الحاج
 ١٥٨ محمد بن عبد الرحمن الكاتب
 ١٥٩ محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر
 ١٦١

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن	
محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر العنسي	١٦٣
ومن الطائرين في هذا الاسم من العمال	١٦٤
محمد بن أحمد بن المتأهل البدري	١٦٤
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي	١٦٦
محمد بن محمد بن شعبة الغساني	١٧٠
محمد بن محمد بن العراقي	١٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون	
الأنصاري	١٧٢
محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل	١٧٣
محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي	١٧٣
الزهاد والصلحاء والصفوة والفقراء وأولاً الأصليون	١٧٤
محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري	١٧٤
محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٥
محمد بن حنون الحميري	١٧٥
محمد بن محمد البكري	١٧٥
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٦
ومن الطائرين عليها في هذا الاسم	١٧٧
محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن	
مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف	
السلمي	١٧٧
محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان	
القيسي	١٧٩
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري	١٨١
محمد بن أحمد بن قاسم الأمي	١٨٢
محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن	
عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي	١٨٦
محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلقيني بن الحاج	١٨٧
محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد الثفري	١٩٠
محمد بن يوسف بن خلصون	١٩٤
ومن الثرياء في هذا الاسم	٢٠٢
محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي	٢٠٢
محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي المراكشي	٢٠٣
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلقاوي	٢٠٥
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي	٢٠٦

٢٠٧	سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارية علينا أو غريب ..
٢٠٧	مَزْدَلِي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن ترقوت بن وزبابطن بن منصور بن
٢٠٧	نصالة بن أمية بن وابتن الصنهاجي اللثموني ..
٢٠٧	موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهثاني ..
٢٠٨	مَنْدِيل بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو الأمير أبو زيان ..
٢١٠	ومن الطارئين ..
	المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن
٢١٠	عبد الرحمن بن معاوية ..
٢١١	مُنْدِر بن يحيى التَّجِيبي ..
٢١٦	موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يَغْمَراسين بن زيان ..
٢٢٠	مُبَارَك ومُظَفَّر الأميران مَوْلِيَا المنصور بن أبي عامر ..
٢٢٨	ومن ترجمة الأحيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها ..
٢٢٨	منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو ..
٢٢٩	مُقَاتِل بن عطية البَرْزالي ..
٢٣٠	ومن السُّفر التاسع من ترجمة القضاة ..
٢٣٠	مُؤَمِّل بن رجاء بن عَكْرِمَة بن رجاء العُقيلي ..
٢٣١	ومن الطارئين والغرباء ..
٢٣١	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي ..
٢٣١	ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصلثون ..
	مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرَق بن سعد بن
٢٣١	سالم بن الفرج ..
٢٤٨	ومن طارئين المقرئين والعلماء ..
٢٤٨	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ..
٢٥١	مسلم بن سعيد التَّنَملي ..
٢٥٢	ومن العمال الأثراء ..
٢٥٢	مُؤَمِّل، مولى باديس بن خَبُوس ..

حرف النون الملوك والأمراء

	نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن
٢٥٤	عقيل الخزرجي الأنصاري ..
٢٦١	ومن الأحيان والوزراء ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهري ..
٢٦٢	ومن الكتاب والشعراء ..
٢٦٢	نزهون بنت القليعي ..

حرف الصاد من الأعيان والوزراء

- ٢٦٤ الصَّمِيل بن حاتم بن عمر بن جندع بن شَمِر بن ذي الجوشن الضَّبَابِي الكَلْبِي
 ٢٦٦ ومن الكتاب والشعراء
 ٢٦٦ صَفْوَان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التَّجِيبِي
 ٢٧٥ صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الثَّقَفِي

حرف العين من ترجمة الملوك والأمراء

- ٢٨٧ عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التَّجِيبِي الرئيس أبو محمد بن إश्قِيلُولَة
 ٢٨٩ عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن مأكسن بن زيري بن مناد الصَّنْهَاجِي
 ٢٩١ عبد الله بن علي بن محمد التَّجِيبِي، الرئيس أبو محمد بن إश्قِيلُولَة
 ٢٩٢ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرَفِي
 ٢٩٣ عبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي
 ٢٩٤ عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السُّلَمَانِي
 ٢٩٨ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي
 ٣٠٥ ومن المقرئين والعلماء
 ٣٠٥ عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكَوَّاب
 ٣٠٦ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سَلْمُون الكَنَانِي
 ٣٠٨ عبد الله بن سهل الغرناطي
 ٣٠٩ عبد الله بن أيوب الأنصاري
 ٣٠٩ عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري
 ٣١٣ عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن يَمَّاك العاملي
 ٣١٤ ومن ترجمة القضاة
 ٣١٤ عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن مُنْخَل بن زيد الغافقي
 ٣١٥ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي زَمْنين المُرِّي
 عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن
 ٣١٥ زكريا الأنصاري
 ٣١٦ عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جَمرة الأزدي
 عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خُوْط الله
 ٣١٧ الأنصاري الحارثي الأزدي
 ٣١٨ عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري
 ٣١٩ عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثَّقَفِي العاصمي
 ٣٢٠ عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصَّنْهَاجِي
 ٣٢٠ ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء
 ٣٢٠ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي
 ٣٢٨ عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَر الحِجَارِي الصَّنْهَاجِي

- ٣٣١ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلمي
- ٣٣٣ عبد الله بن محمد بن سارة البكري
- ٣٣٥ عبد الله بن محمد الشراط
- ٣٣٧ عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان التجاري
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن
- عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن
- ٣٤٧ عمار بن ياسر
- ٣٤٩ ومن الصوفية والفقراء
- ٣٤٩ عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرعيني
- ٣٥١ عبد الله بن فارس بن زيان
- ٣٥٢ عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي
- ٣٥٣ ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد] بن عبد الرحمن بن الحكم بن
- ٣٥٣ هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن
- ٣٥٥ عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي
- ٣٥٦ العاصي بن أمية بن عبد شمس
- ٣٥٩ عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي
- ٣٦٠ عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي
- ٣٦٣ ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطارئين منهم
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أضح بن حسن بن سعدون بن
- ٣٦٣ رضوان بن فتوح الخثعمي
- ٣٦٦ عبد الرحمن بن هانيء اللخمي
- ٣٦٧ عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي
- ٣٦٨ عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن
- ٣٧٧ محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي
- ٣٩٥ عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلييري
- ٣٩٥ عبد الرحمن بن يَخْلَفَتْن بن أحمد بن تفلت الفازازي
- ٣٩٩ ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف
- ٣٩٩ عبد الرحمن بن أسباط
- ٤٠٠ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري
- ٤٠٣ عبد الرحمن بن عبد الملك اليشتي
- ٤٠٥ وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن، وأولاد الأمراء

٤٠٥	عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم
٤٠٦	عبد الحلیم بن عمر بن عثمان بن یعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
٤٠٨	عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن یعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو
٤٠٨	ومن الأفراد أيضًا في هذا الحرف وهم طارؤون
٤٠٨	عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
٤٠٩	عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني
٤١٠	ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا
٤١٠	عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مَخْيُو
٤١١	عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه
٤١١	عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري
٤١٢	القضاة الفضلاء وأولاً الأصليون
	عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي
٤١٢	عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي
٤١٥	ومن غير الأصليين
٤١٩	عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تاذرزت الثنمالي اليدرازيني ثم الواغديني
٤١٩	ومن المقرئين والعلماء
٤٢٠	عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مزداس السلمي
٤٢٠	ومن الطارئين عليها
٤٢٤	عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي
٤٢٤	ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف
٤٢٥	عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي
٤٢٥	عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري
٤٣٩	عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي
٤٤٠	عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست ..
٤٤١	عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني
٤٤٥	عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني
٤٤٨	عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني